

بجته التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩١٤

# كتاب السلوك

لمعرفة دول الملوك

لتنق الدين أحمد بن علي المقرئ

قام بنشره

محمد مصطفى زيادة (Ph. D.)

مدرس قسم التاريخ بكلية الآداب بالجامعة المصرية

الجزء الأول - القسم الثاني

المطبعة

مطبعة دار الكتب المصرية

١٩٣٦



Handwritten text in Arabic script, possibly a title or header, with a circular stamp on the right side.

Handwritten text in Arabic script, likely a date or a specific reference.

Main body of handwritten text in Arabic script, consisting of several lines of prose.



## تصدير

## للقسم الثاني من الجزء الأول من كتاب السلوك للمقريزى

يشمل هذا القسم بقية ما كتب المقريزى فى الدولة الأيوبية بمصر، وشرطاً من تاريخ دولة المماليك الأولى حتى آخر عهد السلطان سلامش ثانى أولاد السلطان الظاهر بيبرس . وهذا يقابل ما كان قد بقى مما ترجمه (Blochet) من كتاب السلوك فى (Blochet : Histoire d'Egypte de Makrizi) ، والجزء الأول مما ترجمه منه (Quatremère : Histoire des Sultans Mamlouks de l'Egypte, 2 Volumes) <sup>(١)</sup>

+ + +

ولقد أتى على ظهور القسم الأول من الجزء الأول من هذا المؤلف الطويل نحو ستين ، عثرتُ فى أثناءها ، بالبحث فى المتحف البريطانى بلندن صيف ١٩٣٤ ، على بعض معلومات مكملّة لما قد كنت ناقشته فى تصدير القسم الأول المذكور من حيث النسخ الخطية المعروفة من كتاب السلوك ، وما طبع منها بلغته أو مترجماً أو ملخصاً ، ومن حيث الرسم الإملائى الذى نحاه المقريزى فى الكتابة . ولما كان غرضى فى تصدير هذا القسم الثانى لا يعدو ما كان من غرضى عند تصدير القسم الأول ، وهو مجرد التعريف بكتاب السلوك ومؤلفه ، وبالنحو الذى سرتُ عليه فى نشره وتحريره ووضع حواشيه ، فإننى لهذا مقتصر هنا على إضافة تلك المعلومات التكميلية المشار إليها ، على أن أرجئ كتابة مقدمة شاملة وافية للجزء الأول كله عند تمامه .

ولذا فإننى أضيف هنا الى قائمة النسخ الخطية المذكورة فى تصدير القسم الأول نسخة موجودة فى مكتبة الجامعة بكامبردج بإنجلترا ، تحت رقمى ٥٢٦ ، ٥٢٧ ، وهى مكونة من الجزءين الأول والرابع . انظر (Browne : A Handlist of the Muhammadan Manuscripts in the library of the University of Cambridge p. 97. Camb- ridge University Press, 1900). وهناك نسخة أخرى يملكها (Mr. A. G. Ellis) ،

(١) انظر هنا ص ٢٦٨ (حاشية ١) .



الأمين المساعد للقسم الشرق بالمتحف البريطاني سابقا ، وقد تفضل حين وجودي بلندن في الصيف المذكور فسمح لي بالاطلاع عليها ، وهي مكونة من الجزء الثالث فقط . وهاتان النسختان ، وغيرهما مما هو مقطوع بوجوده في شتى المكاتب والمتاحف من كتاب السلوك كما تقدم بتصدير القسم الأول ، ستكون كلها موضع مقارنة ومفاضلة ، لا بد منها قبل اختيار أحسن النسخ من الناحية العلمية ، لتهيئة الأجزاء الباقية للطبع .

\*\*\*

أما ما طبع من كتاب السلوك بلغته العربية الأصلية ، أو مترجما أو ملخصا ، فيوجد في (W. D. Tiesenhausen : Recueil de Materiaux Relatifs à l'Histoire de la Horde d'Or, Tome I. pp. 417-442). كل ما أورده المقرئ في كتابه خاصا بمغول القفجاق المعروفين باسم القبيلة الذهبية ، من سنة ٦٥٢ هـ إلى سنة ٨١٩ هـ ، مجموعا على هيئة متن متصل مرتب على حسب السنين . وتوجد أيضا في مجموعة المستشرق (Sylvestre de Sacy) المعروفة باسم كتاب الأنيس المفيد للطلاب المستفيد وجامع الشذور من منظوم ومثور (ج ١ ، ص ١٧٠ - ١٧٦) ، قطعة من السلوك خاصة بسنة ٧٩٦ هـ ، وهي مترجمة إلى الفرنسية في نفس المرجع المسمى في تلك اللغة باسم : (Sylvestre de Sacy : Chrestomathie Arabe, 3 Tomes. Paris, 1824-1826) حيث توجد القطعة المشار إليها في (Tome 1. pp. 484-498) . ويوجد أيضا في (Petitots: Collection des Mémoires sur l'Histoire de France, Série I, Tome III. pp. 3-37, Paris 1824) تلخيص لما جاء في كتاب السلوك من حكم العادل الثاني إلى سنة ٦٤٨ هـ<sup>(١)</sup> .

\*\*\*

أما عن الرسم الإملائي فقد أشرت في تصدير القسم الأول إلى طريقة المقرئ في نسخه التي كتبها بيده ، وهي المسماة هنا س ، إذ دأب على إهمال الهمزات بأنواعها إهمالا تاما في سائر المخطوطة ، وتهاون في النقط حتى إن كثيرا من الألفاظ وارد بغير نقط البنية ، ووقع في بعض أخطاء نحوية ، كما ضبط بعض الألفاظ ضبطا خطأ . ولا عيب في شيء من هذا كله على المقرئ ، فإنه سار على أنماط الكتابة والإنشاء الشائعة في عصره ، ومخطوطته هذه في الواقع



ذخيرة لدراسة دور من أدوار تطور الكتابة العربية ، فضلا عن أن غلطاته النحوية نفسها دليل على حال اللغة في العصر الذي عاش فيه .

ذلك أن الخط العربي ، كما نعرفه في العصر الحاضر ، نتيجة سلسلة طبيعية من التطورات والتغير ، وخاصة في مسألة نقط الحروف . وقد كان الكتاب في عصر المقرئى ، وما سبقه من العصور أيضا ، يكرهون كثرة النقط ، ويعتبرونها إما تنطعا أو جهلا من الكاتب ، أو سوء ظن بالمكتوب إليه . وقد أوضح ذلك القلقشندى (صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ١٥٤) ، وهو من معاصرى المقرئى ومن كتاب ديوان الإنشاء ، في العبارة التالية : ”النقط مطلوب عند خوف اللبس [فقط] ، لأنه إنما وُضع لذلك ؛ أما مع أمن اللبس فالأولى تركه ، لئلا يُظلم الخط من غير فائدة ... . أما كتاب الأموال فإنهم لا يرون النقط بحال ، بل تعاطيه عندهم عيب في الكتابة“ .

+++

وبعد فأريد أن أختم هذا التصدير القصير بكلمات شكرٍ قينةٍ بمن عاوننى في إخراج هذا القسم الثانى من الجزء الأول من كتاب السلوك . وأقلم الأستاذ أحمد أمين ، الأستاذ بكلية الآداب ، ورئيس لجنة التأليف والترجمة والنشر ، فقد أولانى بمثل ما أولانى به أثناء إخراج القسم الأول من دائب العناية والتشجيع ، وقرأ جميع هذه الصفحات قبل أن أعتمدها نهائيا للطبع ، وإنى أشكره مرة أخرى لتفضله بكتابة حاشية رقم ١ فى صفحة ٥٥٧ . وأبدى شكرى أيضا لصديقى محمد نديم افندى ، ملاحظ مطبعة دار الكتب المصرية ، فقد تعهد إخراج هذا القسم بفنّه وإتقانه ، بفناء فى مستوى المطبوعات الكبرى التى اشتهرت مطبعة تلك الدار بإخراجها . وآخر قولى هنا أن أقدم شكرى لمن تولانى من أصدقائى ، داخل كلية الآداب وخارجها ، بالنقد العلمى وبالتشجيع والتمنيات الطيبة ما

محمد مصطفى زيادة

مصر الجديدة ، فى ١١ جمادى الآخرة سنة ١٣٥٥

٢٩ أغسطس سنة ١٩٣٦



## أسماء المراجع المذكورة في حواشي القسم الثاني

تحتوى القائمة التالية على أسماء المراجع الإضافية التى استلزمها هذا القسم  
من الجزء الأول من كتاب السلوك

### مراجع عربية مخطوطة ومطبوعة

ابن أبى الفضائل (مفضل ...) : كتاب النهج السديد والدرر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد .

(Texte Arabe publié et traduit en français par E. Blochet. Patrologia Orientalis T. XII. Fasc. 3, T. XIV. Fasc. 3. Firmin Didot, Paris. 1911, 1920).

ابن شاكر (نحر الدين محمد ... بن أحمد الكتبي) : فوات الوفيات . (بولاق، ١٢٩٩هـ) .

ابن واصل (جمال الدين أبو عبد الله محمد بن سليم) : مفتزج الكروب فى أخبار بنى أيوب ،  
جزءان . صور شمسية بدار الكتب المصرية ، رقم ٥٣١٩ تاريخ ، مأخوذة من النسخة  
الخطية الموجودة بالمكتبة الأهلية بباريس .

السيوطى (جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر بن محمد) : تاريخ الخلفاء أمراء المؤمنين القائمين  
بأمر الأمة . (إدارة الطباعة المنيرية ، ١٣٥١هـ) .

النويرى<sup>(١)</sup> (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب) : نهاية الأرب فى فنون الأدب ، ٣٢ جزءا .  
صور شمسية بدار الكتب المصرية ، رقم ٥٤٩ معارف عامة ، مأخوذة من النسخة الخطية  
الموجودة بالمكتبة الأهلية بباريس .

(١) طبع دار الكتب المصرية هذا المؤلف الكبير ، وقد أنجزت منه أحد عشر جزءا .



(ز)

## مراجع أوروبية

BOUQUET (MARTIN): Recueil des Historiens des Gaules et de la France.  
Tome 20. (Imprimerie Royale, Paris 1840).

BROWNE (E. G.): A Literary History of Persia. 4 vols. (Cambridge University Press, 1909-1930).

D'OHSSON (LE BARON C.): Histoire des Mongols depuis Tchinguiz Khan etc.  
4 Tomes. (Les Frères Van Cleef, La Haye, 1834-1835).

G. - DEMOMBYNES: Masālik el-Abṣar fi Mamālik el-Amṣār, d'Ibn Faḍl Allah al-Omari. Tome I. L'Afrique, Moins L'Egypte. Traduit et annoté avec une Introduction et 5 cartes. (Bibliothèque des Geographes Arabes T. II. Geutner, Paris, 1927).

JOINVILLE (SIRE DE): Saint Louis, King of France. Translated by James Hutton. 7th ed. (Sampson Low, London, 1910).

MAYER (L. A.): Saracenic Heraldry. (Clarendon Press, Oxford, 1933).

OMAN (SIR CHARLES): A History of the Art of War in the Middle Ages;  
2 vols. (Methuen, London, 1924).

ZEITZERSTÉEN (K. V.): Beiträge zur Geschichte der Mamlūkensultane. (Brill, Leiden, 1919).



## تصحیحات

صفحة	سطر	الصفة المراد إثباتها	صفحة	سطر	الصفة المراد إثباتها
٢٨٨	١٤	المخامر	٣٩٤	١٤	السعيدية
٢٨٩	٢٢	يوجد	٤٠٢	٢٢	تحبس
٢٩٤	٢٥	بإقطاع	٤٠٣	١٧	الأحمر <sup>(٤)</sup>
٣٠٧	٢٣	بـ ومثل ذلك عند الفرس،	٤٠٨	١٠	الأمر
٣٢٣	١٨	آخر	٤٠٨	١٧	عز الدين
٣٣٣	٨	طناح	٤٤٧	٢٢	الصقلي
٣٣٦	٢١	فإنه	٤٤٨	٢١	وترجمه إلى
٣٣٩	١١	بديار	٤٥٣	٢١	والأقلام
٣٤٧	٤	العلائي	٤٦١	١٠	(ص ٤٣٩، حاشية ٣)
٣٤٨	١٥	فإنه	٥٠٢	٢٣	Op. Cit. I. 1.
٣٥٠	١٩	لفظ	٥١٠	١٦	رتب
٣٥٦	٢٠	غيرهما	٥١٦	٢٠	Quatremère
٣٥٨	١٢	عُدَّة	٥٣١	٢٢	وتجمع
٣٦٥	١	وجماعة أخر من ملوك النصارى	٥٦٧	٢٢	Quatremère
٣٨٩	١٦	(انظر ص ٣٩٣، سطر ١٠، وما يليه)			



المقريزي

كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك

الجزء الأول - القسم الثاني







## السلطان الملك العادل [الثاني]

- سيف الدين أبو بكر بن الملك الكامل محمد بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب . أمه الست السوداء . المعروفة ببنت الخقيه نصر ، ومولده في سنة سبع عشرة وستمائة . استقر الأمر له بسلطنة مصر ودمشق ، في يوم الخميس ثاني عشر رجب ، سنة خمس وثلاثين وستمائة ، الموافق لسادس عشر برمهات . وخطب له بالقاهرة ومصر في رابع شعبان ، وهو السلطان السابع من بني أيوب بديار مصر . فقدمت عليه القصاد من دمشق بوفاة أبيه واستقراره من بعده ، فشرع الأمير سيف الدين قلعج في تحليف الأمراء للملك العادل في داره . وحط [الملك العادل] المكوس ، ووسع في العطاء وفي الأرزاق على كل أحد .

- (١) أضيف الوصف لتمييز بين هذا السلطان وجده الملك العادل أبي بكر بن أيوب .
- (٢) لم توفي الملك الكامل بدمشق ، وانفق الأمراء وأرباب الدولة الذين كانوا يرفقته على سلطنة ابنه الملك العادل بعده ، ونولية ابن عمه الملك الجواد يونس بن مودود بن العادل بن أيوب ، ثانياً للسلطنة بدمشق ، رجع معظم الأمراء والجيوش المصرية إلى القاهرة ، لإقامة سلطنة العادل بها ، وبق بعضهم بدمشق لموازاة الجواد في قيادة السلطنة هناك . (انظر ص ٢٦١) . وكان من الزاجعين إلى القاهرة ، حسام جاء في ابن واصل (مفرج الكرب في أخبار بني أيوب ، ص ١٣١٤) الأمير سيف الدين قلعج ، وثلاثة من أولاد شيخ الشيوخ ابن حويه ، وهم محيى الدين وكمال الدين ومعين الدين . وكان من الباقين بدمشق عماد الدين عمر رابع أولاد شيخ الشيوخ ، وكذلك الأمير عز الدين قلعج أخو الأمير سيف الدين قلعج المذكور هنا ، وقد سماه المقرئ (ص ٢٦١ ، سطر ٩) باسم عماد الدين .
- (٣) أضيف ما بين القوسين بعد مراجعة ابن واصل (نفس المراجع ، ص ٣١٤ ب) .
- (٤) المكوس جمع مكس ، ومن معانيه في اللغة المصرية التي " كانت تؤخذ من بائعي السلع في الأسواق في الخاهلية " . (مخطط المخطط) . والمكوس في مصطلح مؤرخي مصر الإسلامية كل ما تحصل من الأموال لديوان السلطان ، أو لأصحاب الإقطاعات ، أو لوظف الدولة ، خارجاً عن الخراج الشرعي ؛ وتسمى أيضاً المال الخلال ، (انظر ص ٨٥ ، حاشية ٣) ، وقد عرفت هذه الأموال في مصر باسم المكوس ، منذ الدولة فاطمية . ومن أنواعها ما كان يؤخذ في النفور البحرية والبرية من الملاحين الواسلة من الخارج ، وما كان مقرراً بالقاهرة والمستطاع على مختلف المعاصيل والمصنوعات والأماكن ، مثل مكس القوافل ، ومكس النهار ، ومكس فندق القطن ، ومكس معدية الجسر بالجيزة ، وغيرها . وكانت المكوس السلطانية تنبع في زمن المقرئ بسما وسبعين ألف دينار . (المقرئ : المواعظ والاعتبار ، ج ١ ، ص ١٠٣ — ١١١ ج ٢ ، ص ١٢١ — ١٢٤ ؛ القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٢ ، ص ٤٦٨ — ٤٧١) .



وفي رابع شعبان خُطب له بمصر، وأُعلن بموت الملك الكامل . وفي رابع عشر شعبان  
ضربت السكة باسمه .

وفي ثامن عشر رمضان نقش الدينار والدرهم باسمه . وفي عشرينه قرئ توقيعه على المنبر،  
بإبطال جميع المكوس .

وفي سابع عشرين شوال وصل محي الدين [أبو محمد] يوسف بن الجوزي ، رسولاً من<sup>(١)</sup>  
بغداد، بتعزية الملك العادل ، وهناه بالملك من قبل الخليفة . وكان [العادل] قد بعث إلى  
دمشق بالخلع والسنجق ، فركب الجواد بالخلع في تاسع عشر رمضان . وفيها أنفق العادل  
على العساكر .

وفي ثاني ذي القعدة استخلف ابن الجوزي الملك العادل للخليفة المستنصر . وفيه ورد  
الخبر بأن الناصر داود تحالف هو والجواد ، وقد اتفقا ونحجا عن طاعة العادل . ووصل  
الناصر [داود] إلى غزة ، وخطب بها لنفسه . ثم وقع بينه وبين الجواد خلف ، فأظهر الجواد  
أنه عاد إلى طاعة الملك العادل .

ولما قربت العساكر الواردة من دمشق إلى القاهرة ركب العادل إلى لقائهم وأكرمهم ،  
وسير إليهم في منازلهم الأموال والخلع والخيول ، فغددوا له الأيمان والعهود . فاستقر أمره .  
وأخرج [العادل] الأموال ، وبذلها في الأجناد ، وأكثر من العطاء والبذل ، حتى بدد في مدة  
يسيرة ما جمعه أبوه في مدد متطاولة . وأخذ في إبعاد أمراء الدولة عنه ، وقطع رواتب أرباب

(١) تقدم ذكر محي الدين أبي محمد يوسف بن الجوزي رسولاً من الخليفة العباسي ببغداد إلى بني أيوب أكثر  
من مرة ، (انظر ص ٢١٩ ، ٢٥٧) . وهو ابن أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن الجوزي الفقيه الحنبل المؤرخ ،  
صاحب كتاب المتظم والمقطب المقترن في التاريخ ، وخال شمس الدين أبي المنصور يوسف بن كروغر ، المعروف بسبط  
ابن الجوزي ، صاحب باب مرآة الزمان . ولد محي الدين هذا ببغداد سنة ٥٨٠ هـ ، وتنب في عدة وظائف بها ،  
فولى الحسبة ، ودّرس بالمدرسة المستنصرية للطائفة الحنابلة ، وسفر للخليفة العباسي في الرسائل إلى الملوك ، ثم صار أستاذاً  
ببغداد . وكانت وفاته بها ، قتيلاً في وقعة التمر ، سنة ٦٥٣ هـ . (ابن خلكان : وفیات الأعيان (Wiustenfeld) ،  
ج ٤ ، ص ٦٧ — ٦٩) . انظر أيضاً (ابن واصل : مفترج الكرب ، ص ٣٢٤ ب) .



الدولة . واختص بين أنشاه . فنشرت قلوب الأكابر منه ، واشتغل [هو] عنهم بالانهماك في شرب الخمر، وكثرة اللهو والتساقط .

وسار الناصر داود من الكرك ، واستولى على غزة والسواحل . واستجد عسكريا كبيرا ، وبرز عن غزة . وبعث إلى الملك العادل يريد منه المساعدة على أخذ دمشق .

وقوى المجاهد [أسد الدين] صاحب حمص بعد موت الكامل ، وأغار على حماة وحصرها . واستعد أهل حلب ، واستجدوا عسكريا من الخوارزمية ، وعسكرا من التركمان ؛ و [كان قد] صار اليهم عدة من أصحاب الملك [الكامل] ، فأكرموهم ، وبعثوا إلى السلطان غياث الدين [كيخسرو بن كيقباد] . ملك الروم ، يسألونه إرسال نجدة ، فأمدتهم بخيار عسكريه ، وخرجوا فملكوا المعرة ، ونازلوا حماة ، وقاتلوا المظفر صاحبها ، فثبت لهم ، وامتنع عليهم وقاتلهم .

وكان الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل على الرحبة ، منازلها ؛ فلما بلغه موت

(١) و (٢) حادثة الواردة بين الرقيين مشطوبة في م ، وبظهر أن المقرئ يرى عمدا إلى شطبها ليدق ذكر بعض أخبار الناصر داود (ص ٢٦٨ سطر ٩) ، وقد أثبتت هنا لعدم تمازجها مع تلك الأخبار . وفي ابن واصل (مفرج الكروب ، ص ٣١٤ ب) أن الملك العادل لم يبعث الناصر داود إلى ما أراد ، "فأرسل الناصر إليه قائما : إن أباك السلطان الملك الكامل كان قد عزم أن يعيد إلى مملكة والدي (انظر ص ٢٥٦ ، سطر ١٤) ، و [أما] أنا فقد وليت على البلاد الساحلية لأنها من حمها ، فسألتني على تسليم دمشق وباقي البلاد ، وأكون من قبلك ، ومن طاعتك ، كما كنت مع أبيك . وترددت بينه وبين الملك العادل الرسائل في هذا المعنى " .

(٣) أضيف ما بين القوسين بعد مراجعة ابن واصل (نفس المراجع ، ص ٣١٤ ب — ١٣١٥) ، حيث توجد معلومات أدنى من حركات المجاهد صاحب حمص ، بعد وفاة الملك الكامل .

(٤) أضيف ما بين القوسين من ابن واصل (نفس المراجع ، ص ١٣١٦) .

(٥) انظر ص ١٥٤ ، سطر ١٠ ، وابن واصل (نفس المراجع ، ص ١٣١٦) .

(٦) بنير ضبط في م ، وتقع الرحبة على شاطئ نهر الفرات ، جنوبي قرقيسيا ، وهي على مسافة مائة فرسخ من بغداد ، ونيف وعشرين فرسخا من الرقة . وتسمى رحبة مالك بن طوق ، نسبة إلى مالك بن طوق بن عتاب الغفلي ، الذي أسسها في خلافة المأمون . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٧٦٤ — ٧٦٧) . وكانت الرحبة من أخصب البلاد ، وحاصرها الصالح نجم الدين أيوب بعد هذا التعليق أبيه الملك الكامل إليه . (ابن واصل : نفس المراجع ، ص ٣١٥ ب) .



أبيه الملك (٧١ب) الكامل رحل عنها، فطمع فيها من معه من الخوارزمية<sup>(١)</sup>، وخرجوا عن طاعته، وهموا بالقبض عليه؛ فقصده سنجار، وامتنع بها مدة، وترك خزانته وانقاله، فاتهبها الخوارزمية، وتحكموا في البلاد الجزرية. وطمع فيه السلطان غياث الدين [كيخسرو بن كيقباد]، ملك الرومية، وبعث إلى الناصر [صلاح الدين أبي المظفر يوسف]، صاحب حلب، توقيعا بالرها وسروج، وكانا مع الصالح [نجم الدين أيوب]، وأقطع المنصور ناصر الدين الأرتقي، صاحب ماردين، مدينة سنجار ومدينة نصيبين، [وهما] من بلاد الصالح [أيضا]؛ وأقطع المجاهد [أمد الدين شيركوه]، صاحب حمص [بلدة] عانة وغيرها من بلاد الحلبور، وعزم السلطان غياث الدين كيكسرو على أن يأخذ لنفسه من بلاد الصالح أيضا أمد وسميساط.

وصار [الملك الصالح] محصورا بسنجار، فطمع فيه الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ - صاحب الموصل -، وحصره بسنجار في ذي القعدة، وأراد حمله إلى بغداد في قفص حديد، كراهة فيه، لما كان عنده من التجبر والظلم والتكبر. فلما أشرف [بدر الدين لؤلؤ] على أخذ سنجار بعث الصالح [إليه] القاضي بدر الدين يوسف بن الحسن الزرزارى قاضى سنجار، بعد ما حلق لحيته، ودلّاه من السور. [وكان القاضي الزرزارى متقدما في الدولة الأشرفية، ولأه [الملك] الأشرف [موسى] - لما ملك دمشق - قضاء بعلبك. ثم [بعد موت الملك الأشرف]،

(١) انظر ص ٢٥٥، سطر ٨. (٢) انظر ص ٢٥٣، سطر ١٢. (٣) انظر ص ٢٥٧، سطر ١٣. (٤) أضيف ما بين القوسين من ابن واصل (نفس المراجع، ص ٣١٧ ب)، انظر أيضا ص ٢٢٣. سطر ١٤. (٥) بلدة على نهر الفرات، وموقعها بين الرقة وبيت. وإلى هذه البلدة لجأ الخليفة العباسي القائم بأمر الله، هاربا من بغداد، حينما ثار عليه أرسلان البساسيري، سنة ٥٤٥٠هـ (١٠٥٨ م). انظر (ياقوت: معجم البلدان، ج ٣، ص ٥٩٤ - ٥٩٥ و. Muir: The Caliphate, p. 580 et seq.).

(٦) و(٧) عبارة السلوك هنا مقتضبة، وضع بدلها جملة الواردة بين الرقيق، بعد مراجعة ابن واصل (نفس المراجع، ص ٣١٧ ب). ونص عبارة السلوك كالآتي: "وعزم على أن يأخذ منه أيضا أمد وسميساط". (٨) بغير ضبط في ص، انظر ابن واصل (نفس المراجع، ص ١٣١٨). (٩) انظر ص ٢٥٦، سطر ١٠. (١٠) أضيف ما بين القوسين بعد مراجعة ابن واصل (نفس المراجع، ص ١٣١٨). ويلاحظ أن عبارة السلوك في سائر ترجمة القاضي الزرزارى، وما يليها من أخبار سفراته، وما وقع فيه الصالح نجم الدين أيوب، تشبه كثيرا في أسلوبها وألفاظها ما يقابلها في ابن واصل، ومنه أضيف ما بين الأقواس فيما يلي بعدد هذه الأخبار.



ولاد الصالح نجم الدين [أيوب] قضاء سنجار . وكان كثير التجميل<sup>(١)</sup> جدا واسع البر والمعروف ؛ وله ممالك وغانمات وحواشي ، لهم من التجميل ما ليس لغيرهم . فصار كأحد الأمراء الأكابر ، وصار يقعد لسائر من يرد عليه من أهل العلم وذوى البيوتات .

- فتوجه [القاضي] في خفية الى الخوارزمية ، واستمالهم وطيب خواطهم ، بكثرة ما وعدهم به . فمالوا إليه ، بمد ما كانوا قد اتفقوا مع صاحب ماردین ، وقصدوا بلاد [الملك] الصالح .
- [نجم الدين أيوب] ، واستولوا على الأعمال ، ونزلوا حران . — [وكان الملك الصالح قد ترك] بها [ولده] المغيث فتح الدين عمر بن الصالح ، [نخاف من الخوارزمية ، وسار مخفيا] حتى فر الى قلعة جعبر . فساروا خلفه ، ونهبوا ما كان معه ، وأفلت منهم في شردمة يسيرة الى منبج .
- فاستجار بعمه<sup>(٢)</sup> [أبيه ، الصاحبة ضيفة خاتون] ، أم الملك العزيز ، صاحب حلب ، فلم تقبله .
- فرد الى حران ، وفيها أناد كتاب أبيه يأمره بموافقة الخوارزمية ، والوصول بهم إليه ، لدفع
- بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل . فاجتمع [المغيث عمر] ، والقاضي بدر الدين قاضي سنجار ، [بالخوارزمية ، والترم لهم القاضي أن يقطعوا سنجار وحران والرها . فطابت قلوبهم ، وحلفوا
- لملك الصالح ، وقاموا في خدمة ابنه الملك المغيث ، وساروا معه الى سنجار ، فأفرج عنها عسكر
- الموصل ، يريدون بلادهم . وأدركهم الخوارزمية ، وأوقعوا بهم وقعة عظيمة ، فز فيها
- بدر الدين لؤلؤ بمفرده على فرس سابق ، ثم تلاحق به عسكره . واحتوت الخوارزمية على سائر
- ما كان معه ، فاستغنوا بذلك . — وقوى الملك الصالح [بالخوارزمية وبهذا الفتح] قوة زائدة ، وعظم شأنه ، وسير الخوارزمية الى آمد ، وعليها عسكر [السلطان غياث الدين كيخسرو] ،

(١) في من التحمل ، وهي مكررة بالخط في سياق العبارة نفسها . انظر ابن واصل (نفس المراجع ، ص ١٣١٨) .

(٢) في من "سمته" ، وهذا خطأ . يدل عليه ما سبق ذكره . انقسم الأول من الجزء الأول من السلوك ، (انظر ص ١٧٤ سطر ٩ ص ١٧٦ سطر ٦ ص ٢٥٣ ، سطر ١٤) ؛ راجع أيضا ابن واصل (نفس المراجع ، ص ٣١٨ ب) . هذا وقد سبق وورد اسم الصاحبة ضيفة مصحفاً بخط "ضيفة" . الصفحات المذكورة من السلوك ، ويريد المشرع أن يشاركها ذلك الخط الذي وقع فيه سابق . ثم أصل تسميتها بهذا الاسم هو أنه كان عند أبيه الملك العادل بن أيوب يوم مولدها بحلب ضيف ، فأسمها ضيفة . (أبو القداء : المختصر في أخبار البشر ، ص ١٢١ ، في Rec. Hist. Or. I. ) . (٣) فرج الناس عن الطريق أن اكتشفوا عنه ؛ وأفرج الجند عن المكان أي تركوه . (محيط المحيط) .



صاحب الروم، وبها (١٧٢) المعظم غياث الدين تورانشاه بن الملك الصالح [ نجم الدين أيوب ]، وهو محصور منهم، فأوقعوا بهم ورحلوهم عن آمد، فخرج الصالح من سنجار إلى حصن كيفا.

وبعث الملك العادل من مصر إلى أهل حلب يريد منهم أن يَجْرُوا معه على ما كانوا عليه مع أبيه الملك الكامل — من إقامة الخطبة له على منابر حلب، وأن تضرب له السكة — فلم يُجِبْ إلى ذلك.

وقدم رسول [ غياث الدين كيخسرو ] ملك الروم، فزوج غازية خاتون ابنة العزيز للسلطان غياث الدين، وأنكح الملك الناصر — صاحب حلب — أخت السلطان غياث الدين<sup>(١)</sup>، وتولى العقد صاحب كمال الدين [ بن أبي جرادة ] بن العديم<sup>(٢)</sup>، وخرج في الرسالة إلى بلاد الروم، وعقد لملك الناصر صاحب حلب على ملكة خاتون أخت السلطان غياث الدين<sup>(٣)</sup>. فبعث غياث الدين رسولا إلى حلب، فأقيمت له بها الخطبة.

ونخرج الملك الجواد من دمشق في أول ذي الحجة، يريد محاربة الناصر داود صاحب كرك<sup>(٤)</sup>.

(١) أصل هاتين الزيجتين، حسبما جاء في ابن واصل (تقس المراجع، ص ٣١٦ ب — ٣١٧ ب) أن غياث الدين كيخسرو بعث إلى حلب، بعد إفاذ البجدة العسكرية التي طلبها منه صاحبة ضيفة خاتون، يطلب من صاحبة أن تزوجه بنت ابنها الملك العزيز، وأن يتزوج السلطان الملك الناصر، صاحب حلب، أخت غياث الدين.

(٢) أشهر ابن العديم في عالم التأليف بكتابه المسمى بعبية الطلب في تاريخ حلب، ويختصر هذا الكتاب اسمه زيادة الحبيب في تاريخ حلب. وكان مولده بحلب، سنة ٥٨٨ هـ، (١١٩٢ م)، ودارس التدريس ونولى القضاء بها. وقد ورز أيضا لملك العزيز صاحب حلب، ولابنه الملك الناصر بعده، وسفر بأمرهما عدة مرات إلى بغداد والقاهرة. ولما انتال التيار التتري إلى حلب، سنة ٦٥٨ هـ (١٢٦٠ م)، هرب ابن العديم مع الملك الناصر إلى القاهرة. ثم استدعاه إليه هولاكو التتري، ليؤليه منصب قاضي قضاة الشام، لكنه مات بالقاهرة سنة ٦٦٠ هـ (١٢٦٢ م). انظر (Enc. Isl. Art. Kamal Al-Din).

(٣) في س "ابنه"، انظر سطر ٨.

(٤) كذا في س.



فالتقى بالتمرب من نابلس<sup>(١)</sup>. فانكسر الناصر كسرة قبيحة، في يوم الأربعاء رابع عشر ذى الحجة. وانهزم الى الكرك. فغنم الجواد ما كان معه، وعاد الى دمشق، وفرق ستمائة ألف دينار ونحسة آلاف خلعة، وأبطل المكوس والخمور، ونفى المغاني. وعاد من كان في دمشق من عسكر مصر — ومعهم الأمير عماد الدين بن شيخ الشيوخ — الى القاهرة، بسناجق الناصر، في سادس عشر ذى الحجة. فلم يعجب الملك العادل ذلك، وخاف من تمكن الملك الجواد.

و[فيها] قصد التار بغداد، فبعث اليهم الخليفة جيشا، قُتل كثير منه، وفر من بقي. وفيها مات قاضي القضاة بدمشق، [وهو] شمس الدين أبو البركات يحيى بن هبة الله بن الحسن ابن سني الدولة الشافعي، في خامس ذى القعدة. فأعيد في سابعه قاضي القضاة شمس الدين أحمد بن الخليل الخوئي<sup>(٢)</sup>، ورتب مراكز الشهود — وكانوا أولا بدمشق وزاوين يورقون المكاتب وغيرها، فإذا فرغوا من الوراقة مشوا الى بيوت العدول، فيشهدونهم على ما يريدون؛ واقتدى بعد ذلك أهل القاهرة ومصر بهم.

وفيها تولى الشريف شمس الدين محمد بن الحسين الأرموي قضاء العسكر ونقابة الأشراف بديار مصر، وقرئ سجده بجامع مصر، بحضرة الأمير جمال الدين [هوسى] بن يغمور والفلك<sup>(٣)</sup> (١) بغير ضبط في س. وهي بأرض فلسطين، بينها وبين بيت المقدس عشرة فراع. وهي بلدة رومانية الأصل، سبت لها كرى الإمبراطور (Vespasian)، وطلق عليها اسم (Flavia Neapolis)، ومنه اشتقت تسمية عربية (Fine. Isl. Art. Nablus). وفي ياقوت (معجم البلدان، ج ٤، ص ٧٢٣ — ٧٢٤) قصة لطيفة في أصل اسم نابلس، وأصلها: " (ص ٧٢٣) وسئل شيخ من أهل المعرفة، من أهل نابلس، لم سميت بذلك، فقال إنه كان لها واد به حبة، وقد امتلعت فيه، وكانت عطية جدا، وكانوا يسمونها بلقمة لس. فاحتلوا عليها حتى (ص ٧٢٤) فمها وأرغوا بها، وجاءوا بها فمقوها على رب هذه المدينة، ففيل هذا نابلس، أي ناب الحبة. ثم كثر استعمالها حتى كتبوا منصلة، نابلس هكذا، وغلب هذا الاسم عليها... " .

(٢) كذا في س. وهو ضبط. وقد ترجم هذا الاسم في (Blochet : Op. cit. p. 431) الى (Sani).

(٣) كذا في س. بضم الحاء وفتح الواو فقط. ولعل النسبة الى حوى، وهي بلد من أعمال آذربيجان، ينسب اليه الثياب الخوية. (ياقوت : معجم البلدان، ج ٢، ص ٥٠١ وما بعدها).

(٤) ضبط هذا الاسم، وأضيف ما بين القوسين، بعد مراجعة العيني (عقد الجمان، ص ٢١١،

في (Rec. Hist. Or. II. 1)؛ وأبي شامة (كتاب الروضتين، ص ١٩٥، في (Rec. Hist. Or. V.



المسيرى<sup>(١)</sup> . وفيها بطلت الفلوس . وفيها سار الملك المنصور نور الدين عمر بن علي بن رسول من اليمن يريد مكة ؛ فأحرق الأمير أسد الدين جفريل<sup>(٢)</sup> ما كان معه من الأثقال ، وخرج هو ومن معه من مكة في سابع شهر رجب ، قبل وصول ملك اليمن بيومين . فالتقوا بين مكة والسرين ، فانهزم العرب أصحاب الشريف راجع ، وأسر الأمير شهاب الدين بن عبدان<sup>(٣)</sup> من أمراء اليمن . فقيده الأمير جفريل ، وبعث به الى القاهرة ؛ وسار هو الى المدينة النبوية . فبلغه موت السلطان الملك الكامل ، فسار بمن معه الى القاهرة ، فدخلوها في أثناء شهر شعبان متفرقين . وأقام عسكر اليمن بمكة .

+++

سنة ست وثلاثين وستمائة . فيها قبض الملك الجواد على صفى الدين بن مرزوق ، وأخذ منه أربع مائة ألف دينار ، وسجنه بقلعة حمص ، فمكث ثلاث سنين لا يرى الضوء . وأقام الجواد بدمشق خادما لزوجه<sup>(٤)</sup> يقال له الناصح ؛ فصادر الناس ، وأخذ منهم مالا كبيرا .

وقبض [الملك الجواد] على عماد الدين عمر بن شيخ الشيوخ<sup>(٥)</sup> ، ثم خاف من أخيه نحر الدين . وقلق من ملك دمشق ، وقال : ” إيش أعمل بالملك ؟ باز وكلب أحب الى من هذا “ . ثم خرج الى الصيد ، وكاتب الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل ، على أن يعوضه عن دمشق بمحصن كيفا وسنجار . فسر الصالح بذلك وتحرك للمسير الى دمشق .

(١) كان الملك هذا وزير الملك العادل ، واسمه فاك الدين عبد الرحمن المسيرى ، انظر المقرئى (المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٥١) ، وقد تقدم ذكر هذا الوزير بالقسم الأول من هذا الجزء . انظر القهرس .

(٢) في ص ” جفريل “ ، هنا وفي سطره أيضا . (انظر ص ٢٥٠ ، حاشية ٢) .

(٣) ضبط هذا الاسم على منطوقه في (Blochet : Op. cit. p. 432) . (٤) في ص ” لروحه “ .

(٥) كان عماد الدين بن الشيخ قد رجع من دمشق الى القاهرة (انظر ص ٢٧٣ ، سطر ٤) ؛ وينضح مما هو وارد هنا ، ومما جاء في ص ٢٧٦ ، سطر ٧ ، أنه من متذللين المصريين الى مصر ، ثم سافر أخيرا الى دمشق ، وبنى بها حتى وفاته . انظر ابن واصل (نفس المراجع ، ص ٢١٩ ب) .



وفيها قدم رسول ملك الروم الى القاهرة بالعزاء للملك العادل . وفيها أفرج أهل حلب عن حصار حماة ، بعد ما ضاق الأمر على المظفر صاحب حماة ؛ فلما رحلوا عنه هدم قلعة بارين وكانت حصينة .

- وفيها استوحش الأمراء الأكابر من الملك العادل ، لتقريبه الشباب والترابي<sup>(١)</sup> ، وإعطائهم الأموال والإقطاعات . والافتداء (٧٢ ب) بأرائهم ، ولكتثرة<sup>(٢)</sup> تمجبه ، واشتغاله باللهو عن مصالح الدولة . فطمع الناصر داود صاحب الكرك في ملك مصر ، فسار اليها ومعه تقادم فاهرة : ما بين جوارى جنجيات<sup>(٣)</sup> ، وعوديات ورقاصات ، وأواني للشرب بديعة . فخرج العادل الى لقائه في ثامن شوال ، وأكرمه . وقدم له الناصر ما انتخبه له من الجوارى والأواني وغيرها ، فصادف منه الغرض ، وعوضه عنه بأمثاله . ولأزم الناصر القيام بخدمة العادل والإقامة في بابه : فتارة يعمل حاجب الباب ، وتارة أستاذارا ، وتارة دوادارا ، ليدخل في كل وقت عليه ، ويتوصل متى شاء اليه ، وهو يظن أنه يستميل الأمراء عن العادل الى جهته . فلما تمكن [الناصر داود] منه أوهمه من الأمير نغر الدين بن شيخ الشيوخ ، بأنه قد اتفق مع الملك المعز

(١) أصل هذا المصطلح أيام الدولة الفاطمية بمصر على الأصل من أمرى الخروب ، بـ ذ كان يدفع بهم " الى الأسدين ويبرونهم ، وينقلون الكلبة والرماية ، ويقال لهم الترابي ، وفيهم من صار أميرا من صيدان خاص الخليفة ... " (المقريزي : المواظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ١٩٤) .

(٢) في س "وكترة" .

(٣) في س "حكيات" ، وبغير ضبط . والجنيكات الجوارى اللاتي يلعبن على الجلك ، وهو من آلات الطرب ، وأصل لفظه فارسي معرب . (تحييط الخبيط) . وقد ترجم (Blochet : Op. cit. p. 433) لفظ الجنيكات وما يتبعه . لآتي : "des jeunes esclaves joueuses de harpe et de luth, et des danseuses" . والجلك كمرابيح . لأصل آلة الجلك . توجد من آلات الموسيقى ؛ وقد أطلق لفظ الجلك أيضا ، في عصر اندليك بمصر ، على رقص استديات وأقويح . وجمعه جلك . وكان أولئك الرقاصون من سلعن وشبان الأرمن ، واليهود واليونان وغيرهم . وتعبر ثيابهم من ألوان الرجال ، وبعضها من لاس النساء ؛ وكانوا يرسلون شعورهم ويضفرونها . وفي عصر الحملة الفرنسية على مصر كان لفظ الجلك يطلق على بنات اليهود اللاتي احترفن تعليم الرقص ، وكان يخرجن في زفات العرس أحيانا ، راجيات ظهور الخمر ، ويلعبن على الرباب والدف . (Dozy. Supp. Dict. Ar.) .

(٤) الهاء هنا عائدة على الملك العادل .



مجير الدين [يعقوب]<sup>(١)</sup>، وأمال اليه عدة من الأمراء . وحسن له القبض عليه ، فانخدع له [الملك العادل] ، وقبض على نغر الدين واعتقله بقلعة الجبل<sup>(٢)</sup> ، وأخرج عمه الملك المعز من أرض مصر ، ومعه أخوه الأجد تقي الدين عباس .

فلما تم للناصر ما أراد خيل<sup>(٣)</sup> العادل من الملك الجواد نائبه على دمشق ، بأن الأمراء قد مالت اليه ، وقام بأمره الأمير عماد الدين عمر بن شيخ الشيوخ . فبلغ ذلك العماد ، تخاف أن يتفق عليه ما اتفق على أخيه ، واجتمع بالملك العادل ، والترم له بإحضار الملك الجواد إلى طاعته بمصر . فسيره [العادل] من القاهرة ، ليحضر الملك الجواد من دمشق ، فأكرمه الجواد . وأخذ العماد في التحدث معه في المسير إلى الملك العادل ، فسوف به وماطله ، حتى فطن العماد بامتناعه ، فأحضر حينئذ الولاة والمشدين والنواب والدواوين<sup>(٤)</sup> بدمشق وأعمالها ، وقال لهم : ” قد عزل السلطان الملك العادل الجواد عن نيابة دمشق ، فلا تدفعوا إليه مالا ، ولا تقبلوا له قولاً “ . فعز ذلك على الملك الجواد ، ووكل بهما الدين ، وسجنه بقلعة دمشق . وتقرر الأمر بين الملك الجواد وبين المجاهد ، صاحب حمص<sup>(٥)</sup> ، أن يكونا يدا واحدة ، ووافقهما الأمير عماد الدين بن قليج ، نائب الملك الجواد بدمشق . فرأوا أن أمرهم لا يتم إلا بقتل العماد

(١) كان المعز مجير الدين يعقوب ، وهو أحد أئمة الملك الكامل ، وعم الملك العادل . فمما بمصر منذ قدم إليها ، هو أخوه تقي الدين عباس سنة ٦٢٨ هـ ، في عهد الملك الكامل . ( انظر ص ١٩١ ، سطر ١٩ ، ص ١٩٢ ، سطر ٤١ ص ٢٤١ ، سطر ٤٧ وما يليها أيضا ، سطر ٣ ) .

(٢) يقول ابن واصل ( نفس المرجع ، ص ٣٢٤ ب ) إن العادل قبض على مجير الدين بن شيخ الشيوخ ، لانغر الدين ، وأن جريته كانت حسبا لخبر بها الناصر داود ، مكتوبة الصالح نجم الدين أيوب ، واستنحائه . ياه على سرقة القدوم بعساكره إلى الديار المصرية .

(٣) بنير ضبط في ص . وفي محيط المحيط خيل فلان عن القوم ، أى كع عنهم ، ومعناه جبن وتخوف .

(٤) الدواوين جمع ديوان ، وكان يفتق على موظفي الدواوين الحكومية عامة ، من باب إطلاق اسم المكان على قائم بأعماله ، انظر ( Dozy : Suppl. Dict. Ar. ) . حتى أن استعمال القريري لهذا المصطلح ما يدل على أن ” الدواوين “ كانوا من كبار الموظفين ، كالولاة والنواب والمشدين .

(٥) في ص ” دمشق “ ، وخطا القريري هنا ظاهر .



ابن شيخ الشيوخ : فبعثوا إلى نواب الإسماعيلية في ذلك ، ودفعوا إليهم مالا وقربة <sup>(٢)</sup> ، فسيروا فدائيين قتلاه على باب الجامع ، في سادس عشر جمادى الأولى . وأشيع أنهما غلطا في قتله ، وإنما كانا يريدان قتل الملك الجواد ، فإنه كان كثير الشبه به . فبلغ ذلك الملك العادل فشق عليه <sup>(٣)</sup> .

(١) الإسماعيلية في الأمر فرقة من الشيعة ، سميت بذلك الاسم كما عرفت أيضا بالشيعة ، لأن أصحابها اعتبروا الإمامة منسوبة عند الإمام التاسع ، وهو محمد بن جعفر الصادق ، المتوفى بالمدينة سنة ١٤٣ هـ ، في حياة أبيه . كل أتباع تلك الفرقة الدينية السياسية . كل أتباع بدوهم من فرق الشيعة ، كثير من مصر والأندلس ، على يد خلفاء المصدر الأول من الدولة العباسية . ومنه نوا مائتة ، ونسبوا في الجهات البعيدة عن مركز الخلافة منجاء ، مثل ذلك لحول أصغر ولدى الإمام إسماعيل ، وأسمه على ، إلى الشام ثم بلاد المغرب . وكان أكبر ولدى الإمام إسماعيل ، وأسمه محمد ، قد لحق أيضا إلى جهة دوا ولد قرب الزبي ، ونسبت سلالة وأتباعهم بين بلاد خراسان ، ثم كندهار ، ثم الهند ، حيث توجد حتى الآن بقايا إسماعيلية ، يرأسها الزعيم الهندي أغا خان .

ومن الذين في تاريخ الإسماعيلية الأول عبد الله بن مجنون المداح الأهوازي ، المتوفى سنة ٢٦١ هـ ، وهو الذي من سلالة مؤسس الدولة الفاطمية بالمغرب ، ثم بمصر . ومن المشهورين أيضا حسن بن الصباح ، المتوفى سنة ٥١٨ هـ ، وهو مؤسس شعبة الإسماعيلية ، المعروف أتباعها باسم الخشيشيين (Assassins) . وقد تفرع عن هذه الشيعة ، التي أسسها ابن الصباح في قلعة الموت (Alamut) ، في الشمال الغربي من بلاد فارس ، فرع بالشام مركزه الأول حلب ، وهذا الفرع شام هو الذي يقصد التقرير في هذا . وتختلف شعبة ابن الصباح عن الإسماعيلية الأولى في نهجها وأصولها ، فقد كانت تلك الشيعة الجديدة عبارة عن جمعية سرية ، على أعضائها صناعة العمياء للرئيس الأكبر ، والاعتبال والقتل أهم أساليبها . راجع (Enc. Isl. Arts. Assassins & Ismailiya) .

(٢) كذا في م ، بنقط كاملة ، وبغير ضبط .

(٣) في م "فدائيين" ، ومقتضى في نظام جماعة الخشيشيين هو شخص الدين يملأ به اعتبال من تفرق الجماعة قتله من أصله (Enc. Isl. Art. Fida'i) . وهذا والمفهوم من عبارة التقرير في هذا أن تلك الجماعة كانت تؤجر أحيانا للقتل ، في مقابل مبلغ من المال ، دون أن تكون لها مصلحة أخرى .

(٤) تختلف عبارة التقرير في هذا ، بسند ما حدث لعهد الدين بن شيخ الشيوخ ، عما يقابلها في ابن واصل (نفس المرجع ، ص ٣٢٠ ب ، وما بعدها) ، في كثير من التفاصيل . وهذا ما جاء في ابن واصل ، للقبالة بين الروايتين ، والله رنة بين المرجعين ، والله مصححا : " (٣٢٠ ب) ... ولما تحقق ذلك العدل بن الملك الكامل ، صاحب مصر استنزل ابن عمه الملك الجواد بن مودود بملك دمشق ، وعصا له بها ، أحضر أولاد شيخ الشيوخ الأربعة ، وهم عبد الدين وعماد الدين ومعين الدين وكل الدين ، وقال لهم : أأنتم ضيعتم على ملك دمشق ، فإن أبي الملك الكامل فجع ، وتوفى وهو ماله كذا . فسلمتم دمشق وخرائنها إلى الملك الجواد ، فطلب على (٣٢١ أ) دمشق ، وضع —



وفي العشرين من شوال ورد الخبر بوصول عسكر الملك الصالح نجم الدين أيوب، صحبة ولده الملك المنيف جلال الدين عمر، إلى <sup>(١)</sup>جيبين. فجمع الملك العادل والملك الناصر الأمراء ومخالفوا على قتال الصالح: وخرج الناصر داود من القاهرة، في تاسع ذي القعدة، لقتال الصالح، وجهاز العادل جماعة من الأمراء، وعدة من العساكر بديار مصر، لتأخذ دمشق. وقدم [الملك العادل] إلى الملك الجواد رسولا بكتاب فيه أنه (١٧٣) يعطيه قلعة الشوبك وبلادها، ونغر الإسكندرية، وأعمال البحيرة وقلوب، وعشر قرى من بلاد البحيرة بديار مصر، لينزل عن نيابة السلطنة بدمشق، ويحضر إلى قلعة الجبل، ليعمل برأيه في أمور الدولة. فلما ورد

= الخزان، وما أعرف عود دمشق إلى، واتزاعها من يد الملك الجواد، إلا منكم... فضمن عماد الدين بن شيخ شيوخ وجوعها لملك العادل... فسير الملك العادل عماد الدين بن شيخ الشيوخ لهذا الأمر لهم (كذا)... ولما وصل عماد الدين إلى دمشق، اتفاه الملك الجواد، فأرله عنده في القلعة. فطالبه عماد الدين بتسليم دمشق إلى السلطان الملك العادل، وأعلمه أنه إن لم يسلم دمشق إليه، نزلت العساكر المصرية إليه، وملكوه منه عنوة، وقبض عليه واعتقل. وإن سلمها قبل أن تنزل العساكر إليه أعطى عوضا عنها خبزا جيدا كثيرا، بالديار المصرية، وأحسن إليه. فأجاب الملك الجواد بجواب مغلط (كذا). وكانت الممالك الأشرفية، ومقدمهم عز الدين أيلك الأسمر، قد دخلوا من دمشق على حية، بعد رجوع الملك الجواد إلى دمشق، وساروا إلى الملك العادل، وخدموا عنده. ولما علم الملك الجواد تصميم الملك العادل على اتزاع دمشق منه، وعلم أنه لا طاقة له ببقائه، وأنه إن سلم دمشق إلى الملك العادل لم يعطه إلا خبزا بالديار المصرية... فعند ذلك سير [الملك الجواد] الشيخ كمال الدين بن ضعة إلى السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب، يطلب منه أن يعوضه عن مدينة دمشق بسنجار والرفة وعانة، ويسلم هو دمشق إليه... فسمى كمال الدين بن ضعة بذلك إلى الملك الصالح، فأجاب الملك الصالح إلى ذلك، وحلف لابن عمه الملك الجواد على العوض المذكور؛ وزاده المدينة (انظر الصفحة التالية، سطر ٧)، وجعلها باسم مملوك من ممالك الملك الجواد، يقال له رزيق (في الأصل رزيق)، وكان أخص مملوك به. ولما وقع الاتفاق بينهما على ذلك، توجه الملك الصالح إلى دمشق. فلما علم الملك الجواد تقربه (كذا) منه، خاف الملك الجواد من عماد الدين بن الشيخ أن يفسد ما بينه وبين الملك الصالح، فلا يحصل على ما وقع التقرير (٣٢١ ب) عليه، من العوض الذي طلبه منه. فدرس [الملك الجواد] على عماد الدين رجلا وقف (في الأصل وفق) له بقصة منطلها، فبدأ به عماد الدين إلى القصصة ليأخذها من ذلك الرجل، فضربه ذلك الرجل بسكين فقتله. ثم قبض [الملك الجواد] على ذلك الرجل، واعتقله مدة، ثم أطلقه. وأظهر الملك الجواد الحزن الكثير على قتل عماد الدين... وجهاز الملك الجواد عماد الدين، وحملت جنازته إلى الجامع بدمشق، وصل عليه فيه. وتأسف الناس وحزنوا لقتله، رحمه الله.

(١) تقع هذه البلدة بين نابلس وبيسان، وهي من أرض الأردن. (بافوت: معجم البلدان، ج ٢، ص ١٨٠).



عليه ذلك أوهمه نائبه عماد الدين قلع من أنه متى دخل مصر ، قبض عليه الملك العادل ، وطالبه أولاد عماد الدين ابن شيخ الشيوخ بدمه ، فامتنع من تسليم دمشق .

- فبرز الملك العادل من القاهرة يريد دمشق ، يوم الثلاثاء سابع ذي الحجة ، ونزل بلبليس .  
 نخاف الجواد ، وعلم عجزه عن مقاومة العادل ، فبعث كمال الدين عمر بن أحمد بن هبة الله بن طلحة<sup>(١)</sup> خطيب جامع دمشق ، إلى الملك الصالح نجم الدين أيوب ، صاحب حصن كيفا وديار بكر وغيرها من بلاد الشرق ، يطلب منه أن يتسلم دمشق ، ويعوضه عنها سنجار والرقه وعانة .  
 فوقع ذلك من الملك الصالح أحسن موقع . وأجابه إليه ، وزاده الجديدة<sup>(٢)</sup> ، وحلف له على الوفاء .  
 ورتب [ الملك الصالح ] أبه الملك المعظم توران شاه على بلاد الشرق ، وألزمه الإقامة بحصن كيفا ، وأقام نوابا بآمد وديار بكر ، وسلم حران والرها وجميع البلاد الجزرية بخوارزمية ، الذين في خدمته ، وطلب نجدة من الأمير بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل — وكان قد صالحه — ، فبعث إليه [ بدر الدين ] نجدة .

- وسار [ الملك الصالح ] من الشرق يريد دمشق ، فقطع الجواد اسم الملك العادل من الخطبة ، وخطب للملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل ، وضرب السكة باسمه . ودخل الصالح إلى دمشق ، في مستهل جمادى الأولى ، ومعه الجواد بين يديه بالغاشية . وقد ندم [ الجواد ] على ما كان منه ، وأراد أن يستدرك الفأث فلم يقدر ، وخرج من دمشق والناس تلغنه في وجهه ، لسوء أثره فيهم . وبعث الصالح إليه برد أموال الناس اليهم ، فأبى وسار . و [ كان قد ] وصل مع

(١) بغير ضبط أو ضبط في م ، وقد ترجم (Blochet : Op. cit. p. 436) هذا اللفظ إلى (Talaha) .

(٢) بغير ضبط في م ، وهي اسم لقنعة في كورة بين النهرين ، التي بين نصيبين والموصل ، وأعمالها متصلة بأعمال حصن كيفا . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٤٢) . هذا وفي ابن راسل (نفس المرجع ، ص ١٣٢١) أن المدينة التي زدها الملك الصالح أيوب هي الحديثة ، وهي واردة هناك بغير نقط الياء . والحديثة اسم يطلق على مواضع كثيرة : منها حديثة الموصل ، وتقع على نهر دجلة ، قرب الراب الأعلى ، وحديثة الخرات ، وتعرف بحديثة النورة ، وهي على بضعة فراسخ من الأنبار ، والحديثة أيضا من قرى غوطة دمشق ، ويقال لها حديثة جرش . (ياقوت : معجم البلدان ،



الصالح أيضا الملك المظفر صاحب حماة ، وقد تلقاه الجواد ، فكان دخوله يوما مشهودا ، فاستقر بقلعة دمشق .

ونخرج الجواد إلى بلاده ، فكانت مدة نيابته دمشق عشرة أشهر وستة عشر يوما ، صرف فيها الأموال التي كانت في خزائن الملك الكامل كلها ، وكانت تزيد على مئاة ألف دينار مصرية ، سوى التماس وغيره ، وسوى ما ظلم فيه الناس من التجار والكتاب ، وسوى ما أخذه من صفى الدين بن مرزوق لما صدره ، وكان ينفى على خمسمائة ألف دينار .

فلما استقر الملك الصالح بدمشق سار المظفر إلى حماة ، وقدمت الخوارزمية ، فآزوا مدينة حمص — وهو معهم — مدة ، ثم فارقوها بغير طائل ، وعادوا إلى بلادهم بالشرق . وقد زوج الملك الصالح أخته من أمه ، وأبوها الفارس قليب مملوك أبيه الملك الكامل ، لمقدم الخوارزمية (٧٢ ب) الأمير حسام الدين بركة خان .

وفي أثناء ذلك تواترت رسل المظفر صاحب حماة إلى الملك الصالح يستحثه على قصد حمص ، وكتب الأمراء من مصر تستدعيه إلى القاهرة ، وتعهده بالقيام بنصرته . فبرز [الملك الصالح] من دمشق إلى البثينة .

وكانت الخوارزمية ، وصاحب حماة ، على حصار حمص ، فأرسل [المجاهد أسد الدين] شيركوه مالا كثيرا فزقه في الخوارزمية ، فرحلوا عنه إلى الشرق ، ورحل صاحب حماة إلى حماة .

(١) الضمير عائد على الملك المظفر ، صاحب حماة . انظر ابن واصل (نفس المرجع ، ص ٣٢٢ ب) ، وأيضا سطر ١٤ هنا .

(٢) في ص "قلب" ، وبغير ضبط ، انظر ابن واصل (نفس المرجع ، ص ٣٢٠ ب) ، و (Blochet: Op. cit. p. 437) .

(٣) بغير ضبط في ص ، واسمها أيضا البثنة ، وهي إحدى نواحي دمشق ، بينها وبين أذرعان . (بقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٤٩٣) .

(٤) أضيف ما بين القوسين من ابن واصل (نفس المرجع ، ص ٣٢٢ ب) .



- وعاد الملك الصالح إلى دمشق طالبا مصر، وخرج منها إلى الخربة<sup>(١)</sup> وعيّد بها عيد الفطر، وعسكر تحت أنيسة العُقاب<sup>(٢)</sup>، وقد تغير فلا يدرى أيذهب إلى حمص أم إلى مصر، وما زال بمسكوه إلى أول شهر رمضان. فعاد إلى دمشق، وتقدم إلى الأمير حسام الدين أبي علي ابن محمد بن أبي علي [الهدباني]<sup>(٣)</sup>، أستاذاره بدمشق، أن يرسل بطائفة من العسكر إلى جينين، فرحل به ولم يزل [هو] تحت عقبة الكرسي، على بحيرة طبرية، إلى آخر رمضان.
- فلما وردت الأخبار بحركة الملك الصالح إلى القاهرة، خرج من أمراء مصر سبعة عشر أميراً — منهم الأمير نور الدين علي بن نحر الدين عثمان الأستادار، والأمير علاء الدين بن الشهاب أحمد، والأمير عز الدين أبيك الكريدي العادلي، والأمير عز الدين بلبان المجاهدي، والأمير حسام الدين لؤلؤ السعودي، والأمير سيف الدين بشطر الخوارزمي، والأمير عز الدين قضيب البان العادلي. والأمير شمس الدين سنقر الدينسري<sup>(٤)</sup> — في عدة كثيرة من أتباعهم وأجنادهم، وخلق من مقدمي الحفصة والنماليك السلطانية. وساروا يريدون الملك الصالح بدمشق.

- (١) بنير ضبط في ص، ويقصد المقرزي هنا خربة الصوص (انظر ما يلي، ص ٢٨٢، سطر ١١)، وهي واقعة على الطريق بين دمشق وبيسان. (أبو شامة: كتاب الروضتين، ص ١٦٢، في Rec. Hist. Or. V.)
- (٢) بنير ضبط في ص، وهي تتر في طريق المسافر من دمشق إلى حمص. (بافوت: معجم البلدان، ج ١، ص ٩٣٦).
- (٣) أضف ما بين القوسين من ابن واصل (نفس المرجع، ص ١٣٢٣). وكان الملك الصالح قد عين هذا الأمير أتابكا لولده الملك المعظم توران شاه، ولما عزم على الذهاب إلى الديار المصرية. استدعاه إليه بدمشق، وأعادته إلى أستاذارته، كما كانت من قبل، وولى به في كل الأمور. هذا وكان من رحال الملك الصالح في ذلك الوقت أيضا جمال الدين بن واصل، صاحب كتاب مروج الكروب، وقد رافق العسكر الصالح إلى مصر؛ وكذلك به الدين زهير، الشاعر المشهور، وكان يشغل عند الملك الصالح منصب كاتب الإنشاء. (ابن واصل: نفس المرجع والصفحة، وأيضا ص ٣٢٣ ب).

- (٤) صححت هذه الأسماء، وكل فقط بعضها، بعد مراجعة ابن واصل (نفس المرجع، ص ٣٢٣ ب)، وكذلك (Blochet: Op. cit. pp. 438-439). وبلاحت أن الأسماء الواردة هنا تريد بكثير عما ورد في ابن واصل، وربما استقى المقرزي هنا من كتاب سير الآباء البطارقة. راجع (Blochet: Op. cit. p. 438. N. 5.)
- (٥) كانت الجلود السلطانية، زمن الأيوبيين والنماليك بمصر، مكونة من صفتين: وهما إنا ليك السلطانية وأجناد الحفصة. وقد وصفهما القلقشندي (صحيح الأعشى، ج ٤، ص ١٥ — ١٦)، فقال إن إنا ليك السلطانية كانت عند السلطان "أعظم الأجناد كلها، وأرفعهم قدرا، وأشدّهم إلى السلطان قربا، وأوفرهم إنفاقا، ومنهم تومر الأمراء رتبة بعد رتبة".



وذلك أن الملك العادل تقدم بتوجه العسكر الى الساحل ، وقدم عليهم الركن الميجاوى ،  
وانفق فيهم . فلما نزلوا ببليس اختلفوا ، وخامر جماعة من الأمراء على العادل ، وعزموا  
على المسير الى الملك الصالح . فبعث العادل اليهم الأمير نحر الدين بن شيخ الشيوخ ، وبهاء الدين  
ملكيشو<sup>(١)</sup> ، لطبيب خواطرهم ، فلم يجيبوا . وخرج من القاهرة عدة من الحلقة ، ومعهم  
طائفة ، ومنعوا من غلق باب النصر ، وساروا طائفة بعد طائفة على حية .

فَبَطَّقَ<sup>(٢)</sup> العادل الى من بقى معه من الأمراء الأكراد بمحاربة من خامر عليه ببليس ، قبل  
قدوم هؤلاء عليهم . فاقتتل الأكراد مع الأتراك ببليس ، [ و ] انكسر الأتراك المخامرون ،  
وأخذ منهم أمير ، وانهمزم باقيهم وهم في طلبهم الى ناحية سُنَيْكَة<sup>(٣)</sup> . فلحق بهم من خرج من الحلقة  
ومضوا جميعا الى تل العجول ، وعادت الخزانة التي كانت معهم سالمة الى القاهرة . ثم بعثوا  
يطلبون من العادل العفو ، فأمنهم وحلف لهم ، فلم يرجعوا ، وساروا الى الملك الصالح . فلما  
بلغوا غزاة أمر الملك الصالح أستاذاره بالعود الى خربة اللصوص ، وخرج [ هو ] ببقية عسكره  
من دمشق ، لليتين بقيتا من شهر رمضان .

= أما أجناد الحلقة فهم "عدد جم ، وخلق كثير ، وورد دخل فيهم من ليس بصفة بخد ، من المتعممين وغيرهم ، بواسطة  
الزول عن الإقطاعات ... ولكل أربعين نفر منهم مقدم منهم ، ليس له عليهم حكم إلا إذا خرج العسكر [ في الحرب ] ،  
كانت موافقه معهم ، وترتيبهم في موقفهم . به . ومن الأجناد طائفة ذلّة ، يقال لهم البحرية ، يبيتون بالثغمة ، وحول  
دهاليز السلطان في السفر ، كالحرس . وأول من رتبهم ، وسمي بهذا الاسم ، السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب ..."  
(١) كذا في م ، بفتح على الميم فقط . وقد ترجم (Blochet : Op. cit. p. 440) هذا الاسم الى  
(Malkishou) .

(٢) في م "فبطق" ، والمقصود أن العادل أرسل بطاقة — أى رسالة ، الى الأمراء . ولفظ بطاقة ،  
وجمعه بطائق ، معرب الكلمة اليونانية بكين . (مخطط المخطط) . انظر أيضا الفسشندي (صبح الأعشى ، ج ٧ ،  
ص ٢٣١ ، وما بعدها) . (٣) في م "المخامرين" . (٤) بنير ضبط في م ،  
أوفى ياقوت (معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ١٧١) . وهى قرية بالشرقية ، بين بليس والعباسة ، على الشاطئ القليل  
لترعة بمحيط ، والىها ينسب شيخ الإسلام زكريا الأنصارى ، قاضى قضاء الشافعية في دولة السلطان الأشرف  
قاينباى ، ومؤلف كتاب المنهج وشرح المنهاج في مذهب الإمام الشافعى . (مبارك : المخطوط التوفيقية ، ج ١٢ ،  
ص ٦٢ — ٦٣) .



ونزل [الملك الصالح] الحربة، ووصل الأمير نور الدين بن نحر الدين بمن معه، فسر بهم سرورا كثيرا. وأخذوا في تقوية عزمه على قصد مصر، فرحل واستولى على نابلس والأغوار، وأعمال القدس والسواحل؛ وبعث ابنه الملك المغيث فتح الدين عمر إلى دمشق؛ وأقطع من قدم عليه من أمراء مصر نابلس وأعمالها، لينتقوا بمغلاها. <sup>(١)</sup> فخرج الناصر داود من مصر، وصار إلى الكرك.

فانزعج الملك العادل وأمه لعدم الصالح انزعاجا عظيما، وخافه خوفا كبيرا، واضطربت مصر اضطرابا زائدا. وخرج نحر النضدة نجم الدين بن بصفافة في الرسالة إلى الملك الصالح من الكرك عن الناصر داود: بأنه في نصرة الملك الصالح ومعاونته، ويسأله دمشق وجميع ما كان لأبيه. فلم تقع موافقة على ذلك. فسار [الناصر] إلى الملك العادل، ونزل بدار الوزارة من القاهرة، ليعينه على محاربة أخيه الملك الصالح.

فقدم في ذي الحجة صاحب محي الدين بن الجوزي، برسالة الخليفة إلى الملك الصالح، ليصالح أخاه الملك العادل؛ فأجّل [الملك الصالح] قدومه إجلالا (١٧٤) كثيرا. ومع ذلك فإن كتب الأمراء — وغيرهم — ترد في كل قليل على الملك الصالح من مصر، تعدده بالقيام معه، وأن البلاد في يده، لاتفاق الكلمة على سلطته.

وفيها مات المنصور ناصر الدين أرتق بن أرسلان التركاني الأرتقي، صاحب ماردين، — قتل ابنه وهو سكران، واستولى بعده على ماردين.

وفيها وقعت بين جرم وجذام وثعلبة بالشرقية حروب قتل فيها كثير منهم، وقتل شيخهم شيخ بن نجم. <sup>(٢)</sup> فحزّ الملك العادل إليهم الأمير بهاء الدين بن ملكيشو، ليصلح بينهم. وكان السلطان في بلبيس، قد خرج في سلاح ذي الحجة من قلعة الجبل، بعساكر مصر.

(١) ليس في سننهما، أو في ابن واصل، أو غيره من المراجع المتداولة في هذه المباحث. ما يدل على أن الناصر داود ذهب إلى القاهرة، قبل مدوثة الملك الصالح أولا، كما يستنتج مما يلي، سطر ٩. (٢) في من "وخافوه".

(٣) بنير ضبط في من، واسمه في ابن واصل (نفس المرجع، ص ١٢٢٣) نحر الدين نصر الله بن بزاقة.

(٤) في من "شيخ بن نجم"، وبنير ضبط. وقد أحصى الفقهني (صبح الأعشى، ج ٤، ص ٦٧، وما بعدها) القبائل العربية بنواحي الديار المصرية، غير أنه ليس بين أسماء أمراء القبائل التي أوردتها ما يساعد على ضبط هذا الاسم، أو تعيين القبيلة التي كان منها.



\* \* \*

سنة سبع وثلاثين وستمائة . أهلت والملك العادل على بليس بعساكره يريد الشام، لمحاربة أخيه الملك الصالح . فأقام على بليس<sup>(١)</sup>، فقصده الأمراء القبض عليه، وعمل بعضهم دعوة، وحضر إليه العادل . ففطن بما هم عليه، فقام [و] دخل الخرسنة لقضاء الحاجة، وخرج من ظهر الخرسنة، وركب فرسا وساق إلى القلعة . فبعث إليه الأمراء يطلبونه، فأظهر أنه ما دخل القاهرة إلا لكسرة الخليج<sup>(٢)</sup>، وأنه سيعود إليهم . ثم أبلغته الضرورة حتى خرج إلى العباسية، في رابع عشر المحرم، وقبض على جماعة من الأمراء .

وفي نصف صفر توجه الناصر داود من العباسية إلى الكرك، وصحبته [الأمير سيف الدين<sup>(٣)</sup> على] بن قلع، وجماعة من أمراء مصر . فبلغ العادل عن نخر الدين يوسف بن شيخ الشيوخ أنه يكتب الصالح، فقبض عليه واعتقله . هذا ومحيي الدين أبو المظفر يوسف ابن الشيخ جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي أخذ في الإصلاح بين الملوك، على أن تكون دمشق للصالح [نجم الدين أيوب]، ومصر للعادل، وأن يرد إلى الناصر داود ما أخذ من بلاده . وكان [محيي الدين<sup>(٤)</sup> بن الجوزي] مقيا عند الصالح، وابنه شرف الدين يتردد من نابلس إلى مصر في السفارة، حتى تقارب الأمر . ثم قدم [محيي الدين] إلى مصر، ومعه جمال الدين يحيى بن مطروح، ناظر ديوان الجيوش للملك الصالح، فأذيا الرسالة، وأقاما عند الملك العادل .

(١) على هذا في من عبارة مشطوبة بخط مستقيم، ونصها : "وقدم طابقه إلى طرف الرمل"، ومعه الناصر داود . . ويوجد في ابن واصل (نفس المرجع، ص ٣٢٥ ب) ما يقابل هذه العبارة، غير أنها لم تثبت هنا في المتن، احتراما لإرادة المقرئ .

(٢) في من "الخرسنة" بغير ضبط، وهو تلفظ فارسي، ومعناه الخيمة . (Steingass: Pers.-Eng. Diet.) .

(٣) كتب المقرئ (المواعظ والاعتبار، ج ١، ص ٤٧٠ — ٤٧٩) . (انظر أيضا المقرئ نفس المرجع والجزء، ص ٤٩٢ ج ٢، ص ١٨٥) فضلا مقلولا ذكر فيه ما كان يعمل بالقاهرة ومصر يوم كسر الخليج أيام الفاطميين .

(٤) في من "ويعود إليهم" .

(٥) أضيف ما بين القوسين من ابن واصل (نفس المرجع، ص ٣٢٠ ب) .

(٦) أضيف ما بين القوسين من ابن واصل (نفس المرجع، ص ٣٢٥ ب) .



- وكان قد أخذ الصالح بكتاب عمه الملك الصالح عماد الدين إسماعيل في الوصول إليه بنابلس، وبعث إليه الطبيب سعد الدين دمشق، ومعه حمام يسرح إليه بالبطائق على جناحها ما يتجدد. فاتفق أمر عجيب: وهو أنه لما وصل [سعد الدين] إلى قلعة بعلبك أنزله الصالح عماد الدين إسماعيل بداره، وبدل عوض الحمام [الذي في قصص سعد الدين] بحمام آخر، من حمام الثلثة بعلبك. وأخذ [الصالح عماد الدين] في التدبير على أخذ دمشق، واتراعاها من يد ابن أخيه الملك الصالح نجم الدين أيوب، وأرسل جواسيسه سرا إلى ابن أخيه الملك العادل، بما عزم عليه من أخذ دمشق، وأنه متم إليه وفي طاعته، وإذا ملك دمشق خطب له على مبارها، وضرب السكة باسمه. وكتب [الصالح عماد الدين إسماعيل] أيضا إلى المجاهد صاحب حمص — في معاونته، وهو يواصل كتبه مع ذلك إلى الملك الصالح نجم الدين، بعده بالوصول إلى نصرته. وشرع [الصالح عماد الدين] في جمع الرجال، ففطن بذلك الطبيب سعد الدين. وكتب البطائق على أجنحة الحمام بهذا الأمر إلى الملك الصالح نجم الدين. فكان كلما سرح [سعد الدين] منها طائرا وقع في برجه بقلعة بعلبك، فيأتي به البراج إلى الملك الصالح عماد الدين. ثم إن الصالح عماد الدين زور بطاقة عن الطبيب سعد الدين: فيها "إن المولى الملك الصالح عماد الدين في الاهتمام للسير إلى المعسكر المنصور، وإنه باق على الطاعة"، وسرح هذه البطاقة (٧٤ ب) المزورة على جناح طائر من الطيور التي وصلت مع الطبيب سعد الدين. فلما وقف عندها الملك الصالح نجم الدين، ظن أنها من عند رسوله، فطلب قلبه. وولى الصالح عماد الدين إرسال البطائق المزورة، وكلما سرح الطبيب طائرا بطاقة وقع في قلعة بعلبك، فيصل إلى الصالح عماد الدين.

- واتفق مع ذلك أمر آخر من عجيب ما يجري: وهو أن المظفر صاحب حماة كان متميا إلى الصالح نجم الدين، وهدى بنصرته، ويخطب له في بلاده، [وكان] الحليون (١) أضيف ما بين القوسين بعد مراجعة ابن واصل (نفس المرجع، ص ١٢٢٦)، هذا وعادة السلوك هنا تشبه ما يقالها في ابن واصل (نفس المرجع ٣٢٥ ب — ١٢٢٦)، في ترتيب الحقائق ولله صيل. والراجح أن المقرئ استق هنا من ابن واصل، غير أنه عمل تنعيم بعض الألفاظ، وتعديل بعض الجمل.



والمجاهد صاحب حمص معاندين له <sup>(١)</sup> ، ومساعدين عليه . فعلم المظفر صاحب حماة ما عليه خاله الصالح عماد الدين صاحب بعلبك ، من قصد دمشق ، وموافقة المجاهد صاحب حمص له . وكانت عساكر دمشق مع الصالح نجم الدين [أيوب] على نابلس ، وهم خمسة آلاف ، وليس بدمشق من يحفظها ؛ تخاف الملك المظفر صاحب حماة على دمشق ، وباطن لأمير سيف الدين [علي] بن أبي علي [الهدباني] <sup>(٢)</sup> على أنه يظهر الحرد <sup>(٣)</sup> [عليه] ويفارقه . ويوهم أكابر البلد بأن المظفر قد عزم على تسليم حماة إلى الفرنج ، لما حصل عنده من الغبن من المجاورين له ، وأخذ بلاده منه . وقصد المظفر بهذه الحيلة مكيدة صاحب حمص ، وأن الأمير سيف الدين إذا ذهب بالعسكر وأكابر الرعية إلى دمشق أقاموا بها وحفظوها ، حتى يتوجه الملك الصالح إلى مصر ، أو يعود إلى دمشق . فأظهر سيف الدين

(١) في س "معاندون له ومساعدون" ، وإنما تطلب التغير الوارد بالمتن ، إضافة فعل "كان" بين القوسين ، بالصفحة التالية سطر ٣٠ ، وذلك لانسجام العبارة كلها .

(٢) في س "بول" ، انظر ابن واصل (نفس المراجع ، ص ١٣٢٧) ، وأضيف ما بين القوسين من نفس المراجع والصفحة . وهذا الأمير سيف الدين هو أخو الأمير حسام الدين بن أبي علي ، وأبيه ؛ وقد تقدم ذكره هنا . (انظر ص ٢٨١ سطر ٤ ؛ وكذلك ابن واصل : نفس المراجع ، ص ١٣٢٨) .

(٣) معنى الحرد هنا الغضب ، والفعل حرد ، وهو لازم ويتعدى بحرف الجر "على" . (محيط المحيط) .

(٤) في س "الصالح" انظر ابن واصل (نفس المراجع ، ص ١٣٢٧) .

(٥) عبارة المقرئ هنا ليست واضحة تماماً ، وهذا لأنه قصد اختصار ما جاء في الأصل الذي يرجح أنه نقل منه ، وهو ابن واصل (نفس المراجع ، ص ٣٢٦ ب — ١٣٢٧) ، فغير المعنى قليلاً . وهذا نص ما ورد في مفرج الكروب ، مصححاً : "قال جمال الدين بن واصل صاحب هذا التاريخ : ومن الغرائب التي وقعت في هذه السنة ما لا ذكره الآن ، وهو أن كان قد ذكرنا الله الملك المنصور ، صاحب حماة ، وابن حاكم السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب ، وأنه قد جرى بينهم سبب لانتقامه . وإلى والده من قبله . ويبلغه أن الملك الصالح عماد الدين إسماعيل صاحب بعلبك ، قد اتفق هو وملك المجاهد صاحب حمص . على قصد دمشق وأخذها من الملك الصالح نجم الدين أيوب . وتفق [المظفر] أن الملك الصالح مقيم بنابلس في عساكر كرها ، وأنه لم يترك بدمشق مع ولده الملك المنبث [عمر] عسكراً يحفظها ، وأنه من قصد صاحب حمص وصاحب بعلبك (١٣٢٧) أخذت لا محالة ، ورأى [المظفر] من نصيحة أن يسير جماعة من عسكره وأهل بيته يحفظونها . وكان الأمير سيف الدين علي بن أبي علي الهدباني غالباً على أمره كه ... فاتفق ذلك المظفر مع سيف الدين علي بن أبي علي ، أن يظهر سيف الدين الحرد على الملك المظفر =



الغضب على المظفر، وأخذ قطعة من العسكر، ومن أكابر حماة؛ وخرج فسار حتى نزل على حمص، عند بحيرة قدس. فلم يخف على المجاهد صاحب حمص ما دبره المظفر من مكيدته، وخرج من حمص، وبعث إلى الأمير سيف الدين يريد الاجتماع به. فأناه [سيف الدين] منفردا، وأعلمه بأنه كره مجاورة المظفر، لما هو عليه من الميل للفرنج، والعزم على تسليمهم حماة. فأظهر له [الملك المجاهد] البشر ولاطفه، واستدعاه إلى ضيافته بداخل حمص. فلما صار به إلى القلعة، استدعى أصحابه لينزلوا في البلد، فدخل بعضهم وامتنع بعضهم من الدخول إلى حمص. فلما تمكن المجاهد من الأمير سيف الدين قبض عليه، واعتقله هو ومن دخل من أصحابه، وفر الباقيون. فعاقب [المجاهد] من صار في قبضته أشد العقوبة، واستصنى أموالهم، وما زال بسيف الدين حتى هلك. فضعف المظفر لتلف رجال عسكره.

١٠ وسار الصالح عماد الدين - ومعه المجاهد - إلى دمشق في جمع كبير، وأخذها وأظهرها طاعة الملك العادل (١٧٥) صاحب مصر؛ وكان ذلك في سابع عشر صفر. ثم ملكا قلعة دمشق، واعتقلا المغيث بن الصالح نجم الدين.

فبلغ ذلك الملك الصالح وهو بنابلس، فكتم الخبر، وقدم الأمير حسام الدين محمد بن أبي على المذبذبانى أستاذاره في جماعة، وسار بعده يريد دمشق. فلما وصل ابن أبي على إلى الكسوة علم بأخذ دمشق من يدهم، فرجع إلى الصالح - وقد نزل بيسان - فأعلمه الخبر،

== وفارقه، ويوم سيف الدين أكابر حماة أن الملك المظفر قد عزم على تسليم حماة للفرنج، لما قد حصل عنده من العزم من إساءة الجاورين له، وقصد لهم أخذ بلادهم. وقصد الملك المظفر وسيف الدين، بهذا الذي اتفقا عليه، أن تترك هذه الحيلة على الملك المجاهد صاحب حمص، فلا يمرض لسيف الدين، ولا للعسكر الذي معه، ولا لأكابر حماة، الذي (كذا) معه أيضا، حتى يمضوا إلى دمشق. فيحفظوها تحت الصالح نجم الدين أيوب إلى أن يملك الديار المصرية، ويرجع إلى دمشق.

(١) كان ممن وقع في قبضة الملك المجاهد أيضا الحكيم زين الدين سعد الله بن سعد الله بن واصل، وهو ابن عم مؤلف مفرج الكروب. (انظر ابن واصل: نفس المرحع، ص ١٣٢٨).

(٢) في س "تلاف". (٣) و (٤) في س "بوعل".

(٥) كذا في س، وعبارة "من يدهم"، غير لازمة، بل أنها أجبت محافظة على المتن.



وسار معه حتى وصل القصير المعين من الغور . فاشتهر عند العسكر أخذ دمشق ، لورود مكاتبات  
 الصالح عماد الدين إليهم ، باستمالتهم إليه . ففسدت نياتهم ، وطمعوا في الملك الصالح نجم الدين ،  
 لتلاشي أمره ، وفرقوه . فبقى [ الصالح نجم الدين ] في دون المائة من أمرائه وأجناده ، وتركه  
 من كان معه من أهل بيته وأقاربه ، وتركه أيضا بدر الدين قاضي سنجار — وكان أخص  
 أصحابه . وصاروا كلهم إلى دمشق ، وقد أيسوا من أن يقوم بعدها للصالح [ نجم الدين ]  
 قائمة . وثبت معه الأمير حسام الدين بن أبي علي أستاذاره ، وزين الدين أمير جانداره ،  
 وشهاب الدين بن سعد الدين كوجبا — وكان أبوه سعد الدين ابن عمه الملك الكامل — ،  
 والأمير شهاب الدين البواشي ، ونحو اثنين من مماليكه ، وثبت معه أيضا كاتبه بهاء الدين  
 زهير . وهرب الطواشي شهاب الدين فاجر ، وأخذ معه شيئا كثيرا من قماش الصالح ، وعدة  
 من مماليكه الصفار وغلماؤه ، وصار مع من لحق بدمشق .

ففتت في غضد الصالح مفارقة العسكر له ، وأيقن بزوال أمره . ورحل في الليل ، فلتقيه  
 طائفة من العربان يريدون أخذه . فخار بهم بمن معه ، حتى خلص منهم إلى نابلس ، فترل  
 بظاهرها .

ولما وصل العسكر المخامر على الصالح [ نجم الدين ] إلى دمشق ، قبض الملك الصالح  
 عماد الدين على أخويه [ الملك المعز ] مجير الدين [ يعقوب ] ، و [ الملك الأنجد ] تقي الدين

- (١) القصير المعين هو قصر معين الدين ، راجع ابن واصل (نفس المرجع ، ص ١٢٢٩) .  
 (٢) كان ابن واصل ، مؤلف كتاب مفرج الكرب ، (نفس المرجع ، ص ٣٢٩ ب) من قارنوا إلى دمشق  
 مع عساكر الملك الصالح نجم الدين أيوب . وقد أشار إلى هذا بعبارة لطيفة نصها : "وكننت أ. مع العسكر الذين دخلوا  
 إلى دمشق ، فتواريت ، ولم أظهر خوفا من صاحب حصي" . (٣) في ص "بوعلى" .  
 (٤) ضبط هذا الاسم على منطوقه في (Blochet : Op. cit. p. 449) ، وهو في ابن واصل (نفس المرجع ،  
 ص ٣٢٩ ب) شهاب الدين بن سعد الدين بن كمي (؟) .  
 (٥) ضبط هذا الاسم على منطوقه في (Blochet : Op. cit. p. 449) ، ويظهر أن النسبة إلى البواشي ،  
 وهو جمع باشق ، والباشق طائر حسن الصورة صغير الجنة ، تصاد به المصاير ، وهو معرب اللفظ الفارسي باشه .  
 (محيط المحيط) .



[عباس<sup>(١)</sup>]؛ واعتقل الأمراء المصريين [أيضا] : وهم عز الدين أيبك الكردي<sup>(٢)</sup>، وعز الدين قضيب البان، ومستقر الدينسرى، وبلبان المجاهدي، وتوجه نور الدين بن نحر الدين عثمان إلى بغداد .

واتفق تغير الملك العادل على الناصر داود، فتأرقه من بلبس — وصحبته الأمير [سيف الدين] على بن قلع —، وسار إلى الكرك، وكاتب الصالح نجم الدين ووعدته النصره، [وكان ذلك خدعة منه] . ثم سار [الناصر] إلى نابلس بعساكره، وقبض على الملك الصالح نجم الدين، ويقال بل بعث إليه من أخذه، بعد ما صار وحده، وأركبه على بغلة في إهانة<sup>(٣)</sup>، بنير مهماز ولا مقرعة، في ليلة السبت ثاني عشر ربيع الأول .

وبعث [الناصر] به إلى الكرك، ولم يترك معه غير مملوك واحد، يقال له ركن الدين بيبرس؛ وبعث معه جاريته شجر الدر، أم ولده خليل؛ وأنزله بالقلعة، وقام له بجميع ما يحتاج إليه، بحيث لم يختل من حاله سوى أنه فقد الملك فقط<sup>(٤)</sup> .

وأقام بهاء الدين زهير عند الناصر داود، هو وجماعة الماليك<sup>(٥)</sup>، بعد ما خيّرهم فاختروا (٧٥ ب) الإقامة عنده . وطلب الأمير حسام الدين بن أبي علي، وزين الدين أمير جاندار، [من الناصر] المسير إلى دمشق فسيرهما؛ وعند ما قدما دمشق اعتقلهما الصالح عماد الدين . وفي سابع عشر ربيع الأول عاد الملك العادل إلى القاهرة، بعد ما بعث الركن ...<sup>(٦)</sup> ... الهيجاوى على جماعة، لحفظ الساحل . فلما بلغ الملك العادل ماجرى على أخيه — من أخذه

(١) أضيف ما بين القوسين من ابن واصل (نفس المرجع، ص ١٢٢٩)، وكان الملكان بمن فارق الصالح نجم الدين أيوب إلى دمشق . (٢) تقدم اسم هذا الأمير، في ص ٢٨١، سطر ٨، حيث كتبه المقرئ "الكردي" .

(٣) أضيف ما بين القوسين بعد مراجعة ابن واصل (نفس المرجع، ص ٢٣٠ ب — ١٢٣١) .

(٤) في س "اهـ" .

(٥) يوجد فرق هذا اللفظ في س إشارة إلى عبارة بهامش الصفحة، وليس تمت ما تدل عليه هذه الإشارة سوى كلمة "الناصر"، وهي مشطوبة .

(٦) في س "بوعل" . (٧) يياض في س .



ذليلاً، ونهب أمواله، وسجنه بالكرك — سره ذلك سروراً كثيراً، وظن أنه قد أمن . ونودي  
بزينة القاهرة ومصر فزينتا، وعمل سباطاً عظيماً في الميدان الأسود تحت قلعة الجبل، وعمل  
قصوراً من حلوى، وأحواضاً من سكر وليمون، وألفاً ونحماً رأس شواء، ومثلها طعاماً،  
فكان ما عمل من السكر ألفاً ونحماً أبلوجة . ونادى [الملك العادل] في العامة بالحضور  
إلى السباط، فحضر الجليل والحقير . وبلغ ذلك الصالح نجم الدين، وهو معتقل بالكرك<sup>(١)</sup> .

ولم يقنع الملك العادل بسجن أخيه، حتى [أنه] بعث الأمير علاء الدين بن النابلسي إلى الناصر  
داود، يطلب منه أن يبعث إليه بأخيه الصالح في قفص حديد تحت الاحتفاظ، ويبدل له  
في مقابلة إرساله أربعمائة ألف دينار ودمشق، وحلف على ذلك أيماناً عظيمة . فلما وصل  
الكتاب إلى الناصر أوقف عليه الملك الصالح، وأدخل إليه بالتقاصد الذي أحضره . ثم كتب  
[الناصر] إلى الملك العادل : "وصل كتاب السلطان، وهو يطلب أخاه إلى عنده في قفص  
حديد، وأنت تعطيني أربعمائة ألف دينار مصرية، وتأخذ دمشق من هي بيده، وتعطيني  
إياها . فأما الذهب فهو عندك كثير، وأما دمشق فإذا أخذتها من هي معه، وسلمتها إلى<sup>(٢)</sup>  
صلمت أخاك إليك . وهذا جوابي والسلام"<sup>(٣)</sup> .

فأما ورد هذا الجواب على الملك العادل أمر بتجهيز العساكر، ليخرج إلى الشام، ونخرج  
محيي الدين بن الجوزي من القاهرة، ومعه جمال الدين بن مطروح رسول الصالح نجم الدين،  
و [كان] قد استجار به، بعد ما قبض على الصالح نجم الدين وسجن بالكرك .  
وكتب الناصر داود إلى ابن عمه الملك الصالح نجم الدين أيوب، وهو محبوب عنده  
بالكرك :

(١) ليس في ابن واصل (نص المربع، ص ١٣٣٢) شيء من تفاصيل هذا التفريق، ويستدل من أمثال هذه  
الزيادات، التي انفرد بها السليبي عن مخرج الكروب، أن الخفريزي — بغير ضابط — على كتاب ابن واصل أحب —  
لم يكنف بذلك المربع وحده .

(٢) في ص "صلمت" . (٣) لا يوجد في ابن واصل (نص المربع، ص ١٣٣٢) شيء من نص هذا  
الجواب، أو أي إشارة إلى إرساله من عند الناصر، وهذا مثل آخر لفارقة بين محتويات السلوك ومخرج الكروب .  
(٤) ضمير الهاه هنا عائد على محيي الدين بن الجوزي . راجع ابن واصل (نص المربع، ص ٣٣٢ ب) .



وإذا مَسَّك الزمان بضر      عظمت عنده الخطوب وجلَّتْ  
وتوالت منه نوائبُ أخرى      سُمَّت عندها النفوس وملَّتْ  
فاصطبر وانتظر بلوغ الأمانى      فالرزايا إذا توالت تولَّتْ

وهذه الأبيات لغيره . فكتب إليه الصالح [نجم الدين أيوب] يشكره، وكتب فيما كتب إليه أبيات شمس المعالى قابوس وشمكير :

قل للذى بصروف الدهر عَيَّرنا      حل حارب الدهر إلا من له خطر  
أما ترى البحر تطفو فوقه جيف      ويستقر بأقصى قعره الدور  
وإن تكن عبثت أيدي الزمان بنا      وما لنا من تمادى يؤسه ضرر  
ففى السماء نجوم لا عداد لها      وليس يكسف إلا الشمس والقمر

وزاد فيها الرشيد النابلسي :

وكم على الأرض من خضراء مورقة      وليس يرجم إلا ما له ثمر  
وفى أثناء هذا الاختلاف بين الملوك عَمَّر الفرنج فى القدس قلعة، وجعلوا برج داود أحد أبراجها، وكان قد تُرِكَ لما خَرَّب الملك المعظم أسوار القدس . فلما بلغ الناصر داود عمارة هذه القلعة سار إلى القدس، ورمى عليها بالمجانيق حتى أخذها، بعد أحد وعشرين يوما — فى يوم تاسع جمادى الأولى — عنوة، بمن معه من عسكر مصر . وتأخر أخذ برج داود إلى  
خامس عشره، فأخذ [من الفرنج] صلحا على أنفسهم دون أموالهم . وهدم [الناصر] برج  
داود، واستولى على القدس، وأخرج منه الفرنج، فساروا إلى بلادهم .

واتفق يوم فتح القدس وصول محي الدين بن الجوزى إلى [الملك الناصر داود]، ومعه جمال الدين [بن] مطروح . فقال [جمال الدين بن مطروح، يمدح الملك الناصر داود، ويذكر

(١) كذا فى س .

(٢) أضيف ما بين القوسين بعد مراجعة ابن واصل (نفس المرجع، ص ٢٢٢ ب) .

(٣) فى س "إليه"، وقد حذف الضمير وأثبت عائده للتوضيح، وذلك بعد مراجعة ابن واصل (نفس المرجع

والصفحة) .



مضاهاته لعمه الملك الناصر صلاح الدين يوسف، في فتح القدس، مع اشتراكهما في اللقب<sup>(١)</sup> والفعل، وهو معنى لطيف مليح:] :

المسجد الأقصى له عادة      سارت فصارت مثلاً سائراً  
إذا غدا بالكفر مستوطناً      أن يبعث الله له ناصراً  
فناصر طهره أولاً      وناصر طهره آخراً

وفي يوم الأحد رابع عشر ربيع الأول، وقع بين الفرنج<sup>(٢)</sup> وبين العسكر المصري المقيم بالساحل حرب، انكسر فيها الفرنج، وأخذ [من الفرنج] ملوكهم وأكادهم<sup>(٣)</sup>، وثمانون فارساً، ومائتان وخمسون راجلاً — وصلوا إلى القاهرة، وقُتل منهم ألف وثمانمائة، ولم يقتل من المسلمين غير عشرة .

ثم سار ابن الجوزي إلى دمشق، وحاول إصلاح الحال بين الصالح عماد الدين، وبين الناصر داود، وبين الملك العادل . فلم يأت له ذلك، فعاد إلى القاهرة في رمضان، وقد وصل الملك ابن سنقر بمخلعة الملك العادل وابنه، وأمه وامراته وكاتبه .

ونزل ابن مطروح عند المظفر بجدة، فبعثه في الرسالة إلى الخوارزمية بالشرق، يستحثهم على القيام بنصرة الملك الصالح نجم الدين، واستصحب معه أيضاً رسالة الناصر داود، [ومنها]:  
”إني لم أترك الصالح بالكرك إلا صيانة لمهجته، خوفاً عليه من أخيه الملك العادل، ومن<sup>(٤)</sup>“

(١) أضيف ما بين القوسين من ابن واصل (نص المرجع، ص ٣٣٢ ب — ١٢٣٣) وقد قوبلت الأبيات التالية على نصها في مخرج كروب أيضاً . (٢) في س “ملوكهم” . (٣) لا يوجد في المراجع المتداولة في هذه الحواشي، ما يدل على أسماء ملوك ولا كد (جمع كند، وهو معرب لفظ comte)، الذين يحجز التقريرى ها عنهم . أما أصل هذا نشاط حربي فهو أن الهدنة بين المسلمين والصليبيين، منذ أيام السلطان الملك الكامل والإمبراطور فردريك الثاني، كانت قد انتهت . وقد وصلت حجة صليبية إلى الشام، سنة ٦٣٧ هـ (١٢٣٩ م)، وكان أهم فوادها (Theobald Count of Champagne and King of Navarre) . (Stevenson: Crusaders In The East, p. 713) راجع (Blochet: Op. cit. p. 453-454) أخبار مفصلة عن حركات الفرنج تلك السنة، وعماء وقع لأسراهم بالقاهرة، وهي مترجمة من كتاب سير الآباء البطارقة .  
(٤) في س “باني” .



عمه الملك الصالح عماد الدين ؛ وسأخرجه وأملكه البلاد ، فتحركوا على بلاد حلب ، وبلاد حمص<sup>(١)</sup> . فسار إليهم [ ابن مطروح ] وقضى الأمر معهم ، وعاد إلى حماة .  
فاتفق موت الملك المجاهد أسد الدين شيركوه بن ناصر الدين محمد بن شيركوه ، صاحب حمص ، يوم التاسع عشر من شهر رجب ، فكانت مدة ملكه بحمص نحو من ست وخمسين سنة . وقام من بعده ابنه الملك المنصور ناصر الدين إبراهيم ، واتفق مع الصالح عماد الدين على المعاهدة .

فصار الناصر داود مواحشا للملك العادل ، بسبب أنه لم يوافقته على أخذ دمشق ؛ والملك العادل مواحشه ، لأنه لم يسلمه الملك الصالح نجم الدين ؛ والناصر أيضا مواحشا للصالح عماد الدين ، ويهدده بأنه يطلق الملك الصالح نجم الدين ، ويقوم معه في أخذ البلاد ؛ والمظفر صاحب حماة لا يخطب للعادل من حين قطع الخطبة للصالح نجم الدين ، لميله إلى الصالح نجم الدين .  
فلما دخل شهر رمضان ، سير المظفر القاضي شهاب الدين إبراهيم بن عبد الله بن عبد المنعم ابن أبي الدم — قاضي حماة — رسولا إلى الملك العادل بمصر ، وحمله في الباطن رسالة إلى الناصر داود بالكرك ، أن يطلق الصالح نجم الدين ، ويساعده على أخذ البلاد . فبلغ [ القاضي شهاب الدين<sup>(٢)</sup> الملك ] الناصر ذلك ، وتوجه إلى مصر .

فأفرج الناصر داود عن الملك الصالح نجم الدين ، في سابع عشر من رمضان ، واستدعاه إليه ، وهو بنابلس . فلما قدم عليه التقاه وأجله ، وضرب له دهليز السلطنة ، واجتمع عليه مماليكه وأصحابه ، الذين كانوا عند الناصر : منهم الأمير شهاب الدين بن كوجبا ، وشهاب الدين بن الغرس<sup>(٣)</sup> ، وكاتبه بهاء الدين زهير . وتقدم الناصر للخطيب بنابلس في يوم عيد الفطر ، فدعا<sup>(٤)</sup> للملك الصالح ، وأشاع (٧٦ ب) ذكره . وصار [ الناصر داود والصالح نجم الدين ] إلى القدس ،

(١) أضيف ما بين القوسين بعد مراجعة ابن واصل (نص المراجع ، ص ٢٢٢ ب) .

(٢) أضيف ما بين القوسين بعد مراجعة ابن واصل (نص المراجع ، ص ١٢٢٤) .

(٣) في ص "الغرس" ، انظر ابن واصل (نص المراجع ، ص ١٢٢٦) . (٤) في ص "وساروا" .

(٥) كان الغرض من ذهاب الصالح والناصر إلى القدس ، أن يحلف كل منهما لصاحبه على الصخرة المقدسة .

ابن واصل (نص المراجع ، ص ١٢٢٦) .



وتحالفوا على أن تكون ديار مصر للصالح، والشام والشرق للناصر، وأن يعطيه مائتي ألف دينار. فكانت مدة اعتقال الملك الصالح سبعة أشهر وأياما.

ثم سارا إلى غزة، فورد الخبر بذلك على الملك العادل بمصر، فأنزعج وأمر بخروج الدهليز السلطاني والعساكر، وبرز إلى بلبيس في نصف ذي العقدة، وكتب إلى الصالح عماد الدين أن يخرج بعساكر دمشق، فخرج الصالح عماد الدين بعساكره إلى القوار. تخاف الملك الصالح والملك الناصر من اتقاء عساكر مصر والشام عليهما، ورجعا من غزة إلى نابلس، ليتحصنا بالكرك.

وكان الملك العادل قد شره في اللعب، وأكثر من تقديم الصبيان والمساخر وأهل اللهو، حتى حسبت نفقاته في هذا الوجه خاصة، فكانت ستة آلاف ألف وعشرين ألف ألف درهم، وأعطى [العادل] عبدا أسود، عمله طشت داره، يعرف بابن كرسون، منشورا<sup>(٥)</sup>

(١) لم يرد هذا شرط الأخير في ابن رامل (فلس المرجع، ص ١٢٢٦)، والزاج أن الصالح هو الذي وعد الناصر بمائتي ألف دينار.

(٢) جمع مسخرة، وهو الشخص الذي تسخر إلى س منه، أو الهلول الذي يلعب لإحطاك الشطارة (personne dont on se moque, dont on se joue, marmouset, petit garçon, petit homme mal fait, .. buffon, baladin). (Dozy : Suppl. Dict. Ar.)

(٣) كانت وظيفة الطشت دار من الوظائف الصغرى، وصاحبها تابع للطشت خاتم السلطانية، وهي حسابا جاء في القلقشندي (صبح الأعشى، ج ٤، ص ١٠ - ١١) "بيت الطشت، سميت بذلك لأن فيها يكون الطشت الذي تفصل فيه الأيدي، والطشت الذي يعمل فيه القماش [السلطان] ... وفي الطشت خاتم يكون ما يلبيه السلطان، من الكونة والأقية ومائر الباب، والسيف والخف والرموزة، ولير ذلك. وفيها يكون ما يجلس عليه السلطان، من القناد والمخاد والحدادات التي يعمل عليها، وما شاكل ذلك. وهذا أيضا مهتار من كبار المهتارية، يعرف بمهتار الطشت خاتم، ونعت يديه مدة عتاد، بعضهم يعرفون بالطشت دارية، وبعضهم يعرف بالرخوانية". انظر أيضا (فلس المرجع، ج ٥، ص ٦٩). هذا والطشت لفظ من، وصوابه الطشت، أو الفلس، وكلاهما معرب اللفظ الفارسي تست، وهو إناه غسل اليد. (محيط المحيط).

(٤) ضبط هذا الاسم على منطوقه في (Blochet : Op. cit. p. 458).

(٥) المشور في مصطلح الدونين الأيوبية والمملوك بمصر، عذرة عن أمر سلطان في مكتوب بقطع من أرض زومال، أو غير ذلك. وكانت المشاور عن أربعة أصداف، يكتب كل صدف منها في قطع معين من الورق. يختلف باختلاف طوائف رجال الدولة. (القلقشندي : صبح الأعشى، ج ١٣، ص ١٥٨، وما بعدها).



بنحسين فارسا ؛ فلما خرج به من باب القلعة بقلعة الجبل وجده الأمير ركن الدين الهيجاوى ،  
أحد الأمراء الأكابر ؛ فأراه المنشور ، فحنق وصكه في وجهه ، وأخذ منه المنشور . وصار  
بين الأمراء وبين الملك العادل وحشة شديدة ، ونفرة عظيمة .

- واتفق ما تقدم ذكره إلى أن نزل [العادل] ببلييس ، فقام الأمير عز الدين أيبك الأسمر  
— مقدم الأشرفية ، وباطن عدة من الأمراء والمماليك الأشرفية على خلع العادل والتبض  
عليه . ووافقهم على هذا جوهر التوبى وشمس الخواص — وهما من الخدام الكاملية ،  
وجماعة آخر من الكاملية : وهم مسرور الكاملى ، وكانور الفائزى . وركبوا ليلا وأحاطوا  
بدهليز الملك العادل ، ورموه وقبضوا عليه ، ووكلوا به من يحفظه في خيمة . فلم يتحرك  
أحد لنصرته ، إلا أن الأكراد اهتموا بالقيام له ، فقال عليهم الأتراك والخدام ونهبوهم ،  
فانهزم الأكراد إلى القاهرة . ويقال إنه بلغ أيبك الأسمر أن الملك العادل مسكر مع شبابه  
وخواصه ، وقال لهم : "عن قليل تشربون من دم أيبك الأسمر ، وهؤلاء العبيد السوء فلان  
وفلان ، وسماهم" . فاجتمعوا على خلعه ، لا سيما لما طلب ابن كرسون منه أن يسلمه الأمير  
شجاع الدين بن بزغش<sup>(٥)</sup> — وإلى قوص ، فأمكنه منه وعاقبه أشد عقوبة ، وتوقع في عذابه ،  
ولم يقبل فيه شفاعة أحد من الأمراء . وكان الملك العادل قد قرّبه تقريرا زائدا ، حتى كان  
يقضى عنده الحوائج الجليلة ، فأنفت الأنفس من ذلك .

وخلع [العادل] في يوم الجمعة تاسع شوال ، فكانت مدة ملكه سنتين وشهرين وثمانية

(١) كان هذا الباب أحد الأبواب الصغرى بداخل قلعة الجبل ، ويتوصل إليه من الباب المدرج ، وهو أعظم  
أبواب القلعة ، وموقعه في أول الجانب الشرق منها بمجاء القاهرة . وكان بين هذين البابين ساحة مستطيلة ، ينتهى  
منها إلى دركاه واسعة ، يجلس بها الأمراء حتى يؤذن لهم بالدخول . وقد سمي باب القلعة بهذا الاسم في زمن المماليك ، وذلك  
أنه كانت هناك قلعة بناها الملك الظاهر بيبرس . (القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٣٧٢ ، وما بعدها ؛  
المقريزى : المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٢٠٤ ، وما بعدها) .

(٢) كذا في م ، وهو في ابن واصل (نفس المربع ، ص ٣٣٧) الخواص ، بفتح على الواو .

(٣) في م "شربوا" . (٤) في م "السو" .

(٥) كذا في م ، وبغير ضبط . وقد ترجمه (Blochet : Op. cit. p. 459) إلى (Barghash) .



عشر يوما ، أولها يوم الخميس ، وآخرها يوم الخميس تاسع شوال سنة سبع وثلاثين ومستمائة ، أسرف فيها إسرافا أفرط فيه ، ( ١٧٧ ) بحيث أن أباه الملك الكامل ترك ما ينيف على سنة آلاف ألف دينار مصرية ، وعشرين ألف ألف درهم ، فرّقها كلها . وكان [العاقل] يحمل المال إلى الأمراء وغيرهم على أقنص الحمالين ، ولم يبق أحد في دولته إلا وشمله إعمامه . فكانت أيامه بمصر كلها أفراح ومسرات ، إلى جانبها ، وكثرة إحسانه . قال الأديب أبو الحسين الجزار في الملك العادل أبي بكر بن الملك الكامل محمد بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب : —

هو الليث يخشى بأسه كل مجتر      هو الغيث يرجو جوده كل مجتدى

لقد شاد ملكا أسسته جدوده      فأصبح ذا ملك أثيل مشيد

وصح به الإسلام حتى لقد غدت      بسلطانه أهل الحقائق تقتدى

فقل للذي قد شك في الحق إنما      أطعنا أبا بكر بامر محمد

يشير بذلك إلى أخيه الملك الصالح نجم الدين أيوب ، فإن أباهما الكامل محمد أقام العادل هذا بمصر ، وبعث الصالح أيوب إلى الشرق .

وقال البرهان بن الفقيه نصر ، لما استقر العادل في السلطنة بعد أبيه : —

قل للذي خاف من مصر وقد أمنت      ماذا يؤمله منها وخيفته

إن كان قد مات عن مصر محمدًا      فقد أقام أبا بكر خليفته

### السلطان الملك الصالح

أبو الفتح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب . لما قبض على أخيه الملك العادل ، كان الأمير عز الدين أيبك الأسمري ميل إلى الملك الصالح عماد الدين اسماعيل ، صاحب دمشق ، وكانت الخدام والماليك الكاملية تميل إلى الملك الصالح نجم الدين ، وهم الأكثر . فلم يطق [عز الدين] مخالفتهم ، فانفقوا كلهم ، وكتبوا إلى

(١) أضيف ما بين القوسين بعد مراجعة ابن واصل (نفس المراجع ، ص ١٢٢٧) .



الملك الصالح نجم الدين يستدعون<sup>(١)</sup> . فأتته كتبهم . وقد بلغ هو والناصر داود الغاية من الخوف<sup>(٢)</sup> ، وزلزالا شديدا ، لضعفهما عن مقاومة عساكر مصر والشام . فأتاهما من القرج مالم يسمع بمثله ، وقاما لوقتتهما . وسارا إلى مصر . فلما دخلا الرمل لم يتزلا منزلة إلا وقدم عليهما من أمراء مصر طائفة ، حتى نزلا بلبس ، يوم الاثنين تاسع<sup>(٣)</sup> ..... ، بعد ما خطب له بالقاهرة ومصر يوم الجمعة خامس عشره .

ومنذ فارقا غزاة تغير الناصر داود على الملك الصالح [نجم الدين أيوب] ، وتحذت في قتله . فلما نزلا<sup>(٤)</sup> بلبس . سكر الملك الناصر ، ومضى إلى العادل . وقال له : "كيف رأيت ما أشرت به عليك ، ولم تقبل مني ؟" فقال له [العادل] : "ياخوند ! التوبة" . فقال [الناصر] : "طيب قلبك ، الساعة أطقك" . ثم جاء [الناصر] ، ودخل على الملك الصالح ، ووقف . فقال له الصالح : "بسم الله اجلس" . قال : "ما أجلس حتى تطلق العادل" . فقال له : "اقعد" ، وهو يكرر الحديث ، فما زال به حتى نام . فقام من فوره الملك الصالح ، وسار في الليل ومعه العادل في مخفة ، ودخل به إلى القاهرة . واستولى على قلعة الجبل ، يوم الجمعة ثالث عشرى شوال ، بغير تعب .

وجلس [الملك الصالح نجم الدين أيوب] على سرير الملك ، واعتقل أخاه العادل ببعض دوره ، واستحلف الأمراء ، وزينت القاهرة ومصر وظواهرهما وقلعة الجبل زينة عظيمة ، وسر الناس به سرورا كثيرا ، لنجاسته وشهامته . ونزل الناصر داود بدار الوزارة من القاهرة ، ولم يركب الملك الصالح يوم عيد النحر ، لما بلغه من خلف العسكر .

(١) في س "ستدعون" . (٢) في س "الفرج" .

(٣) أطلق هذا الاسم على الجهة الواقعة بين المريث والعباسة ، وساحل البحر الأبيض المتوسط . (المقرئى : المواظ والاعتبار ، ج ١ ، ص ١٨٢ — ١٨٣) . (٤) بياض في س ، به آثار كتابة ممحوة .

(٥) في س "زل" .

(٦) كانت هذه الدار بقلعة الجبل ، وقد عرفت أيضا بقاعة الصاحب ، لإطلاق لقب الصاحب أحيانا على الوزير بمصر ، أيام الأيوبيين والمماليك . (المقرئى : المواظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٢٠٥ ، ٢٢٣) .



وفي ذى الحجة أحضر الملك الصالح إليه الملك العادل، وسأله عن أشياء، ثم كشف بيت المال والخزانة السلطانية، فلم يجد سوى دينار واحد وألف درهم. وقيل له عما أتلغه أخوه، فطلب القضاة والأمراء الذين قاموا في القبض على أخيه، وقال لهم: "لاى شئ قبضتم على (٧٧ ب) سلطانكم؟" فقالوا: "لأنه كان سفيها". فقال: "يا قضاة! السفيه يجوز تصرفه في بيت مال المسلمين؟" قالوا: "لا". قل: "أقسم بالله متى لم تحضروا ما أخذتم من المال، كانت أرواحكم عوضه". فخرجوا وأحضروا إليه سبعة آلاف وخمسة وثمانين ألف دينار، وأثنى ألف وثلاثمائة ألف درهم. ثم أمهلهم قليلا، وقبض عليهم واحدا بعد واحد.

واستدعى [الملك الصالح] بالقاضى شهاب الدين إبراهيم بن عبد الله بن عبد المنعم بن على ابن محمد، المعروف بابن أبي الدم — وكان بمصر منذ قدم من عند المظفر صاحب حماة، وبعث به مكرما إلى حماة، وخلع على ابن الجوزى رسول الخليفة، وكتب معه إلى الديوان العزيز يشكومنه. وكانت الخليفة قد وصلت إلى القاهرة، فلبسها الملك الصالح، ونصب منبرا صعد عليه ابن الجوزى، وقرأ تقليد الملك الصالح، والملك الصالح قائم بين يدي المنبر على قدميه، حتى فرغ من قراءته. وشيع [الملك الصالح] أيضا صاحب كمال الدين بن العديم رسول حلب.

وتخوف السلطان من الناصر داود، لكثرة ما بلغه عنه من اجتماعه بالأمراء سرا، ولأنه

(١) لا يوجد في ابن واصل (نفس المراجع، ص ٣٢٧ ب) شئ من أخبار ذلك المجلس.  
(٢) كان صاحب كمال الدين بن أبي جرادة، المعروف بابن العديم، قد حضر إلى القاهرة رسولا إلى الملك العادل، من عند صاحبة ضيفة خاتون، والدة الملك العزيز، صاحب حلب. (انظر ص ٢٧١، سطر ٩). وكانت صاحبة قد أرسلت، حسبما جاء في ابن واصل (نفس المراجع، ص ٣٣٨ أ، وما بعدها)، لطلب من العادل أن يسير إليها عماته، بنات الملك العادل الأول، فأجابها إلى ذلك. ثم حدث أن صار الملك الصالح أيوب سلطانا على مصر، قبل رحيل ابن العديم من القاهرة، فاستحضره الصالح وأكرمه، وزوده برسالة إلى صاحبة ضيفة خاتون، منها "يقبل [الملك الصالح أيوب] الأرض بين يدي السر العادل، ويعرفها أنتى موكده، وأنا عبد بحق أميك كمالى، وأنا أعرض نفسى لخدمتها (ص ٣٣٨ ب) وامثال ما ترسم به ...".



سأله أن يعطيه قلعة الشوبك، فامتنع السلطان من ذلك . واستوحش [الناصر] فطلب الإذن بالرحيل إلى الكرك، فخرج من القاهرة وهو متعب، وقد بلغه أن الصالح إسماعيل خرج من دمشق، ووافق الفرنج على أن يسلمهم الساحل، ووصل الفرنج إلى نابلس . وتأول السلطان أنه ما حلف للناصر بالتقدم إلا مكرهاً، لأنه كان إذ ذاك تحت حكمه وفي طاعته . فلما وصل الناصر إلى الكرك طلب من السلطان ما التزم له به من المال، فحمله إليه، وما طله بتجريد العساكر معه لفتح دمشق، مستنداً لما تأوله .

وفي أثناء ذلك تعدت الأشرفية بالوثوب على السلطان، فخافهم وامتنع من الركوب في الموكب مدة . واستوزر [السلطان] صاحب معين الدين الحسن بن الشيخ، وسلم إليه أمور المملكة كلها، وهو بركة الحاج، في يوم الخميس حادي عشر ذي القعدة قبل الظهر . فشرع [الصاحب معين الدين] في تدبير المملكة، والنظر في مصالح البلاد . وولدت شجرة الدر من الملك الصالح ولداً سمى خيلاً، وتقبه بالملك المنصور . وعند ما نزل الملك الصالح العباسية، في يوم الأحد سابع عشر ذي القعدة، قبض على الركن الميخاوي [العادل] في يوم الاثنين ثامن عشره، وبعثه إلى القاهرة .

وفيهما ولي الشيخ عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم خطابة دمشق، في يوم الأربعاء ثالث ربيع الآخر، ولأه الصالح عماد الدين إسماعيل بن العادل، وخطب لصاحب الروم .

وفيهما قتل عثمان بن عبد الحق بن يحيى بن أبي بكر بن حمادة، أمير بني مرين، وهو أول من عظم أمره منهم، وغلب على ريف المغرب، ووضع على أهله المغارم، فبايعه أكثر القبائل .

(١) انظر ص ٢٩٣، سطر ١٥، وما يليه .

(٢) في من " خليل " .

(٣) أضيف ما بين القوسين من ابن واصل (نفس المرجع، ص ١٢٢٨) .

(٤) مضبوط هكذا في من .



وامتدت يده إلى أمصار المغرب، مثل فاس و(١) تازا و(٢) ميكناسة، وفرض عليها ضرائب تحمل إليه . وقام بعد عثمان أخوه محمد بن عبد الحق .

وفيها قدم الشريف شبة(٣) بن قاسم أمير المدينة إلى مكة ، في ألف فارس من عسكر مصر ، فبعث ابن رسول ملك اليمن بالشريف راجع وعسكر ، ففر شبة(٤) من مكة ، وملكها عسكر اليمن .

+++

سنة ثمان وثلاثين وستمائة . فيها شرع السلطان الملك الصالح [أيوب] في النظر في مصالح دولته ، وتمهيد قواعد مملكته ؛ ونظر في عمارة أرض مصر ، وبعث زين الدين بن أبي زكري على عسكر إلى الصعيد ، لقتال العرب . وتبع من قام في قبض أخيه الملك العادل ، فقبض عليهم ، واستصغى أموالهم وقتل عدة منهم . وفر عدة من الأشرفية . وقبض على الأمير عز الدين أيبك الأتمر الأشرفي بالإسكندرية ، ونودي بالفاخرة وظواهرها من أخفى أحدا من الأشرفية نهب ماله ؛ وأغلقت أبواب الفاخرة كلها ثلاثة أيام ، ما خلا باب زويلة ، حرصا على أخذ الأشرفية ؛ ( ١٧٨ ) فأخذوا وأودعوا السجون . وقبض على جوهر الوبي ، وشمس الخواص مسرور ، بدمياط — وكانا من الخدام الكاملة ، ومن أعان على خلع العادل . وقبض على شبل الدولة كافور الفائزي بالشرقية . وسجن بقاعة الجبل . وقبض على جماعة من الأتراك ، ومن أجناد الحلقة ، وعلى عدة من الأمراء الكاملة . وصار [السلطان الملك الصالح أيوب] كلما قبض على أمير أعطى خبزه لملوك من ممالكه وقدمه ، فبقى معظم أمراء الدولة ممالئكه ، لنفقتهم ، واعتماده عليهم ؛ فتمكن أمره وقوى جاشه .

(١) في س "تازي" ، وبغير ضبط . وهي بلدة بشرق المغرب الأقصى . (القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ١٥٢ ؛ Al-'Omari : Masalik el-Absar, pp. 141, 164, 165, 171, 220, et carte III.)  
 (٢) بغير ضبط في س ، وهي مدينة بالمغرب الأقصى أيضا ، بينها وبين مراكش أربع عشرة مرحلة ، وتبعد عن فاس مرحلة واحدة . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٦١٥) .  
 (٣) كذا في س ، وبغير ضبط ، وهو وارد في الخزرجي (المقود اللؤلؤية ، ج ١ ، ص ٦٤) "شبة" .  
 (٤) بغير نقط البتة في س .



وفي ناسع ربيع الآخر، وهو يوم السبت، ولد للملك الصالح نجم الدين أيوب من حظيته ولد ذكر. وأحب [الصالح] أن يبقى له ذكر، فأمر ببناء قلعة الجزيرة - المعروفة بالروضة - قبالة مصر الفسطاط. وشرع في حفر أساسها يوم الأربعاء خامس شعبان، وابتدئ بنائها في آخر الساعة الثالثة من يوم الجمعة سادس عشر. وفي عاشر ذي القعدة وقع الهدم في الدور والقصور والمساجد التي كانت بجزيرة الروضة، وتحول الناس من مساكنهم التي كانت بها. وبني [الملك الصالح] فيها الدور السلطانية، وشيد أسوارها، وأنفق فيها أموالاً تتجاوز الوصف. فلما تكامل بناؤها تحول السلطان من قلعة الجبل إليها، وسكنها بأهله وحرمة ومماليكه، وكان مغرى بالعمائر.

وفيها عاد العسكر الذي قصد المسير إلى اليمن في رمضان، خوفاً من المماليك الأشرفية وأتباعهم، وذلك أنهم [كانوا قد] عزموا على الخروج من القاهرة، ونهب العسكر ببركة

(١) يقول ابن واصل (قس المرجع، ص ١٣٤٠) إن الملك الصالح أيوب أبقى قلعة جزيرة الروضة لتكون مركزاً لمماليكه وأمرائه، وإن بناء تلك القلعة استغرق ثلاث سنين. وقد أفاض المقرئ (المواظ والاعتبار، ج ٢، ص ١٧٧ - ١٨٥) في وصف هذه الجزيرة وأبنيتها، من أول الإسلام إلى زمت، وخلصته أن اسم الروضة كان يطلق في زمنه على الجزيرة التي بين مدينة مصر ومدينة الجيزة، وقد عرفت في أول الإسلام بالجزيرة، وبجزيرة مصر. ثم قبل لها جزيرة الحصن، بعد ما بنى بها أحمد بن طولون حصناً، سنة ٢٦٣ هـ (٨٧٦ م)، لبحر فيه حرمة وماله. ولم يزل هذا الحصن عامراً أيام بنى طولون، وأقيمت به دار الصناعة، التي نشأ فيها المراكب الحربية. واستمر الحصن داراً للصناعة حتى تولى محمد بن طنج الأخشيد مصر، ٣٢٣ - ٣٣٤ هـ (٩٣٤ - ٩٤٥ م)، فنقل دار الصناعة إلى ساحل النيل بمصر، وبجمل موضعها الجزيرة بسماها المخار. وكان ذلك سنة ٣٢٥ هـ، وظل هذا البستان منزله الأخشيديين. وفي زمن الفاطميين بمصر (٣٥٨ - ٥٦٧ هـ، ٩٦٩ - ١١٧١ م) صارت الجزيرة مدينة عامرة بالناس، لها وال وقاض. وأنشأ الأفضل شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر الدين الجمالي بساحلها البحرى مكاناً نزهاً سماه الروضة، وتردد إليه كثيراً، ومن حينئذ صارت الجزيرة كلها تعرف بالروضة. ومن خلفات الفاطميين بتلك الجزيرة أيضاً قصر الهودج، الذي بناه الخليفة المستمل بالله محبوبته البدوية، بجوار البستان المخار. وما برحت جزيرة الروضة منزهاً ملكياً، وسكناً للناس، إلى أن ول الديار المصرية السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب. فأنشأ القلعة بالروضة، فعرفت بقلعة المقباس، وبقلة الروضة، وبقلة الجزيرة، وبقلة الصالحية. انظر أيضاً أبا القداء (المختصر في أخبار البشر، ص ١١٩، في Rec. Hist. Or. I)، إذ يسميها قلعة الجيزة؛ وقد سماها أيضاً المقرئ (المواظ والاعتبار، ج ٢، ص ٢٩٧) قلعة جزيرة الفسطاط.



الجب . فبطل سفرهم ، وبعث السلطان منهم ثلاثمائة مملوك إلى مكة ، لأخذها من أهل اليمن ،  
وعليهم [الأمير مجد الدين] أحمد بن التركماني و [الأمير مبارز الدين علي بن الحسين] بن برطاس .  
وذلك أن الخبر ورد بأن ملك اليمن بعث جيشا لأخذ مكة ، فساروا آخر شهر رمضان ،  
ودخلوا مكة في أثناء ذى القعدة ، ففر من كان بها من أهل اليمن .

وفيها عاد القاضي بدر الدين قاضي سنجار من بلاد الروم ، وكان قد توجه إليها برسالة  
الملك الصالح عماد الدين صاحب دمشق . فبلغه أن الملك الصالح نجم الدين ملك مصر ،  
نخرج من بلاد الروم ، وقد عزم ألا يدخل دمشق ، فضى إلى مصياف من بلاد الإسماعيلية ،  
وأخذ يتجسس في الوصول إلى مصر . فبلغ ذلك الصالح إسماعيل ، فأرسل إليه ليحضر ، فامتنع  
من الحضور . واستجار بالإسماعيلية ، فأجاروه ومنعوا الصالح [إسماعيل] منه ، وأوصلوه إلى حماة ،  
فكرمه المظفر ، وأنزله عنده . وكان قد نزل عنده أيضا جمال الدين بن مطروح ، فصارت حماة ملجأ  
لكل من انتمى للسلطان الملك الصالح نجم الدين ، ومنها يرد إليه بمصر كل ما يتجدد بالشام والشرق .  
وفيها أيس (٧٨ ب) الناصر داود من إعطاء الملك الصالح نجم الدين له دمشق ، فأنحرف  
عنه ، ومال إلى الصالح إسماعيل والمنصور صاحب حمص ، وانفقوا جميعا على الصالح نجم الدين .  
وفيها أغار الخوارزمية على بلاد قلعة جعبر وبالس ونهبوها . وقتلوا كثيرا من الناس ،  
ففر من بقي إلى حلب ومنبج . واستولى بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل على سنجار ، وأخرج

(١) بنير ضبط في س ، انظر الخزرجي (المقود التوثيقية ، ج ١ ، ص ٩٩ ، من الترجمة الإنجليزية) . هذا وقد  
أضيف ما بين الأقواس مما يل ص ٣١٣ سطر ١ ، ومن المتن العربي في الخزرجي (نفس المراجع ، ج ١ ، ص ٦٨) .  
(٢) في س "ابن" .

(٣) بنير ضبط في س ، ومصيا ف — أو مصيا ب — (باقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٥٥٦) إحدى حصون  
الإسماعيلية بالشام ، وهي واقعة على الساحل ، قرب طرابلس ، وعلى مسيرة يوم من حمص ، وفرسخ من بارين .  
(Le Strange : Palest. Under Moslems. P. 507.)

(٤) بنير ضبط في س ، وهي بلدة بالشام ، بين حلب والركة . وكانت أصلا على ضفة الفرات الغربية ، ثم  
نحول عنها مجرى النهر ، حتى صار بينهما في زمن باقوت (معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٧٧ — ٧٩) مسافة  
أربعة أميال .



منها الملك الجواد يونس بن مودود بن العادل نجم الدين أيوب<sup>(١)</sup> . فسار [الجواد] إلى الشام ، حتى صار في يد الناصر داود ، فقبض عليه بغزة يوم الأحد ثامن عشر ذي الحجة ، وبعث به إلى الكرك . وانضمت الخوارزمية على صاحب الموصل ، فصاروا نحو الاثنى عشر ألفاً ، وقصدوا حلب . فخرج إليهم العسكر من حلب ، فانكسر وقتل أكثره ، وغنم الخوارزمية ما معهم . فامتنع الناس بمدينة حلب ، وانتهت أعمال حلب ، وفعل فيها كل قبيح من السبي والقتل والتخريب . ووضعوا السيف في أهل منبج ، وقتلوا فيها ما لا يحصى عدده من الناس ، وخرّبوا وارتكبوا الفواحش بالنساء في الجامع علانية ، وقتلوا الأطفال . وعادوا وقد خرب ما حول حلب .

وكان الخوارزمية يظهرون للناس أنهم يفعلون ما يفعلون خدمة لصاحب مصر ، فإن أهل حلب وحمص ودمشق كانوا حزبا على الصالح صاحب مصر . فسار المنصور [إبراهيم ابن الملك المجاهد] صاحب حمص ، بمساركة وعساكر حلب ودمشق ، وقطع الثرات إلى سروج والرها ، وأوقع بالخوارزمية ، وكسرهم واستولى على ما معهم ، ومضوا هارين إلى عانة .

وفيها خاف الصالح عماد الدين من الملك الصالح نجم الدين ، فكاتب الفرنج ، وانفق معهم على معاضدته ومساعدته ، ومحاربة صاحب مصر ، وأعطاهم قلعة صفد وبلادها ، وقلعة الشقيف وبلادها ، ومناصفة صيدا وطبرية وأعمالها ، وجبل عامل وسانر بلاد الساحل . وعزم [الصالح عماد الدين] على قصد مصر ، لما بلغه من القبض على المساليك الأشرفية والخدام ومقدمي الحلقة وبعض الأمراء . وأن من بقي من أمراء مصر خائف على نفسه من

(١) كذا في س ، والراجع أن المقرئى هنا ، لحاظ بين اسم الملك الجواد يونس بن مودود بن العادل ، واسم أخيه الملك الأوحى نجم الدين أيوب بن العادل ، وقد مات الثانى فى حياة أبيه . انظر ص ١٩١ ، سطر ٩ .

(٢) أضيف ما بين القوسين بعد مراجعة ابن واصل (نفس المرجع ، ص ٣٣٥ ب) .

(٣) فى س "الشقيف" .

(٤) يطلق هذا الاسم على جهة جبلية قرب الساحل ، فى إقليم صفد ، ويوجد بها حصن الشقيف .

(Le Strange : Palest. Under Moslems. pp. 75-76).



السلطان . فتجهز وبعث الى المنصور صاحب حمص ، وإلى الحلبيين ، وإلى الفرنج ، يطلب منهم النجدة .

وأذن [الصالح إسماعيل] للفرنج في دخول دمشق وشراء السلاح ، فآثروا من ابتاع الأسلحة وآلات الحرب من أهل دمشق . فانكر المسلمون ذلك ، ومشى أهل الدين منهم إلى العلماء واستفتوهم ، فآفتى الشيخ عز الدين بن عبد السلام بتحريم بيع السلاح للفرنج ، وقطع من الخطبة بجامع (١٧٩) دمشق الدعاء للصالح إسماعيل ، وصار يدعو في الخطبة بدعاء منه : ” اللهم أبرم لهذه الأمة إبرام رشد ، تمز فيه أوليائك ، وتذل فيه أعدائك ، ويعمل فيه بطاعتك ، وينهى فيه عن معصيتك “ ، والناس يضحجون بالدعاء .

وكان الصالح غائبا عن دمشق ، فكتب بذلك ، فورد كتابه بعزل ابن عبد السلام عن الخطابة ، واعتقاله هو والشيخ أبي عمرو بن الحاجب ، لأنه كان قد أنكر ، فاعتقلا . ثم لما قدم الصالح أفرج عنهما ، وألزم ابن عبد السلام بملازمة داره ، وألا يفتى ، ولا يجتمع بأحد ألبنة . فامتأذنه في صلاة الجمعة ، وأن يعبر إليه طبيب أو مزين ، إذا احتاج إليهما ، وأن يعبر الحمام ، فأذن له في ذلك . وولى خطابة دمشق ، بعد عز الدين بن عبد السلام ، علم الدين داود بن عمر بن يوسف بن خطيب بيت الآبار<sup>(١)</sup> .

وبرز الصالح من دمشق ، ومعه عساكر حمص وحلب وغيرها ، وسار حتى نزل بنهر العوجاء . فبلغه أن الناصر داود قد خيم على البقاع ، فسار إليه . وأوقع به . فانكسر الناصر ، وانهمز إلى الكرك . وأخذ الصالح أنقاله ، وأمر جماعة من أصحابه ، وعاد إلى العوجاء ، وقد قوى ساعده ، واشتدت شوكته . فبعث يطلب نجدة الفرنج ، على أنه يعطيهم جميع ما فتحه السلطان صلاح الدين يوسف . ورحل من العوجاء ، ونزل تل المعجول فقام أياما . ولم يستطع عبور مصر ، فعاد إلى دمشق .

(١) يطلق هذا الاسم على جهة من غرطة دمشق ، وبها عدة قرى ، اسم إحداها بيت الآبار أيضا . (باقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٧٧٥) .



وذلك أن الملك الصالح نجم الدين ، لما بلغه حركة الصالح إسماعيل من دمشق ومعه الفرنج ، جرد العساكر إلى لقائه ، فالتقاهم . وعند ما تقابل العسكران ساقطت عساكر الشام إلى عساكر مصر طائفة ، ومالوا جميعاً على الفرنج . فهزموهم وأمروا منهم خلقاً لا يحصون . وبهؤلاء الأسرى عمر السلطان الملك الصالح نجم الدين قعدة الروضة ، والمدارس الصالحية بالقاهرة .

وفيها تم الصلح مع الفرنج ، وأطلق الملك الصالح الأسرى بمصر من الكنود والفرسان والرجالة . وفي ذى القعدة كانت وقعة بين أمراء الملك الصالح أيوب المقيمين بغزة ، وبين الجواد والناصر ، وكبير أصحاب الملك الصالح ، وكبير كل الدين بن الشيخ . وفيها استقر الصلح بين الملك الصالح والناصر ، ورحل [ الناصر ]<sup>(٢)</sup> عن غزوة بعد قبضه على الجواد . وفي ذى القعدة وصل الجواد إلى العباسية ، ومعه [ الصالح ]<sup>(٣)</sup> ابن صاحب حمص ، فأنعم عليهما الملك الصالح نجم الدين أيوب ، ولم يمكنهما من دخول القاهرة . فعاد [ الجواد ]<sup>(٤)</sup> ، ولجأ إلى الناصر ، فقبض عليه .

وفيها عزل القاضي عبد المهيم عن حسيبة القاهرة ، في تاسع المحرم ، واستقر فيها القاضي شرف الدين محمد بن الفقيه عباس ، خطيب القلعة . وفي رابع عشره شرع السلطان الملك الصالح نجم الدين في بناء القنطرة التي على الخليج الكبير ، المجاور لبستان الخشاب ، التي تعرف اليوم بقنطرة السد ، خارج مدينة مصر .

(١) انظر حاشية ٦ .

(٢) ، (٣) في س "كسروا" . راجع (Blochet : Op. cit. p. 472) .

(٤) انظر ص ٣٠٣ ، سطر ٢ .

(٥) أضيف ما بين القوسين بعد مراجعة ابن واصل (نفس المربع ، ص ١٣٤١ ب) .

(٦) هذا الذي نقس عليه ، وان من حاشية ١ . وادد بالمتن تصحيفاً في س ، وأيس بالمتن إشارة إلى مكانه السابق ، وقد أدرجت هذا في ترتيب ورودها في ب (ص ١٩٦) . وهذا يوجد في أبي الفداء (المختصر في أخبار البشر ، ص ١٢٠ ، في Hist. Or. I) أنه لما أيس ملك الجواد من السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب ، سار من القاهرة إلى حمص . وأمد مع الفرنج . فأرسل الملك الصالح إسماعيل إلى حمص ، وبذل للفرنج مالا حتى سلموه الجواد ، فأغلقه ثم خفيه . انظر مايل ص ٣١٠ سطر ٩ .



وفي سادس عشره أمر [السلطان الملك الصالح أيوب] بتجهيز زردخاناه<sup>(١)</sup> (٧٩ ب) وشواني<sup>(٢)</sup> وحراريق<sup>(٣)</sup> إلى بحر القلزم لقصد اليمن، وجرّد جماعة من الأمراء والأجناد بسبب ذلك .

وفي خامس عشره نزل خمس نفر في الليل من الطاقات الزجاج إلى المشهد النفيسى ، وأخذوا من فوق القبر ستة عشر قنديلا من فضة ، فقبض عليهم من الفيوم ، وأحضروا في رابع صفر . فاعترف أحدهم بأنه هو الذى نزل من طاقات القبة الزجاج وأخذ القناديل ، وبرأقية أصحابه ، فشنى تجاه المشهد في عاشره ، وترك مدة متطاولة على الخشب ، حتى صار عظاما . وفي سابع عشرى ربيع الأول ولّى الملك الصالح الأمير بدر الدين باخل الإسكندرية ، نقله إليها من ولاية مصر .

وفي شهر ربيع الآخر رتب السلطان نوابا عنه بدار العدل ، يجلسون لإزالة المظالم . فجلس لذلك افتخار الدين ياقوت الجمالى ، وشاهدان عدلان ، وجماعة من الفقهاء : منهم الشريف

(١) الزردخاناه دار السلاح ، وهى كلمة فارسية مركبة ، وقد أطلقها المقرئى على السلاح قسه . ومن معاني الزردخاناه أيضا ، السجن المخصص للجرمين من الأمراء وأصحاب الرتب . (Dozy : Supp. Dict. Ar.) .  
(٢) جمع شينى — أوشينة — وهى نوع من السفن الحربية فى مصر ، يقال لها فى اللغة الفرنسية (Dozy : Supp. Dict. Ar.) فقط "galère" ويظهر أن الشوانى كانت أكبر السفن الحربية فى مصر ، وأكثرها استعمالا .  
راجع المقرئى (المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ١٩٤ ، ١٩٥) .

(٣) جمع حراقة ، وهى نوع من السفن الحربية ، كانت تستخدم لحمل الأسلحة النارية ، كالنار الأخرقية ، وكان بها مرام تلقى منها النيران على العدو . (محيط المحيط) . وكان فى مصر نوع آخر من الحراقات ، استخدم فى النيل لحمل الأمراء ورجال الدولة فى الاستعراضات البحرية ، والحفلات الرسمية . وفى المقرئى (المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ١٩٤ ، ١٩٥) ما يدل على أن معظم الحرازيق كانت لتلك الأغراض المحلية : من ذلك أنه لما شرع السلطان الظاهر بيبرس فى إحياء البحرية المصرية ، بعد إهمالها فى عهد سلفه من المماليك ، "استدعى برجل الأسطول ، وكان الأمراء قد استعملوهم فى الحرازيق وغيرها ... واستدعى بشوانى الثغور إلى مصر ، فبلغت زيادة على أربعين قطعة ، سوى الحرازيق والطرائد ، فانها كانت عدة كثيرة ، وذلك فى شوال سنة تسع وستين وستائة ...".  
وفى المقرئى أيضا (نفس المرجع والجزء ، ص ١٩٥) أنه فى سنة ٥٧٠٢ هـ ، أمد السلطان الناصر محمد بن قلاوون حملة بحرية لتزوير جزيرة أرواد (رودس) ، وجهزت الشوانى بالعدد والسلاح والنفطية والأزودة ، "وزينت الشوانى أحسن زينة ، فخرج معظم الناس لرؤيتها ... وعلى الأمراء فى الحرازيق إلى الروضة" . انظر أيضا ابن إياس (بدائع الزهور ، ج ٤ ، ص ١٥٢) ؛ وكذلك (Quatremère : Maml. I. 1. p. 143, N. 17) .



شمس الدين الأرموي، تقيب الأشراف وقاضي العسكر ومدرس المدرسة الناصرية بمصر، والقاضي  
 نجر الدين بن السكري،<sup>(١)</sup> والفتية عز الدين عباس . فخرج الناس لدار العدل من كل جانب،  
 ورفعوا ظلاماتهم، فكشفت . واستراح السلطان من وقوف الناس إليه، واستمر هذا بمصر.  
 وفي ذي الحجة سار القاضي بدر الدين [أبو المحاسن يوسف]<sup>(٢)</sup> السنجاري على الساحل إلى مصر،  
 فلما قدم على السلطان أكرمه غاية الإكرام . وكان قضاء ديار مصر بيد القاضي شرف الدين  
 ابن عين الدولة الإسكندري، فصرفه السلطان عن قضاء مصر والوجه القبلي، وفوض ذلك  
 للقاضي بدر الدين السنجاري، وأبقى مع ابن عين الدولة قضاء القاهرة والوجه البحري .  
 وفيها ظهر ببلاد الروم رجل ادعى النبوة، يقال له البابا من التركان . وصار له أتباع،  
 وحمل أتباعه على أن يقولوا: "لا إله إلا الله، البابا رسول الله" . فخرج إليه جيش صاحب  
 الروم، فقاتلهم، وقتل بينه وبينهم أربعة آلاف نفس، ثم قتل البابا، فانحل أمره .  
 وفيها وصل رسول التار من ملكهم خاقان<sup>(٣)</sup> إلى [الملك المظفر شهاب الدين غازي بن  
 (٥)]

(١) كذا في س، وبغير ضبط؛ وقد ترجم (Blochet: Op. cit. p. 473) هذا الاسم إلى (Ibn as-Sakri).

(٢) انظر ما يلي ص ٣٠٩، سطر ٣ .

(٣) اسم هذا المنشي التركي، كما ورد في (Enc. Isl. Art. Kaikhusraw I) بابا، بحاق، وكان يدعو  
 إلى الزهد والتقشف، ويقترح في السلطان غياث الدين كبهسرو وحاشيته، لانتقامهم في القوف . وقد انتشر مذهبه  
 في أنحاء بلاد السلاجقة الروم، وتطلبت ماضته مجيودا حربيا طويلا، حتى بعد مقتل صاحبه . هذا ويرى  
 (Blochet: Op. cit. p. 474, N. 3)، أن البابا، بحاق كان من بقايا أتباع القرامطة والخطاطيين .

(٤) هذا اللفظ هو الصورة العربية لقب التركي قاقان (Kaghan)، الذي كان يطلق على رؤساء الترك  
 في القرون السبع الميلادية، ومعناه رئيس الرؤساء . وقد استعمل أولئك الترك المقدمون لقب قان — أو خان —  
 أيضا بمعنى قاقان، وربما كان اختصارا له . وابتدأ هذا الاستعمال شائعاً بين الترك حتى أيام منوك المغول، فصارت  
 كلمة قاقان — أو قان — تطلق على ملك المغول الأعظم، وقصر لفظ خان على المنوك الذين يتولون جزءاً من  
 الإمبراطورية المغولية . ومثل ذلك التمييز موجود في الاستعمال الاصطلاحي للكلمتي -الخان وملك-؛ فالسلطان هو الملك  
 الأعظم، كالسلطان صلاح الدين الأيوبي؛ والملك هو أحد ولادة السلطان من أبناء بيته، كملك الموصل حينما كان  
 صاحب دمشق، من قبل أخيه صلاح الدين . ومثل ذلك عند الخرس، وإن لقب شاهنشاه مختص بملك الملوك عندهم،  
 فميرالاه عن لقب شاه فقط، وهو الملك الصغير . انظر (Enc. Isl. Arts, Khākān, Khān) . هذا والراجع أن  
 الخاقان المقصود هنا هو أوغطاي بن جنك خان . (Lane-Poole: Muh. Dyns. p. 215) . (٥) انظر  
 أبا الفداء (المختصر في أخبار البشر، ص ١٢١، في Rec. Hist. Or. I)، وأيضاً ص ١٩١، سطر ١٨ .



العادل، صاحب [ميفارقين، ومعه كتاب إليه، وإلى ملوك الإسلام، عنوانه: "من نائب رب السماء، ماسح وجه الأرض، ملك الشرق والغرب، قاقان". فقال الرسول لشهاب الدين صاحب ميفارقين: "قد جعلك قاقان سلاح داره، وأمرك أن تخرب أسوار بلدك". فقال له [شهاب الدين]: "أنا من جملة الملوك (١٨٠)، وبلادى حقيرة بالنسبة إلى الروم والشام ومصر، فتوجه إليهم، وما فعلوه فعلته".

وفي يوم الجمعة حادى عشر ذى القعدة رسم الصالح إسماعيل أن يُخطب على منبر دمشق للسلطان غياث الدين كيخسرو بن كيخباد بن كيخسرو، ملك الروم. فخطب له، ونثر على ذلك الدنانير والدراهم، وكان يوما مشهودا. وحضر رسل الروم وأعيان الدولة، وخطب بذلك في جوامع البلد، وأنعم على الرسول وخلع عليه.

+++

سنة تسع وثلاثين وستمائة. فيها شرع الملك الصالح في عمارة المدارس الصالحية بين القصرين. وفيها غلت الأسعار بمصر، وأبيع القمح كل أردب بدينارين ونصف. وقدم جمال الدين بن مطروح من طرابلس — في البحر — إلى القاهرة. وكثرت قصاد المظفر صاحب حماة إلى مصر.

وفي يوم الأحد تاسع عشر ربيع الأول كشف جميع جرم الشمس، وأظلم الخوف، وظهرت الكواكب، وشعل الناس السرج بالنهار.

وفيها قدم الشيخ عز الدين بن عبد السلام إلى مصر، وقد أخرج الصالح إسماعيل من دمشق. فأكرمه الملك الصالح نجم الدين، وولاه خطابة جامع عمرو بن العاص بمصر، وقلده قضاء مصر والوجه القبلى — يوم عرفة، عوضا عن قاضى القضاة شرف الدين بن عين الدولة، بعد ما كتب السلطان بخطه إلى ابن عين الدولة، في يوم الجمعة ثامن ربيع الآخر [مانعه:]

(١) في م "كتباذ".

(٢) ليس في مخطوطة مفرج الكروب لابن واصل المستعملة هنا، ذكر لهذه السنة أو التي تليها، حتى سنة ٦٤٤ هـ.



”إن القاهرة لمسا كانت دار الملكة، وأمراء الدولة وأجنادها مقيمون بها، وحاكمها مختص بحضور دار العدل، تقدمنا أن يتوفر القاضي على القاهرة وعمالها لا غير“ . وفوض السلطان قضاء القضاة بمصر وعملها — وهو الوجه القبلي — لبدر الدين أبي المحاسن يوسف السنجاري، المعروف بقاضي منجار . فلما مات ابن عين الدولة استقر البدر السنجاري في قضاء القاهرة، وفوض قضاء مصر والوجه القبلي لابن عبد السلام .

وفيها كثر تردد الناس إلى نحر الدين يوسف بن شيخ الشيوخ، بعد ما أطلقه السلطان من السجن . فكره السلطان ذلك، وأمره أن يلازم داره .

وفيها بلغ السلطان أن الناصر داود صاحب الكرك، قد وافق الصالح إسماعيل صاحب دمشق، والمنصور إبراهيم صاحب حمص، وأهل حلب، على محاربتة . فسير [السلطان] كمال الدين بن شيخ الشيوخ على عسكر [إلى الشام]، فخرج إليه الناصر وقتله ببلاد القدس، وأسره في عدة من أصحابه، ثم أطلقهم، وعادوا إلى القاهرة . وكان من خبر ذلك أنه في يوم الأربعاء ثاني عشر صفر، وقع عسكر الناصر داود على الأمير عز الدين أبيك صاحب صرخدا، وقد نزل على الفوار، فكسره وأخذ الانتقال . وكان معه الأمير شمس الدين شرف — المعروف بالسبع مجانيين<sup>(١)</sup>، وشمس الدين أبو العلاء الكرداني<sup>(٢)</sup>، وشرف الدين بن الصارم صاحب تبين . وكان مقدم عسكر الناصر سيف الدين بن قلعج، وجماعة من الأيوبية من عسكر مصر .

وفيها سار الخوارزمية إلى الموصل، فسالمهم [صاحبها بدر الدين] لؤلؤ، وسلمهم نصيبين، ووافقهم المظفر [شهاب الدين] غازي بن العادل، صاحب ميافارقين . ثم ساروا إلى آمد، فخرج إليهم عسكر حلب، عليه (٨٠ ب) المعظم نحر الدين توران شاه بن صلاح الدين، فدفعوهم عنها،

(١) في س ”ان“ .

(٢) في ب (١٩٧) ”شمس الدين شروء المعروف بالسبع محاسن“ .

(٣) كذا في س، وهو في ب (١٩٧) ”الكرداني“، ومترجم في (Blochet : Op. cit. p. 477) إلى

(Kirdiani). (٤) في س ”تورنشا“ .



ونهبوا بلاد ميفارقين، ووجرت بينهم وبين الخوارزمية وقائع . ثم عاد العسكر إلى حلب، فغار<sup>(١)</sup> الخوارزمية على رساتيق<sup>(٢)</sup> الموصل .

وفيها فليج المظفر صاحب حماة في شعبان، وهو جالس بغتة، فأقام أياما ملقى لا يتحرك ولا يتكلم، ثم أفاق، وبطل شقه الأيمن . فسير إليه الملك الصالح [نجم الدين أيوب] من مصر بطبيب يعرف بالنفيس بن طليب النصراني، فلم ينفع فيه دواء، واستمر كذلك سنين وشهورا حتى مات .

وفي خامس عشر ذي القعدة قدم الأمير ركن الدين الطونبا الهيجاوى، من القاهرة إلى دمشق، وكان الملك الصالح نجم الدين قد بعثه في شهر رمضان إلى الناصر داود، ليصلح بينه وبين الملك الجواد، حتى يبقى على طاعة الملك الصالح نجم الدين<sup>(٣)</sup> . فلما وصل إلى غزوة هرب إلى دمشق، وأخذ معه جماعة من العسكر، ولحق الجواد بالفرنج، وأقام عندهم .

وفيها وصل الملك المنصور [نور الدين عمر بن علي رسول] من اليمن في عسكر كبير إلى مكة، في شهر رمضان، ففر المصريون بعد ما أحرقوا دار الإمارة بمكة، حتى تلف ما كان بها من سلاح وغيره .

\*\*\*

سنة أربعين وثمانئة . في ربيع الأول أبطلت خطبة ملك الروم من دمشق، وخطب للملك الصالح نجم الدين [أيوب] . وفي يوم الجمعة رابع جمادى الأولى دخل الفرنج

(١) في س "غار" .

(٢) جمع رستاق، وهو لفظ فارسي، معناه القرية أو محلة العسكر، أو البلد التجاري، ومنه الكلمة العربية الرزداق، وجمعها الرزداقات والزاديق . (محيط المحيط؛ و Steingass. Pers.—Eng. Diet.) .

(٣) كذا في س، بغير ضبط . وفي (Blochet : Op. cit. p. 478. N. 4) أن إيراد هذا الاسم هكذا خطأ، وأنه يجب أن يكتب الطون بنا، (Altoun bogha) . انظر ص ١٧٥، سطر ٦، وحاشية ٢ بنفس الصفحة .

(٤)، (٥) العبارة الواردة بين الرقعين ليست واضحة تماما، وقد لاحظ (Blochet : Op. cit. p. 478. N. 5) نفس الملاحظة .

(٦) أضيف ما بين القوسين بعد مراجعة الخزرجي (المقود التوثيقية، ج ١، ص ٤٤) .



من عكا الى نابلس، ونهبوا وقتلوا وأمسروا، وأخذوا منبر الخطيب، وخرجوا يوم الأحد بعد ما أفسدوا أموالا كثيرة. وفي يوم السبت ثامن عشر المحرم وصل الى القاهرة الشريف علاء الدين هاشم بن أمير سيد، من الديوان<sup>(١)</sup>. وفي عاشر ربيع الآخريات الشريف علاء الدين هاشم بن أمير سيد.

- وفيها وصل التار الى أرزن الروم، وأوقع [الملك] المظفر غازي، [صاحب ميافارقين]<sup>(٢)</sup>، بالخوازمية. وفيها ماتت ضيفة خاتون ابنة العادل أبي بكر بن أيوب، ليلة الجمعة لإحدى عشرة خلت من جمادى الأولى. فاستبد ابنها الناصر يوسف بن الظاهر غازي بمملكة حلب بعدها، وقام بتديرة بعد جدته الأمير شمس الدين لؤلؤ الأتابك، والأمير جمال الدين إقبال [الأسود الحصى]<sup>(٣)</sup> الخاتوني، والوزير الأكرم جمال الدين بن القفطي. وخرج إقبال من حلب بعسكر، وحارب الخوارزمية، ثم عاد.

١٠

وفيها مات الخليفة المستنصر بالله أبو جعفر المنصور بن الظاهر بأمر الله أبي نصر محمد ابن الناصر لدين الله أحمد العباسي أمير المؤمنين، بكرة يوم الجمعة لعشر خلون من جمادى الآخرة، وكان سبب موته أنه فصد بمبضع مسموم. فكانت خلافته سبع عشرة سنة غير شهر، وقيل مات في ثاني عشره. وكانت مدته خمس عشرة سنة، وأحد عشر شهرا وخمسة أيام، وله

(١) بغير ضبط في س، وهي سكة بمر. (بأقوت: معجم البلدان، ج ٢، ص ٧١٥).

(٢) أضيف ما بين القوسين من أبي الفداء (المختصر في أخبار البشر، ص ١٢١، في Rec. Hist. Or. I). وبلاحظ أنه يوجد خلاف جوهرى بين ما هو وارد هنا، في الخوارزمية والمظفر غازي، وبين ما جاء عنهما في أبي الفداء (نفس المرجع والصفحة)، ونصه: "وفي هذه السنة كان بين الخوارزمية ومعهم الملك المظفر غازي صاحب ميافارقين، وبين عسكر حلب ومعهم المنصور إبراهيم صاحب حمص، مصاف قريب الحابور.. فولى المظفر غازي والخوارزمية منهزمين أقبح هزيمة... ونهبت ممتلكات الخوارزمية ونسأزم... ووصل عسكر حلب وصاحب حمص الى حلب... مؤيد بن منصورين...".

(٣) يوجد هـ أيضا فرق جوهرى بين رواية الخريزى، وما بقى منها في أبي الفداء (المختصر في أخبار البشر، ص ١٢١، في Rec. Hist. Or. I)، فهناك أن الملك العزيز، وليس الظاهر غازي، هو أبو الملك الناصر يوسف.

(٤) أضيف ما بين القوسين من أبي الفداء (نفس المرجع والصفحة).



من العمر إحدى وخمسون سنة، وأربعة أشهر وسبعة أيام . وكان حازما عادلا . وفي أيامه  
عمرت بغداد عمارة عظيمة، وبنى بها المدرسة المستنصرية . وفي أيامه قصد التتار بغداد،  
فاستخدم العساكر حتى قيل إنها زادت عدتها على مائة ألف إنسان . فقام من بعده في الخلافة  
ابنه المستعصم بالله أبو أحمد عبد الله، وقام بأمره أهل الدولة، وحسنوا له جمع الأموال .  
واسقاط أكثر الأجناد . فقطع كثيرا من العساكر، وسلم التتار، وحمل إليهم المال .

وفيهما بنى بعض غلمان الصاحب معين الدين بن شيخ الشيوخ . وزير الملك الصالح  
[نجم الدين أيوب]، بناءً بأمر مخدومه على سطح مسجد بمصر، وجعل فيه طبلخاناه عماد الدين  
[ابن شيخ الشيوخ] . فأنكر ذلك قاضي القضاة عز الدين بن عبد السلام، ومضى بنفسه  
وأولاده، حتى هدم البناء، ونقل ما على السطح . ثم أشهد [قاضي القضاة] على نفسه (١٨١)  
أنه قد استقط شهادة الوزير معين الدين، وأنه قد عزل نفسه من القضاء . فلما فعل ذلك  
ولى الملك الصالح عوضه قضاء مصر صدر الدين أبا منصور موهوب بن عمر بن موهوب  
ابن إبراهيم الجزري، الفقيه الشافعي — وكان ينوب عن ابن عبد السلام في الحكم، في ثالث  
عشر ذي القعدة .

وفيهما قدم مكة الحاج من بغداد، بعد ما انقطع ركب العراق سبع سنين عن مكة . وكان  
من خبر مكة، شرفها الله تعالى، أن السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب بعث ألف فارس  
عليهم الشريف شيبعة بن قاسم أمير المدينة . في سنة سبع وثلاثين . فبعث الملك المنصور  
نور الدين عمر بن علي بن رسول من اليمن بأبن النصيري، و[معه] الشريف راجح، إلى مكة  
في عسكر كبير . ففر الشريف شيبعة بمن معه، وقدم القاهرة . بخهز السلطان الملك الصالح  
معه عسكرا قدم بهم مكة، في سنة ثمان وثلاثين، وحجوا بالناس . فبعث ابن رسول من اليمن  
عسكرا كبيرا، فطلب عسكر مصر من السلطان الملك الصالح نجدة، فبعث إليهم بالأمير  
(١) في م "تحيين" .

(٢) مايل هذا إلى آخر الوارد تحت هذه السنة، مكتوب على ورقة منفصلة في م، بين صفحتي ٨٠ ب، ٨١،  
وليس من إشارة إلى الموضع الذي أراد المقرئ وصله به، وليست العبارة مذكورة في ب (١٩٨) البتة .



مبارز الدين على بن الحسين بن برطاس، والأمير مجد الدين أحمد بن التركماني، في مائة وخمسين فارساً. فلما بلغ ذلك عسكر اليمين أقاموا على السرين، وكتبوا إلى ابن رسول بذلك، فخرج بنفسه في جمع كبير يريد مكة، ففر المصريون على وجوههم، وأحرقوا ما في دار السلطان بمكة من سلاح وغيره. فقدم الملك المصطفى نور الدين عمر بن علي بن رسول مكة، وصام بها شهر رمضان، سنة تسع وثلاثين، واستناب بمكة مملوكه نحر الدين السلاج.

\*\*\*

سنة إحدى وأربعين وستمائة. فيها قدم القتر بلاد الروم، وأوقفوا بالسلطان غياث الدين كيخسرو بن كيقباد بن كيخسرو بن قلج أرسلان، وهزموه وملكوا بلاد الروم وخلاط وآمد. فدخل غياث الدين في طاعتهم، على مال يحمله إليهم. وملكوا أيضاً سيواس وقيسارية بالسيف، وقرروا على صاحبهما في كل سنة أربعمائة ألف دينار. ففر غياث الدين منهم إلى القسطنطينية، وقام من بعده ركن الدين ابنه — وهو صغير — إلى أن قُتل.

- (١) كذا في ص، وبغير ضبط. واسمه في الخزرجي (العقود الوثيقة، ج ١، ص ٦٩، ٧٧) نحر الدين السلاج.
- (٢) بغير ضبط في ص، وسيواس بلد بأسيا الصغرى، يمر بوادها نهر قرل إرمك، وهي واقعة على مسافة متين بلا من قيسارية، وعلى مسيرة يومين من توقات. (ياقوت: معجم البلدان، ج ١، ص ٨٩٥؛ ج ٢، ص ٨٦٥؛ ج ٥، ص ٢٢؛ وأيضاً: Blochet: Op. Cit. p. 483, N. 1.)
- (٣) بغير ضبط في ص، وقيسارية — أو قيسرية — اسم أطلقه الرومان على كثير من بلاد إمبراطوريتهم بالشرق، وبشمال إفريقيا وإسبانيا أيضاً. ومن هذه قيسرية فلسطين، الواقعة على الشاطئ، على مسافة أربعة وعشرين ميلاً جنوب حيفا. ومنها قيسرية الروم، وهي المقصودة هنا بالمتن، وتقع على نهر قاراصو، إحدى فروع نهر قرل إرمك. (ياقوت: معجم البلدان، ج ٤، ص ٢١٤؛ وأيضاً: Enc. Isl. Art. Kaisariya.)
- (٤) في ص "صاحبها". والمعروف أن سيواس وقيسارية، ومطية أيضاً، كانت قد آلت ثلاثتها منذ سنة ٥٦٩ هـ (١١٧٤ م) إلى ملوك السلاجقة الروم، بعد وفاة صاحبها ذي النون بن داتماند. راجع: (Lane-Poole: Muh. Dyns. p. 156 : Enc. Isl. Arts. Kaisariya & Danishmandiya.)
- (٥) يوجد خلاف جوهري بين الوارد هنا، عن غياث الدين كيخسرو، وبين ما يخالفه في أبي الفداء (المختصر في أخبار البشر، ص ١٢١ - ١٢٢، في Rec. Hist. Or. I.) ونصه: "... وهرب غياث الدين كيخسرو إلى بعض المعقل. ثم أرسل إلى القتر، وطلب الأمان، ودخل في طاعتهم، ثم توفي ... سنة ٦٥٤ ... وخلف [ولدين] =



وفيها تكررت المراسلة بين الصالح نجم الدين أيوب، وبين عمه الصالح إسماعيل صاحب دمشق، وبين المنصور صاحب حمص : على أن تكون دمشق وأعمالها للصالح إسماعيل، ومصر للصالح أيوب، وكل من صاحب حمص وحماة وحلب على ما هو عليه؛ وأن تكون الخطبة والسكة في جميع هذه البلاد للملك الصالح نجم الدين أيوب، وأن يطلق الصالح إسماعيل الملك المغيث فتح الدين عمر بن الملك الصالح نجم الدين من الاعتقال، و[أن] يخرج الأمير حسام الدين أبو علي بن محمد بن أبي علي بن إياك الهذباني، المعروف بابن أبي علي، من اعتقاله ببعليك، وأن ينتزع الصالح إسماعيل الكرك من الملك الناصر داود .

فلما تقرر هذا خرج من القاهرة الخطيب أصيل الدين الإسعري<sup>(٢)</sup> - إمام السلطان - في جماعة، وسار إلى دمشق . فخطب للسلطان [ملك الصالح نجم الدين أيوب] بجامع دمشق وبحمص : وأفرج عن المغيث ابن السلطان، وأركب ثم أعيد إلى القلعة، حتى يتم بينهما الحلف؛ وأفرج عن الأمير حسام الدين، وكان قد ضيق عليه وجعل في جب مظلم . فلما وصل [حسام الدين] إلى دمشق خلع عليه الصالح إسماعيل؛ وسار إلى مصر، ومعه رسول الصالح إسماعيل، ورسول صاحب حمص - وهو القاضي عماد الدين بن القطب قاضي حماة، ورسول صاحب حلب . فقدموا على الملك الصالح نجم الدين، ولم يقع اتفاق . وعادت الفتنة بين الملوك .

فاتفق الناصر داود صاحب الكرك، مع الصالح إسماعيل صاحب دمشق، على محاربة الملك الصالح نجم الدين . وعاد رسول حلب، وتناحر ابن القطب بالقاهرة . فبعث الناصر داود

صغيرين، وهما ركن الدين وعز الدين . ثم هرب عز الدين إلى قسطنطينية، وبقي ركن الدين في الملك تحت حكم التتر، والحاكم البرواتاء معين الدين سليمان . والبرواتاء لقبه، (١٢٢) وهو اسم الحاجب بالمعنى . ثم إن البرواتاء قتل ركن الدين، وأقام في الملك ولدا له صغيرا ... " . هذا وفي (Enc. Isl. Art. Kaikhusraw II.) أن غياث الدين حاول الحرب فعلا إلى بلاد الإغريق، وسيأتي كل ذلك مفصلا بالمتن هنا .

(١) في مس "ما شاك"، انظر (Blochet : Op. cit, p. 484) .

(٢) بغير ضبط في س، والإسعري نسبة إلى إسعرد، وهي بلدة بين دجلة ومبى فارقين . انظر

(Rec. Hist. Or. I. Index.)



والصالح إسماعيل ، ووافقا الفرنج على أنهم يكونون<sup>(١)</sup> عوناً لهم على الملك الصالح نجم الدين ، ووعداهم أن يسلموا إليهم القدس . وسلماهم (٨١ ب) طبرية وعسقلان [أيضاً] ، فعمّر الفرنج قلعتيهما وحصونهما ، وتمكن الفرنج من الصخرة بالقدس ، وجلسوا فوقها بالخمير ، وعلقوا<sup>(٢)</sup> الجرس على المسجد الأقصى .

- ٥ . فبرز الملك الصالح [ نجم الدين أيوب ] من القاهرة ، ونزل بركة الحب وأقام عليها . وكتب إلى الخوارزمية يستدعيهم إلى ديار مصر ، لمحاربة أهل الشام ؛ فخرجوا من بلاد الشرق .

- وفي يوم عيد النحر صرف الملك الصالح نجم الدين قاضي القضاة صدر الدين موهوب<sup>(٣)</sup> الجزرى ، وقلد الأفضل الخوننجي<sup>(٤)</sup> قضاء مصر والوجه القبلى . وفيها هرب الصارم ... المسعودى من قلعة الجبل ، وقد صيغ نفسه حتى صار أسود ، على صورة عبد كان يدخل إليه بالطعام ، فأخذ من بليس ، وأعيد إلى معتقله . وفيها أنشأ شهاب الدين ربحان — خادم الخليفة — رباط الشرابى بمكة ، وعمربعرفة أيضاً .

+ + +

- سنة اثنتين وأربعين وستمائة . فيها ورد إلى دمشق كتاب بدر الدين لؤلؤ ، صاحب الموصل ، [ وفيه يقول ] : ” إني قد قزرت على أهل الشام قطيعة للتر في كل سنة ، من الغنى عشرة دراهم ، ومن المتوسط خمسة دراهم ، ومن الفقير درهم “ . فقرأ القاضي محيى الدين بن زكى الدين الكتاب على الناس ، ووقع الشروع في جباية المال .

(١) فى س ” يكونوا “ .

(٢) شاهد جمال الدين بن واصل ، صاحب كتاب مفرج الكرب ، ما أحدثه الفرنج ببيت المقدس . انظر (العينى :

عقد الجمان ، ص ١٩٧ ، فى 1. Rec. Hist. Or. II. ) .

(٣) فى س ” الخوننجى “ ، وبغير ضبط ، والنسبة الى خونج — أو خونا ، وهى بلدة من أعمال آذربيجان ، بين مراغة وزنجان ، فى طريق الرى ، سميت فى زمن ياقوت (معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٤٩٩ — ٥٠٠) كاغداكان ،

أى بلد صناع الكاغد .

(٤) يباخر فى س .



وفيها قطع الخوارزمية الفرات، ومقدموهم الأمير حسام الدين بركة خان،<sup>(١)</sup> وخان بردى، وصاروخان، وكشلوخان، وهم زيادة على عشرة آلاف مقاتل. فسارت [منهم] فرقة على بقاع بعلبك، وفرقة على غوطة دمشق، وهم ينهبون ويقتلون ويسبون. فأنجفل الناس من بين أيديهم، وتحصن الصالح إسماعيل بدمشق، وضم عساكره إليه، بعد ما كانت قد وصلت غزوة. وهجم الخوارزمية [على] القدس، وبذلوا السيف في من كان به من النصارى، حتى أفنوا الرجال، وسبوا النساء والأولاد، وهدموا المباني التي في قامة، ونهبوا قبور النصارى، وأحرقوا رممهم. وساروا إلى غزوة فزلوها، وسيروا إلى الملك الصالح نجم الدين أيوب — في صفر — يخبرونه بقدمهم<sup>(٢)</sup>. فمرهم بالإقامة في غزوة، ووعدهم ببلاد الشام، بعد ما خلع على رسلهم، وسير إليهم الخلع والخليل والأموال. وتوجه في الرسالة إليهم جمال الدين أقوش النجيب<sup>(٣)</sup>، وجمال الدين بن مطروح.

وجهاز [الملك الصالح نجم الدين أيوب] عسكرا من القاهرة عليه الأمير ركن الدين بيبرس، أحد مماليكه الأخصاء الذين كانوا معه وهو محبوس بالكرك. فسار إلى غزوة، وانضم إلى الخوارزمية جماعة من القيمرية<sup>(٤)</sup>، [كانوا قد] قدموا معهم من الشرق. ثم خرج الأمير حسام الدين أبو علي بن محمد بن أبي علي المذباني بمسكرا، ليقم على نابلس.

(١) روجعت هذه الأسماء على منطوقها في (Blochet : Op. cit. p. 487). راجع أيضا أبا الفداء (المختصر في أخبار البشر، ص ١٢٤، في (Rec. Hist. Or. I.)).

(٢) في ص "بخبروه".

(٣) في ص "النجي"، وقد ضبط هذا اللفظ على منطوقه في (Blochet : Op. Cit. P. 488).

(٤) بغير ضبط في ص، والقيمة نسبة إلى قيس، وهي قلعة في الجبال بين الموصل وخراسان، كان أهلها في زمن ياقوت (معجم البلدان، ج ٤، ص ٢١٨) من الأكراد. انظر أيضا أبا الفداء (المختصر في أخبار البشر، ص ١٣٠، في (Rec. Hist. Or. I.)).

(٥) في ص "بوعلى".



وجهاز الصالح إسماعيل عسكرياً من دمشق، عليه الملك المنصور صاحب حمص . فسار المنصور جريدة إلى عكا، وأخذ الفرنج ليحاربوا معه عساكر مصر، وساروا إلى نحو غزة، وأنتم نجدة الناصر داود صاحب الكرك ( ١٨٢ ) مع الظهير بن سنقر الحلبي والوزيرى .

فالتقى القوم مع الخوارزمية بظاهر غزة ، وقد رفع الفرنج الصليبان على عسكر دمشق، وفوق رأس المنصور صاحب حمص، والأقسة<sup>(١)</sup> تَصَلَّب، وبأيديهم أواني الخمر تسقى الفرسان . وكان في الميمنة الفرنج، وفي الميسرة عسكر الكرك، وفي القلب المنصور صاحب حماة . فساق الخوارزمية وعساكر مصر، ودارت بين الفريقين حرب شديدة . فانكسر الملك المنصور، وفر الوزيرى، وقُبِض على الظهير وجُرح . وأحاط الخوارزمية بالفرنج، ووضعوا فيهم السيف حتى أتوا عليهم قتلاً وأسراً، ولم يفلت منهم إلا من شرد . فكان عدة من أسر منهم ثمانمائة رجل، وقتل منهم ومن أهل الشام زيادة على ثلاثين ألفاً . وحاز الخوارزمية من الأموال ما يحل وصفه، ولحق المنصور بدمشق في نفر يسير .

وقدمت البشارة إلى الملك الصالح نجم الدين بذلك في خامس عشر جمادى الأولى، فأمر بزيينة القاهرة ومصر وظواهرهما، وقطعتى الجبل والروضة . فبالغ الناس في الزينة، وضربت البشائر عدة أيام . وقدمت أسرى الفرنج ورؤوس القتلى، ومعهم الظهير بن سنقر وعدة من الأمراء والأعيان، وقد أُرِكَب الفرنج الجمال، ومن معهم من المقدمين على الخيول . وشقوا القاهرة، فكان دخولهم يوماً مشهوداً . وعلقت الرؤوس على أبواب القاهرة، وملئت الحبوس بالأسرى .

(١) في من "الاقسة" بغير ضبط، والأقسة إحدى صيغ جمع لفظ قس - أوقيس، ويجمع أيضاً على قسان وقساسة، وقسين وقسوس . (محيط المحيط) .

(٢) لم يذكر المقرئى هذا أقصى ما أحدث الخوارزمية في تلك الحرب، وهو حسبما جاء في المعنى (عند الجمال، ص ١٩٨، في Rec. Hist. Or. II. 1) أنهم تعقبوا قتل الفرنج إلى القدس، وهاجمهم به " ... وبذلوا في أهل السيف، وسلبوا دراريهم ونسبهم، ودحوا كبشهم المعروفة بفرقة، وهدموا المقبرة التي يعتقد المصري أنها مقبرة المسيح عليه السلام ... " .



وسار الأمير بيبرس، والأمير ابن أبي علي بعساكرهما إلى عسقلان، ونازلاها فامتنت عليهم لخصاتها. فسار ابن أبي علي إلى نابلس، وأقام بيبرس على عسقلان. واستولت نواب الملك الصالح نجم الدين على غزة والسواحل، والقدس والخليل، وبيت جبريل والأغوار، ولم يبق بيد الناصر داود سوى الكرك والبلقاء، والصلت وعجلون.

فورد الخبر بموت الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهر شاه بن أيوب — صاحب حماة، في يوم السبت ثامن جمادى الأولى، فاشتد حزن الملك الصالح [نجم الدين أيوب] عليه. ثم ورد الخبر بموت ابنه الملك المغيث عمر بقلعة دمشق، فزاد حزنه، وقوى غضبه على عمه الصالح إسماعيل. وقدم إلى القاهرة الخطيب زين الدين أبو البركات عبد الرحمن بن موهوب من حماة، بسيف الملك المظفر، ومعه مقدمة من عند ابن الملك المنصور ناصر الدين محمد، لتسع مضي من شوال.

وخرج صاحب معين الدين الحسن بن شيخ الشيوخ على (٨٢ ب) العساكر من القاهرة، ومعه الدهليز السلطاني والخرائن. وأقامه السلطان مقام نفسه. وأذن له أن يجلس على رأس

(١) في من "أبو". (٢) في من "بو".

(٣) الملك المظفر هذا جد المؤرخ أبي القداء إسماعيل، صاحب كتاب المختصر في أخبار البشر. وقد ترجم له أبو القداء في مؤلفه هذا (ص ١٢٢ — ١٢٣، في Rec. Hist. Or. I.)، وذكر ما حدث في حماة بعده، ونصه: "وفي هذه السنة توفي جدي الملك المظفر تقي الدين محمود... وكانت مدة ملكته بحماة خمس عشرة سنة وسبعة أشهر وعشرة أيام... وكان عمره ثلاثاً وأربعين سنة... وكان شهياً شجاعاً، فطناً ذكياً. وكان يحب أهل الفضائل والعلوم، واستخدم الشيخ علم (١٢٣) الدين فيصر، المعروف بتعاسيف، وكان مهندساً فاضلاً في العلوم الرياضية، فبنى للملك المظفر المذكور أبراجاً بحماة، وطاحونا على النهر العاصي، وعمل كرة من الخشب مدفوعة، رسم فيها جميع الكواكب المرصودة، وعملت هذه الكرة بحماة. قال القاضي جمال الدين بن واصل، وساعدت الشيخ علم الدين على عملها، وكان الملك المظفر يحضر ويحضر رسمها، ويسألنا عن مواضع دقيقة فيها. ولما مات الملك المظفر... ملك بعده ولده الملك المنصور محمد... وعمره حينئذ عشرين وشهر... والقائم بتدبير أملاكه سيف الدين طغرل مملوك الملك المظفر، وشاركه الشيخ شرف الدين عبد العزيز بن محمد المعروف بـ شيخ شيوخ، والقوانين مرشداً، والوزير بهاء الدين بن التاج، ومرجع الجميع إلى والدة المنصور غازية خاتون، بنت الملك الكامل".

(٤) ضمير الهاء هنا عائدة إلى الملك الصالح نجم الدين أيوب.



- السماط، ويركب كما هي عادة الملوك، وأن يقف الطواشي شهاب الدين رشيد أستاذ دار السلطان في خدمته على السباط، ويقف أمير جاندار والحجاب بين يديه، كما دتتهم في خدمة السلطان، وكتب إلى الخوارزمية أن يسيروا في خدمته. فسار [الصاحب معين الدين] من القاهرة بالعساكر إلى غزة، وانضاف إليه الخوارزمية والعسكر. وسار إلى بيسان، فأقام بها مدة، ثم سار إلى دمشق فنزلها، وقد امتنع بها الصالح إسماعيل والمنصور إبراهيم صاحب حمص. وعاشت الخوارزمية في أعمال دمشق، فبعث الصالح إسماعيل إلى ابن شيخ الشيوخ بسجادة وإبريق وعكاز، وقال له: "اشتغلتك بهذا أولى من اشتغلتك بقتال الملوك". فلما وصل ذلك إليه جهز إلى الصالح إسماعيل جنكا وزمرا وغلالة حريرة، وقال: "السجادة والإبريق والعكاز يلبقون بي، وأنت أولى بالجنك والزمير والغلالة". واستمر [الصاحب معين الدين] على محاصرة دمشق. فبعث الخليفة المستنصر مجي الدين بن الجوزي إلى الملك الصالح نجم الدين ومعه خلعة: وهي عمامة سوداء، وفرجية مذهبة، وثوبان ذهب، وسيف بذهب، وطوق ذهب، وعلمان حرير، وحصان وترس ذهب، فلبس [الملك الصالح نجم الدين] الخلعة على العادة. وكانت الأقاويل بمصر قد كثرت لمجيته، وناحر قدومه. فقتل الصلاح... بن

شعبان الإربيل : —

(١) السباط هنا المائدة السلطانية، أو ما يسط على الأرض لوضع الأطعمة وجلس الآكلين. (محيط المحيط؛ و. Dozy: Supp. Diet. Ar.). وفي المقرئ (المواظع والاعتبار، ج ٢، ص ٢١٠ — ٢١١) وصف المائدة السلطانية، زمن الأيوبيين والمماليك، ونصه: "وكانت العادة أن يمد بالقصر، في طرفي النهار من كل يوم، أسمطة جليلة لعامة الأمر، خلا لبرابيين وقبيلهم. وكذا بعد سباط أول لا يأكل منه السلطان؛ ثم ثم بعده يسي الخاص، قد يأكل منه السلطان وقد لا يأكل؛ ثم ثالث بعده، ويسى الطارئ، ومنه ما كوله السلطان. وأما في آخر النهار فيمتد سباطان، الأول والثاني [وهو] المسمى بالخاص... وفي كل هذه الأسمطة، يؤكل ما عليها ويفرق نوالات (كدا)؛ ثم يسبق بعدها الأسمطة المعولة من السكر، والأدوية المهيبة بحدود المائدة... ويبلغ مصروف السباط في كل يوم عيد القطر من كل سنة خمسين ألف درهم، عنها (لله منها) نحو ألقين ونحو مائة دينار تنهب الديار والعامة...".

(٢) في ص "سين".

(٣) ضمير الهاء هنا عائدة على مجي الدين بن الجوزي، ويريد المقرئ بهذه العبارة أن يشير إلى إبطاء الخليفة المستنصر باقته، في الاعتراف بسلطة الملك الصالح نجم الدين أبوب حتى هذه السنة. راجع (Blochet: Op. cit. p. 492).

(٤) بياض في ص.



قالوا الرسول أتي وقالوا إنه ما رام يوما عن دمشق نزوحا  
 ذهب الزمان وما ظفرت بمسلم يروى الحديث عن الرسول صحيحا  
 وفيها قُتل أمير بني مَرِين محمد بن عبد الحق بن محبو بن أبي بكر بن حماسة، في حربه مع  
 عسكر الموحدين<sup>(١)</sup>. وولي بعده أخوه أبو يحيى بن عبد الحق.  
 • و [فيها] ورد كتاب [بدر الدين] لؤلؤ من الموصل بجباية قطيعة التمر من دمشق، فقرأ  
 كتابه القاضي محي الدين بن الزكي على العادة.  
 وفيها استوزر الخليفة استاداره مؤيد الدين محمد بن العاقمي، في ثامن ربيع الأول،  
 عوضا عن نصير الدين أبي الأزهر أحمد بن محمد بن علي بن النافذ. وفيها استولى التتر على  
 شهرزور<sup>(٢)</sup>. وفيها بلغ الأردب القمح بمصر أربع مائة درهم نُقْرة.

+++

سنة ثلاث وأربعين وستمائة. فيها كثرت محاربة ابن شيخ الشيوخ لأهل دمشق  
 ومضايقته للبلد، إلى أن أحرق قصر حجاج<sup>(٣)</sup> في ثاني محرم، ورمى بالمجانيق وألح بالقتال.  
 فأحرق الصالح إسماعيل في ثلثه عدة مواضع، ونُهبت أموال الناس، وجرت شدائد، إلى أن

(١) مؤسس دولة الموحدين بالمغرب هو أبو عبد الله محمد بن تومرت، المتوفى سنة ٥٢٢ هـ (١١٢٨ م). وقد  
 دال المغرب كله، وإسبانيا الإسلامية أيضا، للملك تلك الدولة منذ سنة ٥٥٣ هـ (١١٥٨ م). ثم حدث في سنة ٥٦٢ هـ  
 (١٢٣٥ م) أن أوقعت الدول المسيحية بإسبانيا هزيمة مكرة بجيوش الموحدين، في وقعة (Las Navas).  
 وبهذه الوقعة يحدئ انكماش دولة الموحدين، وتالب أعداؤها من المسلمين والمسيحيين بإسبانيا والمغرب، ومن أولئك  
 أمراء بني مَرِين بمراكش. وانقضت دولة الموحدين سنة ٦٦٧ هـ (١٢٦٥ م)، بعد وفاة آخر ملوكها أبي الملاء الراضي.  
 (Lane-Poole: Muli. Dyns. pp. 45-47; Enc. Isl. Art. Almohades).

(٢) القطيعة هنا ما يفرض من المال على بلد أو إقليم، للاتفاق على الاستعدادات الحربية الدفاعية. (محيط  
 المحيط؛ Dozy: Suppl. Diet. Ar.).

(٣) بغير ضبط في م، وهي كورة واسعة في الجبال الواقعة بين إربل وحمدان، وتبعد عن دبلستان سبعة فرائح.  
 (ياقوت: معجم البلدان، ج ٣، ص ٣٤٠ — ٣٤٢).

(٤) بغير ضبط في م، وهو محلة كبيرة في ظاهر باب الجايبة من مدينة دمشق، وترجع نسبها إلى حجاج ابن  
 الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان. (ياقوت: معجم البلدان، ج ٤، ص ١١٠).



أهل شهر ربيع الأول . فقيه خرج المنصور صاحب حمص من دمشق ، وتحثت مع بركة خان  
مقدم الخوارزمية في الصالح ، وعاد إلى دمشق . فأرسل الوزير أمين الدولة كمال الدين  
أبو الحسن ..... بن غزال المعروف بالسامري إلى الصاحب معين الدين بن شيخ الشيوخ ،  
يسأله الأمان ليجتمع به ، فبعث إليه بقميص وفرجية وعمامة ومنديل ، فلبس ذلك وخرج  
ليلاً ، لأيام مضت من جمادى الأولى ؛ ( ٨٣ ) فتعادنا ورجع إلى دمشق . ثم خرج في ليلة  
أخرى ، وقرّر أن الصالح إسماعيل يسلم دمشق ، على أن يخرج منها هو والمنصور بأموالهم ،  
ولا يعترض لأحد من أصحابهم ولا لشيء مما معهم ؛ وأن يعوض الصالح عن دمشق ببعلبك  
وبصرى وأعمالها ، وجميع بلاد السواد ؛ وأن يكون للمنصور حمص وتدمر والرحبة . فأجاب  
[ أمين الدولة ] إلى ذلك ، وحلف الصاحب معين الدين لهم ؛ فخرج الصالح إسماعيل والمنصور  
من دمشق .

ودخل الصاحب معين الدين في يوم الاثنين ثامن جمادى الأولى ، ومنع الخوارزمية من  
دخول دمشق . ودبر الأمر أحسن تدبير ، وأقطع الخوارزمية الساحل بما شير كتبها لهم ،  
ونزل في البلد . وتسلم الطوائف شهاب الدين رشيد القلعة ، وخطب بها ويجمع دمشق وعامة  
أعمالها للملك الصالح نجم الدين ؛ وسلم أيضاً الأمير سيف الدين علي بن قنق قلعة عجلون لأصحاب  
الملك الصالح ، وقدم إلى دمشق .

فلما وردت الأخبار بذلك على السلطان أنكر على الطوائف شهاب الدين والأمراء كيف  
مكنوا الصالح إسماعيل من بعلبك ، وقال : " إن معين الدين حلف له ، و [ أما ] أنتم فاحلفتم " .  
وأمر [ الملك الصالح نجم الدين ] أن يسير الركن الهيجاوى ، والوزير أمين الدولة السامري ،  
تحت الحوطة إلى قلعة الروضة ؛ فسيراً من دمشق إلى مصر ، واعتقلا بقلعة الجبل . فاتفق  
مرض الصاحب معين الدين ووفاته بدمشق ، في ثاني عشر شهر رمضان ، فكتب السلطان  
إلى الأمير حسام الدين بن أبي علي الهذباني ، وهو بنابلس ، أن يسير إلى دمشق ويتسلمها ؛



فسار إليها وصار ثنيا بدمشق ، والطواشي رشيد بالقاعة . وأفرج السلطان عن الأمير نحر الدين يوسف بن شيخ الشيوخ - وكان قد لزم بيته - وخلع عليه وأمره وقدمه ، وبالغ في الإحسان إليه ، و [ كان ] لم يبق من أولاد شيخ الشيوخ غيره .

وأما الخوارزمية ، فمنهم من ظنوا أن السلطان إذا انتصر على عمه الملك الصالح إسماعيل يقاسمهم البلاد ؛ فلما منعوا من دمشق ، وصاروا في الساحل وغيره من بلاد الشام ، تغيرت نياتهم ، وتفقوا على الخروج عن طاعة السلطان . وصاروا إلى دارياً<sup>(١)</sup> واتهبوها ، وكتبوا الأمير ركن الدين بيسبرس وهو على غزاة بعسكر جيد من عساكر مصر ، وحسنوا له أن يكون معهم بدا واحدة ويزوجوه منهم ، فقال إليهم ، وكتبوا ( ٨٣ ب ) الناصر داود صاحب الكرك ، فوافقهم ونزل إليهم واجتمع بهم وتزوج منهم . وعاد إلى الكرك واستولى على ما كان بيد الأمير حسام الدين بن أبي علي ، من نابلس والقدس والخليل ، وبيت جبريل والأغوار .

وخاف الصالح إسماعيل ، فكتب الخوارزمية وقدم إليهم ، خلفوا له على القيام بنصرته ، ونزلوا دمشق . فقام الأمير حسام الدين بن أبي علي بحفظ البلد أحسن قيام ، وأح الخوارزمية - ومعهم الصالح إسماعيل - في القتال ونهب الأعمال ، وضايقوا دمشق ، وقطعوا عنها الميرة . فشد الغلاء بها ، وبغت الغرارة القمح إلى ألف ومائتا درهم فضة ، ومات كثير من الناس جوعاً ، وباع شخص داراً قيمتها عشرة آلاف درهم ، بألف وخمسة عشر درهم اشترى بها غرارة قمح ، فقامت عليه في الحقيقة بعشرة آلاف درهم ، وأبيع الخبز كل أوقية وربع بدرهم ، واللحم كل رطل بسبعة دراهم . ثم عدت الأقوات بالجملة ، وأكل الناس القنطاط والكلاب والميتات ، ومات شخص بالسجن ، فأكله أهل السجن . وهلك عالم عظيم من الجوع والوباء ، واستمر هذا البلاء ثلاثة أشهر . وصار من يمر من الجبل ينتم ريح تن الموت . أعجز الناس عن مواراة موتهم ، ولم تنقطع مع هذا الخور والنسوق من بين الناس .

(١) بفسر ضبط في س ، وهي قرية كبيرة بالغوطة من قرى دمشق ، والنسبة إليها داراني ، على غير قياس . (بافوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٥٣٦) .



- و [أخذ] الملك الصالح نجم الدين مع ذلك في أعمال الخيل والتدبير ، وما زال بالمنصور إبراهيم صاحب حمص حتى مال إليه ، وانفق [أيضا] مع الحلبيين على محاربة الخوارزمية .
- نخرج الملك الصالح نجم الدين من القاهرة بعساكر مصر ، ونزل العباسية ، فوافاه بها رسل الخليفة ، وهما الملك ...<sup>(١)</sup> ابن وجه السبع ، وجمال الدين عبد الرحمن بن محيي الدين [أبي محمد يوسف]<sup>(٢)</sup> ابن الجوزي في آخر شوال ، ومعهما التقليد والتشريف الأسود : وهو عمامة سوداء ، وجبة وطوق ذهب ، وفرس بمركوب بحلية ذهب . فنُصِب المنبر ، وصعد عليه [جمال الدين عبد الرحمن بن] محيي الدين بن الجوزي الرسول ، وقرأ التقليد بالدهليز السلطاني ، والسلطان قائم على قدميه ، حتى فرغ من القراءة . ثم ركب السلطان بالتشريف الخلفي ، فكان يوما مشهودا . وكان قد حضر أيضا من [عند] الخليفة تشريف باسم الصاحب معين الدين بن شيخ الشيوخ ، فوجد [أنه] قد مات ؛ فأمر السلطان أن يفاض على أخيه الأمير نخر الدين يوسف ابن شيخ الشيوخ ، فلبسه .

فلما بلغ الخوارزمية مسير السلطان من مصر ، ومسير [الملك] المنصور [إبراهيم] صاحب حمص بعساكر حرب ، رحلوا عن دمشق يريدون لقاء المنصور . فوجد (١٨٤) أهل دمشق برحبهم قُرْبًا ، ووصلت إليهم الميرة ، وانحل السعر .

♦ ♦ ♦

- سنة أربع وأربعين وستمائة . فيها أرسل الملك الصالح نجم الدين أيوب القاضي نجم الدين محمد بن سالم النابلسي ، المعروف بابن قاضي نابلس — وكان متقدما عنده — إلى مملوكه الأمير ركن الدين بيبرس . فما زال يخدعه ويُمْنِيه . حتى فارق الخوارزمية ؛ وقدم معه إلى ديار مصر ، فاعتقل بقاعة الجبل ، وكان آخر العهد به .

(١) بياض في ص . (٢) موضع ما بين القوسين بياض في ص . (اقتصر ص ٢٦٨ ، سطر ٥) .

(٣) في ص "عام" ، وقد غيرت إلى "حمص" بعد مراجعة ابن واصل (نقش المربع ، ص ٣٣٥ ب ، ١٣٤٦ - ب ، ١٣٤٩) . هذا ولا حيرة بوجود ملك اسمه المنصور محمد بحمة تلك السنة ، فإنه كان إبان تلك الحوادث لا بعدو . حتى عشرة سنة ، وليس من الممكن أن يكون مثله حيث منه الخوارزمية . انظر أ. السداه (المختصر في أخبار البشر ، ص ١٢٣ ، ١٢٤ في Rec. Hist. Or. I) ؛ راجع أيضا ما يلي ، ص ٣٢٤ ، سطر ١٧ .



وفيهما عظمت مضرة الخوارزمية ببلاذ الشام ، وكثر نهبهم للبلاذ ، وسفكهم للدماء ،  
 واتهاكهم للحرمة<sup>(١)</sup> . والتفوا مع [الملك] المنصور [إبراهيم صاحب حمص] وعساكر حلب ،  
 وقد انضم إليهم عرب كثير وتركمان ، نصرة للملك الصالح نجم الدين . وذلك بظاهر حمص أول  
 يوم من المحرم ، وقيل ثامنه . فكانت وقعة عظيمة انهزم فيها الخوارزمية هزيمة قبيحة ،  
 تبدد منها شملهم ، ولم تقم لهم بعدها قائمة . وقتل مقدمهم بركة خان وهو سكران ، وأسر كثير منهم .  
 وانصل من فتر منهم بالتار ، وفيهم من مضى إلى البقاء ، وخدم الملك الناصر داود صاحب  
 الكرك ، فترج [الناصر] منهم ، واختص بهم ، وقويت شوكته . وسار بعضهم إلى نابلس ،  
 فاستولوا عليها ، ووصل بعض من كان معهم من انهزم إلى حران ، ولحق أليك المعظم بقاعة  
 صرخد ، وامتنع بها . وسار الصالح إسماعيل إلى حلب في عدة من الخوارزمية ، فأنزله الملك  
 الناصر صاحب حلب وأكرمه ، وقبض على من قدم معه من الخوارزمية . ووردت البشرى بهذه  
 الهزيمة إلى السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب في المحرم ، فزينت القاهرة ومصر والقلاعتان .  
 وسار الأمير حسام الدين بن أبي علي الهذلي من دمشق ، واستولى على بعلبك بغير حرب  
 في رجب ، وحمل منها الملك المنصور نور الدين محمود بن الصالح إسماعيل ، وأخوه الملك السعيد  
 عبد الملك ، إلى الديار المصرية تحت الاحتياط ، فاعتقلوا . وزينت القاهرة لفتح بعلبك زينة  
 عظيمة ، هي ومصر . وكان أخذ بعلبك عند السلطان أحسن . وقعا من أخذه لدمشق ، حقا  
 منه على عمه الصالح إسماعيل .

وانصلحت الحال بين السلطان وبين المنصور صاحب حمص والناصر صاحب حلب<sup>(٢)</sup> ،  
 وانفقت الكلمة . وبمئ السلطان إلى حلب يطب تسليم الصالح إسماعيل ، فلم يُجب إلى  
 تسليمه<sup>(٣)</sup> . وأخرج السلطان عسكريا كبيرا ، قدم عليه الأمير نحر الدين يوسف بن شيخ الشيوخ .

(١) الضمير هنا عائد على المنصور إبراهيم وعساكر حلب .

(٢) في م "الناصر داود صاحب الكرك" ، وخطا المقرئ واضح من السطور التالية ، ومن ابن واصل (نفس  
 المراجع ، ص ٣٤٦ ب) .

(٣) كان بهاء الدين زهير الكاتب الشاعر المشهور ، هو الذي سار بتلك الرسالة إلى الناصر صاحب حلب . =



وسيره لمحاربة الكرك . فسار ( ٨٤ ب ) إلى غزوة ، وأوقع بالخوازرمية ، ومعهم الناصر داود صاحب الكرك في ناحية الصلت . وكسروهم وبدد شملهم ، وفتر الناصر إلى الكرك في عدة . وكانت الكسرة على الصلت في سابع عشر ربيع الآخر ، وسار [نغر الدين] عنها بعد ما حرقها . واحتاط على سائر بلاد الناصر ، وولى عليها التواب . ونازل [نغر الدين] الكرك ، ونحرب ما حولها . واستولى على البلقاء ، وأضعف الناصر حتى سأل الأمان . فبعث [نغر الدين] يطلب منه من عنده من الخوازرمية ، فسيرهم [الناصر] إليه ، فسار عن الكرك وهم في خدمته . ثم أزل [نغر الدين] بصرى ، حتى أشرف على أخذها ، فترل به مرض أشفى منه على الموت ، وحمل في محفة إلى القاهرة ، وبقي العسكر حتى استولوا عليها .

وقدم المنصور [إبراهيم] صاحب حمص إلى دمشق متعباً إلى السلطان الملك الصالح [نجم الدين أيوب] ، فترل به مرض مات به في صفر<sup>(٢)</sup> . فحزن عليه السلطان حزناً كثيراً ، لأنه كان يتوقع وصوله إليه . فقام من بعده بمحمد ابنه الأشرف مظفر الدين موسى .

= وقد امتنع الناصر من تسليم الصالح إسماعيل ، لاستجارته به . وهذا نص ما جاء في ابن واصل (نفس المربع ، ص ٣٤٦ ب) عما حدث : "وأما الملك الصالح عماد الدين إسماعيل فإنه بعد الكسرة سار إلى حلب ، فأقام بها متعباً ، وأرسل إلى الملك العزيز . وأرسل إليه ذلك السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب إلى الملك الناصر كاتبه بهاء الدين زهيراً ، يطلب منه الملك الصالح عماد الدين إسماعيل . فلما ذكر بهاء الدين زهير ذلك الناصر صاحب حلب ذلك شق عليه ، وقال كيف يحسن أن يتجىء إلى خال أبي ، وهو كبير البيت ، وأسيره إلى من يقتله . وأيس من المروءة إذا استجار [إنسان] بإنسان أن يتقرضت ويسله إلى عدوه ، هذا شيء لا يكون أبداً . فرجع بهاء الدين زهير إلى السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب بهذا الجواب ، فألم لذلك وسكت . ، وكان في غاية الحق عليه " .

(١) في ص "فأزل" .

(٢) كان الملك المنصور إبراهيم مسلولا ، واشتد به ذلك المرض بدمشق ، فأت منه . وقد ترجم له ابن واصل (نفس المربع ، ص ٣٤٩ ب) بالآق : "كان الملك المنصور صاحب حمص ملكاً جليلاً شجاعاً ، مقداماً ذا مهارة عالية . وكان له أمر عظيم في عسكر السلطان جلال الدين خوارزمشاه ، في ستة سبع وعشرين وستة ، مع الملك الأشرف ، فان والده كان سيره بجدة له . وكسر الخوازرمية مرتين في الشرق ، وأضعف دكنهم ، ثم كسروهم الكسرة العظمى ببيون القصب ، وقتل ملكهم وفرق جمعهم . وكان على خلاف طريقة أبيه في سياسة الرعية ، فان أباه كان عنه حيف كثير وعسف ، فحرب بذلك حمص وبلادها ، وتفرق أهلها في البلاد . فلما ول المنصور إبراهيم أحسن =



وفيها تسلم الملك الصالح نجم الدين عجلون، بوصية صاحبها سيف الدين بن قلعج عند موته.  
 وفيها سير صاحب جمال الدين أبو الحسن [يحيى] بن عيسى [بن] إبراهيم بن مطروح إلى  
 دمشق وزيرا وأميرا، وأنعم عليه بسبعين فارسا بدمشق. وصرف الأمير حسام الدين بن  
 أبي علي الخذبانى عن نيابة دمشق. وولى مكانه الأمير مجاهد الدين إبراهيم، وأقر الطواشي  
 شهاب الدين رشيد بالقلعة على حاله. فلما دخل ابن مطروح إلى دمشق خرج منها الأمير  
 حسام الدين، وسار إلى القاهرة. فلما قدم على السلطان، وهو بقلعة الجبل، أقره في نيابة  
 السلطنة بديار مصر، وأنزله بدار الوزارة من القاهرة.

ونخرج السلطان بالعساكر في شوال يريد دمشق من قلعة الجبل، واستناب بديار مصر  
 الأمير حسام الدين بن أبي علي. فدخل إلى دمشق في سابع عشر ذى القعدة، وكان دخوله  
 يوما مشهودا. فأحسن إلى الناس، وخنع على الأعيان، وتصدق على أهل المدارس والربط  
 وأرباب البيوت بأربعين ألف درهم. وسار بعد خمسة عشر يوما إلى بعلبك، فرتب أحوالها،  
 وأعطى لأهل المدارس والربط وأرباب البيوت عشرين ألف درهم. وسار إلى بصرى، وقد  
 سمىها نواب السلطان من الأمير شهاب الدين غازى، نائب الملك الصالح إسماعيل، فتصدق  
 على مدارس بصرى وربطها وأرباب البيوت بعشرين ألف درهم. وجهز [السلطان] الأمير  
 ناصر الدين القيمرى، والصاحب جمال الدين بن مطروح، إلى صلخد<sup>(١)</sup> وبها الأمير عز الدين  
 أليك المعظمى، مما زال به حتى سلم صلخد، وسار (١٨٥) إلى مصر. وتصدق السلطان

= إلى الرعية، ولطف بهم. وكانت عنده سماحة كف وحنن تانى، فعمرت حصن في أيامه، وتراجع إليها من أهلها من  
 كان برج عنها؛ وبث فيهم العدل، وأطلق كثيرا ممن كان حبسه أبوه وأطال سجنه. وكان له أخ يقال له الملك  
 المسعود، تخاف منه وجبه بقلعة الرحبة، فلم يزل في حبسه إلى أن مات. وكان الملك المسعود رحمه الله ذا حزم  
 ورأى، إلا [أنه] كان قليل العادة.

(١) ، (٢) ليس لما بين الأقواس وجود ظاهر في س، وذلك لورود الاسم كله بطرف الحامش، عند ملحق  
 صفحتي ٨٤ ب، ١٨٥، ولكه وارد في ب (١١٠٢).

(٣) كذا في س بغير ضبط، وهي مرخذ المتقدم ذكرها مرارا، وتكاتبها باللام أقرب إلى اسمها الأصل  
 (Salehah). - انظر (Le Strange: Palest. Under Moslems, p. 529).



في القدس بالنقود دينار مصرية؛ وأمر بذرعه سور القدس، فكان ذرعه ستة آلاف ذراع بالهاشمي، فأمر بصرف مغل القدس في عمارته، وإن احتاج إلى زيادة حملت من مصر.<sup>(١)</sup>  
و [فيها] سار الأمير نحر الدين بن شيخ الشيوخ بعسكر إلى طبرية، فتأزلهما حتى أخذها من يد الفرنج، وهدم ما استجده الفرنج من القلاع. وسار [أيضا] إلى عسقلان، فحاصرها حتى أخذها من الفرنج، وهدم الحصون.

وفيها مات الملك العادل أبو بكر بن الكامل محمد خنقا. بقلعة الجبل. وقيل كان خنقه قبل هذه السنة، وقيل بل كان في سنة خمس وأربعين؛ [والقول الثاني] أثبت. وسبب قتله أنه كان معتقلا في برج العافية من قلعة الجبل. فلما عزم السلطان على المسير إلى الشام، بعث يأمره أن يتوجه إلى قلعة الشوبك ليعتقل بها، فامتنع من ذلك. فبعث [السلطان] إليه من خنقه، وأشاع أنه مات، ثم ظهر أمره. وأخرج ابنه المغيث عمر إلى الشوبك، فاعتقل بها. ولما مات العادل دفن خارج باب النصر، ولم يجسر أحد يبكي عليه ولا يذكره. وترك [العادل] ولدا يقال له الملك المغيث عمر، أنزل إلى القاهرة عند عماته، ثم أخرج إلى الشوبك. وكان عمر [العادل] يوم مات نحو ثلاثين سنة، وأقام مسجونا نحو ثمانين سنين. وفيها وقع الاختلاف بين الفرنج.

(١) في س "حمل".

(٢) موضع ما بين القوسين بياض في س، وقد أخيف ما بينهما بعد مراجعة (Enc. Isl. Art. Adil. II)، وما بذيل تلك المقالة من المراجع، وأيضا ابن واصل (نفس المراجع، ص ٣٥١ ب - ١٣٥٢).

(٣) كان لقب عمر هذا شأن كبير فيما بعد. (انظر بحث سنة ٦٤٨).

(٤) في س "عمره"، وقد حذف الضمير وأثبت عائده بعد مراجعة ابن واصل (نفس المراجع، ص ٣٥١ ب - ١٣٥٢). ويوجد في نفس المراجع (ص ١٣٥٢) ترجمة قصيرة للـك العادل نصها: "كان جوادا كثير البذل، وأفق الحزن لدى (كذا) جمعها ولده الملك الكامل في المدة البصرة، وكان قد جمع [الكامل] في المدة المطلوبة. وكانت أيامه زاهرة زاهرة، والأسعار في غاية الرخص. إلا أنه لم يكن فيه صرامة وحسن سياسة يضبط بها الجند، وقدم الأذال وأثر الأكابر، ولم يكن له سعادة مع تقدير الله تعالى، فخرى عليه ما جرى".

(٥) الرابع أن المقرئ يشير هنا إلى ما وقع لإبنت تلك السنة (١٢٤٦ م) من أضرار النزاع بين البابا (Innocent IV) والإمبراطور (Frederic II)، والذي انتهى بوقفة الإمبراطور سنة ١٢٥٠ م. ويقوى هذا =



\* \* \*

سنة خمس وأربعين وستمائة . فيها عاد [السلطان] الملك الصالح من دمشق إلى ديار مصر، بعد ما أخذ عسقلان وخربها في جمادى الآخرة، و [بعد أن] تسلم أيضا قلعة بارز<sup>(١)</sup> من عمل حماة، في رمضان . وفي عودته إلى مصر عرض له — وهو بالرمل — وجع في حلقه، أشفى منه على الموت؛ ثم عوفى ودخل إلى قلعه سالمًا، وزينت البلدان والقلعتان فرحًا به . وكتب [السلطان] إلى الأمير نحر الدين بن شيخ الشيوخ أن يسير من بلاد الفرنج بالساحل إلى دمشق، فسار إليها بمن معه من العسكر، وأنعم على من بها من الأمراء وغيرهم، وخلع عليهم . وأخذت عسقلان عنوة، يوم الخميس ثاني عشر جمادى الآخرة، بمساكر السلطان .

= ترجيح أنه لم يقع اختلاف ظاهر بين الفرنج، الشام أو فلسطين، تلك السنة . انظر (Stevenson: Crusaders In The East, pp. 322-324) . هذا وقد أقاض العيني (عقد الجمان، ص ١٩٩ — ٢٠٠، في Rec. Hist. Or. II. 1) في وصف ما حدث بين الإمبراطور والبابا، وذكر حقائق ثابتة من تاريخ أوروبا في القرون الوسطى، ومثل ذلك قليل . در في المراجع العربية . انظر (Camb. Med. Hist. VI, pp. 157-165) . وهذا نص ما جاء في العيني: "ومنا، وهي سنة أربع وأربعين وستمائة، أنه وصلت الأخبار من البحر، صحة مركب وصل من صقلية إلى الإسكندرية، أن الملك غسب من الأنبرور، وسامل خواصه الملازمين له على فله وكانوا ثلاثة، وقال لهم [لهم] قد خرج الأنبرور عن دين النصرانية، ودخل إلى المسلمين، فقتلوه وحدوا بلادهم لكم . وأقطع [البابا] كل واحد مملكة: فأعطى واحدًا صقلية، والآخر نصفة (Tuscany)، والآخر يولية (Apulia)، وهذه ممالك الأنبرور . وكتب أصحاب الأخبار إلى الأنبرور بذلك، فعمد إلى مملوك له بفعله في مكانه على النفت، وأظهر أنه قد شرب دواء . وأرسل إلى الثلاثة، فجاءوا والمملوك قائم على النفت، فقتلوه الأنبرور؛ وقد اختفى الأنبرور في مجلس، ومعه مائة فارس . وبدا دخلوا على المملوك ما لوا عليه، أسكاكين فقتلوه، فخرج عليهم الأنبرور مدسوخهم في يده، وسحبهم وحشا جلودهم تبا، وعلقهم على باب القصر . وبلغ البابا، فبعث إلى قتاله جيشًا، وأخلف وافع بينهم . وهذا الأنبرور هو الذي أعطاه الملك الكامل القدس . قال السبط، ذكر ألقابه الملك الكبير الأجل، الخطير الأعز الأمير، قيسر المعظم، إمبراطور المقدس قدوة الله، المنعم بعزته، مالك ألمانيا (Allemagne) والارودية (Lombardy) وصقلية، وحافظ بيت (ص ٢٠٠) المقدس، معز إمام رومية، مالك ملوك النصرانية، حامي الممالك الفرنجية، قائد الجيوش الصليبية ."

- (١) بنبر ضبط في س، وكانت تلك البلدة وكفرطاب أيضا في يد عز الدين بن المقدم، سنة ٥٥٨٦ (١١٩٠ م) . انظر أبا شامة (كتاب الروضتين، ص ٤٦١، في Rec. Hist. Or. IV) .
- (٢) في س "البلدين والقلعتين" .



وفيها تسلم نواب السلطان قلعة الصَّبِيَّة<sup>(١)</sup> . وحضر إلى حلب من حماة الطواشي شجاع الدين مرشد المنصوري ، والأمير مجاهد الدين أمير جاندار ، لإحضار سيدة الخواتين عصمة الدنيا والدين عائشة خاتون ، ابنة الملك العزيز محمد بن الظاهر غازي بن صلاح الدين يوسف ابن أيوب . فسارت ومعها أمها السرة الرفيع فاطمة خاتون ، ابنة الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب ، في رمضان - ، وهي في تجمل زائد ، ومحفتها ملبسة ثوب حرير بذهب مكلل بالجواهر . فتلقاها زوجها الملك المنصور صاحب حماة .

وفيها حكر الناس البستان الكافوري بالقاهرة ، وعمروا فيه الدور . وفيها قبض على الأمير عز الدين أيك المعظمي بدمشق ، وحمل إلى القاهرة تحت الحوطة ، فاعتقل بها في دار صواب . ورافعه ولده بأن ماله الذي حمله من صلخد ، كان مبيع ثنتين نحرجا أودعها ، فلما بلغه ذلك سقط إلى الأرض ، وقال : " هذا آخر العهد بالدنيا " ( ٨٥ ب ) . ولم يتكلم بعدها حتى مات . وفيها سار السلطان من قلعة الجبل ، ونزل بقصره في أشموم طناح<sup>(٢)</sup> . وفيها خُتق الملك العادل أبو بكر بن محمد الكامل ، في ثاني عشر شوال<sup>(٣)</sup> .

(١) بنير ضبط في س ، وهي قلعة بانياس . ( Le Strange : Palest. Under Moslems, p. 419 )  
انظر أيضا ( Blochet : Op. cit. p. 503. N. 3. ) .

(٢) كان هذا البستان مطلا على الخليج ، وقد أنشاه محمد بن صفح الإخشيد أمير مصر ، واغتنى به وجعل له أبوابا من حديد ، وكان ينزل به ويقيم فيه الأيام . و هو بشأن هذا البستان من بعد الإخشيد أبناء ، أبو القاسم أونوجور وأبو الحسن علي ، في أيام إمارتهما على مصر بعد أبيهما . فلب استبدع محمد أبو المستكفور الإخشيدى بأمانة مصر ، كان كثيرا ما ينزه به ، ويواصل الركوب إلى الميدان الذي كان فيه ، وكانت خيوله بهذا الميدان . فلما قدم جوهر الصقل يجيوش الفاطميين لأخذ مصر ، أتاه بجوار هذا البستان ، وجعله من جملة القاهرة ، فصار منزها للفقهاء الفاطميين مدة أيامهم . وكانوا يتوصلون إليه من مراديب وأقباء مبنية تحت الأرض ، ينزلون إليها من القصر الكبير الشرق ، ويسرون فيها بالدواب . وما زال هذا البستان عامرا إلى أن زالت الدولة ، فحكر وبني فيه كما هو مذكور بالمتن ها ، وعملت المراديب والأقباء أسرية ومجار نصب في الخليج ، وبقيت كذلك إلى أيام المقرري ، أي القرن التاسع الهجري . ( المقرري : المواظ والإعتبار ، ج ١ ، ص ٤٥٧ ) .

(٣) الخرج كيس من الجلد أو الشعر ، ذو عدلين يوضع على ظهر الدابة ، وجمعه خرجة وأخراج وخراج . ( محيط المحيط ) .

(٤) ليس في المراجع المذكورة في هذه الخواشي ، ما يفسر سبب خروج الملك الناصر نجم الدين إلى أشموم طناح تلك السنة ، والراجح أنه خرج إليها للاستشفاء والترويح من مرضه السابق . ( انظر ص ٣٢٨ ، سطر ٣ ) .

(٥) في هذا الشهر من تلك السنة ، نقل عن ابن واصل ( قس المربع ، ص ٣٥٢ - ب ) ، " توفي بقلعة =



+ + +

سنة ست وأربعين وستمائة . فيها كتب السلطان من أشموم طناح إلى نائبه  
 بديار مصر الأمير حسام الدين بن أبي علي ، أن يرسل بالحقة السلطانية والدهليز السلطاني  
 إلى دمشق ، وأقام [السلطان] <sup>(١)</sup> بدله في نيابة السلطنة بالقاهرة الأمير الجواد جمال الدين ،  
 وأبا الفتح موسى بن يغمور بن جلدك . فسار [الأمير حسام الدين] ، ونزل بالقصور التي أنشأها <sup>(٢)</sup>  
 السلطان الملك الصالح [أيوب] ، وجعلها مدينة بالسائح في أول الرمل ، [وجعل فيها سوقا  
 جامعا ، ليكون مركز العساكر عند خروجهم من الرمل] ، وسمّاها الصالحية . وأقام [حسام الدين  
 بالصالحية] مقام السلطان ، [وطال مقامه بها نحو أربعة أشهر . ثم سار] ليدرك الملك الأشرف  
 صاحب حمص ، فإن الأخبار وردت بمسير عساكر حلب مع الأمير شمس الدين لؤلؤ [الأميني] ،  
 والملك الصالح إسماعيل ، لأخذ حمص . فلم يدركه [حسام الدين] ، وسلم الأشرف حمص ،  
 وصارت للتناصر صاحب حلب ، وتعوض [الأشرف] عن حمص تل بآشرف .

فلما بلغ السلطان ذلك عاد من أشموم طناح إلى القاهرة ، ونخرج منها إلى عسكره

= الجبل أيضا بدر الدين سليمان بن داود بن العاضد ، الذي كان آخر الخلفاء المصريين . وكان [رئيس] بيت الشيعة  
 الإسماعيلية ببغداد ، وعادتهم يعتقدون الإمامة بعد موت العاضد في ابنه داود بن العاضد . و [كان هو] وإخوته  
 محبوسين بقلعة الجبل ، وقد منعوا من النساء ليتقطع نسلهم . فهدس بعض الشيعة جارية إلى داود بن العاضد ، فوطئها  
 فولدت له سليمان ، بعد أن أخرجهما الشيعة من القلعة سرا ، وتركوا ولدها في بعض النواحي . فظفر الملك الكامل  
 به ، فاعتقله في القلعة وبق فيها معتقلا ، والشيعة ودعائهم يجتمعون به ، ويعتقدون الإمامة فيه بعد أبيه داود .  
 ولما توفي في هذه السنة ، ما بق لهم من يعتقدون إمامته ، (٣٥٢ ب) إلا أنه بلغني أن فيهم من يعتقدون أن لسليمان  
 هذا ولدا (في الأصل بهذا الولد) مخفيا بالصعيد ، والله أعلم .

(١) كان الأمير جمال الدين بن يغمور ، قبل تعيينه لنيابة السلطنة بالقاهرة ، متوليا لدار الصناعة بها ، فأصبح  
 متوليا للوظيفتين . (ابن راصل : نفس المربع ، ص ٣٥٢ ب ، ٣٥٥ أ) .

(٢) في س "انشأ" .

(٣) في س "قام" ، وقد عدل هذا الفعل ، وأضيف ما بين الأقواس بآثار هذه الفقرة ، بعد مراجعة ابن  
 راصل (نفس المربع ، ص ٣٥١ ب ، ٣٥٢ ب ، ٣٥٣ ب) .

(٤) أطلق هذا الاسم على قلعة حصينة ، وكورة واسعة أيضا ، في شمال حلب ، بينها وبين حلب بومان . (باقوت :  
 معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٧٦٤) .



بالصالحية؛ وسار في محفة لما به من المرض، بسبب ورم مابضه<sup>(١)</sup>. [وكان قد] اشتد [به] حتى حصل منه ناصور، وحدث معه قرحة في الصدر؛ إلا أن همته كانت قوية، فلم يُلْقِ نفسه<sup>(٢)</sup>. وسار [السلطان] إلى دمشق، ونزل بقلعتها.

وبعث [السلطان] بالأمير نحر الدين بن شيخ الشيوخ، ومعه الأمراء والعساكر، وفيهم الأمير ابن أبي علي الهذلي، إلى حمص. فنازلها ورمى عليها بمنجنيق زنة حجره مائة وأربعون رطلا، ومعه ثلاثة عشر منجنيقا آخر. وسخر الناس في حمل هذه المجانيق من دمشق، حتى كان يحمل كل عود ثمنه نحو عشرين درهما بألف درهم، فإن الوقت كان شتاء صعبا. وألح [الأمير نحر الدين] في الحصار، إلى أن قدم من بغداد الشيخ نجم الدين البادرائي، رسولا من الخليفة [المستعصم بالله]، بالصلح بين الحلبيين وبين السلطان. فتقرر الصلح، ورحل العسكر عن حمص، بعد ما أشرف<sup>(٣)</sup> على أخذها.

١٠

- (١) المابض — أو الأبيض، باطن الركبة أو المرنق، وجمعهما مابض وآباض. (محيط المحيط).
- (٢) ألم كل ذلك بالسلطان الملك الصالح أيوب، حسبما جاء في ابن واصل (نفس المربع، ص ٢٥٣)، وهو منفي بشوم طاج. وهذا نص عبارة ابن واصل: "وكان الملك الصالح نعم الدين وهو، شموه طاج (كذا) قد عرض له ورم في مخاميه، ثم فتح وحصل له منه تسربول. وبعد ذلك حصلت له قرحة، تيقنت الأطباء أنه لا خلاص له منها، لكنه لم يشرب ذلك. وكان من كبر نفسه يحمل ذلك، وكان له همة عالية تحمله على التهمة والحركة، ومرضه وضعفه بوجوب (كذا) تراخيه على الإيجاد لذلك الأشرف...".
- (٣) أجاب السلطان الملك الصالح إلى الصلح، حسبما جاء في ابن واصل (نفس المربع، ص ٣٥٤ ب). "لأمرين: أحدهما ما كان به من المرض، والثاني أنه بلغه حركة الفرنج وقصدهم الديار المصرية، في جوع عظيمة من داخل البحر". انظر أيف (نفس المربع، ص ١٢٥٦)، و (Stevenson: Crusaders In The East, p. 325). هذا وقد كانت أخبار الفرنج، حسبما جاء في العيني (عقد الجمان، ص ٢٠١، في Rec. Hist. Or. II.I) تنوار إلى الملك الصالح... من جهة الانبرود... فانه كان مصافيا لك الكامل أيه، وكذلك له...". ويشير ابن واصل هذا إلى فرع بعض ملوك أوروبا، وأولهم (Louis IX) ملك فرنسا، من هزيمة الصليبيين عند غزة (انظر ص ٣١٧، سطر ٤)، وتسليمهم بيت المقدس (انظر ص ٣١٨، سطر ٣). وقد قام ملك فرنسا على رأس حملة معظم جنودها من الفرنسيين، وهي المعروفة في تاريخ الحروب الصليبية، السابقة. ووصلت تلك الحملة جزيرة قبرص في سبتمبر سنة ١٢٤٨ م (رجب سنة ٦٤٦ هـ)، وقصدت مصر بعد انقضاء شتاء تلك السنة، وأخبارها واردة هنا فيما يلي. راجع أيضا (Stevenson: Op. cit. pp. 324-326).



وقدم من حلب الشيخ شمس الدين الخسروشاہی<sup>(١)</sup>، فسأل السلطان على لسان الملك الناصر داود صاحب الكرك، أن يسلم الكرك إلى السلطان، ويعتاض عنها بالشوبك. فأجيب [الناصر دواود] إلى ذلك، وتوجه من يتسلم منه الكرك. ثم رجع [الناصر]<sup>(٢)</sup> عن ذلك، لما بلغه من شدة مرض السلطان، وتحرك الفرنج لأخذ ديار مصر. فخرج السلطان من دمشق في محفة، وسار إلى الغور. وقدم الأمير حسام الدين بن أبي على إلى القاهرة، لينوب عنه بها. واستدعى بالأمير جمال الدين بن (١٨٦) يغمور من القاهرة، لينوب بدمشق. وعزل صاحب جمال الدين بن مطروح عن دمشق، وعزل الطواشي شهاب الدين رشيد عن قلعة دمشق، وفوض ما كان بيدهما للأمير جمال الدين بن يغمور.

وفيها احترق المشهد الحسيني بالقاهرة، واحترقت المارة الشرقية بجامع دمشق. [وفيها] مات قاضي القضاة أفضل الدين الخونجي، في شهر رمضان، فولى من بعده ابنه قاضي القضاة جمال الدين يحيى.

وفيها مات الملك المظفر شهاب الدين غازي بن العادل أبي بكر بن أيوب، صاحب الرها، وقام من بعده ابنه الكامل محمد في سلطنة الرها وميفارقين.

وفيها عزل الملك المنصور نور الدين عمر بن علي بن رسول صاحب اليمن الأمير نخر الدين ابن السلاج عن مكة وأعمالها، وولى عوضه محمد بن أحمد بن المسيب<sup>(٤)</sup>، على مال يقوم به، وقود [عدده] مائة فرس، كل سنة. فقدم [ابن المسيب] مكة، وخرج الأمير نخر الدين.

(١) بنير ضبط في س، والنسبة إلى خسروشاہ، وهي قرية بينها وبين مرو فرسخان. وخسروشاہ أيضا بلدة في فارس، بينها وبين تبريز ستة فراسخ. (ياقوت: معجم البلدان، ج ٢، ص ٤٤٣).

(٢) في س "فرجع".

(٣) في س "بوملى"، وقد جمع الأمير حسام الدين بين وظيفة نيابة السلطة وتولية دار الصناعة، كما اتفق قبله لابن يغمور. انظر ابن راصل (نفس المراجع، ص ١٣٥٥).

(٤) كذا في س بنير ضبط، واسمه في الخزرجي (المقود التوثيقية، ج ١، ص ٧٧) ابن المسيب. ويلاحظ أن عبارة المقرئ هنا مشابهة في لفظها وترتيبها لما يقابلها في الخزرجي، ويظهر أن المقرئ اعتمد هنا على ذلك المراجع. هذا وقد أضيف ما بين الأقواس، بسائر هذه الفقرة، من نفس المراجع والصفحة.



فسامت سيرة ابن المسيب، وأعاد الجبايات والمكوس بمكة، وأخذ الصدقة الواردة من اليمن، وأخذ ما كان بمكة من مال السلطان، وبني حصنا بخلة [يسمى العطشان]، وحلف هذيلاً<sup>(١)</sup> لنفسه، ومنع الجند النفقة. فوثب عليه الشريف أبو سعد بن علي بن قتادة، وقبده وأخذ ماله، وقال لأهل الحرم: "إنما فعلت به هذا لأنني تحققت أنه يريد الفرار بالمال إلى العراق. وأنا غلام مولانا السلطان، والمال عندي محفوظ والخيل والعدد، إلى أن يصل مرسومه". فلم يكن غير أيام، وورد الخبر بموت السلطان نور الدين عمر بن رسول.

\*\*\*

سنة سبع وأربعين وثمانئة. فيها قدم السلطان من دمشق، وهو مريض في محفة، لما بلغه من حركة الفرنج. فنزل بأشوم طباح في الحرم، وجمع في دمياط من الأقوات والأسلحة شيئا كثيرا. وبعث إلى الأمير حسام الدين بن أبي علي نائبه بالقاهرة، أن يجهر الشواني من صناعة مصر، فشرع في تجهيزها. وسيرها شيئا بعد شيء. وأمر [السلطان] الأمير نحر الدين بن شيخ الشيوخ أن يقر على جزيرة دمياط بالعساكر، ليصير في مقابلة الفرنج إذا قدموا. فتحول [الأمير نحر الدين] بالعساكر، فنزل بالجيزة تجاه دمياط، وصار النيل بينه وبينها. ولم يقدر السلطان على الحركة لمرضه، ونودي في مصر: "من كان له على السلطان أو عنده [له] شيء، فليحضر ليأخذ حقه". فقطع الناس وأخذوا ما كان لهم.

وفي الساعة الثانية من يوم الجمعة لتسع بقين من صفر، وصلت مراكب الفرنج البحرية، وفيها جموعهم العظيمة صحبة ريدافرنس — ويقال له الفرنسييس. واسمه أويس بن أويس، وريدافرنس لقب بلغة الفرنج، معناه ملك أفرنس — وقد انضم إليهم فرنج الساحل كله، فأرسوا<sup>(٢)</sup> (١) كانت هذيل هذه قبيلة صغيرة، ساكنها شرف مكة. (الدرر ج١: عقود الملوكة، ج ٣ من الترجمة الإنجليزية، ص ٦٤، حاشية رقم ٣٧٤).

(٢) يقول ابن واصل (مقس المرجع، ص ١٣٠٦) إن الأمير نحر الدين نزل على "بحيرة دمياط"، وفي المعنى (عند الجمان، ص ٢٠١، في ١. Rec. Hist. Or. II.) "جزيرة دمياط".

(٣) ضبط المقرئ بعض ألقاب هذه العبارة على النحو المثبت هنا، وقد روي عدم إضافة علامات ضبط أخرى، لبيان مدى حاجة عصر المقرئ لضبط الألفاظ الأجنبية، ولوضوح العبارة نفسها. وفي ابن واصل (مقس =



في البحر بإزاء المسلمين . وسير ملك الفرنج إلى السلطان كتابا ، نصه بعد كلمة كفرهم : ” أما بعد فإنه لم يخف عنك أنى أمين الأمة العيسوية ، كما أنى أقول إنك أمين الأمة المحمدية . وإنه غير خاف عنك أن أهل جزائر الأندلس يحملون إلينا الأموال والهدايا ، ونحن نسوقهم سوق البقر ، ونقتل منهم الرجال ونزول النساء ، ونستأسر البنات والصبيان ، ونخلى منهم الديار . وقد أبديت لك ما فيه الكفاية ، وبذلت لك النصيح إلى النهاية . فلو حلفت لى بكل الأيمان ، ودخلت على القسوس والرهبان ، وحملت قدامى الشمع طاعة للصلبان ، ما ردنى ذلك عن الوصول إليك ، وقتالك (٨٦ ب) فى أعز البقاع عليك . فإن كانت البلاد لى ، فبا هدية حصلت فى يدى ؛ وإن كانت البلاد لك والغلبة على ، فإدك العليا ممتدة إلى . وقد عرفتك وحذرتك ، من عساكر قد حضرت فى طاعتى ، تملأ السهل والجبل ، وعددهم كعدد الحصى ، وهم مرسلون إليك بأسيايف القضا . “

فلما وصل الكتاب إلى السلطان وقرئ عليه ، اغرورقت عيناه بالدموع واسترجع .<sup>(٢)</sup> فكتب الجواب بخط القاضى بهاء الدين زهير بن محمد ، كاتب الإنشاء ، ونسخته بعد البسملة وصلواته على سيدنا محمد رسول الله وآله وصحبه أجمعين : ” أما بعد فإنه وصل كتابك ، وأنت تهدد فيه بكثرة جيوشك وعدد أبطالك . فتحن أرباب السيوف ، وما قتل منا قرن إلا جددناه ، ولا بنى علينا باع إلا دمرناه . فلورأت عينك — أيها المغرور ! — حدسيوفنا ، وعظم حروبنا ، وفتحنا منكم الحصون والسواحل ، وإحراقنا منكم ديار الأوانر والأوائل ،

= المرجع ، ص ٣٥٥ ب) عدا الأسماء والألقاب الواردة هنا ، حقائق عن الملك الفرنسى (Louis IX) ، تشهد بسعة دراية المؤرخين المسلمين بأحوال الدول المجاورة ، ونعنها : ” وكان هذا أريد افرنس من أعظم ملوك الفرنجة ، وأشدهم بأسا . وفرنس هى أمة من الفرنج ، ومعنى ريد افرنس ملك افرنس ، قن ريد فى لغتهم معناها الملك . وكان متدينا بدين النصرانية مرتبطا به ، لخذته نفسه بأن يستبد البيت المقدس الى الفرنج ، إذ هو بيت معبودهم على ما يزعمون ، وعلم أن ذلك لا يتم له إلا بملك الديار المصرية . وذكر أن جمعه كان ما بين فارس وراجل تحسفن ألفا وأكثر ، وكان نروجه وحركته فى السنة الماضية ، ونصد أول جزيرة قبرص “ .

(١) فى س : ” يحملوا “ .

(٢) معنى استرجع هنا أنه قال ، ” إنا لله وإنا إليه راجعون “ . (محيط المحيط) .



لكان لك أن تعض على أناملك بالندم ، ولا بد أن تزل بك القدم ، في يوم أوله لنا وآخره عليك . فهناك تسيء بك الظنون ، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون . فإذا قرأت كتابي هذا ، فكن فيه على أول سورة النحل : أُنَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ؛ وكن على آخر سورة ص : ” وَلَتَعْلَمَنَّ نَبَأُ بَعْدَ حِينٍ ” . ونعود الى قول الله تبارك وتعالى ، وهو أصدق القائلين : كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ؛ و[إلى] قول الحكماء : إن الباغى له مصرع ، وبنيك يصرك ، وإلى البلاء يقلبك ، والسلام “ .

وفي يوم السبت نزل الفرنج في البر الذي عساكر المسلمين فيه ، وضربت<sup>(١)</sup> للملك ريذا<sup>(٢)</sup> فرنس خيمة حمراء . فناوشهم المسلمون الحرب ، واستشهد يومئذ الأمير نجم الدين ... بن شيخ الإسلام — وكان رجلا صالحا ، ورتبه الملك الناصر داود مع الملك الصالح نجم الدين ، لما سجن بالكرك ، لمؤانسته . ومن استشهد أيضا الأمير صارم الدين إزبك الوزيرى . فلما أمسى الليل رحل الأمير نخر الدين يوسف بن شيخ الشيوخ بمن معه من عساكر المسلمين ، وقطع بهم البحر إلى الجانب الشرقى ، الذى فيه مدينة دمياط . وخلا البر الغربى للفرنج ، وسار [نخر الدين] بالعسكر يريد أشموم طاح .

فلما رأى أهل دمياط رحيل العسكر ، خرجوا كأنما يسحبون على وجوههم طول الليل ، ولم يبق بالمدينة أحد البتة ، وصارت [دمياط] فارغة من الناس جملة . وفروا (١٨٧) إلى أشموم مع العسكر ، وهم حفاة عمراء جياع فقراء ، حيارى بمن معهم من الأطفال والنساء . وساروا إلى القاهرة ، فنهبهم الناس في الطريق ، ولم يبق لهم ما يعيشون به . فعُدَّت هذه الفعلة من الأمير نخر الدين من أقبح ما يشنع به . وقد كانت دمياط في أيام الملك الكامل ، لما نازلها الفرنج ، أقل ذخائر وعددا منها في هذه النوبة ؛ ومع ذلك لم يقدر الفرنج على أخذها إلا بعد سنة ، عندما فنى أهلها بالوباء والجوع ، وكان فيها هذه المرة أيضا جماعة من شجعان بنى كنانة ، فلم يبق ذلك شيئا .

(١) مضبوط هكذا في س .

(٢) يابض في س .



وأصبح الفرنج يوم الأحد ، لسبع بقين من صفر ، سائرين إلى مدينة دمياط . فعندما رأوا أبوابها مفتحة ولا أحد يحميها ، خشوا أن تكون مكيدة ، فتمهلوا حتى ظهر أن الناس قد فروا وتركوها . فدخلوا المدينة بغير كلفة ولا مؤنة حصار ، واستولوا على ما فيها من الآلات الحربية ، والأسلحة العظيمة والعدد الكثيرة ، والأقوات والأزواد والذخائر ، والأموال والأمتعة وغير ذلك ، صفوا عفوا .

وبلغ ذلك أهل القاهرة ومصر ، فانزعج الناس انزعاجا عظيما ، ويسوا من بقاء كلمة الإسلام بديار مصر ، لتملك الفرنج مدينة دمياط ، وهزيمة العساكر ، وقوة الفرنج بما صار إليهم من الأموال والأزواد والأسلحة ، والحصن الجليل الذي لا يُقدر على أخذه بقوة ، — مع شدة مرض السلطان ، وعدم حركته .

وعند ما وصلت العساكر إلى أشتوم [ طناح ] ، ومعهم أهل دمياط ، اشتد حنق السلطان على الكنائس ، وأمر بشنقهم ، فقالوا : ” وما ذنبنا إذا كانت عساكرهم جميعهم وأمرأؤه هربوا . وأحرقوا الزردخاه ، فبى شئ ، نعمل نحن ؟ “ فشنقوا لكونهم<sup>(١)</sup> خرجوا من المدينة بغير إذن ، حتى تسلمها الفرنج ، فكانت عدة من شنق زيادة على خمسين أميرا من الكنائس . [ وكان ] فيهم أمير حشيم ، وله ابن جميل الصورة ، فقال أبوه : ” بالله اشقوني قبل ابني “ . فقال السلطان : ” لا ! بل اشقوه قبل أبيه “ . فشنق الابن ، ثم شنق الأب من بعده ، بعد أن استفتى السلطان الفقهاء فافتوا بقتلهم .

وتغير السلطان على الأمير نحر الدين بن شيخ الشيوخ ، وقال : ” أما قدرتم تنفون ساعة بين يدي الفرنج ؟ هذا وما قتل منكم إلا هذا الضيف الشيخ نجم الدين “ . وكان الوقت لا يسع إلا الصبر والتغاضي ، ( ٨٧ ب ) وقامت الشناعة من كل أحد على الأمير نحر الدين ، تخاف كثير من الأمراء وغيرهم سطوة السلطان ، وهما بقتله . فأشار عليهم نحر الدين بالصبر ، حتى يتبين أمر السلطان : ” فإنه على حُطَّة<sup>(٢)</sup> ، وإن مات كانت الراحة منه ، وإلا فهو بين أيديكم “ .

(١) في س ” كونهم “ . (٢) في س ” تنفوا “ .

(١) معنى ” على حُطَّة “ أنه قد برح به المرض ، وفي ( Dozy : Supp. Diet. Ar. ) مثل لهذا المعنى ، وهو ” أمك على حُطَّة “ ، وترجمته إلى الفرنسية ” ta mère est dangereusement malade “ .



ولما وقع ما ذكر أمر السلطان بالرحيل إلى المنصورة، وحمل في حراقة حتى أنزل بقصر المنصورة على بحر النيل، في يوم الثلاثاء لخمس بقين من صفر. فشرع كل أحد من العسكر في تجديد الأبنية للسكنى بالمنصورة، ونصبت بها الأسواق، وأصلح السور الذي على البحر وستر بالستائر. وقدمت الشواني المصرية بالعدد الكاملة والرجالة، وجاءت الغزاة والرجال من عوام الناس الذين يريدون الجهاد، من كل النواحي، ووصلت عربان كثيرة جدا، وأخذوا في الغارة على الفرنج ومناوشتهم. وحصن الفرنج أسوار دمياط، وشحنوها بالمقاتلة. فلما كان يوم الاثنين سلخ شهر ربيع الأول، وصل إلى القاهرة من أسرى الفرنج الذين تخطفهم العرب ستة وثلاثون أسيرا، منهم فارسان. وفي خامس شهر ربيع الآخر وصل سبعة وثلاثون أسيرا، وفي سابعه وصل اثنان وعشرون أسيرا. وفي سادس عشره وصل خمسة وأربعون أسيرا، منهم ثلاثة من الخيالة.

ولما بلغ أهل دمشق أخذ الفرنج لمدينة دمياط ساروا منها، وأخذوا صيداء من الفرنج، بعد حصار وقتال. فورد الخبر بذلك لخمس بقين من شهر ربيع الآخر، فسر الناس بذلك. هذا والأسرى من الفرنج تصل في كل قليل إلى القاهرة، ووصل في ثامن عشر جمادى الأولى خمسون أسيرا. ومع ذلك والمرضى يتزايد بالسلطان، وقواه تنحط، حتى وقع يأس الأطباء من برئه وعافيته، لاجتماع مرضين عظيمين، هما الجراحة الناصورية في مابضه والسل.

وأما الناصر داود صاحب الكرك، فإنه لما ضاقت به الأمور استخلف ابنه الملك المعظم [شرف الدين] عيسى، وأخذ معه جواهره، وسار في البر إلى حلب، مستجيرا بالملك الناصر يوسف بن الملك العزيز، فأنزله وأكرمه. وسير الناصر جواهره إلى الخليفة المستعصم بالله، لتكون عنده ودبة. فقبض [الخليفة] ذلك، وسير إليه الخط بقبضه. وأراد الناصر بذلك

(١) في م "استخلف".

(٢) أضف ما بين القوسين من ابن واصل (نفس المراجع، ص ٣٥٧ ب).



أن يكون الجوهر في مأمون ، فإذا احتاج إليه طلبه ، وكانت (١٨٨) قيمته ما ينف على  
مائة ألف دينار . فحنق ولدا الناصر - [وهما الملك الظاهر شادى<sup>(٢)</sup>، والملك الأجد حسن] - ،  
على أبيهما ، لكونه قدم عليهما المعظم . وقبضا على المعظم ، واستوليا على الكرك . وأقام الملك  
الظاهر شادى - وهو أسن إخوته - بالكرك . وسار الملك الأجد حسن إلى الملك الصالح  
نجم الدين ، فوصل إلى المعسكر بالمنصورة ، يوم السبت لتسع مضي من جمادى الآخرة ،  
وبشّره بأنه هو وأخوه الظاهر أخذوا الكرك له ، وسأله في خبز بديار مصر يقوم بهما . فأكرمه  
السلطان ، وأعطاه مالا كثيرا ، وسير الطواشي بدر الدين الصوابي إلى الكرك نائباً بها  
وبالشوبك . فتسلمها [بدر الدين] ، وسير أولاد الناصر داود جميعهم ، وأخويه الملك  
[الملك] القاهرة [عبد الملك] ، والملك المغيث [عبد العزيز] ، ونساءهم وعيالاتهم كلها ، إلى  
المعسكر [بالمنصورة] . فأقطعهم السلطان إقطاعاً جليلاً ، ورتب لهم الرواتب ، وأنزل أولاد الناصر  
في الجانب الغربي قبالة المنصورة . وكان استيلاء نائب السلطان على الكرك يوم الاثنين ، لاثنتي  
عشرة بقيت من جمادى الآخرة ، وسر السلطان بأخذ الكرك سروراً عظيماً ، وأمر فزيّنت  
القاهرة ومصر ، وضربت البشائر بالقلعتين . وجهاز [السلطان] إلى الكرك ألف ألف دينار  
مصرية ، وجواهر و ذخائر وأسلحة ، وشيئا كثيرا مما يعز عليه .

وفي ثالث عشر شهر رجب وصل إلى القاهرة سبعة وأربعون أسيراً من الفرنج ، وأحد

(١) نفع عين الناصر على تلك الجواهر بعد إيداعها عند الخليفة ، ذلك أن انتم استولوا عليها سنة ٦٥٦ هـ .  
(١٢٥٨ م) ، عند ما أخذوا بغداد وقتلوا الخليفة المستنصر بالله . (ابن واصل : قس المرجع ، ص ١٣٥٧) .  
(٢) أضيف ما بين القوسين من ابن واصل (قس المرجع ، ص ١٣٥٨) . وفي قس المرجع والصفحة أن  
الملك الناصر داود فصل ولده المعظم شرف الدين عيسى على سائر إخوته ، وأقامه مقام نفسه بالكرك ، لأن والدته  
أم ولد تركية ، كان يميل إليها الملك الناصر داود ميلاً كثيراً ، ويحب ابنها أكثر من محبة لإخوته الباقين . وكان الناصر  
ولدان من ابنة عمه الملك الأجد ابن الملك العادل ، وهما الملك الظاهر شادى ، والملك الأجد حسن . وكان الملك  
الظاهر أكبر أولاده ، وقد ولد بقلعة دمشق ، قبل أن تؤخذ دمشق منه . وكان الملك الأجد نبياً فاضلاً ، مشاركاً  
في علوم شتى . هذا وقد كان للناصر أولاد عدا هؤلاء ، من أمهات أخرى .

(٣) أضيف ما بين الأقواس من ابن واصل (قس المرجع ، ص ٣٥٨ ب) .



عشر فارسا منهم ؛ وظفر المسلمون بعد أيام بمسطح<sup>(١)</sup> للفرنج في البحر، فيه مقاتلة، بالتقرب من نَسْرَاوَة<sup>(٢)</sup> .

فلما كان ليلة الاثنين نصف شعبان، مات السلطان الملك الصالح بالمنصورة، [وهو] في مقابلة الفرنج، عن أربع وأربعين سنة، بعد ما عهد لولده [الملك المعظم] تورانشاه، وحلف له نحر الدين ابن الشيخ ومحسن الطواشي، ومن يتق به ؛ وبعد ما علم قبل موته عشرة آلاف علامة . يستعان بها في المكاتبات على كتبان موته، حتى يقدم ابنه تورانشاه من حصن كيفا . وكانت أم<sup>(٣)</sup> [السلطان الملك الصالح] أم ولد، اسمها ورد المنى ؛ وكانت مدة ملكه بمصر عشر سنين إلا خمسين يوما . ففسله أحد الحكماء الذين تولوا علاجه، لكي يخفى موته . وحمل في تابوت إلى قلعة الروضة، وأخفى موته . فلم يشتهر إلى ثاني عشرى رمضان؛ ثم نقل بعد ذلك بمدة إلى تربته بجوار المدارس الصالحية بالقاهرة .

والملك الصالح هو الذى أنشأ الممالك البحرية بديار مصر : وذلك أنه لما مر به ما تقدم ذكره، في الليلة التي زال عنه ملكه، بتفرق الأكراد وغيرهم من العسكر عنه، حتى لم يثبت معه سوى ممالكه، رعى لهم ذلك . فلما استولى على مملكة مصر أكثر من شراء الممالك،

(١) نوع من السفن، جمعه مسطحات، والغالب أنه سمى بذلك لأنه كان له سطح . وقد وصفه : (Dozy)  
Supp. Diet. Ar.) بالآتي : "sorte de navire, peut-être un navire qui a un pont, un tillac."  
(٢) بغير ضبط في ص، وتسمى أيضا نَسْرَاوَة، وكانت تطلق في تلك العصور على بلدة البرلس الحالية، وعلى بحيرة البرلس أيضا . وكانت بلدة نَسْرَاوَة إذ ذاك، حبا جاء في باقوت (معجم البلدان، ج ٤، ص ٧٨٠، انظر أيضا ج ١، ص ٥٩٣)، جزيرة بصاد فيها السمك، وعلى أهلها ضمان خمسين ألف دينار . ولم يكن عندهم ماء عذب، وإنما يأتيهم في المراكب، وهذا لاحتهم مراكب الماء . ضربوا بوق ببشارة مروراء، ثم يأتي كل رجل بجذره يأخذ فيها الماء، ويحملها إلى بيته . راجع أيضا (Enc. Isl. Art. Burullus) .  
(٣) في ص "امه" .

(٤) كانت وفاة السلطان الملك الصالح أيوب، حبا جاء في ابن راصل (نفس المربع، ص ١٢٥٩) "ليلة الأحد لأربع عشر ليلة مضت من شعبان ... فكانت مدة ملكه للديار المصرية تسع سنين وثمانية أشهر وعشرين يوما . وكان عمره نحو أربعين سنة، لأن مولده سنة ثمان (ثمانية في الأصل) وستائة" .



وجعلهم معظم عسكره بـ وقبض على الأمراء [الذين كانوا عند أبيه وأخيه ، واعتقلهم وقطع  
أخبارهم] بـ وأعطى [مماليكه] الإمريات ، فصاروا بطائفة والمحيطين بدهليزه (٨٨ ب) ،  
وسمهم بالبحرية لسكناهم معه في قلعة الروضة على بحر النيل .

وكان ملكا شجاعا حازما مهيبا ، أشدة سطوته ونخامة ناموسه ، مع عزة النفس وعلو الهمة ،  
وكثرة الحياء والعفة وظهارة الذيل عن الخنا ، وصيانة اللسان من الفحش في القول ، والإعراض  
عن الهزل والعبث بالكعبة ، وشدة الوفاق ولزوم الصمت ، حتى إنه كان إذا خرج من عند  
حرمة إلى ممالكه ، أخذتهم الرعدة عند ما يشاهدونه — خوفا منه — ، ولا يبقى أحد منهم مع  
أحد . و [ كان ] إذا جلس مع ندمائه كان صامتا ، لا يستفزّه الطرب ولا يتحرك ، وجلساؤه  
كأنما على رؤوسهم الطير . وإذا تكلم مع أحد من خواصه ، كان ما يقوله كلمات نكرة وهو  
في غاية الوفاق ، وتلك الكلمات لا تكون إلا في مهم عظيم ، من امتنارة أو تقدم بأمر  
من الأمور المهمة . لا يعدو حديثه قط هذا النحو ، ولا يجسر أحد يتكلم بين يديه إلا جوابا .  
وما عُرف أبدا عن أحد من خواصه أن تكلم في مجلسه ابتداء البتة ، ولا أنه جسر على شقاعة  
ولا مشورة ولا ذكر نصيحة ، ما لم يكن ذلك بابتداء من السلطان ، فإذا انفرد بنفسه  
لا يدنو منه أحد . ولانت القصص ترد إليه مع الخدام فيوقع عليها ، ويخرج بها الخدام إلى  
كاتب الإنشاء ، ولا يستقل أحد من أرباب الدولة بانفراد بأمر ، بل يرجع بالقصص مع  
الخدام . ومع هذه الشهامة والمهابة لا يرفع بصره إلى من يتحدثه ، حياء منه وخفرا ،  
ولم يُسمع منه قط في حق أحد من خدمه لفظة فحش ، وأكثر ما يقول إذا شتم أحدا :  
"متخلف" ، لا يزيد على هذه الكلمة ، ولا عُرف قط من النكاح سوى زوجته وجواريه .  
وكانت البلاد في أيامه آمنة مطمئنة والطرق سابلة ، إلا أنه كان عظيم الكبر زائد الترفع ،  
بلغ من كبره وترفعه أن ابنه الملك المغيث عمر ، لما حبسه الملك الصالح إسماعيل عنده ،

(١) أضيف ما بين القوسين بعد مراجعة ابن واصل (نفس المراجع ، ص ١٣٥٩) .

(٢) في ص "اعطاهم" .

(١) من ص "مهايا" .



لم يسأله فيه ولا طلبه منه ، حتى مات في حبسه . وكان يحب جمع المال ، بحيث أنه عاقب عليه أم أخيه الملك العادل ، إلى أن أخذ منها مالا عظيما وجواهر نفيسة .

وقتل [ السلطان الملك الصالح أيوب ] أخاه الملك العادل ، ومن حين قتله ما انتفع بالحياة ولا تنهى بها : فنزل به المرض ، وطرقه الفرنج ، وقبض على جميع أمراء الدولة ، وأخذ أموالهم وذخائرهم . ومات في حبسه ما يذيف على خمسة آلاف نفس ، سوى من قتل وغرق من الأشرفية في البحر . ولم يكن له مع ( ١٨٩ ) ذلك ميل إلى العلم ولا مطالعة الكتب ، إلا أنه كان يحرق على أهل العلم والصلاح المعاليم والبحرايات ، من غير أن يخالطهم . ولم يخالط غيرهم ، لمحبه في العزلة ورغبته في الانفراد . وملازمته للصمت ومداومته على الوقار والسكون .

وكان يحب العمارة ويباشر الأبنية بنفسه ، وعمر بمصر مالم يعمره أحد من ملوك بني أيوب : فأنشأ قلعة الروضة تجاه مدينة فسطاط مصر ، وأنفق فيها أموالا جملة ، وهدم كنيسة كانت هناك للبعاقبة من النصارى . وأسكن بهذه القلعة ألف مملوك من الترك — وقيل ثمانمائة — ستمهم البحرية . وكان الماء حينئذ لا يحيط بها . فلم يزل يفرق السفن . ويرمى الحجارة فيما بين البحيزة والروضة ، إلى أن صار الماء في طول السنة محيطا بالروضة . وأقام جسرا من مصر إلى الروضة ، يمر عليه الأمراء وغيرهم إذا جاءوا إلى الخدمة . ولم يكن أحد يمر على هذا الجسر راكبا ، احتراماً للسلطان . بغاءت هذه القلعة من أجل مباني الملوك . وبني أيضا على النيل بناحية اللوق قصورا بلغت الغاية في الحسن ، جعلها إلى جانب ميدانه الذي يلعب فيه بالكرة ، وكان مغرى بلعبها . وبني قصرا عظيما فيما بين القاهرة ومصر ، سماه

(١) في س "ولا" .

(٢) أطلق اسم ناحية اللوق في الأصل — ومعنى اللوق الأرض البنية — على الجهة التي انحصر عنها ماء النيل ، من ساحل المقص إلى منشأة الهراني بالقاهرة . وعرفت تلك الناحية باسم باب اللوق ، وهو باب الميدان الصالحى المذكور هنا ، وقد بنى ذلك الباب إلى ما بعد سنة ٥٧٤٠ هـ (المقريزى : المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ١١٧ —

١١٨ ، ١٩٨) .



الكبش ، على الجبل يحوار جامع ابن طولون . وبني قصرا بالقرب من العَلَّامَةِ<sup>(١)</sup> في أرض السائح ، وجعل حوله مدينة سماها الصالحية ، فيها جامع وسوق ، لتكون مركزا للعساكر بأول الرمل الذي بين الشام ومصر .

وكان له من الأولاد الملك المغيث [ فتح الدين<sup>(٢)</sup> ] عمر ، وهو أكبر أولاده ، مات في سجن قلعة دمشق ، والملك المعظم [ غياث الدين ] تورانشاه ، وملك مصر بعده ، والملك الناصر ، ومات في حياته أيضا . وولد له أيضا من شجر الدر ولد سماه خليلا ، مات صغيرا .

ولما طال مرضه من الجراحة الناصورية — وفسد مخرجه ، وامتد الجرح الى نخذه اليمن ، وأكل جسمه — اجتهد في مداواتها ، وحدث له مرض السل من غير أن يظن به . فورد كتابه الى الأمير حسام الدين بن أبي علي بالقاهرة : ” إن الجراحة قد صلحت وجفت رطوباتها ، [ ولم يبق إلا ركوبى ولعبي بالصوبلحة ] ، فتأخذ حظك من هذه البشرى “ . وفي الحقيقة لم تجف الجراحة إلا لفراغ المواد ، وتزايد عليه بعد ذلك المرض حتى مات .

وقيل إنه لم يعهد الى أحد بالملك ، بل قال للأمير حسام الدين بن أبي علي : ” إذا مات لا تسلم ( ٨٩ ب ) البلاد إلا للعيقة المستعصم بالله ، ليرى فيها رأيه “ ، فإنه كان يعرف ما في ولده [ المعظم توران شاه ] من الهوج . فلما مات السلطان أحضرت زوجته شجر الدر الأمير نغر الدين بن شيخ الشيوخ ، والطواشي جمال الدين محسن — وكان أقرب الناس الى السلطان ،

(١) بنير ضبط في س ، أوفى باقوت (معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٧١٠) . وهي ” بلدة ... .. دون بلبيس ، فيها أسواق وبازار (كذا) يقوم للعرب “ . وفي مبارك (المخطط التوفيقية ، ج ١٤ ، ص ٥٣ — ٥٤) ، أن هذه البلدة كانت في زمة إحدى مراكز مديرية الشرقية .

(٢) أضيف ما بين الأقواس ، بشار هذه الفقرة ، من ابن واصل (قس المرجع ، ص ٣٦٠ ب) .

(٣) في س ” خليل “ .

(٤) في س ” أن الجراحة قد صلحت وحمت رطوباتها فاحد حظك من هذه البشرى “ ، وقد أصلحت العبارة ، وأضيف ما بين القوسين من ابن واصل (قس المرجع ، ص ٣٦١ أ - ب) .

(٥) كان الملك المعظم ، قفلا عن ابن واصل (قس المرجع ، ص ٣٦٠ ب) ” عنده هوج واضطراب ، وكان أبوه الملك الصالح نجم الدين أيوب يكرهه لذلك “ .



وإليه القيام بأمر ممالكه وحاشيته — وأعلمتهما بموت السلطان ، ووصتهما بكتمان موته ، خوفا من الفرنج . وكان الأمير نغر الدين عاقلا مدبرا ، خليقا بالملك ، جوادا محبوبا إلى الناس . فاتفقا مع شجر الدر على القيام بتدبير المملكة ، إلى أن يقدم الملك المعظم تورانشاه . فأحضرت [ شجر الدر ] الأمراء الذين بالمعسكر . وقالت لهم : ” إن السلطان قد رسم بأن تحلفوا له ، ولابنه الملك المعظم غياث الدين تورانشاه صاحب حصن كيفا أن يكون سلطانا بعده ، وللاُمير نغر الدين يوسف بن شيخ الشيوخ بالتقدمة على العساكر والقيام بالإنابة وتدبير المملكة “ . فقالوا كلهم سمعا وطاعة ، ظنا منهم أن السلطان حي ، وحلفوا بأسرهم ، وحلفوا سائر الأجناد والممالك السلطانية .

وكتب على لسان السلطان إلى الأمير حسام الدين بن أبي علي الهذباني بالقاهرة ، أن يحثف أكابر الدولة وأجنادها بالقاهرة . فحضر إلى دار الوزارة<sup>(١)</sup> قاضي القضاة بدر الدين يوسف بن الحسن قاضي سنجار ، والقاضي بهاء الدين زهير بن محمد كاتب الإنشاء — وكان الملك الصالح قد أبعد له لأمر تقمه عليه — ، وحثفا من حضر من الأعيان على ما تقدم ذكره ، وكان ذلك في يوم الخميس ثامن عشر شعبان . واستدعى القاضي بهاء الدين زهير من القاهرة إلى المعسكر بالمنصورة .

وقام الأمير نغر الدين بتدبير المملكة ، وأقطع البلاد بمناشيره ، وأعاد البهاء زهيراً إلى

(١) تقدم ذكر موضع هذه الدار في ص ٢٩٧ (حاشية ٦) ، وفي ص ٣٢٦ أيضا (سطر ٧) ، والراجع أن المقرئ في قصص دار الوزارة الكبرى بالتهرة الماطمية ، وليس دار الوزارة التي كانت بالقلمة في عهد الأيوبيين والمماليك . ( انظر الحاشية رقم ٦ ، المشار إليها ) . وكانت دار الوزارة الكبرى من منشآت العهد الماطمي ، بناها الأفضل ابن أمير الجيوش بدر الجمالي ، بجوار قصر الكبير الشرقي ، لتكون مسكنا لى مرة الجيوش . واستمرت تحت الدار الكبرى كذلك مسكنا زمن الفاطميين ، ثم سكنها سلاطين الأيوبيين أنفسهم ، من عهد السلطان صلاح الدين إلى زمن السلطان الملك الكامل ، وصارت تسمى بالدار السلطانية . وأول من انتقل عنها من الملوك الأيوبيين السلطان الملك الكامل نفسه ، فإنه سكن قلعة الجبل ، وجعل هذه الدار منزلا لمن يرد إلى مصر من الملوك والرسل ، وبقيت لذلك الغرض زمنا طويلا . ( المقرئ : المواظ والاعتبار ، ج ١ ، ص ٤٣٨ — ٤٣٩ ) .

(٢) في ص ” زهير “ .



منصبه . فكانت الكتب ترد من المعسكر وعليها علامة السلطان الملك الصالح [نجم الدين أيوب] ، فقليل إنها كانت بخط خادم يقال له سهيل<sup>(١)</sup> ، لا يشك من رآه أنه خط السلطان . ومشى هذا على الأمير حسام الدين نائب السلطنة مدة . إلى أن أوقفه بعض أصحابه على اضطراب في العلامة ، يخالف علامة السلطان<sup>(٢)</sup> . فنحصر عن خبر السلطان من بعض خواصه الذين بالمعسكر ، حتى عرف موته . فاشتد خوفه من الأمير نجر الدين ، وخشى أن يتغلب على الملك ، فاحتاط لنفسه .

وأخذ الأمير نجر الدين يطلق المسجونين (١٩٠) ، ويتصرف في إطلاق الأموال والنخع على خواص الأمراء ، وأطلق السكر والكان إلى الشام . فعلم الناس بموت السلطان من حينئذ ، غير أن أحدا لا يحسر أن يتفوه به .

(١) علامة السلطنة هي ما يكتب السلطان بخطه على صورة اصطلاحية خاصة ، وكانت صورة علامة الملك الصالح نجم الدين أيوب ، حسبما جاء في ابن واصل (نفس المراجع ، ص ١٣٦٢ - ب) "أيوب بن محمد بن أبي بكر بن أيوب" . وكان لكل سلطان علامة وتوقيع ، وقد ذكر المقرئ (المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٢١١) صور كل منها من عهد السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون (٦٩٣ - ٥٧٠٩ - ١٢٩٣ - ١٣٠٩ م) إلى زعمه ، ونصه : "قد جرت العادة أن السلطان يكتب خطه على كل ما يأمر به ، فأما مناشير الأمراء والجند وكل من له إقطاع ، فإنه يكتب عليه علامته . وكتبها الملك الناصر محمد بن قلاوون "الله أمل" ، وعمل ذلك الملوك بعده إلى اليوم . وأما تقايد النواب ، وتوابع أرباب المناصب من خدعة ووراء ، والكتاب وبقية أرباب الوظائف ، وتوابع أرباب الرواتب والإحلاقات ، فإنه يكتب عليها اسمه واسم أبيه إن كان أبوه ملكا ، فيكتب مثلا محمد بن قلاوون ، أو شعبان بن حسين ، أو فرج بن برقوق . وإن لم يكن أبوه ممن تسلطن ، كبير فوق أو شيخ ، فإنه يكتب اسمه فقط ، ومثاله برقوق أو شيخ . وأما كتب البريد وخلاص الحقوق والظلمات ، فإنه يكتب أيضا عليها اسمه ، وربما كثر المكتوب إليه ، فكتب إليه : أخوه فلان ، أو والده فلان" ، وأخوه يكتب للأكابر من أرباب الرتب . والذي يعم عليه السلطان إما إقطاع ، فالرسم فيه أن يقال نخرج الأمر الشريف ، وإما وظائف ورواتب وإطلاقات ، فالرسم في ذلك أن يقال رسم بالأمر الشريف . وأعلى ما يعم عليه [السلطان] ما افتتح بخطه أو لما اخذ الله ، ثم ما افتتح بخطه أو لما بعد حمد الله ... وتعالى المناسير افتتح فيها بالحمد لله أول الخطبة أن تضرع بالسواد ، وتضع من اسم السلطان وألقابه . وقد بضت الصغراء في وقتنا هذا " .

(٢) اسم هذا الخادم "سهيل" ، في ابن واصل (نفس المراجع ، ص ٣٦٢ ب) .

(٣) كان جمال الدين بن واصل ، صاحب كتاب مفرج الكرب (انظر ص ١٣٦٣) هو الذي نبه الأمير حسام الدين إلى اختلاف العلامة السلطانية .



وسار من المعسكر الفارس <sup>(١)</sup> أَقْطَاىَ، وهو يومئذ رأس الممالك البحرية، لإحضار الملك المعظم من حصن كيفا. وبعث الأمير حسام الدين [محمد بن أبي علي، نائب السلطنة بالقاهرة، من عنده] قاصدا من قبله أيضا. فلما كان يوم الاثنين لثمان بقين من شعبان، أمر [الأمير حسام الدين] الخطباء بأن يدعوا يوم الجمعة للملك المعظم، بعد الدعاء لأبيه؛ وأن ينقش اسمه على السكة، بعد اسم أبيه. وتوهم الأمير حسام الدين من الأمير نغر الدين أن يقيم الملك المغيث <sup>(٢)</sup> عمر بن العادل أبي بكر بن الكامل، ويستولى على الأمر؛ فنقله من عند عمات أبيه بنات الملك العادل أبي بكر بن أيوب، من القاهرة إلى قلعة الجبل؛ ووكل به من يحاط عليه، ولا يسلمه لأحد.

هذا والمكتابات ترد من الأمير نغر الدين، وعنوانها "من نغر الدين الخادم يوسف"، فيجيب عنها الأمير حسام الدين، ويجعل العنوان "المملوك أبو علي"، فيتجاهلان في ظاهر الأمر. وأما في الباطن فإن الأمير نغر الدين أخذ في الاستبداد والاستقلال بالملكة، واختص بالصاحب جمال بن مطروح، وبالقاضي بهاء الدين زهير؛ وصار يركب في موكب عظيم، وجميع الأمراء في خدمته، ويترجلون له عند النزول، ويحضرون سباطه.

ووصل قاصد الأمير حسام الدين إلى حصن كيفا، وطالع الملك المعظم بأن المصلحة في السرعة، ومتى تأخرت القوات، وتغلب الأمير نغر الدين على البلاد؛ ثم وصل إليه بعد

(١) مضبوط على مخطوطة في (Binchot: Op. cit. p. 521, N. 4)، وهذا الاسم في ابن واصل (نفس المرجع، ص ٣٦٣ ب) "أقطايا".

(٢) هذا اللفظ محبوب بورقة ملصقة فوقه في س، ولكنه في ب (١١٠٨).

(٣) أضيف ما بين القوسين بعد مراجعة ابن واصل (نفس المرجع، ص ٣٦٣ ب)، وكان القاصد الذي أرسله الأمير حسام الدين أحد عمالكة الخواص، يعرف بزين الدين العاشق.

(٤) كان الملك المغيث هذا عند عماته منذ وفاة أبيه، (انظر ص ٣٢٧، سطر ١٠، وما يليه)، وكان عمره

لما اعتقل بالقلعة حوالي أربع عشرة سنة. (ابن واصل: نفس المرجع، ص ٣٦٣ ب).

(٥) يظهر أن الأمير نغر الدين كان قد حدث نفسه بالسلطة في ذلك الوقت، فانه حسبما جاء في ابن واصل (نفس

المرجع، ص ١٢٦٦)، "كان قد انتهى إلى قريب رتبة الملك الصالح نجم الدين أيوب، وكانت منه ترقى إلى الملك ... ..".



ذلك قُصَادُ نَخْر الدين وشجر الدر . نَفْرَج [المعظم] من حصن كيفا ليلة السبت لإحدى عشرة [ليلة] مضت من شهر رمضان ، في خمسين فارساً من أزمه . وقصد عانة ليعدى الفرات ، وقد أقام له بدر الدين تُوْتُو صاحب الموصل جماعة ، وأقام له الحلبيون أيضاً جماعة ، يقبضون عليه . فنجاه الله منهم وعدى الفرات من عانة . وصلت البرية ، فخطر بنفسه وكاد يهلك من العطش .

هذا وشجر الدر تدبر الأمور حتى لم يتغير شيء ، وصار المدهليز السلطاني على حاله ، والباط في كل يوم<sup>(١)</sup> يمد ، والأمراء تحضر الخدمة ، وهي تقول : "السلطان مريض ، ما يصل إليه أحد" .

وأما الفرنج فما هو إلا أن فهموا أن السلطان قد مات [حتى] خرجوا من دمياط ، فارسهم وراجلهم ، ونزلوا على فارس كور ، وشوانهم في بحر النيل تحاذيهم ، ورحلوا من فارس كور يوم الخميس لخمس بقين من شعبان . فورد في يوم الجمعة إلى القاهرة من المعسكر كتاب ، فيه حض ( ٩٠ ب ) الناس على الجهاد ، أوله : أَيْفُرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا ، وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ، ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ . وكان كتاباً بليفاً فيه مواعظ جمّة ، فقرأ على الناس فوق منبر جامع القاهرة ، وحصل عند قراءته من البكاء

(١) ليس لهذا اللفظ وجود في س ، ولكنه في ب ( ١٠٨ ) .

(٢) كذا في س ، وفي ابن واصل (نفس المربع ، ص ٣٦٤ ب) ، وبسمها ياقوت (معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٨٣٨) "الفارسكر" ، وكانت في زمن قرية من كورة الدهلية . وهي الآن من مراكز مديرية الدهلية ، وكانت كذلك أيام مبارك (الخطط التوفيقية ، ج ١٤ ، ص ٦٤ - ٦٦) .

(٣) يرجع ابن واصل (نفس المربع ، ص ٣٦٤ ب) أن هذا الكتاب كان من إنشاء بهاء الدين زهير .

(٤) لعسل المقرئى يريد هنا الجامع الأزهر ، ويميل الى هذا الرأي (Blochet : Op. cit. p. 525) ، إذ تريم العبارة الى (la grande mosquée du Caire) . على أنه لا يوجد في المقرئى (المواعظ والاعتبار ، ج ١ ، ص ٢٢٢) ، أو في الفلقشتى (صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٣٦٤ ، وما بعدها) ، أو في ابن واصل (نفس المربع ، ص ٣٦٤ ب) ما يساعد على تعيين الجامع المقصود هنا ، ونص المربع الثالث كالاتى : "قضى هذا الكتاب على الناس بالمنبر بالجامع بالصلاة بالقاهرة" .



والنجيب وارتفاع الأصوات بالضجيج ما لا يوصف . وارتجت القاهرة ومصر ، لكثرة  
انزعاج الناس وحركتهم للسير ؛ فخرج من البلاد والنواحي لجهاد الفرنج عالم عظيم ، وقد اشتد  
كرب الخلائق من تمكن الفرنج وقوتهم وأخذهم البلاد ، مع موت السلطان .

فلما كان يوم الثلاثاء أول يوم من شهر رمضان واقع الفرنج المسلمين ، فاستشهد العلاني  
أمير مجلس ، وجماعة [ من الأجناد ] ؛ وقتل من الفرنج عدة . ونزل الفرنج بشارمساح ،  
وفي يوم الاثنين سابعه نزلوا البرمون ؛ فاشتد الكرب وعظم الخطب ، لدنوتهم وقربهم من  
المعسكر . وفي يوم الأحد ثالث عشره وصلوا إلى طرف بر دمياط ، ونزلوا تجاه المنصورة ،  
وصار بينهم وبين المسلمين بحر أشموم . [ وكان معظم عسكر المسلمين في المنصورة بالبر  
الشرقي ] ، وفي البر الغربي أولاد الملك الناصر داود صاحب الكرك : [ وهم الملك الأنجد ،  
والملك الناصر ، والملك المعظم ، والملك الأوحدي ] ، في عدة من العسكر — [ وكان أولاد الملك  
الناصر داود ، الأكبر منهم والأصغر الذين قدموا القاهرة ، اثني عشر ولدا ذكرا . وكان  
بالبر الغربي أيضا أخوا الملك الناصر داود : وهما الملك الفاهر عبد الملك ، والملك المغيث  
عبد العزيز ] . فاستقر الفرنج بمقراتهم هذه ، وخندقوا عليهم خندقا ، وأداروا سورا وستروه  
بالستائر ، ونصبوا المجانيق ليرموا بها على معسكر المسلمين . ونزلت شوانهم بإزائهم في بحر  
النيل ، ووقفت شوانى المسلمين بإزاء المنصورة ؛ ووقع القتال بين الفريقين برا وبحرا .  
وفي يوم الأربعاء سادس عشره قفز إلى عند المسلمين ستة خيالة ، وأخبروا بضائقة

(١) أضيف ما بين القوسين من ابن واصل (نفس المربع ، ص ٣٦٤ ب) .  
(٢) في ص "ونزلوا" ، راجع ابن واصل (نفس المربع ، ص ٣٦٤ ب) . وما يجب ملاحظه هنا أن الفرنج  
زحفوا تلك المرة عن نفس الطريق الذي اتبعوه سنة ٦١٥ هـ ، (انظر ص ١٨٨ ، ١٩٤ — ١٩٥ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ،  
٢٠١ — ٢٠٣ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ — ٢٠٩) ، وحوادث هذه الحملة مشابهة في كثير من التفاصيل لسابقتها . راجع  
(Joinville : St. Louis. pp. 40 et seq.)

(٣) أضيف ما بين الأقواس ، بإثر هذه الفقرة ، من ابن واصل (نفس المربع ، ص ٣٦٤ ب — ٣٦٥ ،  
وكذلك ص ٣٣٨ ، سطر ٢ ، وما يليه .

(٤) في ص "الماجنيق" .



الفرنج . وفي يوم عيد الفطر أسر كند كبير من الفرنج ، له قرابة من الملك ريدا فرنس . واستمر القتال ، وما من يوم إلا ويقتل من الفرنج ويؤسر [وقد] لقوا من عامة المسلمين وسؤالهم نكاية عظيمة ، وتخطفوا منهم وقتلوا كثيرا . وكانوا إذا شعروا بالفرنج ألحقوا أنفسهم في الماء ، وسبحوا إلى أن يصيروا في بر المسلمين . و [كانوا] يتحيلون في خطفهم بكل حيلة : حتى أن شخصا أخذ بطيخة أدخل فيها رأسه ، وغطس في الماء إلى أن قرب من الفرنج فظنوه بطيخة ، فسا هو إلا أن نزل [أحدهم] في الماء ليتناولها إذ اختطفه المسلم ، وعام به حتى قدم به إلى المسلمين . وفي يوم الأربعاء سابع شوال ، أخذ المسلمون شيئا ، فيه نحو مائتي رجل من الفرنج وكند كبير . وفي يوم الخميس النصف منه (١٩١) ركب الفرنج [والمسلمون] ، فدخل المسلمون إليهم البر الذي هم فيه ، وقاتلوهم قتالا شديدا ، قتل فيه من الفرنج أربعون فارسا ، وقتلت خيولهم . وفي يوم الجمعة تاليه وصل إلى القاهرة سبعة وستون أسيرا من الفرنج ، منهم ثلاثة من أكابر الداوية . وفي يوم الخميس ثاني عشره أحرقت للفرنج مرمة عظيمة في البحر ، واستظهر المسلمون عليهم استظهارا عظيما .

(١) لا يوجد في (Joinville : Op. cit. p. 50 et seq.) ، أو في غيره من المراجع المتداولة في هذه الحواشي ، ما يدل على اسم هذا الكند الذي أسر ذلك اليوم . على أنه من الرابع أنت المقريزي يقصد هنا (Count of Anjou) ، أحد إخوة ملك فرنسا الذين كانوا معه في تلك الغلة ، وأنه كاد يقع في أيدي المسلمين مرة ، حوالى التاريخ الوارد هنا . انظر (Joinville : Op. cit. p. 50) .

(٢) يقابل هذا اللفظ كلمة " الحرافقة " في ابن واصل (نفس المرجع ، ص ١٣٦٥) ، وكذلك في العيني (عقد الجمان ، ص ٢٠٨ ، في Rec. Hist. Or. II. 1) ، وهم أتباع الصكرات ، الذين لا يتموت لفرقة معينة أو لقائد خاص .

(٣) في ص " ينجبلوا " .

(٤) في ص " شبنى " ، وفوق يائها المتوسطة علامة السكون .

(٥) أضيف ما بين القوسين من ابن واصل (نفس المرجع ، ص ٣٦٥ ب) .

(٦) يشير المقريزي هنا إلى البرجين المتحركين اللذين ابتاعهما ملك فرنسا حين ذاك على الضفة الشمالية لبحر أشبوم ، لوقاية الجنود والعمال المستخدمين في إقامة جسر هناك عبر المجرى . وقد سلب المسلمون عليها النار الإغريقية ، وألحوا في الرمي حتى أحرقوها . (Joinville : Op. cit. pp. 47, 52) .



[وما زال الأمر على ذلك]، إلى أن كان يوم الثلاثاء خامس ذي القعدة، دَلَّ بعض منافق<sup>(١)</sup> أهل الإسلام الفرنج على مخاض في بحر آشمون، فلم يشعر الناس إلا والفرنج معهم في المعسكر. وكان الأمير نحر الدين في الحمام، فأنابه الصريح بأن الفرنج قد هجموا على المعسكر، فخرج مدهوشا وركب فرسه من غير اعتداد ولا تحفظ، وساق لينظر الخبر ويأمر الناس بالركوب، وليس معه سوى بعض مماليكه وأجناده. فلقيه طُلبُ الفرنج<sup>(٢)</sup> الداوية وحملوا عليه، ففر من كان معه وتركوه وهو يدافع عن نفسه؛ فطعنه واحد برمح في جنبه، واعتورته السيوف من كل ناحية، فمات رحمه الله. ونزل الفرنج على جَدِيلَةٍ<sup>(٣)</sup>، وكانوا ألفا وأربعمائة فارس، ومقدمهم أخو الملك ريدافرنس.

(١) المراجع العربية مختلفة في تعيين من دل الفرنج على هذه الخائنة، فمن ابن واصل (مس المرجع، ص ١٣٦٦) أن بعض المسلمين دلوا الفرنج على مخاضة سلون؛ وفي المعنى (غنى الجواهر، ص ٢٠٨، في Rec. Hist. Or. II. I.)، أن الفرنج خاضوا من مخاضة في بحر آشمون يقال لها مخاضة سلون، دلم عليها قوم من سلون لبسوا بمسلمين. وهذا وفي (Joinville: Op. cit. p. 53)، أن بدويا عرض أن يدل الفرنج على مخاضة، في مقابل خمسين قطعة من قودم (500 bezants).

(٢) كان ملك فرنسا قد رتب الجيوش على أن تكون قسمة الداوية طليعة، وأن تليها الفرقة التي يقودها أخوه (Count of Artois). انظر (Oman: Art of War In The Middle Ages. Vol. I. p. 345).  
(٣) في مس "اعتروة".

(٤) بغير ضبط في مس، وهي تل مطل على الشاطئ الجنوبي لبحر آشمون، كان المسلمون قد نصبوا مجانيقهم وأبراجهم عليه، فباله معسكر الفرنج والرحيل المتحركين على الشاطئ الآخر. انظر (Rec. Hist. Or. II. I. Index). وكذلك (Oman: Op. Cit. I. p. 347).

(٥) يقصد المقرئ (Count of Artois) المتقدم ذكره في الحاشية رقم ٢، وكان قد غلبت عليه الحماسة وحب السبق، واندفع بمجرد عبوره الخاضة فرقتة نحو كوكبة مغاربة من حامية المسلمين، فداردها وأعطى إلى المعسكر؛ وظل يدرجاله ورجال فرقة الداوية التي خلفه، كان حنف الأمير نحر الدين. ثم تقدم (Count of Artois) إلى معسكر المسلمين، واستول على الجهة التي كانت بها آلاتهم الحربية (انظر الحاشية السابقة). ويظهر أنه كان قد نفي الاقتراد بظفر ذلك اليوم، من دون بقية الجيوش الفرنجية، فلم يقف منتظرا وصولهم إلى حيث وصل، بل تقدم مسرعا نحو المنصورة ودخلها منصورا، كما هو مذكور فيما يلي. انظر (Joinville: Op. cit. pp. 54 et seq.; Oman: Op. cit. I. pp. 346 et seq.).



وما هو إلا أن قتل الأمير نحر الدين ، وإذا بالفرنج اقتحموا على المنصورة . فنفروا<sup>(١)</sup> الناس وانهزموا يمينا وشمالا ، وكادت الكسرة أن تكون ، فإن الملك ريد افرنس وصل بنفسه إلى باب قصر السلطان . إلا أن الله تدارك بطفه . وأخرج إلى الفرنج الطائفة التركية ، التي تعرف بالبحرية والجمدارية ، وفيهم [ ركن الدين ] بيبرس البندقداري الذي تسلط بعد هذه الأيام . فحملوا على الفرنج حملة زعزعوهم بها ، وأزاحوهم عن باب القصر . فلما ولوا أخذتهم السيوف والداييس ، حتى قتل منهم في هذه النوبة نحو ألف وخمسمائة من أعيانهم وشجعانهم . وكانت رجالة الفرنج قد أتوا الجسر ليعدوا منه ، فلولا لطف الله لكان الأمر يتم لهم بتعديتهم الجسر .

(١) لم يكن ملك فرنسا قد زحف بعد نحو المنصورة ، وإنما المقصود هنا (Counts of Artois) ، فانه تقدم نحو قصر السلطان ، وانتشرت جنوده في أزقة المنصورة ، حيث أمطروهم السكان وابلا من الأحجار والطوب والسهام . وبينما الكل على ذلك ، كان المسلمون قد استجمعوا بعض قوام خارج المدينة ، فدخلت منهم طائفة المنصورة ، وهاجروا المخرج وقتلوا فيه وحكروهم عن آسورهم تقريبا ، وكان (Count of Artois) من قتلى هذه الحملة . كما هو وارد فيما يلي . هذا والسبب في تسميته هنا باسم ملك الفرنسيين ، أنه لما وقع صريحا وأخذ كراغته لمرضه على المسلمين ، وهو مطرزة بزهرة الزنبق (Fleur-de-lis) شعار أبناء البيت المالكي في فرنسا ، ظن المنفرجون أن ملك فرنسا كان بين القتل . (Joinville : Op. cit. p. 69; Oman : Op. cit. pp. 348-349) . وبعد نزول تلك الطامة الالمانية بساعة تقريبا ، وصل ملك فرنسا إلى ميدان القتال ، وحاول الاستيلاء على "جديلة" التي كان عليها آلات المسلمين . وكان غرض الملك من ذلك أن يستكمل بناء القنطرة من الناحية الجنوبية لتعبر الرجالة إليه ، وقد نجح في ذلك كله ، غير أن الروح المنوية الجديدة في صفوف المسلمين أذهبت ذلك مدى ، وخيم الليل فججز بين الفريقين ، كما هو وارد بالمتن فيما يلي . انظر أيضا (Oman : Op. cit. I. pp. 348 et seq.) .

(٢) البندقداري نسبة إلى البندقدار ، وهو لفظ فارسي مركب ، معناه حامل جراحة — أي كبش — البندق ، خلف السلطان أو الأمير . (القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٢ ، ص ١٢٧ ؛ ج ٥ ، ص ٤٥٨) . وقد سمى بيبرس هذا باسم البندقداري ، لأنه كان في أول أمره مملوكا للأمير أيدكين البندقدار ، ثم انتقل إلى الملك الصالح نجم الدين أيوب ، وصار من مماليكه البحرية ، (Lane-Poole : A Hist. Of Egypt. p. 263) . وكان في خدمة السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب أمير اسمه ركن الدين بيبرس أيضا ، ووصله من مماليك الملك الكامل . وهو الذي انتصر بالحوارزية وعساكر مصر على الفرنج ، ثم انقلب مع الحواريين ضد السلطان ، فزال به حتى اغتله وأعدمه كما سبق وروده بالمتن . (انظر ص ٣١٦ ، سطر ١١١ ص ٣١٨ ، سطر ١١ ص ٣٢٢ ، سطر ١٧ وأيضاً ابن واصل ، نفس المرجع ، ص ٣٥٩) . وقد أدى هذا التنبؤ بين الاسمين إلى نسبة وقعة غزوة خطا إلى بيبرس البندقداري ، كما يفهم من (Stevenson : Op. Cit. Index) ، وكما هو منصوص في (Barker : The Crusades. pp. 82, 84) .

(٣) في س "رجال" . انظر ابن واصل (نفس المرجع ، ص ١٢٦٦ ، ب) .



وكانت المعركة بين أزقة المنصورة، فانهزموا إلى جديلة منزلهم، وقد حال بين الفريقين الليل، وأداروا عليهم سورا وخندقوا خندقا. وصارت منهم طائفة في البر الشرقي، ومعظمهم في الجزيرة المتصلة بدمياط. فكانت هذه الواقعة أول ابتداء النصر على الفرنج<sup>(١)</sup>.

وعند ما هجم الفرنج على المعسكر مروح الطائر بذلك إلى القاهرة (٩١ -)، فانزعج الناس انزعاجا عظيما. وقدم المنهزمون من السوق والمعسكر، فلم تغلق أبواب القاهرة في ليلة الأربعاء. لتوارد المنهزمين. وفي صبيحة يوم الأربعاء وقعت البطاقة تبشر بالنصرة على الفرنج، فزينت القاهرة وضربت البشائر بقلعة الجبل، وكثر فرح الناس وسرورهم. وبقى المعسكر يدبر أمره شجر الدر، فكانت مدة تدبير الأمير نحر الدين يوسف بن شيخ الشيوخ، بعد موت الملك الصالح، لملكة مصر، خمسة وسبعين يوما. وفي يوم قتله نهب ممالكه وبعض الأمراء داره، وكسروا صناديقه ونزائنه، وأخذوا أمواله وحيوله وأحرقوا داره.

### السلطان الملك المعظم غياث الدين تورانشاه

ابن الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب بن شاذي بن مروان. سار من حصن كيفا إلى دمشق، لإحدى عشرة [ليلة] مضت من شهر رمضان، فقتل عانة في خمسين فارسا من أصحابه، يوم الخميس النصف من شهر رمضان سنة سبع وأربعين، وخرج منها يوم الأحد يريد دمشق على طريق السماوة في البرية. فقتل القصير في دهليز ضربه له الأمير جمال الدين موسى بن يغمور نائب دمشق. يوم الجمعة لليلتين بقيتا من شهر رمضان. ودخل [المعظم توران شاه] من الغد - وهو يوم السبت ملحه - إلى دمشق.

(١) يمزو (Oman : Op. cit. pp. 350-352)، وغيره من المؤرخين الحديثين، هزيمة الصليبيين عند المنصورة إلى تسرع (Count of Artois)، ومخالفته تعليمات أخيه ملك فرنسا. هذا وقد فصل المقرئ (المواظ والاعتبار، ج ١، ص ٢١٩ - ٢٢٢) قصة المنصورة، وأضاف هناك بعض معلومات ليست هنا.

(٢) بغير ضبط في ص، وهي الصحراء الممتدة بين الكوفة والشام، واسمها أيضا بادية السماوة. انظر (بافوت : معجم البلدان، ج ٣، ص ١٣١؛ و Le Strange : Palest. Under Moslems. P. 530).



ونزل بقلعتها . فكان يوما مشهودا . وقام الأمير جمال الدين بخدمته ، وحلف له الأمراء ، وتسلمن في يومئذ . وخلع [ المعظم ] على الأمراء وأعطاهم أموالا جزيلة ، بحيث أنه أنفق ما كان في قلعة دمشق ، وهو ثلاثمائة ألف دينار . واستدعى من الكرك مالا آخر حتى أنفقه ، وأفرج عمن كان بدمشق في حبس أبيه ، وأنته الرسل من حماة وحلب تهنته بالقدوم . ولأربع ماضين من شوال سقطت البطائق إلى المعسكر والقاهرة ، بوصول الملك المعظم إلى دمشق وسلطته بها ، فضربت البشائر بالمعسكر والقاهرة .

وسار السلطان من دمشق يوم الأربعاء سابع عشره يريد مصر ، بعد ما خلع على الأمير جمال الدين ، وأقره على نيابة السلطنة بدمشق . وقدم معه القاضي الأسعد شرف الدين هبة الله بن صاعد الفازي ، وكان مقبلا بدمشق عند الأمير جمال الدين . وقدم معه أيضا هبة الله ابن أبي الزهر بن حشيش الكاتب النصراني ، وقد وعده [ السلطان ] بوزارة مصر ، فأسلم وتلقب بالقاضي معين الدين ( ١٩٢ ) . وسيره [ السلطان ] أول يوم من ذي القعدة إلى قلعة الكرك ، ليحاط على خزانها ، فأنهى أشغاله بها ولحقه في الرمل ، [ وأسلم على يده هناك ] .

وعند ما نواترت الأخبار في القاهرة بقدوم السلطان . خرج قاضي القضاة بدر الدين السنجاري ، فلقه بغزة وقدم معه . وخرج الأمير حسام الدين [ بن ] أبي علي نائب السلطان إلى الصالحية ، فلقه بها يوم السبت لأربع عشرة [ ليلة ] بقيت من ذي القعدة .

ونزل [ السلطان المعظم تورانشاه ] في قصر أبيه ، ومن يومئذ أعلن بموت الملك الصالح [ نجم الدين أيوب ] . ولم يكن أحد قبل هذا اليوم ينطق بموته ، بل كانت الأمور على حالها — والدليل الصالح والباطل ومجيء الأمراء للخدمة ، على ما كان عليه الحال في أيام حياته ؛

(١) أضيف ما بين القوسين من ابن واصل (قص المرجع ، ص ١٢٦٥) ، واسم هذا الكاتب هناك " النشوبين حشيش النصراني ، ولقبه معين الدين " .

(٢) في ص " ابو " .

(٣) كان جمال الدين بن واصل ، صاحب كتاب مفرج الكرب ، مقبلا بالقاهرة وقت ذاك ، ففرج صحبة الأمير حسام الدين إلى الصالحية ، لاستقبال السلطان المعظم . ( انظر قص المرجع ، ص ٣٦٦ ب — ١٢٦٧ ) .



وشجر الدر تدبر أمور الدولة كلها ، وتقول : " السلطان مريض ، ما إليه وصول " — فلم يتغير عليها شيء ، الى أن استقر الملك المعظم بالصالحية .

فقسم [ السلطان المعظم ] مملكة مصر ، وحلح على الأمير حسام الدين [ بن ] أبي على خلعة سنية ، ومنطقة وسيغا فيهما ثلاثة آلاف دينار مصرية . وأنشده الشعراء عدة تهاني ، وجرت بين يديه مباحثات ومناظرات في أنواع من العلوم . وكان [ السلطان المعظم ] قد مهو في العلوم ، وعرف الخلاف والفقه والأصول ؛ وكان جده الملك الكامل يحبه لميله الى العلم ، ويلقى عليه من صفوه المسائل المشككة ، ويأمره بعرضها وامتحان الفقهاء بها في مجلسه . ولازم [ المعظم ] الاشتغال الى أن برع ، إلا أنه فيه هوج وخفة ، مع غرامه بجالسة أهل العلم من الفقهاء والشعراء .

ثم إنه رحل من الصالحية ونزل تِلْبَانَة ، ثم نزل بعدها منزلة نائنة ، وسار منها الى المنصورة . وقد تلقاه الأمراء الممالك ، فنزل في قصر أبيه وجده ، يوم الخميس لتسع بقين من ذي القعدة . فأول ما بدأ به أن أخذ ممالك الأمير نجر الدين بن شيخ الشيوخ الصغار ، وكثيرا من مُخَلَّفِيهِ ، بدون القيمة ؛ ولم يعط ورثته شيئا ، وكان ذلك بنحو الخمسة عشرة ألف دينار . وأخذ يسب نجر الدين ويقول : " أطلق السكر والكأن . وأنفق المال وأطلق المحابيس . إيش ترك لي ؟ " .

وكانت الميرة ترد الى الفرنج في منزلتهم من دمياط في بحر النيل ، فصنع المسلمون عدة مراكب ، وحملوها وهي مفصلة على الجمال الى بحر المحلة ، وطرحوها فيه وشحنوها بالمقاتلة ؛ وكانت أيام زيادة النيل . فلما جاءت مراكب الفرنج لبحر المحلة ، وهذه المراكب مكنة فيه ، خرجت عليها بقتة وقايلتها . وللحال قدم أسطول ( ٩٢ ب ) المسلمين من جهة المنصورة ، فَأَخَذَتْ مراكب الفرنج أخذًا وبيلا ، وكانت اثنتين ونحسين مركبا ، وقتل منها وأسر نحو ألف

(١) غير ضبط في م ، وهي قرية صغيرة بمركز مينة الفتح من مديرية الشرقية ، واسمها أيضا تِلْبَانَة ديري ، تميزا لها من تِلْبَانَة عدى من ناحية المراتية ، وتِلْبَانَة عدى أخرى من ناحية حوف رميس ، وتِلْبَانَة الأبراج من ناحية حوف رميس أيضا . ( مبارك : الخطط التوفيقية ، ج ٩ ، ص ٤٠ — ٤١ ) .



إفرنجي، وغنم سائر ما فيها من الأزواد والأقوات. وحملت الأسرى على الجمال إلى العسكر. فانقطع المدد من دمياط عن الفرنج، ووقع الغلاء، عندهم، وصاروا محصورين لا يطيقون المقام ولا يقدرّون على الذهاب، واستنصرى المسلمون عليهم وطمعوا فيهم.

وفي أول ذي الحجة، أخذ الفرنج من المراكب التي في بحر المحلة سبع حرايق، ونجا من كان فيها من المسلمين. وفي ثاني ذي الحجة تقدم أمر السلطان إلى الأمير حسام الدين [بن] أبي علي بالمسير إلى القاهرة، والإقامة بدار الوزارة على عادته في نيابة السلطنة. وفيه وصل إلى السلطان جماعة من الفقهاء: منهم الشيخ عز الدين بن عبد السلام، وبهاء الدين ابن الجيزي، والشريف عماد الدين<sup>(١)</sup>، والقاضي عماد الدين القاسم بن إبراهيم بن هبة الله بن إسماعيل بن نيهان بن محمد بن المقدش الحموي - قاضي مصر، وكان قد ولي القضاء بعد موت الجمال يحيى، في جمادى الأولى -، وسراج الدين الأرموي. بخلص [السلطان المعظم] معهم وناظرهم<sup>(٢)</sup>.

وفي يوم عرفة وصلت مراكب فيها الميرة للفرنج، [فالتفت بها شواني المسلمين عند مسجد النصر]<sup>(٣)</sup>، فأخذت شواني المسلمين منها اثنين وثلاثين مركبا، منها تسع شواني. فاشتد الغلاء عند الفرنج، وشرعوا في مراسلة السلطان يطلبون منه الهدنة. فاجتمع برسلهم الأمير زين الدين بن أمير جندار، وقاضي القضاة بدر الدين السنجاري، فسألوا أن يسلموا دمياط، ويأخذوا عوضا عنها مدينة القدس وبعض الساحل، فلم يجابوا إلى ذلك.

وفي يوم الجمعة، لثلاث بقين من ذي الحجة، أحرق الفرنج ما عندهم من الخشب، وأنفقوا مراكبهم ليفروا إلى دمياط، ونحرجت السنة وهم في منزلتهم.

(١) كذا في ص بغير ضبط.

(٢) حضرا بن واصل، صاحب كتاب مفرج الكرب (نقس المرجع، ص ٣٦٧ ب) أحد هذه المجالس، وكان موضوع النقاش في الحديث النبوي "نعم العبد صبيح لو لم يخف الله لم يمه".

(٣) أضيف ما بين القوسين بعد مراجعة ابن واصل (نقس المرجع، ص ٣٦٨ ب). انظر أيضا العيني (عقد الجمان، ص ٢٠٩، في ١. Rec. Hist. Or. II).



وفي هذه السنة قدم الى بغداد طائفة من التتر على حين غفلة ، فقتلوا ونهبوا وجفل منهم الناس . وفيها استولى على بن قتادة على مكة ، في ذي القعدة . وفيها قتل الشريف شبيحة أمير المدينة النبوية ، وقام من بعده ابنه عيسى . وفيها قتل الملك المنصور نور الدين عمر بن علي بن رسول صاحب اليمن ، وملك بعده ابنه المنصور شمس الدين يوسف . وفيها مات متملك تونس أبو زكريا يحيى بن عبد الواحد ابن أبي حفص ، في آخر جمادى الآخرة ، عن تسع وأربعين سنة . وكان [ أبو زكريا يحيى ] قد قام وملك تونس ، واستبقت بأمرها ودعا لنفسه ، وقد ضعف أمر ملوك الموحدين من بني عبد المؤمن بن علي . فقام [ أبو زكريا يحيى ] على مملكة إفريقية ثلاثا وعشرين سنة ، وامتدت مملكته الى تامسان وسجلماسة وسبته ، وبايعه أهل إشبيلية وشاذانية والميرية ومالقة وغرناطة ، وخلف مالا جما . فبيع بعده ابنه محمد المستنصر . وأبو زكريا هذا هو أول من ملك تونس من الملوك الحفصيين . و [ أما ] من كان قبله منهم فإنما كانوا عمالا لبني عبد المؤمن . وفيها قبض الشريف أبو سعد بن علي بن قتادة على الأمير أحمد بن محمد بن المسيب بمكة في آخر شوال ، كما تقدم في السنة الخالية ، وقام [ هو ] بإمرة مكة .

\*\*\*

سنة ثمان وأربعين وستمائة . في ليلة الأربعاء ثالث المحرم ، رحل الفرنج بأمرهم من منزلهم يريدون مدينة دمياط ، وانحدرت سراكبهم في ( ١٩٢ ) البحر قبائلهم . فركب المسلمون أفقيتهم ، بعد أن عدوا إلى برهم وتبعوهم . فطاع صباح نهار يوم الأربعاء ، وقد أحاط بهم المسلمون ، وبذلوا فيهم سيوفهم . واستولوا عليهم قتلا وأسرا . وكان معظم الحرب في فارس كور ، فبلغت عدة القتلى عشرة آلاف في قول المقل . وثلاثين ألفا في قول المكث . وأمر من خيالة الفرنج ورجائهم المقاتلة ، وصناعهم وسوقتهم ، ما يناهز مائة ألف (١) أسماء هذه المدن ومواقعها معروفة جيدا ، ويكتفى هنا بذكرها والتعريف فقط بغير المشهور منها ، مثل شاذانية ، وموقعها شرق قرطبة . ( باقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٣٣٥ ) .

(٢) تقع هذه البلدة ، واسمها ( Almeria ) في الأطللس الحديثة ، على شاطئ إسبانيا الجنوبي ، شرق مالقة ( Malaga ) .

(٣) في ص " رجالهم " .



إنسان؛ وغنم المسلمون من الخيل والبغال والأموال ما لا يحصى كثرة . واستشهد من المسلمين نحو مائة رجل؛ وأبليت الطائفة البحرية — لا سيما بيبرس البندقدارى — فى هذه النوبة بلاء حسنا، وبأن لهم أثر جميل .

والتجأ الملك ريدافرنس — وعدة من أكابر قومه — إلى تل [المنية] ، وطلبوا الأمان فأمهم الطواشى جمال الدين محسن الصالحى، ونزلوا على أمانه . وأخذوا إلى المنصورة، ف قيد الملك ريدافرنس بقيد من حديد، واعتقل فى دار القاضى نحر الدين إبراهيم بن لفان — كاتب الإنشاء ، التى كان يتزل بها من المنصورة ، ووكل بحفظه الطواشى صبيح المعظمى . واعتقل معه أخوه<sup>(٢)</sup> ، وأجرى عليه راتب فى كل يوم . وتقدم أمر الملك المعظم لسيف الدين يوسف بن الطودى — أحد من وصل معه من بلاد الشرق — بقتل الأسرى من الفرنج، وكان [سيف الدين] يخرج كل ليلة منهم ما بين الثمانية والأربعائة، ويضرب أعناقهم ويرميهم فى البحر، حتى فنوا بأجمعهم .

ورحل السلطان من المنصورة ، ونزل بفارس كور وضرب بها الدهيز السلطاني . وعمل فيه برجاً من خشب ، وأقام على لحوه . وكتب إلى الأمير جمال الدين بن يغمور نائب دمشق كتاباً بخطه نصه : ” [ من ] ولده تورانشاه . الحمد لله الذى أذهب عما الحزن ، وما النصر إلا من عند الله ، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ، وأما بنعمة ربك فحدث ، وإن تعدوا

(١) انظر ص ٣٥٧ سطر ٩ ، والمقصود هنا منية عبد الله ، القرية من ناحية شرماس . انظر العيني (مقد الجان ، ص ٢١٠ ، فى Rec. Hist. Or. II. I. ) .

(٢) كان ملك فرنسا ثلاثة إخوة ، وهم (Robert, Count of Artois) الذى وقع قتيلاً بالمنصورة ، و (Alphonse of Poitou) ، و (Charles of Anjou) . راجع (Camb. Med. Hist. VI. p. 338) . وقد أمر المسلمون الأخوين الثانى والثالث ، وأجروهما فى الأسر مع غيرهم ، حتى تمت مفاوضات الصلح والتدية . وبعد ذلك رأى أمراء المسلمين حفظ أحد الأخوين ، وهو (Count of Poitou) رهبة عندهم ، حتى تدفع الفدية المقررة . (Joinville : Op. cit. pp. 102-108) .

(٣) كذا فى ص ، واسمه الطورى فى ابن واصل (نفس المرجع ، ص ٣٧٠ ب) .



- (١) نعمة الله لا تحصىها . نبشّر المجلس السامي<sup>(١)</sup> الجمالي ، بل نبشّر المسلمين كافة ، بما من الله به على المسلمين من الظفر بعدو الدين . فإنه كان قد استنحل أمره واستحكم شره ، ويئس العباد من البلاد والأهل والأولاد ، فنودوا لا تياسوا من روح الله . ولما كان يوم الاثنين مستهل السنة المباركة ، تم الله على الإسلام بركتها ، فتحنا الخزائن وبذلنا الأموال وفرقنا (٩٢-٩٣) السلاح ، وجمعنا العربان والمطوعة وخلفا لا يعلمهم إلا الله ، بجاءوا من كل فج عميق .
- ومكان صحيح . فلما كان ليلة الأربعاء تركوا خيامهم وأموالهم وأنفالهم ، وقصدوا دمياط هارين . وما زال السيف يعمل في أديبارهم عامة الليل ، وقد حل بهم الخزي والويل . فلما أصبحنا يوم الأربعاء ، قتلنا منهم ثلاثين ألفا ، غير من ألقى نفسه في البحر ، وأما الأسرى فحدث عن البحر ولا حرج . والتجأ الفرنسيين إلى المنية ، وطب الأمان فأمناه وأخذناه وأكرمناه ، وتسلمنا دمياط بعون الله وقوته ، وجلاله وعظمته<sup>(٢)</sup> ، وذكر كلاما طويلا .
- وبعث [المعظم] مع الكتاب غفارة<sup>(٣)</sup> الملك الفرنسي ، فلبسها الأمير جمال الدين بن يغمور ، وهي أشكر لاط<sup>(٤)</sup> أحمر بفرو سنجاب ، [فيها بكاة ذهب<sup>(٥)</sup>] . فقال الشيخ نجم الدين بن إسرائيل :

(١) يوجد بالمتحف (صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٤٩١ ، وما بعدها) فصل طويل في أصل الألقاب ، وأنواعها المستعملة في المكاتب السلطانية . ويوضح منه أن لقب " المجلس السامي " كان في أوائل الدولة الأيوبية بمصر مقصورا على السلطان فقط ، فلا يكتب به إلا أحد سواه . ثم استقر اصطلاح الدواوين على كتابة هذا القاب في المكاتب العائدة إلى الملوك ومن في مقامهم ، مثل كبار الأمراء والوزراء وولاة العهد بالسلطة . وفي عصر دولة المماليك اتخذ هذا القاب درجة أخرى ، فصار من ألقاب أرباب البيوت والأقلام عامة ، وجعلت ألقاب أخرى كالألقاب والمقر والمقام لمن فوقهم في الدولة .

(٢) وأوالجامة هنا عائدة على القرنج .

(٣) الغفارة المعطف ، وجمعها غفائر . وفي (Dozy : Supp. Dict. Ar.) عدة أمثلة لاستعمال هذا اللفظ ،

منها : " ثم أنعم عليهم ، لكسوة الثامة ، من العمام والمناظر والبرانس والأكبة " . راجع أيضا محيط المحيط .

(٤) نوع من القماش ، كان يرد من بلاد إيرلندة ، لونه قمر مزى (scarlate) . انظر (Dozy : Supp. Dict. Ar.) .

(٥) أضيف ما بين القوسين من أبي شامة (كتاب الروضتين ، ص ١٩٦ ، في Rec. Hist. Or. V.) ،

وكان أبو شامة حاضرا ، عند ما لبس الأمير جمال الدين بن يغمور الغفارة المذكورة . هذا والبكة معرب اللفظ الفرنسي

(boucle) ، ومعناه المشبك . (Dozy : Supp. Dict. Ar.) .



إن غفارة الفرنسيين التي • جاءت رجاء لسيد الأمراء  
كيباض القرطاس لونا ولكن • صبغتها سيوفنا بالدماء  
وقال [آخر<sup>(١)</sup>] :

أسيّد أملاك الزمان بأسرهم • تجزّت من نصر الإله وُعوده  
فلا زال مولانا يبيع حمى العدى • ويلبس أسلاب الملوك عبيده

وأخذ الملك المعظم في إبعاد رجال الدولة، فأخرج الملك المغيث فتح الدين عمر بن العادل  
أبى بكر بن الكامل من قعة الجبل إلى الشوبك، واعتقله بها. وأخرج الملك السعيد نحر الدين  
حسن بن الملك العزيز عثمان بن العادل أبى بكر بن أيوب من مصر [إلى دمشق]، فلما وصل  
دمشق قبض عليه ابن يغمور واعتقله. وفي يوم الجمعة خمس ماضين من المحرم، ورد إلى  
القاهرة كتاب السلطان إلى الأمير حسام الدين أبى على نائب السلطنة بالتقدم إليه، وأقام  
بدله في نيابة السلطنة بالقاهرة الأمير جمال الدين أفوش التجيبى. ووصل الأمير أبو على إلى  
المعسكر، فنزل به مطّرح الجانب، بعد ما كان عدّة الملك الصالح وعمدته. وبعث المعظم إلى  
شجر الدر يتهددها، ويطلبها بمال أبيه وما تحت يدها من الجواهر. فداخلها منه خوف  
كثير، لما بدا منه من الموج والخفة؛ وكأبت أملاك البحرية بما فعته في حقه، من تمهيد  
الدولة وضبط الأمور حتى حضر وتسلم المشكة. وما جازاها به من التهديد والمطالبة بما ليس  
عندها. فأنفوا لها، وحنقوا من أفعال السلطان. وكان [السلطان المعظم] قد وعد الفارس  
أقطاي لما أتاه في حصن كيفا بأن يؤمره، فلم يف له بذلك؛ فتكره [أقطاي] وكتب (١٩٤)  
الشر، فحرك كتاب شجر الدر منه ساكنا.

وانضاف إلى هذه الأمور، أن<sup>(٢)</sup> [السلطان المعظم] أعرض عن ممالك أبيه الذين كانوا  
عنده لمهامته، وأطرح الأمراء والأكابر أهل الحل والعقد، وأبعد غلمان أبيه وترابيه،

(١) أضف ما بين القوسين من المقرئ (المواعظ والامتناع، ج ١، ص ٢٢٢).

(٢) في من "انه".



واختص بجماعته الذين قدموا معه ، وولاهم الوظائف السلطانية . وقدّم الأراذل : وجعل الطواشي مسرورا<sup>(١)</sup> — [ وهو ] خادمه — أستاذار السلطان ، وأقام صبيحا — وكان عبدا حبشيا خذلا — أمير جاندار ، وأنعم عليه بأموال كثيرة وإقطاعات جليلة ، وأمر أن يُصاغ له عصا من ذهب . وأساء [ السلطان ] إلى الممالك وتوعدهم ، وصار إذا سكر في الليل جمع ما بين يديه من الشمع ، وضرب رءوسها بالسيف حتى تنقطع ، ويقول : ” هكذا أفعل بالبحرية “ ، ويسمى كل واحد منهم باسمه . واحتجب أكثر من أبيه ، مع الانهماك على الفساد بممالك أبيه ، ولم يكونوا بالتون هذا الفعل من أبيه . وكذلك فعل بحظايا أبيه .

وصار مع هذا جميع الحل والعقد ، والأمر والنهي ، لأصحابه الذين قدموا معه . فنفرت قلوب البحرية منه ، وانفقوا على قتله . وما هو إلا أن مذ السباط [ بعد نزوله بفارس كور ] ، في يوم الاثنين سادس عشر المحرم ، وجلس السلطان على عادته . تقدم إليه واحد من البحرية — وهو بيبرس البندقدارى ، الذى صار إليه ملك مصر — وضربه بالسيف . فتلقاه [ المعظم ] بيده فبانت أصابعه ، والتجأ إلى البرج الخشب [ الذى نصب له بفارس كور ] ، وهو يصيح : ” من جرحنى ؟ “ قالوا : ” الحشيشة “ . فقال : ” لا والله إلا البحرية ! والله لا أبقيت منهم بقية ! “ ، واستدعى المزين [ ليداوى يده ] . فقال البحرية بعضهم

(١) فى س ” مسرور “ . (٢) فى س ” بالقوا “ .

(٣) أضيف ما بين القوسين من أبى الفداء ( المختصر فى أخبار البشر ، ص ١٢٩ ، فى Rec. Hist. Or. I. ) . (٤) فى س ” فلنا “ .

(٥) أضيف ما بين القوسين من أبى الفداء ( المختصر فى أخبار البشر ، ص ١٢٩ ، فى Rec. Hist. Or. I. ) . (٦) المعنى المقصود بهذا اللفظ ، أن الذى جرحه أحد الحشيشين الباطنية . انظر ابن واصل ( نفس المرجع ، ص ٣٧١ ب ) .

(٧) أضيف ما بين القوسين من ابن واصل ( نفس المرجع والمفصلة ) . هذا وسبارة مخرج الكروب أحسن وصفا لما حدث للسلطان المعظم ، ونصب : ” ( ٣٧١ ) ولما جرى ما ذكرنا من تغير قلوب العسكرية ، خصوصا بماليت أبيه البحرية ، انفق جماعة من ممالك أبيه على قتله . ولما كان ليلة الاثنين ليلة بقيت من المحرم من هذه السنة ، أعنى سنة ثمان وأربعين وستة ، مذ الملك المعظم السباط فى دهليزه ، وجلس على طراحته ، وأكل الناس بين يديه وأكل معهم على ماجرت عادته . ثم فرغت الناس من الأكل ، وتفرقت الأمراء إلى وظائفهم ، وقام [ المعظم ] من محضه فطلب لدخول



لبعض : "تمموه وإلا أبادكم". فدخلوا عليه بالسيوف . ففر [المعظم] إلى أعلى البرج وأغلق بابه ، والدم يسيل من يده . فأضرموا النار في البرج ، ورموه بالنشاب ، فألقى نفسه من البرج ، وتعلق بأذيال الفارس أقطاي ، واستجار به فلم يجره . وصر [المعظم] هاربا إلى البحر ، وهو يقول " ما أريد ملكا ، دعوني أرجع إلى الحصن . يا مسلمين ! ما فيكم من يصطنعني ويجيرني ؟ " . [هذا] وجميع العسكر واقفون ، فلم يجبه أحد ، والشاب يأخذه من كل ناحية . وسبحوا خلفه في الماء ، وقطعوه بالسيوف قطعا ، حتى مات جريحا حريقا غريقا<sup>(١)</sup> ، وفتر أصحابه واختفوا .

وترك [المعظم] على جانب البحر ثلاثة أيام متفخا ، لا يقدر أحد أن يتجاسر على دفنه ، إلى أن شفع فيه رسول الخليفة ، فحمل إلى ذلك الجانب ودفن ، فكانت ( ٩٤ ب ) مدة ملكه أحدًا وسبعين يوما . وقيل مرة لأبيه في الإرسال إليه . ليحضر من حصن كيفا إلى مصر ، فأبى . وألح عليه الأمير حسام الدين أبو علي في طلب حضوره ، فقال : " متى حضر إلى هنا قتلته " . وكان المباشر قتلته أربعة من ممالك أبيه ، وكان [الملك الصالح نجم الدين] لما أراد أن يقتل أخاه العادل ، قال للطواشي محسن : " اذهب إلى أخي العادل في الحبس ، وخذ معك من الممالك من يحنقه " ، فعرض محسن ذلك على جماعة من الممالك ، وكلهم يمتنع إلا أربعة منهم ، فمضى بهم حتى خنقوا العادل . فقدر الله أن هؤلاء الأربعة هم الذين باشروا قتل ابنه

= إلى غيبة له صغيرة . فدخل عليه ركن الدين بيبرس ، وكان أحد جدارية أبيه وكان يعرف بالبتقداري ، وهو الذي ملك مصر بعد ذلك . . . . . فضرب ( ٣٧١ ب ) الملك المعظم بسيف بفرحه في كتفه ، ورمى ركن الدين السيف من يده . ورجع الملك المعظم ... إلى مجلسه ، واجتمع حوله الناس وأصحابه وبعض ممالك أبيه . فقالوا له : أي شيء جرى ؟ فقال : جرحني أحد البحرية . وكانت ركن الدين بيبرس واقفا ، فقال : ربما فعل هذا بعض الإسماعيلية ، فقال [المعظم] : ما فعل بي هذا إلا البحرية ؛ فخافت البحرية حينئذ ، واستشعروا منه .

(١) رواية ابن واصل (نفس المراجع ، ص ٣٧١ ب) مختلفة هنا أيضا ، ونصها : "وأحضرت نار ليحرق بها البرج ، فزل [المعظم] من الدرج ، فحمل عبه البتقداري الذي كان جرحه . فهرب [المعظم] إلى جهة البحر ، وكانت فيه حرايق له ، فأراد أن يسبق إليها ويمتصم بها ، فأدركه فارس الدين أقطايا (كذا) ، وضربه بالسيف فقتله ... " (٢) في ص "أحد" .



المعظم أقبح فتيلة . ورؤى في النوم الملك الصالح [ نجم الدين ] بعد قتل ابنه الملك المعظم تورانشاه ، وهو يقول :

قتلوه شر قتله . صار للعالم مثله

لم يراعوا فيه إلا . لا ولا من كان قبله

ستاهم عن قريب . لأقل الناس أكله

فكان<sup>(١)</sup> ما يأتي ذكره من الوقعة بين المصريين والشاميين ، بين المعز أيبك والناصر [ صلاح الدين ] يوسف [ بن العزيز محمد بن الظاهر غازي بن صلاح الدين يوسف ، وهو صاحب حلب ] وعدم فيها عدة من الأعيان . وبقتل المعظم انقضت دولة بني أيوب من أرض مصر ، وكانت مدتهم إحدى وثمانين سنة ، وعدة ملوكهم ثمانية ، كما مر ذكرهم . فسبحان الباقي ، وما سواه يزول .

### الملكة عصمة الدين أم خليل شجر الدر

كانت تركية الجنس ، وقيل بل أرمنية ، اشتراها الملك الصالح نجم الدين أيوب ، وحظيت عنده بحيث كان لا يفارقها سفرا ولا حضرا . وولدت منه ابنا اسمه خليل<sup>(٢)</sup> ، مات وهو صغير . وهذه المرأة شجر الدر ، هي أول من ملك مصر من ملوك الترك المماليك ، وذلك أنه لما قتل الملك المعظم غياث الدين تورانشاه ابن الملك الصالح نجم الدين أيوب ، كما تقدم ذكره ، اجتمع الأمراء المماليك البحرية ، وأعيان الدولة وأهل المشورة ، بالدهليز السلطاني ، وانتقوا على إقامة شجر الدر أم خليل زوجة الملك الصالح نجم الدين أيوب في مملكة مصر ، وأن تكون العلامات

(١ و ٢) هذه العبارة واردة في س كالآتي : " فكان ما يأتي ذكره من الوقعة بين المصريين والشاميين وعدم قضاة من الأعيان بين المراسل والناصر يوسف " ، وهي مكتوبة على هامش الصفحة ، ما عدا ما بين الأقواس فإنه أضيف من أبي شامة (كتاب الروضتين ، ص ٢٠١ ، في Rec. Hist. Or. V. ؛ وابن وأصل : قس المربع ، ص ١٣٧٤) .

(٣ و ٤) اقرئ بعض حروف الكلمات الواردة بين الرقبن هنا ما محامها تقريرا ، على أنها واردة في ب

• (١١٣)



السلطانية على التوافيع<sup>(١)</sup> تبرز من قبلها، وأن يكون مقدم العسكر الأمير عز الدين أيبك التركمانى الصالحى أحد البحرية<sup>(٢)</sup>. وحالفوا على ذلك فى عاشر صفر، وخرج عز الدين الرومى من المعسكر إلى قلعة الجبل، وأنهى إلى شجر الدر ما جرى من الاتفاق، فاعجبها. وصارت الأمور كلها معدومة<sup>(٣)</sup> بها، والتوافيع تبرز من قلعة الجبل، وعلامتها عليها "والدة خليل". وخطب لها على منابر مصر والقاهرة، ونقش اسمها على السكة. ومثله "المستعصمية الصالحية"، ملكة المسلمين، والدة الملك المنصور خليل أمير المؤمنين. وكان الخطباء يقولون فى الدعاء: "اللهم وأدم سلطان السرة الرفيع، وانجذب المنيع، ملكة المسلمين، والدة الملك خليل". وبعضهم يقول، بعد الدعاء لل خليفة: "واحفظ اللهم الجهة الصالحية، ملكة المسلمين، عصمة الدنيا والدين، أم خليل المستعصمية صاحبة الملك الصالح".

و[لما حلف الأمراء والأجناد واستقرت القاعدة]<sup>(٥)</sup>، نُدب الأمير [حسام الدين محمد ابن] أبى على للكلام مع الملك ريد افرنس فى تسليم دمياط، بخرى بينه وبين الملك مفاوضات

(١) التوافيع جمع توفيع، ومعناها نسخة الأمر بتعيين شخص على قضاء. (راجع ص ٣٤٤، حاشية ١، والمقتضى: صبح الأعشى، ج ١٢، ص ١٤٤). انظر أيضا (G.-Demombynes: Op. Cit. Introd. p. LVIII)، حيث ترجم لفظ توافيع إلى "actes de nomination".

(٢) كان منصب مقدم العسكر قد مرض، حسبما جاء فى ابن واصل (تقس المراجع، ص ٣٧٢ ب)، أولا على حسام الدين محمد بن أبى على الهلبانى، ثم على الخواشي شهاب الدين رشيد، فامتنع.

(٣) كذا فى ص، وهو اسم مفعول من فعل عدى، ومعناه جمع. (لسان العرب).

(٤) تدل هذه النسبة على أن شجر الدر كانت جارية للخليفة المستعصم، قبل أن يشتريها الملك الصالح نجم الدين أيوب. (Lane-Poole: A Hist. Of Egypt. p. 525). غير أن صمت جميع المراجع العربية المتداولة فى هذه الخواشي عن هذه المسألة، يحمل على الاعتقاد أن شجر الدر ربما أقرت هذه النسبة فى سكاتها وخطبتها، رغبة خليفة فى بغداد، ولأول الأمر فى القاهرة. ويقوى هذا المرمى أن الملك الصالح نجم الدين أيوب كان قد أوصى بنسليم ملكته إلى الخليفة المستعصم "نيزى بها رأيه"، (انظر ص ٣٤٢، سطر ١٣). ولا أقل من أن شجر الدر — وهى المرأة القادرة، إلى الخليفة المستعصم على هذا النحو.

(٥) أضيف ما بين الأقواس، بسائر هذه الفقرة، من ابن واصل (تقس المراجع، ص ٣٧٢ ب — ١٢٧٣).

(٦) فى ص "أبو".



ومحاورات<sup>(١)</sup> ومراجعات، آلت إلى أن وقع (١٩٥) الاتفاق<sup>(٢)</sup> على تسليمها من الفرنج، وأن يُخَلَّى عنه لينذهب إلى بلاده، بعد ما يؤدي نصف ما عليه من المال المقرر . فبعث [الملك ريد افرنس] إلى من بها من الفرنج يأمرهم بتسليمها، فلبوا وعادوهم مراراً، إلى [أن] دخل العلم الإسلامي إليها، في يوم الجمعة لثلاث مضيئ [من] صغرة ورفع على السور وأعلن بكلمة الإسلام وشهادة الحق . فكانت مدة استيلاء الفرنج عليها أحد عشر شهراً وتسعة أيام .

وأفرج عن الملك ريد افرنس ، بعد ما فدى نفسه بأربعمائة ألف دينار، وأفرج عن أخيه وزوجته ومن بقى من أصحابه، وسائر الأسرى الذين بمصر والقاهرة ، ممن أسرى في هذه الواقعة، ومن أيام العادل والكامل والصالح . وكانت عدتهم اثني عشر ألف أسير ومائة أسير وعشرة أسارى . وساروا إلى البر الغربي ، ثم ركبوا البحر في يوم السبت تاليه ، وأقلعوا إلى جهة عكا . فقال صاحب جمال الدين بن مطروح في ذلك :

قل للفرنسيس إذا جئته • مقال نصيح من قؤول فصيح

آجرك الله على ما جرى • من قتل عباد يسوع المسيح<sup>(٣)</sup>

(١) أورد ابن رامل (قص المراجع ، ص ١٢٧٣) قصة إحدى تلك المحاورات ، وليس لها علاقة بحومرية بموضوع تسليم دمياط أو القدية الخطوبة . ونصها : "حكى لي الأمير حسام الدين ، قال : كان ريد افرنس ملك الإفرنج عاقلاً فطنا إلى الغاية . قال قلت له في بعض محاورتي ما معناه : كيف خطر لك ، مع ما أرى فيه من فضله وعقله ورحمة ذهنه ، أن يقدم على خشب ويركب متن هذا البحر ، ويأتى إلى هذه البلاد الملوثة خلقاً من المسلمين والعساكر ، ويعتقد أنها تحصل له ويملكها ؟ و [قلت له إن] فيما فعل غاية التعرير بنفسه وبأهل مملكته . قال فضحك ولم يرد جواباً . قلت له إن من شريعتنا من ركب هذا البحر مرة بعد أخرى ، مغرى بنفسه وماله ، لا تقبل شهادته إذا شهد . فقال الملك : ولم ذلك ؟ قال قلت إنا نستدل بذلك على قصاص قتله ، ومن كان ناقص العقل لا ينبغي قبول شهادته . قال فضحك وقال ، والله لقد صدق هذا القائل وما قصر فيما حكم به" .

(٢) يوجد بين الصفحتين ٩٤ ب ، ٩٥ في ص ، ورقة متصلة بها عدة وفيات ، وضعت هناك خطأ ، وقد أوردت في مكانها المناسب تحت سنة ٦٥٣ هـ .

(٣) المعروف أن ملكة فرنسا (Margaret of Provence) رافقت زوجها في تلك الحملة ، وبقيت بدمياط طول مدة وجود الصليبيين في الديار المصرية ، وهي التي جمعت المبلغ المطلوب لدفع نصف فدية المقررة (Lane-Poole: A Hist. of Egypt. p. 250) ولكن ليس من المعروف في غير كتاب السلوك أنها أمرت أخته .

(٤) يوجد فوق هذا اللفظ في م كلمة "نصارى" .



أتيت مصرًا تبغى ملكها • تحسب أن الزمر ياطبل ربح  
 فساقت الحين إلى أدهم • ضاق به عن ناظريك الفسيح  
 وكل أصحابك أودعتهم • بحسن تديرك بطن الضريح  
 سبعون ألفا لا يرى منهم • إلا قتيل أو أسير جريح<sup>(١)</sup>  
 الممك الله إلى مثلها • لعل عيسى منكم يستريح  
 إن يكن الباب<sup>(٢)</sup> بذرا ضيا • فرب غش قد أتى من نصيح  
 فاتخذوه كاهنا إنه • أنصح من شق لكم أو سطيح  
 وقل لهم إن أزمعوا عودة • لأخذ نار أو لفعل قبيح  
 دار ابن لقمان على حالها • والقيد باق والطواشي صبيح

واتفق أن الفرنسيين هذا، بعد خلاصه من أيدي المسلمين، عزم على الحركة إلى تونس<sup>(٣)</sup> من بلاد إفريقية، لما كان فيها من المجاعة والموتان. وأرسل يستنفر ملوك النصارى، وبعث إلى الباب<sup>(٤)</sup> خليفة المسيح بزعمهم. فكتب [الباب] إلى ملوك النصارى بالمسير معه، وأطلق يده في أموال الكنائس يأخذ منها ما شاء. فأتاه من الملوك ملك الإنكار<sup>(٥)</sup>، وملك

(١) في "أسير أوجريج" • انظر أبا القداء (المختصر في أخبار البشر ص ١٢٩، في Rec. Hist. Or. I).

(٢) أي البابا.

(٣) وقعت حركة الملك (Louis IX) إلى تونس في آبرست ١٢٦٨ هـ (١٢٧٠ م)، وسيأتي ذكرها هنا فبإيجاز.

(٤) كذا في م، والمقصود البابا واسمه (Clement IV). انظر (Camb. Med. Hist. VI. p. 189).

(٥) أطلق مؤرخو المسلمين هذا الاسم على ملك إنجلترا في العصور الوسطى، ويوجد بالقلقيشدي (صبح الأضنى، ج ٥، ص ٢٧٥) وصف لإنجلترا وملوكها في تلك الأزمنة، ونصه: "جزيرة انكلطرة... ويقال انكلطرة... وطول هذه الجزيرة من الجنوب إلى الشمال بالتحراف قليل أربعمائة وثلاثون ميلا، واتساعها في الوسط نحو مائتي ميل، وفيها معدن الذهب والفضة والحاس والفصدير، وليس فيها كروم لشدة البرد بها، وأهلها يحملون الذهب إلى بلاد الفرنج، ويحاضون عنه بالخمر لمدته عندهم. وقاعدتها مدينة لندرس.. وماحب هذه الجزيرة يسمى الانكار...". هذا وبلاحد أن "الانكار" المذكور هنا يكن ملكا على إنجلترا في وقت الحملة المشار إليها، بل كان ولي العهد فقط واسمه (Edward). أما ملك إنجلترا إذ ذاك فكان اسمه (Henry III)، وهو أبول العهد المذكور.



- (١١) اسكوسا، وملك تورل<sup>(٢)</sup>، وملك برشلونة واسمه ريداركون<sup>(٣)</sup>، وجماعة أنحرملوك النصراري فاستعدله السلطان أبو عبد الله محمد المستنصر بالله ابن الأمير أبي زكريا يحيى ابن الشيخ أبي محمد عبد الواحد ابن الشيخ أبي حفص عمر، ملك تونس، وبعث إليه رساله في طلب الصلح، ومعهم ثمانون ألف دينار. فأخذها [الفرنسيس] ولم يصالحهم، وصار الى تونس آخر ذى القعدة سنة ثمان وستين وستمئة. ونزل بساحل قرطاجنة<sup>(٤)</sup> في سنة آلاف فارس وثلاثين ألف راجل. وأقام [الفرنسيس هناك] ستة أشهر فقاتله المسلمون - للنصف من محرم سنة تسع وستين - قتالا شديدا، قتل فيه من الفريقين عالم عظيم. وكاد المسلمون أن يغلبوا، فأنهم الله بالفرج وأصبح ملك الفرنجة مينا، بغرت أمور آلت الى عقد الصلح ومسير النصراري. ومن الغريب أن رجلا من أهل تونس، اسمه أحمد بن إسماعيل<sup>(٥)</sup> الزيات، قال:
- يا فرنسيس هذه أخت مصير. فذهب لما إليه تصير
- لك فيها دار ابن لقمان قبرا. وطواشيك منكرو نكير
- فكان هذا دالا عليه ومات..... وكان ريدا فرنس هذا ناقلا داهيا خبيثا مفكرا.

(١ و ٢) كذا في م، وليس في المراجع المتداولة في هذه الحواشي ما يساعد على تعيين المقصود بهذين اللاحقين، ما عدا أنه يوجد في (Bouquet: Rec. Des Hist. Des Gaules, T. 20, p. 417)، ضمن عبارة طويلة، أن ملك فرنسا أبحر الى تونس برفقة الملك الأتية سمزوم. وهذا هو نفس عبارة المذكورة، وهي مكتوبة بالفرنسية القديمة: "Quant li roys Loys attendoit ainsi en sa nef au port de Chatiau Castre, le vendredi après ensivant vindrent aussi como ensemble toutes les autres nez qui estoient meues dou port de Marseille et dou port d'Aiguemorte. Lors vindrent li roys de Navarre et li enens de Poitiers, li comte de Flandres, messire Jehanne de Bretagne, et plusieurs autres desquelz trop long chose seroit lors de nombrer."

انظر أيضا (Ibid. Op. Cit. pp. 21, 305 et seq., 440).

(٣) اسم هذا الملك (James VIII. of Aragon)، انظر (Camb. Med. Hist. VI. p. 415).

(٤) في م "مانين".

(٥) بنير ضبط في م، وقرطاجنة الحالية إحدى بلاد تونس بأفريقية، بينها وبين تونس اثنا عشر ميلا.

(بافوت: معجم البلدان، ج ٤، ص ٥٧ - ٥٨).

(٦) في م "محاربه سنده".

(٧) في م "الزباب"، انظر المقرئ (المواعظ والاعتبار، ج ١، ص ٢٢٣).

(٨) في م "قبر".

(٩) بل هذا اللفظ بياض في م، قدر سطر تقريبا.



ولما استولى المسلمون على دمياط . سارت البشائر الى القاهرة ومصر وسائر الأعمال ،  
فضربت البشائر وأعلن الناس بالسرور والفرح ، ( ٩٥ ب ) وعادت العساكر الى القاهرة في يوم  
الخميس تاسع صفر . فلما كان يوم الاثنين ثالث عشره خلعت شجر الدر على الأمراء وأرباب  
الدولة ، وأنفقت فيهم الأموال وفي سائر العسكر .

ووصل خبر قتل الملك المعظم وإقامة شجر الدر [ في السلطنة ] الى دمشق ، بمسير الخطيب<sup>(١)</sup>  
أصيل الدين محمد بن إبراهيم بن عمر الإسعدي ، لاستحلاف الأمراء [ بها ] . [ وكان ] فيها  
الأمير جمال الدين بن يغمور نائب السلطنة ، والأمراء القيمرية ، فلم يجيبوه وأخذوا  
في مغالطته . واستولى الملك السعيد حسن بن العزيز عثمان بن العادل أبي بكر بن أيوب على  
مال مدينة غزة ، وصار إلى قلعة القصيبة فملكها . فلما ورد الخبر بذلك إلى قلعة الجبل ،  
[ في يوم الاثنين لثلاث عشرة ليلة خلت من صفر<sup>(٢)</sup> ] ، أحبط بداره من القاهرة ، وأخذ ما كان  
له بها . ونار الطواشي بدر الدين لأؤ الصوابي الصالحى — نائب الكرك والشوبك ،  
وركب إلى الشوبك ، وأخرج الملك المنبث عمر بن العادل [ بن الكامل ] الصغير من الحبس ،  
وملكه الكرك والشوبك وأعمالهما . وحلف له الناس ، وقام يدبر أمره لصغر سنه .

وكتب الأمراء القيمرية من دمشق إلى الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن العزيز  
محمد بن الظاهر غازي بن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب — صاحب حلب ، يخبرونه<sup>(٣)</sup>

- (١) في س " ووصل خبر قتل الملك المعظم الى دمشق وإقامة شجر الدر " .
- (٢) أضيف ما بين القوسين من ابن واصل ( نفس المرجع ، ص ١٣٧٤ ) .
- (٣) كانت قلعة القصيبة ، حسبما جاء في ابن واصل ( نفس المرجع والصفحة ) بيد الملك السعيد هذا منذ مات  
أخوه الملك الظاهر بن العزيز عثمان . ثم أعطاه الملك السعيد لابن عمه السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب ،  
وعوضه السلطان عنها بجراة الديار المصرية . فلما قتل السلطان الملك المعظم تورطت في الصالح نجم الدين أيوب ، هرب  
الملك السعيد الى غزة ، وفعل ما فعل على الصورة الواردة في المتن .
- (٤) كان السلطان الملك المعظم توران شاه قد أخرج المنبث هذا من محبته بقلعة الجبل ، ثم أبعده الى الشوبك  
خوفاً منه . ( انظر ص ٣٥٨ ، سطر ٤٧ ، وابن واصل : نفس المرجع ، ص ٣٧٤ ب ) .
- (٥) في س " يخبرونه " .



بامتناعهم من الحاف لشجر الدر، ويَحْتُونَهُ على المسير إليهم حتى يملك دمشق . فخرج من حلب في عساكره مستهل شهر ربيع الآخر، ووصل إلى دمشق يوم السبت ثامنه، ونازلها إلى أن كان يوم الاثنين عاشره زحف [عليها] . ففتح الأمراء القيمرية له أبواب البلد، وكان الغنائم بذلك من القيمرية<sup>(٢)</sup> الأمير ناصر الدين أبو المعالي حسين بن عزيز بن أبي الفوارس القيمري الكردي . فدخلها [الناصر صلاح الدين] هو وأصحابه بغير قتل، وخلع على الأمراء القيمرية، وعلى الأمير جمال الدين بن يغمور، وقبض على عدة من الأمراء المماليك الصالحية وسجنهم . وملك [الناصر صلاح الدين] قلعة دمشق، وكان بها مجاهد الدين إبراهيم أخو زين الدين أمير جندار، فسلمها إلى الناصر . وبها من المال مائة ألف دينار وأربعمائة ألف درهم سوى الأثاث . ففرق الناصر جميع ذلك على الملوك والأمراء، وأعطى شمس الدين لؤلؤ من خزائنه عشرة آلاف دينار، وخلعة وفرسا وثلاثة ثوب، فرد [شمس الدين] ذلك، إلا الخلعة والفرس .

وكان الخبر قد ورد إلى قلعة الجبل — في سادس ربيع الآخر — بخروج الناصر من حلب، فجدد الأمراء والمماليك وغيرهم الأيمان لشجر الدر، ولعن الدين أيبك بالتقدمة على العساكر . ودارت القباء على الأجناد، وأمروهم بالسفر إلى الشام . وفي يوم الأربعاء ثاني عشره رُسم أن يسير الأمير أبو علي بالعسكر . وفي رابع عشره ورد الخبر بمنازلة الناصر لدمشق، فوقع الحث على خروج العسكر . وفي حادي عشره ورد الخبر بأن الناصر ملك دمشق . بتسليم القيمرية البلد له . فقبض على عدة من أمراء مصر [الذين ليسوا من الترك]<sup>(٣)</sup>، ووقع اضطراب كثير في القاهرة، وقبض على القاضي نجم الدين ابن القاضي نابلس، وعدة (١٩٦) ممن يتهم بالميل إلى الناصر. وتزوج الأمير عز الدين أيبك بشجر الدر، في تاسع عشر

(١) في س "يحتونه" .

(٢) بعض حروف هذه العبارة محجوب بوزنة مملوكة فوقها في س، ولكنها واضحة تماما في ب (١١٤ ب) .

(٣) أضف ما بين القوسين من ابن واصل (نفس المراجع، ص ١٢٧٥) .



شهر ربيع الآخر؛ وخنعت [شجر الدر] نفسها من مملكة مصر، ونزلت له عن الملك، فكانت مدة دولتها ثمانين يوماً<sup>(١)</sup>.

### الملك المعز عز الدين أيبك الجاشنكير التركماني الصالحى

كان تركى الأصل والجنس، فانتقل الى ملك السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب من بعض أولاد التركماني، فعرف بين البحرية بأيبك التركماني، وترقى عنده في الخدم، حتى صار أحد الأمراء الصالحية، وعمله جاشنكيراً<sup>(٢)</sup> الى أن مات الملك الصالح، وقتل بعده ابنه الملك المعظم. فصار [أيبك] أتابث العساكر، مع شجر الدر، ووصل الخبر بذلك الى بغداد، فبعث الخليفة المستعصم بالله من بغداد كتاباً الى مصر، وهو ينكر على الأمراء ويقول لهم: "إن كانت الرجال قد عدت عندكم، فأعلمونا حتى نسير إليكم رجلاً".

(١) انتهى هنا القسم الذى ترجمه (Blochet) من كتاب السلوك الى الفرنسية، ولبسه القسم الذى ترجمه منه الى الفرنسية أيضاً (Quatremère). انظر تصدير القسم الأول من الجزء الأول، صفحة ١ - ك.

(٢) هذا الاسم مركب من لفظين تركيين، وهما آى بك. ومعنى أولها القصر، ومرادف ثانيهما فى العربية لفظ الأمير. (Quatremère: Hist. des Sultans Mamlouks I. 1. p. 1. n. 2). وبلاحظ أن أسماء معظم سلاطين المماليك، وأسماء كل أمراء دولتهم تقريباً، عبارة عن أسماء أشياء أو حيوانات فى اللغات التركية والفارسية والتترية، مثل ذلك بيرس ومعناه الأمير فهد، وقلاون ومعناه البطة، وطوغان ومعناه الصقر، وبكنمر ومعناه الأمير حديد. ومن أسمائهم أيضاً ما يدل على صفات فى إحدى اللغات المتقدمة، ومنها سلاور ومعناه الحاجم، وإزبك ومعناه النبيل. راجع (Lane-Poole: Saracenic Art. p. 4. Note).

(٣) أولاد التركماني هم بنو رسول الذين استقلوا بإيمن (Quatremère: Op. cit. I. 1. P. 1. N. 3)، انظر أيضاً (ص ١٨١، ٢١٣، ٢٢٧). وأصل نسبتهم الى التركان، مع أنهم عرب غانية، حسبما جاء فى الخزرجى (المسعودى التلوي، ج ١، ص ٢٧-٢٨)، أنوا من بلاد التركان الى بغداد، فى خلافة المستنجد (٥٥٥ - ٥٥٦ م)، فنتسبهم من يعرفهم الى غسان، ونسبهم من لا يعرفهم الى التركان، "وكانوا بيت شجاعة ورئاسة، وكان محمد بن هارون جليل القدر فيهم، فأدناه الخليفة العباسى واختصه برسالة الى الشام والى مصر...، فانطلق عليه اسم رسول وشهرته...". ثم (ص ٢٨) انتقل [محمد بن هارون] من العراق الى الشام، ومن الشام الى مصر، فبين معه من أولاده... هذا استولى الملك لى أيوب فى مصر، وبرز معه عصابة من بنى رسول... فأجمع رأيهم على تسيرهم الى اليمن صحبة الملك المعظم توران شاه بن أيوب، فخرجوا صحبه...، ومن هنا بدأت علاقة بنى رسول بإيمن.

(٤) فى ص "جاشنكير".



واتفق ورود الخبر باستيلاء الملك الناصر على دمشق، فاجتمع الأمراء والبحرية للشور<sup>(١)</sup>،  
واتفقوا على إقامة الأمير عز الدين أيبك مقدم العسكر في السلطنة، واقتبوه بالملك المعز؛ وكان  
مشهورا بينهم بدين وكرم وجودة رأى. فأركبوه في يوم السبت آخر شهر ربيع الآخر، وحمل  
الأمراء بين يديه الفاشية نوبا واحدا بعد آخر إلى قلعة الجبل، وجلسوا معه على السباط؛  
ونودي بالزينة فزينت القاهرة ومصر.

فورد الخبر في يوم الأحد تأليه بتسلم الملك المغيث عمر الكرك والشوبك، وبتسلم الملك  
السعيد قلعة الصبيبة. فلما كان بعد ذلك تجمع الأمراء، وقاوا: "لابد من إقامة شخص من  
بيت الملك مع المعز أيبك، ليجتمع الكل على طاعته، ويطيعه الملوك من أهله". فاتفقوا  
على إقامة الملك الأشرف مظفر الدين موسى بن الملك [المسعود - ويقال له] الناصر  
[صلاح الدين] - يوسف بن الملك المسعود يوسف - [المعروف باسم] أقيس - بن  
الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب، وله من العمر نحو ست سنين، شريكا للملك  
المعز أيبك، وأن يقوم الملك المعز بتدبير الدولة. فأقاموه سلطانا في ثالث جمادى الأولى،  
وجلس على السباط وحضر الأمراء في خدمته يوم الخميس خامس جمادى الأولى. فكانت  
المراسم والمناسير تخرج عن المملكين الأشرف والمعز، إلا أن الأشرف ليس له سوى الاسم  
في الشركة لا غير ذلك، وجميع الأمور بيد المعز أيبك. وكان بغزة جماعة من العسكر، عليهم

- (١) كذا في س، وهي بغير ضبط. والمشور صيغة عامة للفظ "المتورة". (محيط المحيط).
- (٢) نذل عبارة ابن واصل في هذا العدد (نفس المرجع، ص ٢٧٦) على أن سبب اجتماع الأمراء على إقامة واحد من بني أيوب ليشترك في السلطة، هو أفتهم وخوفهم من المعز أيبك التركاني. ونصها: "أقوا من أن يكون عز الدين التركاني سلطانا، فاختاروا أن يقيموا صبيا من بني أيوب. يكون له اسم الملك، ويكون هم الذين يدبرون الملك، وبما كلون الدنيا باسمه..." (انظر أيضا ص ٢٧٨، سطر ٦).
- (٣) عبارة من كالاتي: "فامعوا على إقامة الملك الأشرف مظفر الدين موسى بن الملك الناصر يوسف بن الملك المسعود يوسف بن الملك المسعود قيس بن الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب"، وقد صححت إلى الترتيب الوارد هنا، وأضيف ما بين الأقواس، بعد مراجعة أبي الفداء (المختصر في أخبار البشر، ص ١٣٠، في Rec. Hist. Or. J. والمقرئ: المواظ والاعتبار، ج ٢، ص ٢٣٧، وابن واصل: نفس المرجع، ص ٢٧٦).
- (٤) وه) العبارة الواردة بين الرقين ليست مترجمة في (Quatremère: Op. cit. I. 1. p. 8). هذا وأقيس - أو اطمز، أو طمز - اسم عرف به الملك المسعود يوسف المذكور، وهو الذي كان آخر ملوك بني أيوب باليمن. راجع ص ٢٢٧، سطر ١ - ٦، وكذلك القلقشندي (صبح الأعشى، ج ٥، ص ٣٠).



الأمير ركن الدين خاص ترك ، فرجعوا الى الصالحية (٩٦ ب) واتفقوا مع عدّة من الأمراء على إقامة الملك المغيث عمر بن العادل الصغير، صاحب الكرك ، وخطبوا له بالصالحية ، يوم الجمعة رابع جمادى الآخرة . فلما ورد الخبر بذلك نودى في القاهرة ومصر أن البلاد تخليفة المستعصم بالله العباسي ، وأن الملك المعز عز الدين أيك نائبه بها ، وذلك في يوم الأحد سادسه . ووقع الحث في يوم الاثنين على خروج العساكر ، وجُددت الأيمان للملك الأشرف موسى والملك المعز أيك ، وأن يبرز اسمهما على التواقيع والمراسيم ، وينقش اسمهما على السكة ، ويخطب لهما على المنابر ، وأقيم شرف الدين أبو سعيد هبة الله بن صاعد الفارسي المنعوت بالأُسعد في الوزارة .

وتسحب من الصالحية الطوائف شهاب الدين رشيد الكبير، وشهاب الدين الصغير ، وركن الدين خاص ترك ، وأُقش <sup>(١٢)</sup> المُشرف <sup>(١٣)</sup> . فقبض على الطوائف شهاب الدين رشيد الصغير ، وأحضروا القاهرة فاعتقل بها ، ونجا الباقيون . وسارت الخلع لمن بقي بالصالحية ، وعفى عنهم وأُمنوا ، وأرسل إليهم بنفقة .

وفي يوم الخميس عاشره ركب الملك الأشرف والمعز بالصناجق السلطانية ، وشفّا القاهرة ، والمعز يعجب <sup>(١٤)</sup> الأشرف ، والأمراء تناوب في حمل العاشية واحدا بعد واحد . وقدمت عساكر الملك الناصر إلى غزة ، فخرج الأمير فارس الدين أقطاي الجدار — وكانت إليه مقدمة الممالك البحرية — من القاهرة ، في يوم الخميس خامس شهر رجب ، بالنفى فارس . وسار إلى غزة ، وقاتل أصحاب الناصر وهزمهم .

(١) كان شرف الدين أبو سعيد هذا قبليا ، وهو أول قبلى دخل الوزارة بمصر الإسلامية ، حسبما جاء في المقرئى (المواظف والاعتبار، ج ٢ ، ص ٢٢٧) .

(٢) مضبوط على منظومه في (Quatremère : Op. cit. I. I. P. 10) .

(٣) تقدم وصف وظيفة المشرف في ص ١٢٧ ، حاشية ١ ، ويوجد في (Quatremère : Op. cit. I. I. P. 10, N. 9.) أمثلة تدل على ماهية تلك الوظيفة بالضبط ، ومنها : "مشرف المالك مرتبة دون الوزارة" .

(٤) المقصود هنا أن المعز أيك كان يؤدى وظيفة الحاجب في ذلك المركب ، أى أنه كان راجعا أمامه بمصافى يده . انظر (الغنى : ص ٥ ، ج ٥) . ويؤيد ذلك ما ورد في ابن واصل (نفس المربع ، ص ٣٧٦ ب



وفي يوم الخميس لخمس بقين من رجب، اتفق أهل الدولة على نقل [تابوت] الملك الصالح [نجم الدين أيوب] من قلعة جريرة الروضة، إلى تربته التي بنيت له بجوار مدارس الصالحية من بين القصرين . فخرج الناس يوم الجمعة إلى قلعة الروضة، وحملوا السلطان منها، وصلوا عليه بعد صلاة الجمعة . وجميع العسكر قد لبسوا البياض، وقطع الممالك شعورهم، وأقيم عزاءه ودفن ليلاً . ونزل الملك الأشرف والمعز من قلعة الجبل إلى التربة الصالحية في يوم السبت، ومعهما سائر الممالك البحرية والحدارية، والأمراء والقضاة والأعيان . وغلقت الأسواق بالقاهرة ومصر، وأقيم المآتم بالدفوف بين القصرين . واستمر الحضور للعزاء إلى يوم الاثنين . وجعل عند القبر ساجق السلطان (١٩٧) وبقيته وقوسه وتركائشه<sup>(٢)</sup>، وترتبت القراء يقرءون عند قبره .

وفي هذه السنة عزل بدر الدين أبو المحاسن يوسف بن الحسن السنجاري عن قضاء القاهرة، وولى بعده عماد الدين أبو الغام ابن المقنن بن القطب الحموي . فلم يأت أفضل الدين الخونجي، ولى [ابن القطب الحموي] بعده قضاء مصر . ثم ولى صدر الدين موهوب الجزري قضاء مصر، عند انتقال ابن القطب إلى قضاء القاهرة . وفي آخر شهر رجب أعيد البدر السنجاري إلى قضاء القاهرة، وابن القطب إلى قضاء مصر . ثم جمع

(١٢٧٧)، في وصف ذلك المركب . ونصه : "ولما كان يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الأولى، ركب السلطان الملك الأشرف مطهر الدين موسى بالساحق السلطنة (١٢٧٧) والملك المعز عز الدين أيك التركاني راكب قدماه ... على أنه من المعروف أيضاً، حسبما جاء في (Quatremère : Op. cit. I. 1. p. 10. N. 10)، أن المعز أيك كان قد قرر احتجاب الأشرف موسى عن الناس، واستدل على ذلك ببارات من مراجع كثيرة، ومنها : "وزاد [المعز] على ذلك بأن حجه ومنه من الظهور إلى الناس إلا أنه ."

(١) البقعة المربعة من القماش، توضع بها ثياب أو المنسوجات أو الأوراق الخاصة، وهي فارسية الأصل، ونجم على بقع . (مخطط المخطط) . وقد ترجم (Quatremère : Op. cit. I. 1. p. 12. N. 13) هذا المخطط إلى (caffre)، أي صندوق أو خزانة، على أنه لا يوجد بين الأسماء الواردة هناك التماثل إلى ذلك المعنى ما يشير إلى أن البقعة كانت تصنع من مادة غير القماش .

(٢) التركائش لفظ فارسي الأصل، ومعناه الكناية أو الجملة التي توضع فيها الثياب . (Quatremère : Op. cit. I. 1. p. 13. N. 14 و Dozy : Suppl. Diet. Ar.)



قضاء مصر والقاهرة للسجاري ، وصرف ابن القطب عن مصر . وعاد الفارس أقطاي من غزاة إلى القاهرة . في رابع شعبان . وفي خامسه قبض على الأمير زين الدين أمير جاندار الصالحى ، وعلى القاضي صدر الدين قاضى آمد — وكان من كبراء الدولة الصلاحية . واعتقلا .

ولانتهى عشرة بقيت من شعبان وقع الهدم في مدينة دمياط ، بانفلاق أهل الدولة على ذلك . وخرج الخجرون والصالح والفعلة من القاهرة ، فأزيلت أسوارها وحيت آثارها ، ولم يبق منها سوى الجامع . وسكن طائفة من ضعفاء الناس في أخصاص على شاطئ النيل من قبلها ، وسموها المنشية وهى موضع دمياط الآن . وإست بقين منه قبض على الأمير جمال الدين النجيني واعتقل ، وبعده بيوم قبض على أفش العجمي .

وأخذ الملك الناصر صاحب الشام في الحركة لأخذ مصر ، بتحريض الأمير شمس الدين لؤلؤ الأميني له على ذلك . وخرج [الناصر] من دمشق بعساكره ، يوم الأحد النصف من شهر رمضان : ومعه الملك الصالح [عماد الدين] إسماعيل بن العادل أبى بكر بن أيوب ، والملك الأشرف موسى بن المنصور إبراهيم بن شيركوه . والملك المعظم تورانشاه ابن السلطان صلاح الدين الكبير وأخوه نصر الدين ، والملك الظاهر شادى بن الناصر داود وأخوه الملك الأجد حسن ، والملك الأجد [نقى الدين] عباس بن العادل ، وعدة ملوك .

فلما ورد الخبر بذلك اضطربت الدولة ، ورُسِم بجمع العربان من الصعيد ، وقبض على جماعة من الأمراء اتهموا بالميل مع الملك الناصر في ثانى شوال ، عند ما ورد الخبر بوصولهم .

(١) أضيف ما بين القوسين من ابن واصل (نفس المرجع ، ص ٢٧٩) .

(٢) كان أولاد الناصر داود وأخوته قد انتقلوا إلى القاهرة ، في أواخر أيام الملك الصالح نجم الدين أيوب ، (انظر ص ٢٢٨ ، سطر ٢ ، وما يليه) ، وقد بقوا بها حسبما جاء في ابن واصل (نفس المرجع ، ص ٢٧٩) ، إلى أيام المنزأيك والأشرف موسى . فلما استولى الملك الناصر صلاح الدين صاحب حلب على دمشق ، أمر الملك المنزأيك وأخوه الملك الناصر داود وأولاده وأهله بالخروج من الديار المصرية ، فرحلوا وانضم منهم إلى الناصر صاحب حلب الملك الظاهر شادى وأخوه الملك الأجد حسن ، كما هو وارد في المتن .



(١) الى غزة . وفي غده كثرت الإرجاف ووقع التهيؤ للحرب ، وأحضرت الخيول من الربيع .  
وفي يوم الاثنين ثامنه برز الأمير حسام الدين أبو علي من القاهرة ، وكان الوقت شتاء .  
وفي تاسعه ( ٩٧ ب ) برز الأمير فرس الدين أقطاي الجمدار — مقدم البحرية — في جمهور  
العسكر من الترك . وسارت العساكر في حادي عشره ، واجتمعت بالصالحية .

وفي يوم السبت ثالث عشره استأب الملك المعز أبيك بديار مصر الأمير علاء الدين البندقدار ،  
فواظب الجالوس بالمدارس الصالحية مع نواب دار العدل . لترتيب الأمور وكشف المضالم .  
ونودي يوم السبت العشرين منه بإبطال انخمور ، والجهة المفردة .  
(٢)

وفيه كثرت الإرجاف بوصول الناصر إلى الداروم . وفي تاسع عشره خلع الملك المعز على  
الملك المنصور محمود ، و [ علي ] أخيه الملك السعيد عبد الملك . ولدى الملك الصالح إسماعيل  
[ عماد الدين ] — وكانا في حبس الملك الصالح نجم الدين [ أيوب ] — وأركبهما في القاهرة ،  
ليوم الناس أن الملك الصالح أباهما مباطن له على الملك الناصر . حتى يقع بينهما .

وفي يوم الثلاثاء أول ذي القعدة نودي بالقاهرة أن الصالح انتظم بين الملك المعز  
والبحرية ، وبين الملك المنيف عمر بن العادل صاحب الكرك . ولم يكن لما نودي به  
حقيقة ، وإنما قصد بذلك أن يقف الملك الناصر عن الحركة .

وفي يوم الخميس ثالث نزل الملك المعز من قلعة الجبل فيمن بقي عنده من العساكر ،  
وسار إلى الصالحية وبها العساكر التي خرجت قبله ، وترك بقلعة الجبل الملك الأشرف موسى .  
فاستقرت عساكر مصر بالصالحية إلى يوم الاثنين سابعة ، فوصل الملك الناصر بعساكره إلى

(١) الزبيد هنا مكات الرعي ، وفي ( Quatremère : Op. cit. I. 1. p. 16, N. 16 ) أمثلة عدة  
تدلالة على هذا المعنى ، ومنها : " توجه المد الربيع وأقام به أياماً " .

(٢) الجهة هنا الضريبة ، وفي ( Ibid : Op. cit. I. 1. p. 17, N. 17 ) أمثلة كثيرة لتقرير هذا المعنى ،  
ومنها : " نظر الجهات موضوعه التحدث فيما يحصل من التجار برا وبحرا " . وعلى ذلك فالجهة المفردة هي الضريبة  
المفردة لديوان المفرد ، وهو الديوان الذي يتولى حققة المالك السلطانية من جامكات وطين وكسوة ، وإيراده  
من البلاد المفردة له . ( القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٤٥٧ ) .



<sup>(١)</sup> كراع - وهي قرية من العباسية ، فتقارب ما بين العسكرين . و [كان] في ظن كل أحد أن النصرة إنما تكون للملك الناصر على البحرية ، لكثرة عساكره وليل أكثر عسكر مصر إليه . فاتفق أنه كان مع الناصر جمع كبير من ممالك أبيه الملك العزيز ، وهم أتراك يميلون إلى البحرية لعلة الجنسية ، ولكراحتهم في الأمير شمس الدين لؤلؤ مدبر الملكة .

فعند ما نزل الناصر بمنزلة الكراع ، قريبا من الخشبي<sup>(٢)</sup> بالرمل ، رحل المعز أيبك بعساكر مصر من الصالحية ، ونزل تجاهه بسموط<sup>(٣)</sup> إلى يوم الخميس عاشره . فركب الملك الناصر في العساكر . ورتب مينة وميسرة وقلبا . وركب الملك المعز ، ورتب أيضا عساكره . وكانت الوقعة في الساعة الرابعة . فاتفق فيها أمر عجيب قل ما اتفق مثله ، فإن الكسرة كانت أولا على عساكر مصر ، ثم صارت على الشاميين : ( ١٩٨ ) وذلك أن مينة عسكر الشام حملت هي والميسرة على من يرازها حملة شديدة ، فانكسرت ميسرة المصريين وولوا منهزمين ، وزحف أبطال الشاميين وراءهم . وما لهم علم بما جرى خلفهم . وانكسرت مينة أهل الشام ، وثبت كل من القلبين واقتلوا . ومر المنهزمون من عسكر مصر إلى بلاد الصعيد ، وقد نهبت أقطانهم . وعند ما مروا على القاهرة خطب بها للملك الناصر ، وخطب له بقلعة الجبل ومصر ، وبات الأمير جمال الدين بن يغمور بالعباسية ، وأحمى الحمام للملك الناصر وجهز له الإقامة . هذا والناصر على منزلة كراع ليس عنده خبر ، وإنما هو واقف بسناجقه وخزائنه وأصحابه . وأما مينة أهل الشام ، فإنها لما كسرت قتل منهم عسكر مصر خلقا كثيرا في الرمل ، وأسروا أكثر مما قتلوا .

(١) بغير ضبط في م ، وقد حدد المقرئ موضحها فيما يلي ، كما ذكر (Quatremère : Op. Cit. I. I. P. 19. N. 18) أنها واقعة بين العباسية والسدير . هذا والكراع في السنة طرف النى . وكراع الأرض طرفها البعيد . (محيط المحيط) .

(٢) يوجد بهامش الصفحة في م ، قبالة اسم هذا البلد العبارة الآتية ، وهي بخط يشبه خط المتن تماما ، ونصها : " الخشي يعرف اليوم بالسعيدية ، فيما بين بليس وبين الصالحية " . ويقع هذا البلد على مسافة ثلاث مراحل من القسطنطينية ، وكان به خان ، وهو أول الجفار من ناحية مصر ، وآخرها من ناحية الشام . ( ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٤٤٥ ) .

(٣) بغير في م ، وهي موضع بين الخشي والعباسية . (أبو شامة : كتاب الروضتين ، ص ٢٠١ ، في Rec. Hist. Or. V. ) .



وتعين الظفر للناصر وهو ثابت في القلب ، وتجاهه المعز أيبك أيضا في القلب . نخاف  
 أمراء الناصر منه أن يفنيهم إذا تم له الأمر ، وخامروا عليه وفروا بأطلائهم إلى الملك المعز :  
 وهم الأمير جمال الدين أيدغدي العزيزي ، والأمير جمال الدين أقوش الحسامي ، والأمير  
 بدر الدين بكتوت الظاهري ، والأمير سليمان العزيزي ، وجماعة [غيرهم] . فخارت قوى الناصر  
 من ذهاب المذكورين إلى الملك المعز ، فحمل المعز بمن معه على سناجق الناصر ، ظنا منه  
 أن الناصر تحتها . وكان الناصر — لما قارقه الأمراء إلى عند المعز — [قد] خرج من تحت  
 السناجق في شردمة قليلة ، نخاب ما أمله المعز أيبك ، وعاد إلى مركزه خائبا . وقد قوى  
 الشاميون بذلك ، وتبعوه يقتلون منه وينهبون .

- وسرَّ الأمراء القيمرية بذلك ، وقصدوا الحملة على المعز ليأخذوه ، فوجدوا أصحابهم قد  
 تفرقوا في طلب الكسب والنهب . فحمل المعز عليهم وثبتوا له ، ثم انحاز إلى جانب يريد الفرار  
 إلى جهة الشوبك . ووقف الناصر في جمع من العزيزية وغيرهم تحت سناجقه وقد اطمأن ،  
 فخرج عليهم المعز — ومعه الفارس أقطاي — في نحو ثمانية من البحرية ، وقرب منه .  
 فخامر عدة ممن كان مع الناصر عليه ، ومالوا مع المعز والبحرية . فولى الناصر قارا يريد الشام  
 في خاصته وغلمانته . واستولى البحرية على سناجقه ، وكسروا صناديقه ونهبوا (٩٨ ب) أمواله .
- وساق المعز يريد الأطلاب ، فوقع بطالب الأمير شمس الدين لؤلؤ ، والأمير حسام الدين  
 القيمري ، والأمير ضياء الدين القيمري ، وتاج الملوك ابن المعظم ، والأمير شمس الدين الحميدي ،  
 والأمير بدر الدين الزرزاري ، وجماعة [غيرهم] . فبستد [الملك المعز] شملهم ، وأمر المعظم  
 تورانشاه بن صلاح الدين ، وأخاه نصرة الدين محمد ، والملك الصالح عماد الدين إسماعيل بن  
 العادل ، والملك الأشرف صاحب حصص ، والملك الزاهر ، والأمير شهاب الدين القيمري ،  
 والأمير حسام الدين طرغطاي العزيزي ، والأمير ضياء الدين القيمري ، والأمير شمس الدين  
 لؤلؤ مدبر المملكة الحلبية ، وأعيان الحلبيين وخلقنا كثيرا . وقُتل الأمير شمس الدين الحميدي ،  
 والأمير بدر الدين الزرزاري ، وجماعة [غيرهما] .



وكان الأمير حسام الدين أبو علي الهذلي على ميسرة عسكر المصريين، فلما وقعت الكسرة على الميسرة تفرق عنه أصحابه، وتقتطّر<sup>(١)</sup> عن فرسه وكاد يؤخذ. لولا [أله] وقف معه من أركبه، فلحق بالمعز أبيك. فأمر الملك المعز بضرب عنق الأمير شمس الدين لؤلؤ، فأخذته السيوف حتى قطع، وضربت عنق الأمير ضياء الدين التيمري. وأتى بالملك الصالح إسماعيل وهو راكب، فسلم عليه الملك المعز وأوقفه إلى جانبه، وقال للأمير حسام الدين أبي علي: "ما تسلم على المولى الملك الصالح"، فدنا منه [الأمير حسام الدين] وعانقه وسلم عليه. وبُرح الملك المعظم، وابنه تاج الملوك، وضرب الشريف المرتضى في وجهه ضربة عظيمة، وهما بقتله ثم تركوه.

وتمزق أهل الشام كل ممزق، ومشوا في الرمل أياما. وسار الملك الناصر ومعه نوفل الزبيدي وعلي السعدى إلى دمشق. وأما العسكر الشامى الذى كسر ميسرة المصريين، فإنه وصل إلى العباسية ونزل بها، وضرب الدخيلز الناصرى هناك، وفيهم الأمير جمال الدين بن يغمور نائب السلطنة بدمشق وعدة من أمراء الناصر، وهم لا يشكون أن أمر المصريين قد بطل وزال، وأن الملك الناصر مُتقدم عليهم ليسيروا في خدمته إلى القاهرة. فبيناهم كذلك إذ وصل اليهم الخبر بهروب الملك الناصر، وقتل الأمراء وأسر الملوك وغيرهم. فهم طائفة منهم أن يسيروا إلى القاهرة ويستولوا عليها، ومنهم من رأى الرجوع إلى الشام، ثم اتفقوا على الرجوع.

وأما من انهزم من (١٩٩) عسكر مصر أولا، فإنهم وصلوا إلى القاهرة في يوم الجمعة حادى عشر، غد يوم الوقعة. فما شك الناس في أن الأمر تم للملك الناصر، وأن أمر البحرية قد زال. وكان بقلعة الجبل الأمير ناصر الدين إسماعيل... بن يغمور، أستاذار الملك الصالح [عماد الدين] إسماعيل، في جب هو وأمين الدولة أبو الحسن بن غزال - المتطبيب المعروف بالسامري وزير الصالح المذكور، والأمير سيف الدين التيمري، وجماعة [غيرهم أيضا]، لهم

(٢) يباض في م، يسع لفظا واحدا.

(١) في م "تقطر".



من أيام الملك الصالح نجم الدين أيوب في الاعتقال . فلما بلغهم ذلك خرجوا من الحب ، وأظهروا الفرع والاستبشار ، وأرادوا أخذ القلعة . فلم يوافق الأمير سيف الدين القيمري على ذلك ، وتركهم وقعد على باب دار الملك المعز أيك التي فيها عياله ، وحماها وصد الناس عنها . وصاح البقية : "الملك الناصر يا منصور!" .

- ٥ وخطب للناصر بالقلعة ومصر ، وسائر البلاد التي بلغها خبر نصرته . وكان يجامع القاهرة الشيخ عز الدين بن عبد السلام ، فقام على قدميه وخطب خطبتين خفيفتين ، وصلى بجماعة الجمعة ، وصلى قوم صلاة الظهر . فما هو إلا أن انقضت صلاة الجمعة ، [حتى] وردت البشارة بانتصار الملك المعز وهزيمة الناصر ، فدُقَّت البُشائر . وقدم جماعة ومعهم نصره الدين ابن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، فاعتقلوه بقلعة الجبل . وقُبِضَ على الأمير ناصر الدين ابن يغمور ، والوزير أمين الدولة <sup>(١)</sup> [أبي الحسن بن غزال] ، ومن كان معهما ، وأعيدوا إلى الحب . ونودي آخر النهار في القاهرة ومصر بالزينة .

- وأما الملك المعز فإنه ساق — بعد ما تقدم ذكره من قتله الأمراء — إلى العباسية ، فلما رأى دهليز الملك الناصر توهج ، وعرج عن الطريق على العلاقة إلى بليس ، ظنا أن واقعة وقعت بالقاهرة . فبلغ من كان بالدهليز الخبر فهدموه في الليل ، وساروا إلى الشام . فبلغ ذلك الملك المعز وهو في بليس ، فرحل يريد القاهرة وقد اطمأن ، ودخلها يوم السبت ١٥ ثاني عشر ذي القعدة بالأسرى بين يديه ، وساجقهم مقلبة وطبولهم مشقة ، وخيولهم وأموالهم بين يديه ، إلى أن وصل إلى بين القصرين . فلعبت الممالك بالرماح وتطاردوا ، والملك المعز في الموكب . وإلى جانبه الأمير حسام الدين أبي علي ، وقدامه الملك الصالح

(١) فوق هذا الخط في م. إشارة إلى هامش غير موجود بالصفحة . وابن القريبي قصد أن يكمل الاسم على الصورة الواردة بالصفحة السابقة ، ثم أغفل ذلك أو نسيه .

(٢) كان العسكر الشامي الذي كسر ميسرة المصريين ، وتقدم إلى العباسية فزّل بها ، قد ضرب الدهليز الناصري هناك استعدادا لوصول الناصر . (انظر ص ٣٧٦ ، سطر ١٠) .

(٣) في م " مشقة " .



إسماعيل تحت الاحتياط . فعند ما (٩٩ ب) وصل إلى تربة الملك الصالح نجم الدين أهدق الممالك البحرية بالصالح إسماعيل ، وصاحوا : "ياخوند ! أين عينك ترى عدوك إسماعيل ؟" ثم ساروا إلى قلعة الجبل ، واعتقل الصالح إسماعيل بها وبقيّة الملوك ، وألقى الأسرى من الشاميين في الجباب . وعند ما دخل الملك المعز [إلى القلعة] ، تلقاه الملك الأشرف موسى وهناك بالظفر ، فقال الأمير فارس الدين أقطاي للأشرف : "كلما حصل بسعادتك ، وما سعيينا إلا في تقرير ملكك" ، وكان يؤثر بقاء الأشرف خوفا من استبداد المعز أيك . وكان هذا اليوم من أعظم أيام القاهرة ، واستمرت الزينة بالقاهرة ومصر وقلعة الجبل وقلعة الروضة عدة أيام .

وفي يوم الاثنين رابع عشره شُئق الأمير ناصر الدين إسماعيل بن يغمور ، أستاذ الصالح إسماعيل ، وشُئق بكجا ملك الخوارزمي ، وأمين الدولة أبو الحسن السامري الوزير ، على باب قلعة الجبل ، ومعهم المجير بن حمدان من أهل دمشق . وظهر لأمين الدولة من الأموال والتحف والجواهر ما لا يوجد مثله إلا عند الخلفاء ، بلغت قيمة ما ظهر له سوى ما كان مودوعا ثلاثة آلاف ألف دينار ، ووجد له عشرة آلاف مجلدة ، كلها بخطوط منسوبة ، وكتب نفيسة .

وفي ليلة الأحد السابع والعشرين من ذي القعدة ، قُتل الملك الصالح عماد الدين إسماعيل ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب بقلعة الجبل ، وعمره نحو الخمسين سنة . قال ابن واصل : من أعجب ما مرّ بي أن الملك الجواد مودودا ، لما كان في حبس الملك الصالح إسماعيل ، سير إليه [الملك الصالح إسماعيل] من خنقه ، وفارقه ظنا أنه قد مات ، فأفاق فرأته امرأة هناك ،

(١) أضيف ما بين القوسين من ابن واصل (نفس المرجع ، ص ١٢٨٤) .

(٢) كذا في م بنير ضبط ، وهو في ب (١١١٨) "بكجا" ، وقد ترجمه Quatremère : Op. cit.

(Bekdjesa) I. 1. p. 30 .

(٣) كذا في م .

(٤) في م "مودود" .



فأخبرتهم أنه قد أفاق ، فعادوا إليه وخنقوه حتى مات . وفي هذه الليلة لما أخرجوا الملك الصالح إسماعيل بأمر المعز أيبك إلى ظاهر القلعة ، وكان معهم ضوء فأطفأوه ، وخنقوه وفارقوه ظناً أنه قد مات ، فافق فرأته امرأة هناك ، فأخبرتهم أنه أفاق ، فعادوا إليه وخنقوه حتى مات . فانظر ما أعجب هذه الواقعة ! ودفن هناك ؛ وكانت أمه رومية ، وكان رئيس<sup>(٢)</sup> (؟) النفس نبيل القدر ، مطاعاً له حرمة وافرة ، وفيه شجاعة .

وفي ثامن عشره أخرج الملك المعز كل من دخل القاهرة من عسكر الملك الناصر ، إلى دمشق على حمر ، هم وأتباعهم ؛ ولم يمكن أحداً منهم أن يركب فرساً ، إلا نحو الستة أنفس فقط ، وكانوا نحو الثلاثة آلاف رجل .

وفيها وصل إلى الملك الناصر من قبل القان ملك التتر طمغاً صورة أمان ، فصار يحملها في حياضته<sup>(٥)</sup> ، وسير إلى القان هدايا كثيرة . فلما خرج هولاكو واستولى على الممالك ، تغافل الناصر عنه ولم يبعث إليه شيئاً ، فعز ذلك عليه ، وصار في كل قليل ينكر تأخر تقدمه الناصر الهدايا والتحف إليه .

(١) قصة خنق الملك الصالح إسماعيل مرتين ، وموافقتهما في التفاصيل لما حدث في خنق الملك الجواد ، واردة بالقاضها وترتيبها في ابن واصل (نفس المرجع ، ص ٣٨٤ ب) . ويلاحظ أن هذه أول مرة في كتاب السبك ، يشير فيها المقرئ لابن واصل . (٢) في ص "رئيس" .

(٣) كان قان — أوقان — التتر في تلك السنة كيوك (٦٤٤ — ٦٤٦ هـ ، ١٢٤٦ — ١٢٤٨ م) . انظر (Lane-Poole : Muh. Dyns. P. 215) . وهو ابن أرغطاي بن جنكخان ، واسمه في المراجع الإنجليزية (Kuyuk) ، وفي الفرنسية (Cuyouk) . وقد أرسل ذلك الخان ، حسبما جاء في (D'Ohsson : Hist. Des Mongols, III. p. 91) إلى الملك الناصر صاحب دمشق صورة أمان ، صار الناصر يحملها في حياضته ، كما في المتن هنا .

(٤) الطمغاة كلمة تركية ، معناها هنا البراءة (diploma) التي تصدر من قبل السلطان أو الملك ، بالعفو عن مجرم أو ثمين حذفت . وطمغاً أيضاً شعار السلطان أو الأمير (blazen) . انظر (Steingass : Pers. - Eng. Dict.) ، وأيضاً (Mayer : Saracenic Heraldry, pp. 18, 33, 53, 206) .

(٥) الحياض هنا الحزام أو المنطقة ، (Quatremère : Op. cit. I. 1. p. 31, N. 31) ، وهي في الأصل السير الذي يشده حزام مرج الحصان . (محيط المحيط) .



وفيهما أكثر ضرر الممالك البحرية بمصر ، ومالوا على الناس وقتلوا ونهبوا الأموال ،  
وسبوا الحرير وبالفوا في الفساد ، حتى لو ملك الفرنج ما فعلوا فعلهم .  
وفي سابع عشرى ذى الحجة . سار الأمير فارس الدين أقطاي من القاهرة في ثلاثة آلاف  
الى غزة ، واستولى ( ١١٠٠ ) عليها .

وفي هذه السنة قُدم البطرك أنثاسيوس<sup>(١)</sup> ابن القس أبي المكارم ، في يوم الأحد رابع  
شهر رجب ، الموافق لخمس بابه سنة سبع [ وستين ] وتسعمائة للشهداء . فأقام في البطركية  
إحدى عشرة سنة وخمسة وخمسين يوما ، ومات يوم الأحد أول كيهك سنة ثمان وسبعين  
وتسعمائة للشهداء ، الموافق لثالث المحرم سنة ستين وستمئة هجرية ، وخلا الكرسي بعده خمسة  
وثلاثين يوما . وفيها مات الإمبراطور ملك الفرنج الألمانية بصقلية<sup>(٢)</sup> ، وقدم من بعده ابنه .  
ونجحت هذه السنة والنصر يوسف بدمشق ، وبسده ملك الشام والشرق ، ومملكة  
مصر بيد الملك المعز عز الدين أيبك التركماني . ويخطب معه للأشرف موسى ، والمعتمد  
عليه في أمور الدولة من البحرية ثلاثة أمراء : وهم الأمير فارس الدين أقطاي ، وركن الدين  
بيبرس البندقداري ، وصيف الدين بلبان الرشيدى .

ومات في هذه السنة من الأعيان الملك المعظم غياث الدين توارنشا بن الملك الصالح  
نجم الدين أيوب بن الملك الكامل محمد بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب بن شادى ، قتيلا  
في يوم الاثنين تاسع عشرى المحرم . ومات الملك الصالح عماد الدين إسماعيل بن العادل  
أبي بكر بن أيوب بن شادى . قتيلا في ليلة الأحد سابع عشرى ذى القعدة ، عن نحو خمسين  
سنة . ومات الأمير شمس التواتر الأمينى . مقدما عسكر حلب ، قتيلا في يوم الخميس عاشر

(١) اسم هذا البطريق (Athanasius III) ، وهو السادس والسبعون من بطارقة الأقباط بالإسكندرية

(Butcher : Op. cit. I. p. XIV ; II. pp. 163-165).

(٢) أضيف ما بين القوسين بعد مراجعة (Quatremère : Op. cit. I. 1. p. 31) .

(٣) في ص " الانبرطوز " .

(٤) الإمبراطور المقصود هنا هو (Frederic II) ، وقد توفي بحمص (Fiorentino) ، الواقع بين بلدتي

(Foggia & Lucera) ، بقرطاج (Apulia) بإيطاليا قسما . (Camb. Med. Hist. VI. p. 164) .



ذى القعدة . وتوفي رشيد الدين أبو محمد عبد الوهاب بن طاهر بن علي بن فتوح بن رواج<sup>(١)</sup>  
الإسكندري المالكي، عن أربع وتسعين سنة، في ...<sup>(٢)</sup> . وتوفي الحافظ شمس الدين  
أبو الحجاج يوسف بن خليل بن قراجا بن عبد الله الدمشقي بحلب، عن ثلاث وتسعين سنة .

\*\*\*

سنة تسع وأربعين وستمئة . فيها استولى الأمير فارس الدين أقطاي على الساحل  
ونابلس إلى [نهر] الشريعة<sup>(٣)</sup>، وعاد إلى القاهرة . فسير الملك الناصر عسكريا من دمشق إلى غزة  
ليكون بها، فأقاموا على تل العجول . فخرج المعز أيك . ومعه الأشرف موسى والفارس  
أقطاي وسائر البحرية، ونزل بالصلحية . فقام بعسكر الممصري بأرض السائح قريبا من  
العباسة، والعسكر الشامي قريبا من سنتين، وترددت بينهما الرسل . وأحدث الوزير الأسعد  
الفائزي ظلامات عديدة على الرعية .

وفيها أمر الملك المعز أيك بإخلاء قلعة الروضة . فتحول من كان فيها من الممالك  
والحرسية وغيرهم<sup>(٤)</sup> . وفيها عزل قاضي القضاة عماد الدين أبو القاسم بن أبي إسحاق ابن المقنشع -  
المعروف بابن القطب الحموي، عن قضاء مصر، وأضيف [ذلك] إلى قاضي القضاة بدر الدين  
السنجاري . وسافر الأمير حسام الدين أبو علي إلى الحجاز - وترك طلبه بالسائح وفيه من ينوب  
عنه - من البحر إلى قوص . ثم ركب البحر الملح إلى مكة . وفيها أشيع وصول البادراني  
رسول الخليفة، ليصلح بين الناصر والمعز . فلما أبطل قدومه . وكثرت الأقاويل، قال الأمير

(١) كذا في ب (١١١٩)، وهو في س "موج" . (٢) كذا في س . (٣) ياض في س .

(٤) أطلق هذا الاسم على نهر الأردن، بعد زمن الحروب الصليبية، وخصوصا جزؤه الواقع بين بحيرة طبرية إلى مصبه  
في البحر الميت، ويرفه البدو بهذا الاسم حتى الآن . (Quatremère : Op. cit. I. 1. p. 32. N. 37) ؛  
و (Le Strange: Palest. Under Moslems, p. 52) .

(٥) كذا في س، وقد أوردناه (Quatremère: Op. Cit. I. 1. p. 33) على أنها موضع اسمه "سنتين"،  
وترجمها إلى (Sattin) . هذا وفيما يلي تحت سنة ٦٥٤، أن السلطان الملك المعز أقام بمساكنه بأرض السائح  
ثلاث سنين، فقلل المقصود هنا بلفظ "سنتين" مدة زمنية، وليس موضعا لإقامة العساكر . (٦) جمع حرمي،  
وهو الجندي الموكل بحراسة مكان من الأمكنة، (un soldat destiné à garder une place) .  
انظر (Quatremère: Op. Cit. I. 1. p. 33. N. 40) .



شهاب الدين غازي بن أياز المعروف بابن المعمار — أحد المجريين صحبة الأمير جمال الدين موسى بن يغمور : —

يُذَكِّرنا زمانُ الزهد ذكرى • زمانُ اللهو في تلَّ العجول

ونطلب مسلما يروى حديثا • صحيحا من أحاديث الرسول

وفيها وقع بمكة غلاء عظيم . ومات في هذه السنة من الأعيان قاضي القضاة ببغداد ،  
[واسمه] كمال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن عبد السلام بن إسماعيل بن عبد الرحمن بن  
إبراهيم الدامغانى الحنفى . و [فيها] توفى بهاء الدين أبو الحسن على بن هبة الله بن سلامة  
الجزيرى الشافعى ، خطيب القاهرة — وقد انتهت اليه مشيخة العلم — عن تسعين سنة ،  
في يوم ... . و [فيها] توفى صاحب جمال الدين أبو الحسين يحيى بن عيسى بن إبراهيم بن  
مطروح — الوزير بالشام ، [و] الشاعر [أيضا] — عن سبع وخمسين سنة . في ... . و [فيها]  
توفى رشيد الدين أبو محمد عبد الظاهر بن نسوان بن عبد الظاهر السعدى شيخ القراءات ...  
و [فيها] توفى علم الدين قيصر بن أبى القاسم بن عبد الغنى بن مسافر — المعروف بتعاميف ،  
الحنفية الحنفى ، بدمشق في ... رجب ، ومولده بأصفهان من صعيد مصر سنة أربع وسبعين  
ونعمانة ، وهو أحد الأئمة في العلوم الرياضية .

\*\*\*

سنة خمسين وستمائة • فيها قدم الأمير حسام الدين أبو على من الحجاز ، فقتل  
في المعسكر من أرض الساغ بالصالحية . وقدم من بغداد الشيخ نجم الدين عبد الله بن محمد

(١) مضبوط على منطوقه في (Quatremère : Op. cit. I. 1. p. 35) .

(٢) الوفيات الواردة هنا ، مكتوبة على ورقة متصلة في س ، بين الصفحتين ٩٩ ب ، ١٠٠ ، ولم يشر  
المقرئ كعادته الى مكانها المناسب ، على أنها وقعت في سنة ٦٩٩ هـ . انظر (Quatremère : Op. cit. I. 1. pp. 35-36, et notes)

(٣) و (٤) و (٥) و (٦) ياض في س .

(٧) بنير ضبط في س ، وهى إحدى قرى المطاعة بالوجه القبلى ، وتقع على الشاطئ الغربى للنيل ، وتسمى  
أسفون أيضا . (مبارك : الخطط التوقفية ، ج ٧ ، ص ٥٧ ؛ ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٢٠٠) .



ابن الحسن بن أبي سعد البادراني، رسولا من الخليفة للإصلاح بين الملك المعز أيبك والملك (١٠٠ ب) الناصر . فتلقاه القاضي بدر الدين الخضر بن الحسن السنجاري من قطيا ، ومعه جماعة، وتحدث [معه] في ذلك . فأراد الناصر أن تقام له الخطبة بديار مصر، فلم يرض الملك المعز، و[زاد بأن] طلب أن يكون بيده — مع مصر — من غزاة الى غنبة فيق<sup>(١)</sup> .

و [فيها] وردت الأخبار بأن منكوخان<sup>(٢)</sup> ملك التتر سير أخاه هولاءكو لأخذ العراق . فسار<sup>(٣)</sup> .

وأباد أهل بلاد الإسماعيلية قتلا ونهبا وأسرا وسبياً، ووصلت غاراته إلى ديار بكر وميافارقين، وجاءوا إلى رأس عين وسروج ، وقتلوا ما ينيف على عشرة آلاف ، وأسروا مثل ذلك ، وصادفوا قافلة سارت من حران تريد بغداد، فأخذوا منها أموالاً عظيمة، من جملتها ستمائة

(١) في س "مق" .

(٢) اسم هذا الخان في المراجع الأوربية الحديثة (Mangu) ، وهو ابن تولوي بن جنكيزخان ، وقد وقع تنويجه وإعلانه خانا أعظم سنة ٦٤٩ هـ (١٢٥١ م) ، في مجمع رؤساء التتر (Kuriltay) تلك السنة ، أي بعد ثلاث سنين من وفاة كوك . وفي ذلك المجمع قرأ رأى على تجهيز حملتين حربيتين ، تقصد إحداهما الصين ويكون قائدها قوبلاي ، وتذهب الأخرى إلى بلاد فارس بقيادة هولاءكو ، وكلاهما أخ لمكوخان (Browne : A Lit. Hist. Of Persia, II. p. 452).

(٣) وصل هولاءكو إلى بلاد الإسماعيلية الفرس بقومستان ، وهي جهات الجبال الواقعة بين هرات ونيسابور، بعد السنة المذكورة هنا بكثير . فقد سار من قراقوم (Karakorum) عاصمة التتر العظمى ، سنة ٦٥٠ هـ (١٢٥٠ م) ، بتعليات مشددة لحواها بحق الإسماعيلية بفارس ، وهدم الخلافة العباسية ببغداد . ووصل هولاءكو ببلاد الإسماعيلية سنة ٦٥٤ هـ (١٢٥٦ م) ، وكان عند التعلبات التي لديه : فأتى عليهم وعلى جميع معانقهم بما في ذلك الموت ، وأسر أكثر رؤسائهم وهو شيخ الجبل ركن الدين غورشاه ، وأرسله إلى (Karakorum) حيث أمر منكوخان بقتله . (Browne : A Lit. Hist. of Persia, II. pp. 452-460)

(٤) أحس الإسماعيلية بخطر المنول قبل ذلك بعدة سنين، كما أحست به جميع دول أوروبا أيضا ، وذهب رسول من الإسماعيلية إلى إنجلترا وفرنسة ، سنة ٦٣٧ هـ (١٢٣٩ م) ، يرجوهما القوت على المنول، ولكنه لم يلق مجيبا . يشهد بذلك ما قاله أسقف مدينة (Winchester) بإنجلترا، حسبما جاء في (Browne : Op. cit. III. p. 6) ، وهذا نصه :

"Let these dogs devour each other and be utterly wiped out, and then we shall see, founded on their ruins, the Universal Catholic Church, and then shall truly be one shepherd and one flock."



حمل سكر من عمل مصر، وستمائة ألف دينار، وقتلوا الشيوخ والعجائز، وصافوا النساء والصبيان معهم . فقطع أهل الشرق الفرات، وفروا خائفين .

فبعد ذلك أزال الملك المعز اسم الملك الأشرف موسى من الخطبة، وانفرد باسم السلطنة، وسجن الأشرف، واستولى على الخزان . وشرع في تحصيل الأموال : فأحدث الوزير الأسعد شرف الدين هبة الله بن صاعد بن وهيب التمازي حوادث، وقرر على التجار وعلى أصحاب العقار أموالا، ورتب مكوسا وضمانات سماها الحقوق السلطانية والمعاملات الديوانية، وأخذ الجوالى من الذمة مضاعفة، وأحدث التصفيق والتفويم<sup>(٢)</sup> وعدة أنواع من المظالم . ورتب الملك المعز مملوكه الأمير سيف الدين قطز نائب السلطنة بديار مصر، وأمر عدة من ممالئكه . فتقويت شوكة البحرية وزاد شهرهم . وصار كبيرهم الأمير فارس الدين أقطاي الجمدار الصالحى منجأ لهم، يسألونه فى حوائجهم، ويكون هو المتحدث مع الملك المعز . وفيها أقطع الفارس أقطاي نغر الإسكندرية، وكتب له به منشور . وتعدى شر البحرية، وكثر تمزدهم وطغيانهم .

وخرجت السنة والملك المعز والعساكر بالسائح . وعساكر الشام بغزة، والملك الناصر مقيم بدمشق، والملك المغيث عمر بالكرك . وكان النيل عاليا : بلغ ثمانية عشر ذراعا وسبعة عشر إصبعا، وسد باب البحر عند المقس .

وفيها وقع بمدينة حلب حريق عظيم ظهر أنه من الفرنج، [و] تلف فيه أموال لا تحصى، واحترقت ستمائة دار . وجم فى هذه السنة ركب العراق .

(١) تقدم شرح لفظ الجوالى فى ص ٨٦ (حاشية ٤) ، ويزاد عليه هنا أن الجوالى جمع جالية، وأن لفظ جالية مطلق على أهل الذمة، وقد "قبل لم ذلك لأن الامام عمر أجلاه عن جزيرة العرب، ثم لزم هذا الاسم كل من لزم الجزية من أهل الذمة ... وإن لم يجلبوا من أوطانهم" . (محيط المحيط) . انظر أيضا .

(Quatremère: Op. Cit. II. 1, p. 132. N. 16).

(٢) التصفيق هنا إحصاء البيوت والعقارات ، لأجل فرض ضريبة عليها . والتفويم تقدير قيمة كل من البيوت المحصاة، من أجل الغرض نفسه . (Quatremère : Op. cit. I. 1. pp. 37, et p. 89. N. 124) .



- ومات في هذه السنة من الأعيان العلامة رضى الدين أبو الفضائل الحسن بن محمد بن الحسن بن حيدر الحمري الهندي الصنعاني الحنفى اللغوى، [ مات ] ببغداد، ودفن بمكة عن ثلاث وسبعين سنة. وتوفى نحر القضاة أبو الفتح نصر الله بن دبة الله بن عبد الباقي بن هبة الله ابن الحسين بن يحيى بن بصافة الكافى، الكاتب الوزير للناصر داود، [و] الأديب المنشئ، فى ... .
- وتوفى شمس الدين أبو عبد الله محمد بن سعد بن عبد الله بن سعد الأنصارى القندسى، الفقيه الشافعى المحدث المقرئ، النحوى الأديب الكاتب المجود، [ مات ] بدمشق عن تسع وسبعين سنة. وتوفى مُسنَدُ العراق المؤتمن أبو القاسم يحيى بن نصر بن أبي القاسم بن الحسن بن قبرة التميمى، التاجر السفار، عن خمس وثمانين سنة، حدث بمصر وغيرها. وتوفى نقيب الأشراف — وقاضى العسكر، ومدرس المدرسة الشريفة بمصر — الشريف شمس الدين أبو عبد الله محمد بن الحسين بن محمد العلوى الحسينى الأرموى، [ على ما ] حدثنا الأشراف، فى ثالث عشر شوال سنة خمس وستائة. وكان إماما فى الفقه والأصول منظرًا، تفقه على الصدر ابن حمويه، وشرح المحصول؛ ومات عن نيف وسبعين سنة.

\*\*\*

- سنة إحدى وخمسين وستائة. فيها تفوز الصلح بين الملك المعز أيبك وبين الملك الناصر صاحب دمشق، بسفارة نجم الدين البادرانى. وقد قدم [نجم الدين] إلى القاهرة، وصحبته عز الدين أزدمر، وكاتب الإنشاء ببغداد نظام الدين أبو عبد الله محمد بن المولى الحلبي.
- ١٥ لتمهيد القواعد. فلم يبرح إلى أن انفصلت القضية: على أن يكون للصريين إلى الأردن، والناصر ما وراء ذلك؛ وأن يدخل في للصريين غزة والقدس ونابلس والساحل كله.

(١) اسم العلامة فى بعض التراجم العربية، (انظر Quatremère: Op. cit. I. L. p. 38. N. 50, 51).

حسن بن عمر، ومولده بمدينة لاهور بالهند، سنة ٥٧٧ هـ (١١٨١ م)، ومن مؤلفاته فى النحو كتاب جمع البحرين فى اثني عشر مجلداً، وكتاب الباب الزاخر فى عشرين مجلداً، وكانت رفاة ببغداد فى يوم الجمعة تاسع عشر شعبان.

(٢) يابض فى س.

(٣) كذا فى س، ومرفى ب (١٢٠ ب) "نبيرة".

(٤) فى س "حدا". انظر (Quatremère: Op. cit. I. L. p. 38. N. 53).



وأن المعز يطلق جميع من أسره من (١١٠١) أصحاب الملك الناصر . وحلف كل منهما على ذلك ، وكتبت به اليهود . وعاد الملك المعز وعسكره إلى قلعة الجبل في يوم الثلاثاء سابع صفر ، ونزل البادراني بالقاهرة . وأطلق الملك المعز الملك المعظم تورانشاه بن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، وأخاه نصرة الدين ، ومائت أولاد الملوك والأمراء ، وأحضرهم دار الوزارة ليشهدوا حلفه للملك الناصر . ثم قدّم [الملك المعز أيك] للملك المعظم مقدمة سنية ، وأعطى نظام الدين بن المولى ، ورفيقه عز الدين أزدمر ، عشرة آلاف دينار .

وفيها قويت البحرية - وكبيرهم فارس الدين أقطاي - على المعز ، وكثر تعنتهم واستطاعتهم وتوثبهم على الملك المعز ، وهموا بقتله . وفيها تسلم المصريون قلعة الشوبك ، فلم يبق مع الملك المغيث سوى الكرك والبلقاء وبعض الغور . وفيها قطع المعز خبز الأمير حسام الدين ابن أبي علي ، فلزم داره ، ثم خرج إلى بلاد الشام بإذن الملك المعز له ، فأكرمه الملك الناصر وأقامه في خدمته بمائة فارس .

وفيها ثارت العربان ببلاد الصعيد وأرض بحرى ، وقطعوا الطريق برا وبحرا ، فامتنع التجار وغيرهم من السفر . وقام الشريف حصن الدين ثعلب بن الأمير الكبير نجم الدين علي ابن الأمير الشريف نحر الدين إسماعيل بن حصن الدولة محمد العرب ثعلب بن يعقوب بن مسلم بن أبي جميل الجعدى ، وقال : "نحن أصحاب البلاد" ، ومنع الأجناد من تناول الخراج ، وصرح هو وأصحابه : "بأننا أحق بالملك من المسالك ، وقد كفى أنا خدمنا بني أيوب ، وهم خوارج خرجوا على البلاد" . وأنفوا من خدمة الترك ، وقالوا إنما هم عبيد للخوارج ، وكتبوا إلى الملك الناصر صاحب دمشق يستحثونه على القدوم إلى مصر .

(١) مضبوط هكذا في س .

(٢) في هامش الصفحة في س تكة لهذا النسب ، نصها : "أبو جيل دحية بن جعفر بن موسى بن إبراهيم بن إسماعيل بن جعفر بن محمد بن علي بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب" ، وفي هامش ملاصق قبالة لفظ دحية ، ضبط لهذا الاسم أيضا ، نصه : "بضم الدال المهملة ، وفتح الحاء المهملة ، وتشديد الباء آخر الحروف" .

(٣) في س "منوا" . (٤) في س "منعوه" .



واجتمع العرب — وهم يومئذ في كثرة من المال والخيول والرجال، إلى الأمير حصن الدين نعلب، وهو بناحية دَهْرُوطَ صَرَبَانْ، وأنوه من أقصى الصعيد، وأطراف بلاد البحيرة والحيزة والفيوم، وحلفوا له كلهم. فبلغ عدة الفرسان اثني عشر ألف فارس، وتجاوزت عدة الرجال الإحصاء، لكثرتهم. فجهز إليهم الملك المعز أيبك الأمير فارس الدين أقطاي الجمدار، والأمير فارس الدين أقطاي المستعرب، في خمسة آلاف فارس. فساروا إلى ناحية ذُرُوة<sup>(٢)</sup>، وبرز إليهم الأمير حصن الدين نعلب، فاقتتل الفريقان من بكرة النهار إلى الظهر. فقدر الله أن الأمير حصن الدين تنفطر عن فرسه، فأحاط به أصحابه. وأتت الأتراك إليه، فقتل حوله من العرب والعبيد أربعمائة رجل، حتى أركبوه. فوجد العرب قد تفرقوا عنه، فولى منهزما. وركب الترك أدبارهم، يقتلون ويأسرون حتى حال بينهم الليل، فحَوَّوا (١٠١ ب) من الأسلاب والنسوان والأولاد والخيول والجمال والمواشي. ما عجزوا عن ضبطه، وعادوا إلى المخيم ببليس. ثم عدوا إلى عرب الغربية والمنوفية من [قبيلتي] سِنِيسَ وَلَوَّاتَةَ<sup>(٤١)</sup>، وقد تجمعوا بناحية سخا وسنهور، فأوقعوا بهم وسبوا حريمهم وقتلوا الرجال، وتبدد شمل عرب مصر ونحمت بجرمتهم من حينئذ.

(١) بنير ضبط في س. وتسمى تلك الناحية دروت مريام، ودروط مريان، وذرة مريام، ودروط الشريف، ودروط الشريف، والتسمية الأخيرة عائدة على صاحب تلك الناحية، وهو الشريف بن نعلب. وكان وقع تلك الناحية بين ليل وزرة المنى، التي هي الآن بحر يوسف. وقد حوّلت تلك القرية إلى حنبوب دروط مريان، فعبّارت القرية في غربها. هذا ودروط هي دروط الحالية، إحدى مراكز مديرية أسيوط. (مبارك: الخطط التوفيقية، ج ١١، ص ٣ — ٦؛ ابن شاهين: زبدة كشف الممالك، ص ١١٨). انظر أيضا القسم الأول من هذا الجزء، ص ١٣٠، حاشية ٤.

(٢) بنير ضبط في س، وفي مبارك (الخطط التوفيقية، ج ١١، ص ٧٣) فريتان بهذا الاسم، إحداها بمديرية المنوفية، والثانية في المناحية، من قسم بوسة الخياط. وإراجيح أن الثانية هي المقصودة هنا، بدليل أن مسكر جيش الملك المعز كان في بليس. (انظر مايل، سطر ١١).

(٣) في س "تقطر".

(٤) بنير ضبط في س، وكان مقر تلك القبيلة مدينة سخا بالغربية، حباها. في القشتدي (صبح الأمتى، ج ٤، ص ٧١). انظر أيضا مبارك (الخطط التوفيقية، ج ١١، ص ٤).

(٥) بنير ضبط في س، وكانت لواتة بالمنوفية. (انظر المرجعين السابقين).



ولحق الشريف حصن الدين من بقى من أصحابه ، وبعث يطلب من الملك المعز الأمان ، فأمنه ووعدته بإقطاعات له ولأصحابه ، ليصيروا من جملة العسكر وعونا له على أعدائه . فانخدع [الشريف حصن الدين] ، وظن أن الترك لا تستغنى عنه في محاربة الملك الناصر ، وقدم في أصحابه وهو مطمئن إلى بليس . فلما قرب من الدهليز نزل عن فرسه ليحضر مجلس السلطان ، فقبض عليه وعلى سائر من حضر معه ، وكانت عدتهم نحو ألفي فارس وستمئة راجل . وأمر [الملك المعز] فنصبت الأخشاب من بليس إلى القاهرة وشُئق الجميع ، وبعث بالشريف حصن الدين إلى نهر الإسكندرية ، فحبس بها وسلم إليها الأمير شمس الدين محمد بن باخل . وأمر المعز بزيادة القطيعة على العرب ، وبزيادة القود المأخوذ منهم ، ومعاہلتهم بالعسف والتهر . فذلتوا وقلوا ، حتى صار أمرهم على ما هو عليه الحال في وقتنا .

وفيها صاهر الأمير فارس الدين أقطاي الملك المظفر صاحب حماة ، وسير إليه نحر الدين محمد بن الصاحب بهاء الدين على بن حنا - قبل أن يتقلد أبوه الوزارة ، وإنما كان قد ترشح لها - لإحضار ابنة المظفر من حماة ، فحماها إلى دمشق في فجل عظيم . فطلب أقطاي من الملك المعز أن يسكن قلعة الجبل بالعروس ، فشق ذلك عليه وأخذ يتحيل في قتله . وكان قد ثقل عليه ، وصار ليس له مع البحرية أمر ولا نهى ولا حل ولا عقد ، ولا يسمع أحد منهم له قولاً : فإن رسم لأحد بشيء لا يمكن من إعطائه ، وإن أمر لأحد منهم بشيء أخذ أضعاف ما رسم له به . واجتمع الكل على باب الأمير فارس الدين أقطاي ، و[قد] استولى على الأمور كلها . وبقيت الكتب إنما ترد من الملك الناصر وغيره إليه ، ولا يقدر أحد بفتح كتابا ، ولا يتكلم بشيء ، ولا يبرم أمرا ، إلا بحضور أقطاي لكثرة خُشْدَاشِيَّتِهِ<sup>(١)</sup> .

(١) القطيعة ما يفرضه السلطان على ولاية أو ناحية من المال سنويا ، أو ما يفرضه في أحوال غير عادية كالغرامة الحربية (Quatremère : Op. cit. I. 1. p. 14. N. 85) .

(٢) القود ما يبعث به قبائل العرب إلى السلاطين من الهدايا ، من نحو الخيل والإبل والحيوانات العزيزة . (Ibid : Op. cit I. 1. P. 42, N. 59)

(٣) جمع "خُشْدَاش" ، وهو عرب القبط الفارسي خواجاش ، أى الزميل في الخدمة . (Steingass : Pers. - Eng. Dict.) . والخُشْدَاشِيَّة أو الخُشْدَاشِيَّة أو الخُشْدَاشِيَّة



وفي هذه السنة حج من البر والبحر عالم كبير، فإنها كانت وقفة الجمعة. وفيها أخذ الشريف  
بجاز بن حسن مكة، وأقام بها إلى آخر ذي الحجة .

ومات في هذه السنة من الأعيان الشريف أبو سعد الحسن بن علي بن قتادة بن  
إدريس الحسيني أمير مكة، واستقر بعده في الإمارة ابنه أبو نعيم، وأخوه إدريس بن علي .  
ومات الملك الصالح أحمد بن الظاهر غازي بن الناصر يوسف بن أيوب بن شاذي بن مروان،  
صاحب عيذاب، عن إحدى وخمسين سنة . وتوفي كمال الدين أبو محمد عبد الواحد بن  
عبد الكريم بن خلف بن نهران الأنصاري الزملاكي<sup>(١)</sup> الدمشقي الشافعي . بدمشق . وتوفي  
جمال الدين أبو القاسم عبد الرحمن بن مكي بن عبد الرحمن الإسكندري، سبط الحافظ أبي  
الظاهر السلفي، وقد انتهى إليه علو الإسناد .

♦ ♦ ♦

سنة اثنتين وخمسين وثمانئة . فيها استفحل أمر الفارمن أقطاي الجمدار وانحازت إليه  
البحرية، بحيث كان أقطاي إذا ركب من داره إلى القنعة شغل بين يديه جماعة بأمره،

= في اصطلاح عصر المماليك بمصر، الأمراء الذين نشأوا مالمالك عند سيد واحد، فثبت بينهم رابطة الزمالة القديمة،  
ويقال لها في الفرنسية (camarades) . ويوضح هذا المعنى تماما العبارة الآتية، وهي من الأمثلة الواردة  
في (Quatremère : Op. cit. I. 1. p. 43. N. 61)، ونصها : "كان يعد نفسه غريبا في بيت السلطان،  
لكونه لا يكن له تجددات" . وهذه الرابطة التي ظهرت في حوادث تاريخ المماليك بمصر، ومنها في الأهمية التاريخية  
علامة الأستاذ — أوالسيد — بماليكة الذين شرام نفسه . (انظر ص ٩٣ : سطر ١٠) . ولعل ذلك راجع الى قلة  
الروابط الأخرى بين الأمراء، إذ كانوا يجلبون من مختلف أسواق النخاسة، وليس بينهم من الروابط سوى حاجة  
عليهم بمصر .

(١) بغير ضبط في م، والنسبة الى زملاكان، وهي قرية بغوطة دمشق، يقال لها زملاكا أيضا . (بأقوت :  
معجم البلدان، ج ٢، ص ٩٤٤ — ٩٥٥) . هذا وفي (Quatremère : Op. cit. I. 1. p. 45, N. 63) أن  
كمال الدين هذا كان مبرزاً في علم المعاني والبيان، وأنه تولي التدريس في بعلبك واقفاً . في مرحة، وأنه كان شاعراً مجيداً .

(٢) في م "سعمل"، أو ما يقرب من ذلك . وقد ترجم (Quatremère : Op. cit. I. 1. p. 47)  
العبارة كلها الى "Toutes les fois que cet officier montait à cheval pour se rendre de sa maison au château, il avait devant lui une troupe de Mamlouks tout prêts à exé-  
cuter ses ordres...."



ولا يُنكر [هو] ذلك [منهم] . وكانت أصحابه تأخذ أموال الناس ونساءهم وأولادهم بأيديهم ، فلا يقدر أحد على منعهم . وكانوا يدخلون الحمامات ويأخذون النساء منها غصبا ، وكثر ضررهم .

[هذا] والمعز يحصل الأموال ، وقد ثقل عليه أقطاي ، فواعد طائفة من مماليكه على قتله : وبعث [المعز] إليه وقت القائلة من يوم الأربعاء ثالث شعبان ، ليحضر إليه بقلعة الجبل في مشور (١٠٢) يأخذ رأيه فيه . فركب [أقطاي] على غير أهبة ولا اكتراث ، فعند ما دخل من باب القلعة ، وصار إلى قاعة العواميد ، أغلق باب القلعة ، ومنع مماليكه من العبور معه . فخرج عليه جماعة بالدلهيز قد أعدوا لقتله : وهم قُطز و بهادر وسنجر الغنمي ، فهبروه بالسيوف حتى مات . فوقع الصريح في القلعة والقاهرة بقتله ، فركب في الحال من أصحابه نحو السبع مائة فارس ووقفوا تحت القلعة ، وفي ظنهم أنه لم يقتل وإنما قبض عليه ، وأنهم يأخذونه من المعز . وكان أعيانهم بيبرس البندقداري ، وقلاون الألفي ، وسنقر الأشقر ، وبتسري ، وسكر ، وبرايق . فلم يشعروا إلا ورأس أقطاي قد رمى بها المعز إليهم ، فسقط في أيديهم وتفرقوا بأجمعهم . وخرجوا في الليل من القاهرة ، وحرقوا باب القراطين فعرف

(١) كان بالقلعة عدة قاعات ، وكلها مخصصة لحاجات السلطان المنزلية ، حسبما جاء في ابن شاهين (زبدة كشف الممالك ، ص ٢٦ — ٢٧) ، "ومنها القاعة اليسرية ... ، ومنها القاعة الكبرى وتعرف بالعواميد برسم خوند الكبرى ، ومنها قاعة رمضان [ و ] بها خوند الثانية ، ومنها قاعة المظفرية [ و ] بها خوند الثالثة ، ومنها قاعة المظنة وبها خوند الرابعة ، ومنها قاعة البربرية برسم السراي ، و [ كانت بها ] لير ذلك من التبايع (كذا) والمعازل والأماكن المنسمة مما يطول شرحها " .

(٢) ضبطت هذه الأسماء على منطوقها في (Quatremère : Op. cit. I. 1. p. 48) . هذا وليس في نية الناشر أن يدب على ضبط جميع أسماء الأمراء انليك لكتبتها ، وهو يحيل القارىء في ضبطها الى (Mayer: Saracenic Heraldry) وإلى (Zetterstéen : Beitrage zur Geschichte Mamlūkensultane) .

(٣) في س "فهبروه" ، والمعنى أنهم قطعوه بالسيوف . (محيط المحيط) .

(٤) في س "ماخذوه" .

(٥) ضبطت هذه الأعلام على منطوقها في (Quatremère : Op. cit. I. 1. p. 48) ، وكل تقطعها من أيضا .



بعد ذلك بالباب المحروق إلى اليوم<sup>(١)</sup> . فمنهم من قصد الملك المغيث بالكرك ، ومنهم من سار إلى الملك الناصر بدمشق ، ومنهم من أقام ببلاد الغور والبلقاء والكرك والشوبك والقدس ، يقطع الطريق ويأكل بقاءم سيفه .

- واتفق أن اثني عشر من البحرية مروا في تيه بني إسرائيل ، فأقاموا به خمسة أيام حائرين ، فلاح لهم في اليوم السادس سواد على بعد فقصده : فإذا مدينة عظيمة ، ذات أسوار وأبواب حصينة ، كلها من رخام أخضر . فطافوا بداخل المدينة ، وقد غاب عليها الرمل في أسواقها ودورها ، وصارت أوانهم وملابسهم إذا أخذت تتفتت ونبتى هباء . فوجدوا في صواني بعض البزازين تسعة دنانير ، قد نقش عليها صورة غزال حوله كتابة عبرانية . وحفروا مكانا ، فإذا بلاطة ، فلما رفعوها وجدوا صهريجا فيه ماء أبرد من الثلج ، فشربوا وساروا ليلتهم . فإذا بفريق عرب يحملوهم إلى الكرج ، فعرضوا تلك الدنانير على الصيارف ، فقال بعضهم هذه ضربت في أيام موسى عليه السلام . وسألوا عن المدينة ، فقبل هذه المدينة الخضراء ، بنيت لما كان بنو إسرائيل في التيه ، ولها طوفان من رمل يزيد تارة وينقص أخرى ، ولا يقع عليها إلا تائه .<sup>(٢)</sup> وصرفوا كل دينار بمائة درهم .

- وسار منهم قشتمر العجمي ، وشار باش العجمي ، ومنجر الحاووك ، والركن الفارقي<sup>(٣)</sup> ومنقر الحبيلى ، ومنقر الحبيشى الكبير ، والحبيشى الصغير الحاجب ، والصقيل ، والفتى ،<sup>(٤)</sup> وبلبان النجمي ، وبكش المسمودي ، وأبوعبية ، وانخيسى ، ونغر الدين ماما ، وأيدمر الجمدار الرومي ، ومنقر الركني ، والحسام قريب سكر ، وإيدغدى الفارسي ، وبلبان الزهيري ، ومنجر<sup>(٥)</sup>

(١) ليس في المقرئى (المواعظ والاعتبار ، ج ١ ، ص ٣٨٣) ما يزيد هذه المعلومات ، كأن يعين موضع باب القراطين أو يوضح أصل تسميته . هذا الباب المحروق ، وهو باب القراطين قبلا كما بالمتن ، هو باب القاهرة الشرق . (Lano-Poolo : Cairo, p. 129) .

(٢) يرى (Quatremère : Op. cit. I.1. p. 49. N. 71) ، أن المدينة التي مر عليها هؤلاء المالك من البتراء .

(٣) الضمير هنا عائد على الأمراء الذين خرجوا من القاهرة بعد مقتل أقطاي .

(٤) مضبوط هكذا في م . (٥) مضبوط هكذا في م .



البدرى، وإزدمر السيفى، وإزدمر البواشى مملوك الرشيدى الكبير، والعنتابى، والمستعربى،  
 وسنقر البديوى<sup>(١)</sup>، وأبيك الشقارى، وإيدغدى فتنة، وسيف الدين الأشل، والخولانى، وسنجر  
 الشكارى، والمطروحي، وأبيك الفارسى، وأياس المقرى. فى جماعة كبيرة من الممالك الصغار  
 الجدارية الصالحية. وكان الحاكم المقدم على هؤلاء الأمير علم الدين سنجر الباشقردى -  
 وهو أعقلهم وأعرفهم -، والأمير شمس الدين سقراجليلى - وهو أفرسهم وأشهرهم بالسطارة<sup>(٢)</sup>.  
 فمضى هؤلاء إلى السلطان علاء الدين ملك [السلاجقة] الروم.

فلما أصبح الملك المعز أيبك، وعلم بخروج الجماعة من القاهرة، قبض على من بقى منهم،  
 وقتل بعضهم وحبس باقيهم، وأوقع الخوطة على أملاكهم وأموالهم ونسائهم وأتباعهم،  
 واستصنى أموالهم وذخائرهم وشؤونهم. وظفر للتمارس أقطاي بأموال عظيمة. ونودى  
 فى القاهرة (١٠٢ ب) ومصر بتهديد من أخفى أحدا من البحرية، وتمكن عند ذلك الملك  
 المعز، وارتجع الإسكندرية إلى الخالص السلطاني، وخفف بعض ما أحدث من المصادرات  
 والجبايات.

فلما وصل البحرية إلى غزة: وفيهم ركن الدين بيبرس البندقدارى، وسيف الدين بلبان<sup>(٣)</sup>  
 الرشيدى، وعز الدين أزدمر السيفى، وشمس الدين سنقر الأشقر. وسيف الدين سكر،  
 وسيف الدين قلاون، وبدر الدين بيسرى - كتبوا إلى الملك الناصر بأنهم قد وصلوا إلى  
 خدمته، فأذن لهم. وعمرُوا على بلاد الفرنج بالساحل، فقتلوا ونهبوا حتى قاربوا دمشق.

(١) مضبوط هكذا فى م.

(٢) قولت هذه الأسماء على منظومها فى (Quatremère : Op. cit. I. 1. p. 50)، وكل قطعها م.

(٣) سنقر هذا النهرية والندرة؛ وينجى. لهذا الشاطر أيضا، فى مربية ومارسية، بمعنى نفس قاطع الطريق،  
 وبمعنى ساعى المراسلات. (Ibid : Op. cit. I. 1. p. 50. N. 72). انظر أيضا محيط المحيط.

(٤) فى م "سكر". انظر ص ٣٩٠، سطر ١٢.

(٥) عراه يعروه، أى ألم به وأتاه طالبا معروفا، وهو فصل متعدد، (محيط محيط). غير أنه يتضح من مقابلة  
 الجملة أن المقرئى تجاوز فى استعمال هذا الفعل.



نخرج إلى لقائهم الملك الناصر، وخلع عليهم وأعطاهم . [هذا] وهم يحثونه على قصد مصر،  
وهو يدافعهم .

- تخاف المغز غائلتهم، وكتب إلى الناصر يوصيه منهم، ويخوفه عاقبة شرهم . وطلب منه  
الناصر البلاد التي كان قد أخذها بالساحل لأجل البحرية، وأنها في إقطاعاتهم . فأعادها المغز  
إلى الملك الناصر، ففر كل إقطاع منها بيد من كان له، وكتب من سيرها عنه للبحرية .
- وكتب المغز إلى سلطان الروم بأن : "البحرية قوم مناحيس أطراف<sup>(١)</sup> لا يقفون<sup>(٢)</sup> عند  
الآيمان، ولا يرجعون إلى كلام من هو أكبر منهم، وإن استأمنتهم خانوا، وإن استخلفتهم كذبوا،  
وإن وثقت بهم غدروا . فتحرز منهم على نفسك، فإنهم غدارون مكارون خوانون، ولا آمن  
أن يمحروا عليك" . تخوف سلطان الروم منهم، وكانوا مائة وفلانين فارسا، فاستدعاهم وقال :  
"يا أمراء ! مالكم ولأستاذكم ؟" فتقدم الأمير علم الدين سنجر الباشقردى . وقال :  
"يا مولانا ! من هو أستاذنا ؟" قال : "الملك المغز صاحب مصر" . فقال الباشقردى :  
"يحفظ الله مولانا السلطان ! إن كان الملك المغز قال في كتابه إنه أستاذنا فقد أخطأ، إنما  
هو خوشداسنا ونحن ولبناه علينا، وكان فينا من هو أكبر منه من وقدرنا وأفرس وأحق  
بالمملكة . فقتل بعضنا وحبس بعضنا وغرق بعضنا، فهربنا منه وتشتد في البلاد، ونحن التجأ  
إليك" . فأعجب سلطان الروم بهم، واستخدمهم عنده .

وفيها وقع الصلح بين الملك الناصر وبين الفرنج أصحاب عكا، لمدة عشر سنين وستة أشهر  
وأربعين يوما أولها مستهل المحرم، على أن يكون للفرنج من نهر الشريعة مغربا، وحلف  
الفريقان على ذلك<sup>(٣)</sup> .

(١) جمع طرف، وهو هنا الرجل الذي لا يثبت على صحة أحد . (محيط المحيط) . وقد ترجم : (Quatremère :  
"des hommes vils, ou des hommes d'une Op. cit. I. 1. p. 31. N. 75) فقط الأطراف إلى "condition inferieure".

(٢) في من "لا يقفوا" . (٣) في من "لا يرجعوا" .

(٤) كان مما دعى الفرنج إلى الصلح تلك السنة، اضطرار لويس التاسع ملك فرنسا، الذي كان مقبلا بالثناء ملك  
رجله من دباط، إلى السفر إلى مملكته . (Stevenson : Crusaders In The East, p. 331) .



وفيها أقطع الملك المعز أيبك الأمير علاء الدين إيد غدى العزيزى دمياط، زيادة على إقطاعه، وارتفاعها يومئذ ثلاثون ألف دينار. وفيها خرج الملك المعز من قلعة الجبل بالعساكر وخيم بالباردة قرب العباسية (١٠٣) ، خوفا من البحرية لتزولهم بالعوجاء .

وفيها سافر الملك المعز أيبك الأشرف موسى بن الناصر يوسف بن الملك المسعود إلى بلاد الأشكرى متفيا . وفيها درس الشيخ عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بالمدرسة الصالحية بين القصرين . وفيها وصل الشريف عز الدين أبو الفتوح مرتضى بن أبى طالب أحمد بن محمد بن جعفر الحسينى إلى دمشق، ومعه الخوذة ملكة حاتون بنت السلطان علاء الدين كيقباد ملك [ السلاجقة ] الروم، وزوجة الملك الناصر يوسف . فزفت إليه، وقد احتفل بقدومها، وبالع في عمل الوليمة لها .

وفيها ظهرت نار بعدن رفعت القلوب . وفيها ولّى المنصور [ قضاء ] حماة شمس الدين إبراهيم بن هبة الله البارزى، بعد المحيى حمزة بن محمد .

وفيها مات ملك التتر طرطق خان بن دوشى خان بن جنكر خان، فكانت مدته سنة وشهورا .

(١) بنير ضبط فى س ، و يوجد قبالة السطربها من الصفحة العبارة التفسيرية الآتية : " الباردة يقال لها السعدية " ، وعلى هذا تكون بلدة الباردة هي التي سميت فيما بعد باسم الخشبى . ( انظر ص ٣٧٤ ، حاشية ٢ ) .  
(٢) بدأ الملك الصالح نجم الدين أيوب بناء تلك المدرسة ، على قطعة من موضع القصر القاطنى المعروف بالكبير شرقى ، سنة ٦٤٠ هـ ( ١٢٤٢ م ) ، وهي أول مدرسة بمصر وثبت بها دروس للذاهب الأربعة . ( المقرئى : المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٣٧٤ ) .  
(٣) فى س " كيقباد " .

(٤) بنير ضبط فى س ، واسمه فى المراجع الأوردية الحديثة ( Sartak ) ، وهو ابن باطوخان بن جوشى خان ( دوشى هنا فى المتن ) بن جنكر خان . ( Lane-Poole : Muh. Dyns. p. 230 ) . لكن تليق طرطق هذا بملك التتر ، من غير تعيين الفرع التترى الذى حكمه فعلا ، خطأ مفضل يطلب توضيحه الرجوع الى معرفة تقسيم الإمبراطورية التتارية بين أولاد مؤسسها جنكر خان . ذلك أنه لما قدم جنكر خان بمصر وثبت بها دواوينه وأملاكه بين أولاده الأربعة ، ( انظر ص ٢٢٨ ، حاشية ٢ ) ، كان نصيب جوشى وهو أكبر أبنائه ، البلاد الواقعة بين نهر إرتش والسواحل الجنوبية لبحر قزوين . وكان اسم تلك البلاد عامة القيشاق ، ويطلق عليها اسم القبيلة الذهبية ( Golden Horde ) ، نسبة الى خيم معسكراتها ذات اللون الذهبى ( Sir Orda, i. e. Golden Camp ) وكان غالب أهلها ترك وتتركان .



فقام من بعده بركة خان بن جوشي خان بن جنكز خان، وأسلم وأظهر شعائر الإسلام في مملكته،  
واتخذ المدارس وأكرم الفقهاء. وأسلمت زوجته جيجك<sup>(١٣)</sup>، واتخذت لها مسجدا من الخيم،  
وذلك على يد الشيخ نجم الدين كبرا<sup>(١٤)</sup>.

و[فيها] توفي مجد الدين أبو البركات عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد بن

== مات جوشي قبيل وفاة أبيه جنكز خان سنة ٦٢٤ هـ (١٢٢٧ م)، وانقسمت بلاده أنصبه بين أولاده  
الأربعة عشر. وكان أكبر أولئك الأبناء أوردا (Orda)، وهو الذي حلف بوجه على سائر الممالك في أول الأمر؛ وبوجه  
باطو (Bātū) الذي فضله قبائل القسم الغربي من المملكة وأعطته ملكا عليها، واعترف بذلك جنكز خان نفسه  
قبل مماته. لهذا انكش سلطان أوردا إلى القسم الشرق فقط، وعرف باسم القبشاق الشرق أو القبيلة البيضاء  
(Āk Orda, i.e. White Horde)، كما عرفت بلاد باطو باسم القبشاق الغربي أو القبيلة الزرقاء  
(Kök Orda, i.e. Blue Horde).

وكان مركز مملكة باطو — وهو شخصية التي تهم هذه الحاشية — البغيات الواقعة على الشاطئ الأيسر لنهر المولغا،  
وقد اتخذها عاصمة سماها (Sarāi). وهو الذي غزا أوربا: فتوغل في روسيا وبولندا والمجر وبلغاريا  
(٦٢٥ — ٦٤٠ هـ / ١٢٣٧ — ١٢٤٠ م)، وطلعت شهرته حتى اعتبره سائر قبائل التتر بجميع بلاد القبشاق أحق  
أبناء جوشي خان بالملك، ورغم وجود أوردا على قيد الحياة. ومما باطو بعد ذلك يلقب بخان القبيلة الذهبية. وهو  
لقب شامل لجميع بلاد قبشاق شرقيا وغربا. وأصبح يعدل في السلطان والعتقة الخان الأعظم مكو خان، الذي حلف  
كيوك سنة ٦٤٧ هـ (١٢٤٠ م).

مات باطو خان سنة ٦٥٤ هـ (١٢٥٦ م)، وتول بعده مباشرة ولده طرغلق المذكور هنا، ولكنه توفي في نفس السنة  
المذكورة، وظلت سلالة باطو من بعده حافظة للقب خان القبيلة الذهبية، حتى سنة ٧٨٠ هـ (١٣٧٨ م). راجع  
(Howorth: Op. cit. II. 1. pp. 36-132; Lane-Poole: Muh. Dyns. pp. 222-231; Enc.  
Isl. Art. Bātū Khān).

(١) في مس "بركة خان بن باطو خان بن دوشي خان بن جنكز خان"، وهذا الخطأ متواتر في مؤلفات كثير من  
المؤرخين، والصواب أن بركة خان ثالث أبناء جوشي خان (Enc. Isl. Art. Bereke).  
(٢) تختلف الروايات في إسلام بركة، وأرجحها ما يقول إنه اعتنق الإسلام وتعلم القرآن في حدائقه، حين كان  
ببلدة كلوند (Klondjand)، على يد أحد فقهاء. وذلك فسر أن يصير ملكا على القبيلة الذهبية. ويظهر أن بركة  
كان مهتما بنشر الإسلام في بلاده، بدليل إنه أمر بأن يكون في حاشية كل واحدة من زوجاته، وكل أمير من أمرائه  
أيضا، إمام ومؤذن لإقامة شعائر الدين. على أنه لم يكن متعصبا تعصبا أعمى، يشهد بذلك إن ماصته صراى كانت،  
منذ سنة ٦٦٠ هـ (١٢٦١ م)، كرميا لأسقفية مسيحية. (Enc. Isl. Art. Bereke).

(٣، ٤) ضبط كل من هذين المقتضين على منطوقته في (Quatremère: Op. cit. I. 1. pp. 56, 57).



تَيْمِيَّةُ الْحُرَانِي الْحَنْبَلِي، عَنْ اثْنَتَيْنِ وَسِتِّينَ سَنَةً . وَتَوَفَّى كَيْلَ الدِّينِ أَبُو سَالِمٍ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ هُبَالَةَ  
ابْنِ طَلْحَةَ النَّصِيبِي الشَّافِعِي خَطِيبَ دِمَشْقَ بِحَلَبَ، وَقَدْ قَدِمَ الْقَاهِرَةَ .

وَفِيهَا أَخَذَ مَكَّةَ الشَّرِيفَ رَاجِحَ [بْنِ قَتَادَةَ<sup>(٢)</sup>] مِنَ الشَّرِيفِ جَمَازَ بْنِ حَسَنَ، بِغَيْرِ قِتَالٍ، ثُمَّ  
أَخَذَهَا ابْنُهُ غَانِمُ بْنُ رَاجِحَ فِي رَبِيعِ الْأَوَّلِ بِغَيْرِ قِتَالٍ، فَقَامَ عَلَيْهِ الشَّرِيفُ أَبُو نَمِيٍّ [بْنِ أَبِي سَعِيدِ  
ابْنِ عَلِيٍّ بْنِ قَتَادَةَ] فِي شَوَّالٍ وَمَعَهُ الشَّرِيفُ إِدْرِيسُ<sup>(٣)</sup>، وَحَارِبَاهُ وَمَلِكَا مَكَّةَ . فَقَدِمَ فِي خَامِسِ  
عَشْرِ ذِي الْقَعْدَةِ مَبَارِزُ الدِّينِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ بَرْطَاسٍ مِنَ الْيَمَنِ، وَقَاتَلَهُمَا وَغَلَبَهُمَا، وَجَعَ  
بِالنَّاسِ .

♦ ♦ ♦

سَنَةُ ثَلَاثٍ وَخَمْسِينَ وَسِتَّمِائَةً . فِيهَا سَارَ الْأَمِيرُ عَزَّ الدِّينُ أَبِيكَ الْأَقْرَمُ الصَّالِحِيُّ إِلَى بِلَادِ  
الصَّعِيدِ، وَأَظْهَرَ الْخُرُوجَ عَنْ طَاعَةِ الْمَلِكِ الْمُعْزِ، وَجَمَعَ الْعَرَبَانَ . فَسِيرَ إِلَيْهِ الْمَلِكُ الْمُعْزُ الْوَزِيرَ  
الصَّاحِبَ الْأَسْعَدَ شَرَفَ الدِّينِ الْخَثَّازِي، وَمَعَهُ طَائِفَةٌ مِنَ الْعَسْكَرِ، حَتَّى سَكَنَ الْأُمُورَ . وَأَخْرَجَ  
الْمَلِكُ الدَّصِرَ عَسْكَرًا إِلَى جِهَةِ دِيَارِ مِصْرَ، وَمَعَهُمُ الْبَحْرِيَّةُ : وَهُمْ الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ بَلْبَانَ  
الرَّشِيدِي، وَعَزَّ الدِّينُ أَزْدَمَرُ، وَشَمْسُ الدِّينِ سَنْقَرُ الرَّومِي، وَشَمْسُ الدِّينِ سَنْقَرُ الْأَشْقَرِ،  
وَبَدْرُ الدِّينِ بَيْسَرِي، وَسَيْفُ الدِّينِ قَلَاوَنُ، وَسَيْفُ الدِّينِ بَلْبَانَ الْمَسْعُودِي، وَرُكْنُ الدِّينِ  
يَبْرِصُ الْبَنْدَقْدَارِي، وَعِدَّةٌ مِنْ مَمَالِكِ الْفَارِسِ أَقْطَايَ .

(١) بغير ضبط في م ، وهو جند تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ... بن تيمية ، الفقيه  
الحنبلي الشهير ، صاحب الآراء الجريئة في أصول الدين . (Enc. Isl. Art. Ibn Taimiya) .

(٢) انظر الحاشية التالية .

(٣) العبارة التالية ، إلى آخر الوارد هنا تحت هذه السنة ، موجودة في ب (١٢٣ ب) فقط ، وليس منها في م  
سوى بقايا كتابة خافية تماما ، لو رردنا بطرف هامش الصفحة ، حيث أمراها ما يحاها تقريبا . هذا وقد قورنت  
العبارة كلها على ما يقابلها في الخزرجي (المقود النزلوية ، ج ١ ، ص ١١٥) ، وأضيف ما بين الأقواس بسائر  
هذه الفقرة ، وضبطت بعض الأسماء أيضا ، بعد مراجعة الترجمة الإنجليزية لنفس المرجع . انظر (Ibid : Op. Cit. III. No. 535-537) .

(٤) في ب "البارز بن علي بن برطاس" . انظر ص ٣٠٢ ، سطر ٢ ، وكذلك الترجمة الإنجليزية لكتاب المقود  
النزلوية للخزرجي . (Ibid : Op. Cit. I. p. 146) .



وفيها قتل الملك المعز الأمير علاء الدين إيدغدي العزيزي ، بعد ما قبض عليه ، و [ كان قد قبض أيضا ] على الفارس أقطاي العزيزي ، والفارس أقطاي الأتابك ، وهرب [ منه ] أقش الركني . وأمر الملك المعز ألا تخرج امرأة من بيتها ، ولا يمشي رجل بلا سراويل . فقال أبو الحسين الخزاز في ذلك :

حَنَّا الملك المعز على الرعايا • وألزمهم قوانين المُرُوءة

وصان حريمهم من كل عار • وألبسهم سراويل الفتوة

وفيها توجه الناصر داود بن المعظم عيسى إلى بغداد ، يطلب ما أودعه عند الخليفة من الجواهر ، وقيمتها مائة ألف دينار . فبُطل مدة ، فتوجه إلى الحجاز ، واستشفع إلى الخليفة في رده وداعته ، وعاد إلى العراق ، فموض عن جواهره بما لا يذكر ، ورُدَّ إلى الشام . وفيها قدم مكة أبو نعيم وإدريس ، ومعهما جواز بن شيحة أمير المدينة ، فقد تلوا المبارز بن رطاس ، وأخذوا مكة . ومات في هذه السنة من الأعيان الأمير شرف الدين يوسف بن أبي الفوارس بن موسك القيمري بنابلس ، ودفن بدمشق . وتوفي نقيب الأشراف بحلب ، [ وهو ] الشريف عمر الدين أبو الفتوح مرتضى بن أبي طالب أحمد بن أحمد بن أبي الحسن محمد بن جعفر بن زيد بن جعفر بن أبي إبراهيم محمد بن ممدوح أبي العلاء ، عن أربع وسبعين سنة بحلب . وتوفي نظام الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن عثمان البلخي الحنفي البغدادي . بحلب عن تسع وسبعين سنة . وتوفي ضياء الدين أبو محمد جعفر بن يحيى بن سالم بن يحيى بن عيسى بن صقر المحلي الشافعي ، عن نيف وتسعين سنة بحلب ، قدم مصر وحدث بها .

♦ ♦ ♦

سنة أربع وخمسين وستائة . فيها ورد الشيخ نجم الدين عبد الله بن محمد بن الحسن البادراني ، من قبل الخليفة المستعصم بالله ، ليُجدد الصلح الأول بين الملك الناصر والملك المعز .

(١) في س "سج" .

(٢) هنا تنتهي أخبار هذه السنة في س ، على أن الوفيات التالية واردة في ب (١١٢٤) ، وقد وردت في س خطأ على ورقة منفصلة بين الصفحتين ٩٤ ب ، ٩٥ ، (انظر ص ٢٦٣ ، حاشية ٢) . ولا شك في صحة وضعها هنا ، فني (Quatremère : Op. cit. I. 1, p. 60. Ns. 85-88) دلائل مادية كافية للبرهان على ذلك .



فبعث السلطان إلى القائد برهان الدين خضر السنجاري ، فسار إلى قَطْبَا ، ومعه جماعة من أعيان الفقهاء ، حتى قدم به . فقرر الصلح على أن يكون للملك المعز ما كان للملك الصالح نجم الدين أيوب من الساحل ببلاد الشام ، مع ملك مصر ، وأن الملك الناصر لا يأوي عنده أحدا من البحرية . فمضوا إلى الملك المفيع بالكرك . وتولى الصالح قاضي القضاة بدر الدين السنجاري ، فلما تم الصلح عاد البادراني ، ورحل الملك الناصر عن تل العجول إلى دمشق ، وعاد المعز من العباسية — بعد إقامته عليها ثلاث سنين — إلى قلعة الجبل .

وسار الأمير شمس الدين سقراق الأقرع رسولا إلى الخليفة ببغداد ، صحبة الشيخ نجم الدين البادراني ، بالنسب تشريفه بالتقليد والخلع والألوية للملك المعز ، أسوة من تقدمه من ملوك مصر ، فسار إلى بغداد . وبعث [ الملك المعز ] إلى الملك المنصور بن المظفر صاحب حماة ، وإلى الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل ، بخطب<sup>(٢)</sup> ابنتيهما لنفسه . فشق ذلك على زوجته شجر الدر وتغيرت عليه ، فتكره لها وفسد ما بينهما ، فأخذت تدبر في قتله .

وفي خامس جمادى الآخرة ظهرت نار بأرض الخجاز ، واستمرت شهرا في شرق المدينة النبوية . بناحية وادي شظا<sup>(٣)</sup> تلقاء جبل أحد<sup>(٤)</sup> ، حتى امتلأت تلك الأودية ( ١٠٣ ب ) منها . وصار يخرج منها شرر يأكل الحجارة . وزلزلت المدينة بسببها . وسمع الناس أصواتا مزعجة قبل ظهورها بخمسة أيام ، أولها يوم الاثنين أول الشهر ، فلم تزل الأصوات ليلا ونهارا ، حتى ظهرت [ النار ] يوم الجمعة . وقد انجست الأرض عن نار عظيمة عند وادي شظا ، وامتدت أربعة فراسخ في عرض أربعة أميال وعمق قامة ونصف ، وسال الصخر منها ، ثم صار فخا

(١) في س " قطبا " .

(٢) كذا في س ، ويمكن قراءة هذا اللفظ أيضا " اغنيما " ، على أن الوارد بالمتن هنا هو الرابع ، ويؤيده أبو القداء ( المختصر في أخبار البشر ، ١٣٥ ، في Rec. Hist. Or. I. ) ، وكذلك ما يلي ، ص ٤٠٢ ، سطر ٣ .

(٣) بغير ضبط في س ، وهو جبل بمكة . ( باقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٢٩٢ ) .

(٤) بغير ضبط في س ، وهو جبل بشمال المدينة بينه وبينها قرابة ميل ، وعنده كانت الواقعة الإسلامية المشهورة .

( باقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ١٤٤ ) .



أسود . وأضاءت بيوت المدينة منها في الليل . حتى كُن في كل بيت مصباحاً<sup>(١)</sup> ورأى الناس مساحاً بمكة . فالتجأ أهل المدينة إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودَعَوْا واستغفروا الله تعالى ، واعتقوا عبيدهم وتصدقوا ، وقال بعضهم :

يا كاشف الضر صفحاً عن جرائمنا . لقد أحاطت بنا يارب بأساً  
نشكو إليك خطوباً لا نطيق لها . تحملاً ونحن لها حقاً أحقاً .  
زلازلاً تخشع الصم الصلاب لها . وكيف يقوى على الزلزال شمس  
بجراً من النار تجرى فوقه سفن . من الهضاب لها في الأرض إرساء  
ترى لها شمرراً كالقصر طائفة . كأنها دِيْمَةٌ تصب هطلاً ،  
تُحَدِّثُ النيرات السبع السُّها . بما تلاقى بها تحت الثرى الماء  
منها تكاثف في الجحور الدخان إلى . أن عادت الشمس منه وهي دهماء  
فيالها آية من معجزات رسول الله . يعقلها القوم الألباء  
فاسمع وهب وتفضل واخضع وجد . واصنع فكل لفرط الحلم خطاء

وذكر غير واحد من الأعراب الذين كانوا بعاصرة بلد بضمري من أرض الشام أنهم  
رأوا صفحات أعناق إبليهم في ضوء هذه النار . وفي ليلة الجمعة مستهل شهر رمضان ، احترق  
مسجد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — من منسرجة القيم ، وذهبت سائر سقفه وبعض  
عمده ، واحترق سقف الحجرة الشريفة .

وفيها غرقت بغداد وهدم بها عالم عظيم ، وسارت السفن في أزقتها . وفيها قوى أمر  
هولاكو بن طولوخان بن جنكزخان ، وظهر اسمه ، وفتح عدة قلاع بالشرق . وفيها دخل مقدم

(١) في س "مصباح" .

(٢) في س "ملاقى" .

(٣) ينصح من هذه عبارة : أن أهل الحار رأوا في تلك الساعة البركانية علامة لانتها الدنيا واقتراب الآخرة .

(٤) كان هولاكو تلك السنة يقوم بالشمل الأول من تعاليمه (انظر ص ٣٨٣ حاشية ٢) ، وهو ستمشال الإسماعيلية

القرص ، أو شك أن ينهي منهم في أواخر تلك السنة ، وذلك حينما سلم إليه شيخهم سلم ركن الدين خورشاه ، ووقعت =



من التتار إلى أرض الروم [السلجقة] ، ففر منه السلطان غياث الدين كيخسرو ومات في فرارده ،  
فقام من بعده أولاده الثلاثة . وأخذ التتار قيسارية وما حولها ، فصار لهم من بلاد الروم  
مسافة شهر . وفيها وصلت جواسيس هولاء إلى الوزير مؤيد الدين محمد بن العلقمي ببغداد ،  
وتحدثوا معه ووعدوا جماعة من أمراء بغداد بعدة مواعيد ، والخليفة في لحوه لا يعبا بشئ ،  
من ذلك .<sup>(٢)</sup>

وفيها ولي تاج الدين أبو محمد عبد الوهاب بن خلف بن أبي القاسم ابن بنت الأعرز قضاء  
القضاة . عوضا عن بدر الدين يوسف السنجاري . وفيها سار إدريس إلى راجع . وأخذ مكة

== ألموت نفسها في أبدى التتر . على أنه بقى بعد ذلك من حصون الإسماعيلية اثنا ، استولى التتر على أحدهما وهو حصن  
لامسار (Lamsar) في ذي الحجة سنة ٦٥٤ هـ ، وامتنع عليهم ثانيهما عدة سنين واسمه حصن جردى كوه  
(Gird-i-Kuh) . راجع (Enc. I-I. Art. Hulagu & Browne. Op. Cit. II. P. 459) .

(١) في س " كيخسروا " . وقد أخطأ المقرئ في إيراد ذلك الحادث تحت هذه السنة ، إذ المعروف أن  
التتر غزوا بلاد الروم السلجقة قبل ذلك بعدة سنين — ٦٣٩ هـ ، ١٢٤١ م — بقيادة أحد مقدميهم المسمى  
(Baidju Noyon) . وقد انهزم أمامهم السلطان غياث الدين كيخسرو المذكور هنا ، عند بلدة (Kōzādagh)  
في سنة ٦٤١ هـ (١٢٤٣ م) ، وفر إلى قونية . ثم خضع للتتر من بلاد السلجقة الروم مدينة سيواس ، وامتنعت  
قيسارية وتوقات من التسليم اليهم ، فدخلوها عنوة ونهبوها . ومات غياث الدين كيخسرو سنة ٦٤٣ هـ (١٢٤٥ م) ،  
وخلفه في السلطة ابنه الأكبر عز الدين كيكافوس ، فاشرك معه في الحكم أخويه ركن الدين قلع أرسلان ، وعلاء الدين  
كيتباد . هذا ويظهر أن منشأ خطأ المقرئ أن القائد (Baidju Noyon) غزا بلاد الروم السلجقة مرة أخرى ،  
سنة ٦٥٤ هـ (١٢٥٦ م) ، في عهد السلطان عز الدين كيكافوس المتقدم ذكره ، فهزم السلطان المذكور عند أفسرا ،  
وأجلاه إلى الفسار مدة ، كما بالمت . انظر (D'Olsson : Op. cit. III. pp. 73 et seq. esp. N. 1.  
en p. 82 & Enc. I-I. Art. Kaikhusrau II, & Kaikā'ūs II).

(٢) يفهم من هذه العبارة ، أن هولاء كواخذ في التحديد للشطر الثاني من تعليقاته ، وهو الاستيلاء على بغداد ،  
ولما انتهى تماما من أمر الشطر الأول منها ، وهو استئصال الإسماعيلية الفرس . وتورطنا مسألة موقف ابن العلقمي  
من مشروع التتر على بغداد ، وهل كان خائفا لخليفة المستعصم ، غير أن آراء المعاصرين أقسمت متضاربة في هذه النقطة .  
انظر (Browne : Op. cit. II. pp. 464-465) . ومن أمثال تلك الآراء ما جاء في ابن واصل (نفس المرجع ،  
ص ١٣٨٦) ، ونصه : " وكان الوزير مؤيد الدين قد أطمع نفسه بأن الأمور تكون مفوضة في العراق إليه ، وكان  
قد عزم على أن يعين هولاء كوا ملك التتر أن يقيم ببغداد خليفة من الشرفاء الفاطميين ، فلم يتم له ذلك واطرحه التترو بيق  
مهم على صورة بعض الفلبان ، فأتى بعد قرب كذا ، وتقدم على ما فعل حيث لم ينفعه الدم " .



أبو نعيم، بجاء راجع مع إدريس وأصلح بينه وبين أبي نعيم . وفيها قدم مكة ركب الحاج من العراق، ولم يحج بعدها ركب من العراق .

- ومات في هذه السنة من الأعيان شمس الدين يوسف بن قزغلي بن عبد الله أبو المظفر، [وهو] سبط الحافظ أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي الفقيه الحنفي الواعظ. وتوفي شرف الدين أبو محمد عبد العزيز بن عبد الرحمن بن حبة الله بن قرناص الخزاعي الخوي الفقيه الشافعي الأديب . [وتوفي] زكي الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد الواحد بن ظافر بن أبي الأصبع الفقيه الشافعي النحوي الأديب، عن خمس وستين سنة . [وتوفي] الشيخ أبو لروح عيسى بن أحمد ابن إلياس البوناني بمملك . ومات ملك الروم غياث الدين كيخسرو بن علاء الدين كيقيباد ابن غياث الدين كيخسرو بن قلج أرسلان بن مسعود بن قلج أرسلان بن سليمان بن قنلمش . وقد ملك الططر قيصرية ومسيرة شهر معها، فقام بعده ابنه عز الدين كيقيباد بن كيخسرو .

♦ ♦ ♦

سنة خمس وخمسين وستائة . فيها تزايدت الوحشة بين الملك المعز أيبك وبين شجر الدر، فعزم على قتلها . وكان له منجم قد أخبره أن سبب قتلته امرأة، فكانت هي شجر الدر. وذلك أنه كان قد تغير عليها، وبعث يخطب ابنة صاحب الموصل .

واتفق أن [المعز] قبض على عدة من البحرية، وهو على أم الباردة، وسيرهم ليعتقلوا

(١) في س "شمس الدين يوسف"، وخطا المقرئ ما واضح . انظر (Enc. Isl. Art. Ibn al-Djawzi, Sibṭ) وقد لاحظ بعض من اطلع على هذه النسخة من السلوك هذا الخطأ، فعقب عليه بالآق، وهو وارد قبالة وفيات تلك السنة، بخط مخالف طبعاً، ونصه: "وهم المؤرخ في هذا"، إنما هو يوسف ولكن لقبه شمس الدين، ومن هنا أتاه الوهم واقعه أعلم .

(٢) كذا في س، بغير ضبط .

(٣) في س "علاء الدين" . (انظر ص ٤٠٠، حاشية ١) . ويلاحظ أن ورود هذه الوفاة الأخيرة هنا خطأ، وقد تقدم التنبيه إلى منشأها بالحاشية المشار إليها، أما بقية الوفيات فليس من سبب يدعو إلى التشكك في وقوعها تلك السنة .

(٤) في س "انه" .

(٥) لعلها "الباردة"، المذكور في ص ٣٩٤، سطر ٣



بقلعة الجبل، وفيهم أيدكين<sup>(١)</sup> الصالحى . فلما وصلوا تحت الشباك الذى تجلس فيه شجر الدر، علم [أيدكين] أنها هناك، نخدم برأسه وقال بالتركي: "الملوك أيدكين بشمقدار<sup>(٢)</sup> . والله ياخوند ما عملنا ذنبا يوجب مسكا ! إلا أنه لما سير يخطب بنت صاحب الموصل، ما هان علينا لأجلك، فلما تربية نعمتك ونعمة الشهيد المرحوم<sup>(٣)</sup>، فلما عتبناه تغير علينا وفعل بنا ما ترين<sup>(٤)</sup> . فأومأت [شجر الدر] إليه بمنديل، يعنى: "قد سمعت كلامك" . فلما نزلوا بهم الى الجلب<sup>(٥)</sup> قال أيدكين: "إن كان حبسنا فقد قتلناه" .

وكانت شجر الدر قد بعثت نصراً<sup>(٦)</sup> العزيزى بهدية الى الملك الناصر يوسف، وأعلمته أنها قد عزمّت على قتل المعز، والتزوج به وتمليك مصر . فخشى [الملك الناصر يوسف] أن يكون هذا خديعة، فلم يجيبها بشئ .

وبعث بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل يحذر<sup>(٧)</sup> [الملك المعز] من شجر الدر، وأنها باطنّت الملك الناصر [يوسف]، فبقعد ما بينهما، وعزم على إزالتها من القلعة إلى دار الوزارة . وكانت

(١) مضبوط على منقوشة في (Zettersteen : Op. cit. pp. 188, 189) .

(٢) معنى هذا أن أيدكين حتى رأسه بحجة وإجلالا، انظر (Quatremère : Op. cit. I. 1. p. 64. N. 95) .

(٣) البشمقدار — أو البشمقدار — هو الذى يحمل نعل السلطان أو الأمير، ويركب هذا الاسم من لفظين، أحدهما من اللغة التركية وهو بشمق ومعناه النعل، والثاني من اللغة الفارسية وهو دار ومعناه ممسك، ويكون المعنى ممسك النعل . (القلقشندى : صبح الأعشى، ج ٥، ص ٤٥٩) . انظر أيضا تحديد معنى لفظ بشمق في (Dozy : Supp. Dict. Ar.) .

(٤) المقصود هنا الملك الصالح نجم الدين أيوب .

(٥) في من "ما ترى" .

(٦) في من "قاومت" .

(٧) وصف المقرئ (المواعظ والاعتبار، ج ٢، ص ٢١٣) جب القلعة بالآق: "كان بالقلعة جب

محبس فيه الأمراء، وكان مهولا مظلم كثيرا وطويلا كربة الرائحة، يقامى المسجون فيه ما هو كالموت أو أشد . عمره اثنتا عشرة فلان في سنة إحدى وثلاثين وسنة، وقيل أن قام الأمير بكسر الساق في أمره مع الملك الناصر محمد بن قلاوون، حتى أخرج من كان فيه من المحاييس وقيلهم إلى الأبراج، وردمه وعمر فوق الردم طباقا،

في سنة تسع وعشرين وسبعمائة . (٨) في من "نصر" .

(٩) في من "التزوج" . (١٠) في من "يحذره" .



[شجر الدر] قد استبدت بأمور المملكة ولا تطلعه عليها، وتمنعه من الاجتماع بأم ابنه علي والزمته بطلاقها، ولم تطلعه على ذخائر الملك الصالح.

فأقام [الملك المعز] بمناظر اللوق أياماً، حتى بعثت [شجر الدر] من حلف عليه. فطلع القلعة وقد أعدت له [شجر الدر] خمسة ليفتلوه: منهم محسن الجوجري. وخادم (١١٠٤) يعرف بنصر العزيزي، ومملوك يسمى سنجر. فلما كانت يوم الثلاثاء رابع عشر شهر ربيع الأول، ركب [الملك المعز] من الميدان بأرض اللوق. وصعد إلى قلعة الجبل آخر النهار. ودخل إلى الحمام ليلاً، فأغلق عليه الباب محسن الجوجري. وغلام كان عنده شديد القوة. ومعهما جماعة. وقتلوه بأن أخذ بعضهم بأنثيه وبعضهم بخنقه، فاستغاث [المعز] بشجر الدر فقالت أتركوه، فأغلظ لها محسن الجوجري في القول، وقال لها: "متى تركناه لا يبقى علينا ولا عليك"، ثم قتلوه.

وبعث شجر الدر في تلك الليلة أصبح المعز وخاتمه إلى الأمير عز الدين أيبك الحلبي الكبير. وقالت له: "قم بالأمر"، فلم يحسر. وأشيع أن [المعز] مات بغزة في الليل، وأقاموا الصائح في القلعة. فلم تصدق مملوكه بذلك: وقام الأمير علم الدين سنجر الغنمي - وهو يومئذ شوكة البحرية وشديدهم -، ووددهم ونمليك إلى الدور السلطانية، وقبضوا على الخدام والحريم وعاقبهم، فأقروا بما جرى. وعند ذلك قبضوا على شجر الدر، ومحسن الجوجري، وناصر الدين حلاوة، وصدر الباز، وقر نصر العزيزي إلى الشام.

فأراد مملوك المعز قتل شجر الدر، فخافها الصالحية. ونقلت إلى البرج الأحمر [بالقلعة]. ثم

(١) بنير ضبط في م، والنسبة إلى قرية جوجر، بمركز ممنود من مديرية الغربية. وهي واقعة على الشاطئ الغربي لبحر دمياط، ويقال لها على الشاطئ الشرقي منية در نحيس. (بافوت: معجم البلدان، ج ٢، ص ١٤٣؛ مبارك: الخطط التوفيقية، ج ١٠، ص ٧٠-٧١).

(٢) في م "وحادماً". (٣) في م "انه".

(٤) كان بقلعة الجبل عدة أبراج. ومنها هذا البرج الذي ساء السلطان أتابك الكامن بن المدد بن بكر بن أيوب. (النفقشدي: صبح الأعشى، ج ٢، ص ٢٧٢).



لما أقيم ابن المعز في السلطنة ، حُملت [شجر الدر] إلى أمه في يوم الجمعة سابع عشره ، فضر بها الجوارى بالقباقيب إلى أن ماتت في يوم السبت . وألقوها من سور القلعة إلى الخندق ، وأيس عليها سوى سراويل وقيص ، فبقيت في الخندق أياما ، وأخذ بعض أراذل العامة تكتة سراويلها . ثم دفنت بعد أيام — وقد ننت ، وحملت في قفة — بتربتها قريب المشهد النفيسى . وكانت من قوة نفسها ، لما علمت أنها قد أحيط بها ، أتلقت شيئا كثيرا من الجواهر والآلى ، كسرتة في الهاون .

وُصِّل محسن الجوجرى على باب القلعة ، ووسَّط<sup>(١)</sup> تحت القلعة أربعون طواشيا ، وصلبوا من القلعة إلى باب زويلة . وقبض على الصاحب بهاء الدين بن حنا ، لكونه وزير شجر الدر ، وأخذ خطه بستين ألف دينار .

فكانت مدة سلطنة الملك المعز سبع سنين تنقص ثلاثة وثلاثين يوما . وعمره نحو ستين سنة . وكان ملكا حازما شجاعا سفاكا للدماء : قتل خلقا كثيرا ، وشق عالمنا من الناس بغير ذنب ، ليوقع في القلوب مهابته ؛ وأحدث مظالم ومصادرات عمل بها من بعده . ووزر له الصاحب تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الأعز ، ثم صرفه ؛ واستوزر القاضي الأسعد شرف الدين هبة الله بن صاعد الفائزى ، فتمكن منه تمكنا زائدا . وأحدث [القاضي الأسعد] حوادث شنيعة من المظالم ، واستتاب في الوزارة القاضي زين الدين يعقوب ابن الزبير — كان يعرف اللسان التركي — ، ليحفظ له مجالس أمراء الدولة ويطالعه بما يقال عنه .

(١) معنى وسط هنا " قطع نصفين " ، روى (Quatremère : Op. cit. I. l. p. 72. N. 103) أمثلة عديدة للدلالة على استعمال هذا الفعل بذلك المعنى ، ومنها : " وسطه بالسيف نصفين " . وكان هذا النوع من القتل شائعا في مصر زمن المماليك وفي غيرها من بلاد الشرق أيضا ، وطريقته أن يعزى المحكوم عليه من الثياب ، ثم يربط في خشنين على شكل صليب ويخرج على ظهر جمل ، وتسمى هذه العملية بالتسمير ، وربما طيف بالمحكوم عليه شوارع القاهرة على هذه الحال . ثم يأتي السباف فيضرب المحكوم عليه ضربة بقوة تحت السرة ، تقسم الجسم نصفين من وسطه فنهارا مازاه إلى الأرض .



## الملك المنصور نور الدين علي بن الملك المعز أيبك

- أقامه أمراء الدولة سلطانا بقلعة الجبل ، يوم الخميس سادس عشر ربيع الأول ،  
سنة خمس وخمسين وستمائة ، وعمره خمس عشرة سنة تقريبا . وحلفوا له واستحلفوا العسكر ،  
ما خلا الأمير عز الدين أيبك الحلبي المعروف بأيبك الكبير ، فإنه توقف وأراد الأمر لنفسه ،  
ثم وافق خوفا على نفسه . فركب الأمير قطز — هو والأمراء — ، وقبض على الأمير سنجر  
الحلبي ، يوم الجمعة عاشر ربيع الآخر ، واعتقله . فركب الأمير أيبك [ الحلبي ] الكبير في الأمراء  
الصالحية فلم يوفق ، وتنتظر عن فرسه خارج باب زويلة ، فأدخل إلى القاهرة ميتا .
- وأقيم الأمير سيف الدين قطز نائب السلطنة على عادته ، و [ صار ] مديرا لدولة [ الملك المنصور  
علي ] . و [ أقيم ] الأمير فارس الدين أقطاي المستعرب الصالحى أتاك العساكر ، عوضا عن  
الأمير علم الدين سنجر الحلبي ( ١٠٤ ب ) . واستقر الوزير شرف الدين الفائزى على عادته ، فنقل  
عنه الأمير سابق الدين بوزنا الصيرفي ، والأمير ناصر الدين محمد بن الأطروش الكردي أمير  
جاندار ، أنه قال : ” الملكة ما تمشى بالصبيان ، والرأى أن يكون الملك الناصر “ . فتوقفت  
أم المنصور من أنه يرسل إلى الملك الناصر ، وقبضت عليه وأدخلته إلى الدور ، وأخذ خطه  
بمائة ألف دينار . واستقر في الوزارة بعده قاضي القضاة بدر الدين يوسف بن الحسن  
السنجاري ، مضافا إلى القضاء وقد أعيد إليه . وأحيط بأموال الفائزى ، وقبض على جماعة  
بسببه . ثم إن السنجاري استعفى من الوزارة وتركها في ربيع الآخر ، فتقلد الوزارة قاضي  
القضاة تاج الدين عبد الوهاب بن خلف العلائي ، المعروف بابن بنت الأعز ، بعد السنجاري .  
وفي ليلة الخامس عشر من جمادى الآخرة ، خسف القمر بحجرة شديدة ، وأصبحت  
الشمس حمراء ، فأقامت كذلك لياما وهي ضعيفة اللون متغيرة .

(٢) في ص

(٢) في ص ” دوك ” .

(١) في ص ” قطز ” .

” بوزنا “ ، والصيغة المنبوية هنا من ب ( ١١٢٦ ) ، وقد ترجم (Quatremère : Op. Cit. I. 1. p. 74)

هذا الاسم ال (Bourna) .



وفيها بنع البحرية الذين كانوا ببلاد [ السلاجقة ] الروم موت الملك المعز، فساروا في البر والبحر، ووصلوا إلى القاهرة . فلم تطل مدتهم حتى كرهوا المنصور بن المعز، لكثرة لعبه بالحمام ومناقرة بالديوك، ومعالجته بالججارة وركوبه الحمير القُرْه في القلعة، ومناطحته بالكباش . وفيها دخل العصارم<sup>(١)</sup> أحر عينه الصالحى بجاعة، فقتلوا الوزير الفائزى في جمادى الأولى<sup>(٢)</sup>، وأخرج في نخ . قل ابن واصل : حكى القاضي برهان الدين أخو الصاحب بهاء الدين بن حنا قال : ” دخلتُ على شرف الدين الفائزى وهو معتقل، فسألنى أن أتحدث في إطلاقه، بحكم أنه يحمل في كل يوم ألف دينار عينا . فقلت له : وكيف تقدر على ذلك؟ فقال : أفدر عليه إلى تمام السنة، وإلى أن تمضى سنة يفرج الله تعالى“ . فلم يلتفت ممالك الملك المعز إلى ذلك، وعجلوا بهلاكه وخنقوه، وحمل إلى القرافة ودفن بها .

وفيها وقعت الوحشة بين الملك الناصر وبين من عنده من البحرية، ففارقوه في شوال . وقصدوا الملك المنيف صاحب الكرك . فأخرج الأمير سيف الدين قطز العسكر إلى الصالحية، فواقعهم في يوم السبت خامس عشر ذى القعدة، وأسروا الأمير سيف الدين قلاون، والأمير سيف الدين بلبان الرشيدى<sup>(٤)</sup>، وقُتل الأمير سيف الدين بلغان الأشرفى . وانهزم عسكر الكرك، وفيهم بيبرس البندقدارى الذى ملك مصر . وعاد العسكر إلى القاهرة، فضمّن الأمير شرف الدين قيران المعزى — [ وهو ] أستاذار السلطان — الأمير قلاون وأطلقه . فأقام [ قلاون ]<sup>(٧)</sup> بالقاهرة قليلا، ثم اختفى بالحسينية عند سيف الدين قطليجا الرومى، فزوده وسار إلى الكرك .

(١) كذا فى س .

(٢) كذا فى س، وقد ترجم (Quatremère : Op. Cit. I. 1. p. 75) هذا اللفظ إلى (couverture) أى غطاء، ولعل لفظ ”النخ“ هو المقصود، ومعناه ”الرق أو ما كان للسمن خاصة، وجرة نخار يجعل فيها لبن يخبض“ (محيط المحيط) .

(٣) هذه المرة هي الثانية، التي يشير الخريزى فيها إلى ابن واصل . (انظر ص ٢٧٩، حاشية ١) .

(٤) كذا فى س، وبغير ضبط، وهو مترجم إلى (Bellban)، فى (Quatremère : Op. cit. I. 1. p. 76) .

(٥) نصف هذا اللفظ زائل تقريبا فى س، وهو وارد كما هنا فى ب (١٢٦ ب) .

(٦) فى س ”قران“، وقد كل قطعه من (Quatremère : Op. cit. I. 1. p. 76) .

(٧) فى س ”قطليجا“، وقد أصلح هذا الاسم على منطوقه فى (Ibid : Op. cit. I. 1. p. 76) .



وفيها بعث الخليفة إلى الناصر يوسف بدمشق خامة وتقليدا وطوقا . وفيها حسن البحرية  
للملك المغيث أخذ ملك مصر ، فكتب عدة من الأمراء ووعدهم . وفيها قوى هولاكو بن تولى  
ابن جنك خان ، وقصد بغداد وبعث يطلب الضيافة من الخليفة<sup>(١)</sup> . فكثرت الإرجاف ببغداد ،  
ونخرج الناس منها إلى ( ١١٠٥ ) الأقطار . ونزل هولاكو تجاه دار الخلافة<sup>(٢)</sup> وملك ظاهر  
بغداد ، وقتل من الناس عالما كبيرا<sup>(٣)</sup> .

وفيها قدم إلى دمشق الفقراء الحيدرية<sup>(٤)</sup> ، وعلى رؤوسهم طراوير ، ولحاهم مقصوصة  
وشواربهم بغير قص . وذلك أن شيخهم حيدر ، لما أسره الملاحدة قصوا لحيته وتركوا  
شاربه ، فاقتدوا به في ذلك ، وبنوا لهم زاوية خارج دمشق ، ومنها وصلوا إلى مصر .

ومات في هذه السنة من الأعيان نجم الدين أبو محمد عبد الله بن محمد بن الحسن بن  
أبي سعد البادراني البغدادي الشافعي ، رسول الخلافة وقاضي بغداد ، عن إحدى وستين سنة .  
وتوفي الوزير صاحب الأسعد شرف الدين أبو سعيد حبة الله بن صاعد الفسائزي . وتوفي

(١) يوجد في (D'Oheron : Op. cit. III. p. 215 et seq.) ترجمة فرنسية لهذا الكتاب الذي بعثه  
هولاكو إلى الخليفة المستنصر ، ولخواه دعوة الخليفة إلى تسليم منه رصاصته ببغداد إلى التتر . أو إلى واسبور ؟  
وكان جواب المستنصر على هذا تحريه من هولاكو ومطلبه ، وقد حمله إلى هولاكو شرف الدين عبد الله بن الجوزي .  
(Browne : Op. cit. II. p. 461) .

(٢) ينتهي هنا النص الموجود بنسخة مفرج الكرب لابن واصل المذكورة في هذه الحواشي . انظر (نص)  
المراجع ، ص ١٢٨٥ .

(٣) تحرك هولاكو من حمدان ، حيث كان معسكرا منذ الانتهاء من حرب الإسماعيلية ، إلى بغداد . فترة  
في ذي القعدة سنة ٦٥٥ هـ (نوفمبر ١٢٥٧ م) ؛ وأرسل في نفس الوقت جيشا بقيادة (Baidju Noyon) ،  
ليرحف على بغداد أيضا من طريق تكريت والموصل . وكان عدد الجيش الذي بقيادة هولاكو ثلاثين ألفا على حد  
تقرير المؤرخين المعاصرين ، وكانت عدة الجيش الذي جهزه الخليفة المستنصر عشرين ألفا . وتقدمت الجيوش تترية ،  
فتناوبت البصرة والهيمنة هي وجيوش الخليفة ، حتى حاصرت بغداد نفسها في المحرم سنة ٦٥٦ هـ (يناير ١٢٥٨ م)  
(Browne : Op. cit. II. p. 460 et seq.) . انظر أيضا ابن واصل (نص المراجع ، ص ١٢٨٥)

(٤) ترجم (Quatremère : OP. Cit. T. I. P 76) هذا اللفظ إلى (Haidaris) ، بغير تعليق .

(٥) في ص "الباذرائي" .



عز الدين أبو حامد عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن أبي الحديد المدائني ، مؤلف كتاب  
الثلاث الدائر على المثل السائر . ومات ممتلك الروم علاء الدين كيقيباد بن غياث الدين كيخسرو  
ابن علاء الدين كيقيباد بن غياث الدين كيخسرو بن قلع أرسلان . وقوم بعده أخوه عز الدين كيكاوس  
ابن غياث الدين كيخسرو ، فملك الططر قونية منه ، ففر منها إلى العلايا .<sup>(٢)</sup>

(١) كان علاء الدين كيقيباد أصغر الأخوة الثلاثة ، الذين تشاركوا في حكم بلاد السلاجقة الروم (انظر ص ٤٠٠ ،  
حاشية ١) . ومات علاء الدين كيقيباد هذا مقتولا ، وهو في الطريق إلى منكوخان إمبراطور التتر . ولما كان أخوه  
الثاني ، وهو ركن الدين قلع أرسلان ، مسجوناً بأمر عز الدين كيكاوس وهو الأخ الثالث ، فإن الجسوخلار الذين  
هذا بعد وفاة علاء الدين كيقيباد . وعز الدين كيكاوس هو الذي انهزم على يد القائد الصيني (Bai Lju Noyon)  
سنة ١٢٥٤م (١٢٥٦م) ، وبهذا بعد هزيمته من الأشكري (Theodore II Lascaris) ، إمبراطور الدولة البيزنطية  
في نيقية . وهذه الأخبار هي التي قصد المقرري إيرادها تحت سنة ١٢٥٤م (١٢٥٦م) ، فاختلط عليه الأمر خطأ ،  
على الصورة التي سبق ورودها . (انظر ص ٤٠٠ ، حاشية ١) . وكان عز الدين قلع أرسلان من الذين  
وأقاموه مقام أخيه سلطاناً على السلاجقة الروم . ثم حدث غزو رحيل الجيوش التتارية عن البلاد ، أن رجع عز الدين  
إلى قونية ، وكان أخوه ركن الدين قد استقر بقمصيرية ، فاتفق الأخوان في بينهما على اقتسام البلاد ، وجمع نهر  
قزل إرمك حداً بين القسمين . ثم ذهب الأخوان إلى حضرة هولاكو وكان وقتئذ بتريز ، لتتديق على ذلك الاتفاق ،  
وتم الأمر . بعد ذلك غضب هولاكو على عز الدين ، ففاوضه سلطان أفبليك بمصر وهو عندئذ في مصر ، فبدا هولاكو  
وابخاه إلى التتار إلى العلايا سنة ١٢٥٩م (١٢٦١م) ، وهي إحدى شعور الجهورية في آسيا الصغرى . (انظر الحاشية  
الثالثة) . وسافر علاء الدين بعد ذلك إلى القسطنطينية . وكان قد رجع إليها سلطان البيزنطيين . وقوم بها حتى سنة ١٢٦٢م  
(١٢٦٤م) . وانهم عز الدين تلك السنة بالاشتراك في مؤامرة على حياة الإمبراطور (Michael Palaeologus) ،  
فرضها إمامة عز الدين نفسه إمبراطوراً . لذلك خرج عز الدين معاً إلى بلاد (Ainos) ، وبقي هناك حتى أرسل إليها مكوتبور  
حاك التبتناق جيشاً سنة ١٢٦٨م (١٢٦٨م) وحمله ، وأصبح سراح عز الدين وأحضره إلى بلاد القرم حيث تزوج من  
جلى بنات بركة خان ، وبقي بها حتى وافته سنة ١٢٧٨م (١٢٧٩) . انظر (Enc. Isl. Art. Kaika'us II) .  
وقد انفرد ركن الدين قلع أرسلان بمملكته من جهة إلى البيزنطيين ، على أن مقابلته الحكيم كانت في يد وزير معين الدين سليمان .  
وعلى يد هذا الوزير كان مقتل ركن الدين سنة ١٢٦٤م (١٢٦٦م) . (Enc. Isl. Art. Kilidj Arslan IV) .  
(Cam. Med. Hist. IV. pp. 503 et seq., 510) .

(٢) بغير ضبط في س ، وهو تفرنجي تونسي آسيا الصغرى على شاطئ البحر الأبيض المتوسط ، واسمه الأصل  
(Galenus) أي شعراجليل باللغة اليونانية . وكان يحكمه أمير (Laron) أرمني مستقل بنفسه . ثم استولى السلطان  
علاء الدين كيقيباد السلجوقي على هذا التفرج حوالى سنة ١٢٢٠م ، وبقي به الأسوار والمعازر وجعله مشق لبلاطه ، وسماه  
العلايا نسبة إليه . فلما انتهت دولة الروم السلاجقة من آسيا الصغرى ، ظل تفر العلايا بيد أبناء تلك الدولة ، وعاشوا به  
حتى استولى عليه منهم الأتراك التتائيون ، سنة ١٤٧١م . (Enc. Isl. Art. Alāya) .



♦ ♦ ♦

سنة ست وخمسين وستمائة . فيها وقع الغلاء . سائر البلاد ، وارتفعت الأسعار بدمشق وحلب وأرض مصر ، وأبيع الموك<sup>(١)</sup> القمح بحلب بمائة درهم ، والشعير بستين درهما ، والبطيخة الخضراء بثلاثين درهما ، وبقية الأسعار من هذه النسبة .

وفي رابع شهر رمضان سقطت إحدى مسال فرعون التي بعين شمس ، فوجد فيها نحو المائتي قنطار نحاس ، وأخذ من رأسها عشرة آلاف دينار .

وفيهما ملك هولاء بغداد ، وقتل الخليفة المستعصم بالله عبد الله في سادس صفر ، فكانت خلافته خمس عشرة سنة وسبعة أشهر وستة أيام . وانقرضت بمهلكه دولة بني العباس [من بغداد] ، وصار الناس بغير خليفة إلى سنة تسع وخمسين وستمائة ؛ فصيح حديث حبيب ابن أبي ثابت ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، أن رسول الله قام فقال : ” يامعشر قريش !

(١) الموك هنا — وجمعه مكايك — مكال محبوب يسع صاع ونصف ، والصاع قدر نصف وية ، والوية ثلاث كيلات . (محيط المحيط) . على أن هذه المكاييل ليست ذات سعة واحدة في أنحاء البلاد الإسلامية ، كما ينضح من (Enc. Isl. Art. Kaila) .

(٢) على هذا اللفظ يباح في م ، قدر نصف سطر تقريبا .

(٣) جمع ملة ، وكان بيلدة عين شمس ، حسبما جاء في المقرئ (المواعظ والاعتبار ، ج ١ ، ص ٢٢٨ — ٢٣١) مسلمان فقط ، سقطت إحداها في رمضان من تلك السنة ، وبقيت الثانية أوجز منها إلى الآن .

(٤) أمر هولاء كروا بالهجوم العام على بغداد ، في أول يوم من تلك السنة (٣٠ يناير سنة ١٢٥٨ م) ، ودحر جيوش الخليفة المستعصم بعد ذلك بثلاثة أيام ، ولم يبق في طريقه إلى أبواب بغداد مقاومة . وفي يوم ٤ صفر (١٠ فبراير سنة ١٢٥٨ م) ، سلم الخليفة نفسه وعاصمته بلا قيد ولا شرط ، بعد أن وعده هولاء بالآمان . وبعد ذلك بعشرة أيام قتل الخليفة وولده أبو العباس أحمد وأبو الفضل عبد الرحمن ، ومن قتل أيضا محيي الدين بن الجوزي ، وتولاه جلال الدين وتاج الدين وشرف الدين . وغيرهم كثير . على أن الروايات تختلف في كيفية قتل شتر خليفة المستعصم ، وفي هذا يقول ابن واصل (نفس المراجع ، ص ٣٨٥ ب) : ” وأما الخليفة رحمه الله فانهم قتلوه ، لكن لم يطاع أحد على قتله كيف كان ، فقبل إته غشي ، وقبل وضع في مدل ورفس حتى مات ، وقيل غرق في المدحة . والله أعلم بحقيقة ذلك “ . هذا وقد كان من تقاليد النصارى ألا يريقوا دما ملكيا ، فالعالم أن المستعصم لم يحضره إلا إحدى الوسائل المتقدمة ، وليس بالسيف . راجع (Browne : Op. cit. II. p. 463) ، وانظر أيضا (Enc. Isl. Arts. Baghdad & Hulagu) .



إن هذا الأمر لا يزال فيكم، وأنتم ولاته حتى تحدثوا أعمالا تخرجكم منه . فإذا فعلتم ذلك ملط الله عليكم شر خلقه ، فالتحوم كما يلتحي القضيبي<sup>(١)</sup> .

وقُتل الناس ببغداد وتمزقوا في الأقطار<sup>(٢)</sup> ، ونحرب [ التتر ] الجوامع والمساجد والمشاهد<sup>(٣)</sup> ، وسفكوا الدماء حتى جرت في الطرقات ، واستمروا على ذلك أربعين يوما . وأمر هولاء<sup>(٤)</sup> بعد القتل ، فبلغت نحو الألف قتيل ، وتلاشت الأحوال بها . ومدت التتر إربيل<sup>(٥)</sup> ، ودخل بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل في طاعتهم .

وفيهما كثر الوباء ببلاد الشام ، فكان يموت من حلب في كل يوم ألف ومائتا إنسان<sup>(٥)</sup> . ومات من أهل دمشق خلق كثير ، وبلغ الرطل التمر هندي ستين درهما .

وفيهما أنفذ الملك الناصر صاحب دمشق ابنه الملك العزيز إلى هولاء<sup>(٦)</sup> ، ومعه تقادم وعدة من الأمراء . فلما وصل [ الملك العزيز ] إلى هولاء قدم إليه ما معه ، وسأله على لسان أبيه

(١) تقدم ذكر هذا الحديث ، على هامش العبارات الافتتاحية من هذا الكتاب ١٠ انظر ص ٤٨ ، حاشية ٢ .  
(٢) في س "نربوا" .

(٣) يفهم من (Enc. Isl. Art. Baghdad) ، أن بغداد — مع فداحة الكارثة التي حلت بها — لم تنق على يد التتر مثل الذي لقته بلاد أخرى على يدهم . والسبب في ذلك أن هولاء كانوا يريد أن يحتفظ ببغداد لنفسه ، وقد أمر فيا بعد بإصلاح بعض ما أفسدت جيوشه ، مثل إعادة بناء جامع القصر الذي كان من أكبر جوامع بغداد .

(٤) كان هولاء<sup>(٦)</sup> إبان شروعه في الزحف على بغداد ، قد أرسل جيشا بقيادة (Oroctou Noyon) للاستيلاء على إربيل . وكان بها منذ سنة ٥٦٣ هـ (١١٦٧ م) قوم من الكرد ، استطاعوا أن يقاوموا جيوش هولاء<sup>(٦)</sup> مقاومة عنيدة مدة ، وذلك رغم ذهاب قائدهم الشريف ابن صلاح إلى جيوش التتر ، ورجوعه إلى إربيل لينصح الناس بالتسليم . ثم حدث أن أنجده بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل جيوش التتر على إربيل ، فانكسرت المقاومة الكردية وذهبت المدينة . وكان القائد التتري قد أرسل الشريف ابن صلاح إلى حضرة هولاء<sup>(٦)</sup> بجمدان ، بعد ما تبين عجزه عن إقناع الأكراد بالتسليم ، فأمر هولاء<sup>(٦)</sup> بقتله عملا بمشورة بدر الدين لؤلؤ . وفي هذا يقول ابن واصل (نفس المراجع ، ص ٣٨٦) : "وأما الشريف ابن صلاح فقتل ، وقد ذكر والله أعلم أن بدر الدين لؤلؤ هو [ الذي ] كان السبب في قتله ، وأنه قال هولاء<sup>(٦)</sup> هذا شريف علوي ، وربما يطارول أن يكون خليفة ، وتباينه على ذلك خلق عظيم ، فتقدم بقتله" . انظر أيضا (D'Ollason : Op. cit. III, p. 256-257 ; Enc. Isl. Art. Irbil) .  
(٥) في س "ما تقي" .



في نجدة ليأخذ مصر من المماليك ، فأمر [هولاكو] أن يتوجه إليه بمسكرفيه قدر العشرين ألف فارس . فطار هذا الخبر إلى دمشق ، فرحل من كان بها من المماليك البحرية ، وصاروا إلى الملك المغيث عمر بالكرك وحرضوه على أخذ مصر ، فجمع الملك المغيث وسار .

فتجهز الأمير قطز ، وخرج من القلعة بالعساكر في ... (١) . فلما وصل إلى الصالحية

- تسلل إلى الملك المغيث من كان كاتبه من الأمراء وصاروا إليه ، فلقبهم قطز وقتلهم .  
• فانهزم الملك المغيث في شردمة إلى الكرك ، ومضى البحرية نحو الطور (٢) وانفقوا مع الشهرزورية (٣) من الشرق . واستولى المصريون على من بقي من عساكر [المغيث] وأثقاله ، وأسروا جماعة ، وعادوا إلى قلعة الجبل . وقد تغير قطز على عدة من الأمراء ، لميلهم إلى الملك المغيث : فقبض على الأمير عز الدين أيبك الرومي الصالحى ، والأمير سيف الدين بلبان الكافورى الصالحى الأشرقى ، والأمير بدر الدين بكتوت الأشرقى ، والأمير بدر الدين بلغان الأشرقى ، وجماعة غيرهم ، وضرب أعناقهم في سادس عشر ربيع الأول (١٠٥ هـ) ، وأخذ أموالهم كلها .

- وفيهما فرطائفة من [الأكراد من وجه] عسكر هولاكو ، يقال لهم الشهرزورية ، وقدموا دمشق وعدتهم نحو الثلاثة آلاف ، ومعهم أولادهم ونسأؤهم . فسر بهم الملك الناصر واستخدمهم ليقوى بهم ، فزاد عنهم وكثر طلبهم حتى خافهم ، وأخذ يداريهم وما يزيدهم ذلك إلا تمردا عليه ، إلى أن تركوه وصاروا إلى الملك المغيث بالكرك ، فسر بهم وتاقت

(١) يباض في س .

(٢) الراجع أن الطور المقصود هنا هو طور سينا ، وليس الطور المذكور بالقسم الأول ، ص ٩٥ ، حاشية ١ .

(٣) في س " الشهرز " فقيط ، وبقية اللفظ زائل ، هل أنه في ب (١٢٧ ب) . والشهرزورية نسبة إلى شهرزور ، وهي إحدى جهات كردستان ، حيث توجد مدينة بهذا الاسم أيضا . وكان بتلك الجهة جماعة الأكراد الكومية (Kusa Kurds) ، وقد ظلوا بها حتى استولى هولاكو على بغداد ، وتقدمت جيوشه شمالا نحو شهرزور وغيرها ، ففر الشهرزورية من وجه التمر إلى الشام ومصر ، كما بالتمن . (Enc. Isl. Art. Shehrizur) .

(٤) في س " عساكره " .



نفسه إلى أخذ دمشق . تخاف الناصر وتغيب من الأمراء القيمرية الذين في دمشق ، فاضطرب وتخير .

وفيها مات أمير بني مرين أبو يحيى بن عبد الحق بن يحيو بن أبي بكر بن حمامة ، في رجب . وقام من بعده ابنه عمر ، وذريته عمه يعقوب بن عبد الحق . وأبو يحيى هو الذي فتح الأمصار ، وأقام رسوم المملكة ، وقسم بلاد المغرب بين عشائر بني مرين ، وقام بدعوة الأمير أبي زكريا ابن أبي حفص صاحب تونس . وأبو يحيى أول من اتخذ الموكب الملكي منهم ، وملك مدينة فاس . وقد استبد [أبو يحيى] بملك المغرب الأقصى ، وبني عبد الواحد بملك المغرب الأوسط ، وبني أبي حفص بإفريقية . هذا وقد أشرفت دولة الموحدين بني عبد المؤمن على الزوال .

وفي سنة ست وخمسين [هذه] قدم أولاد حسن مكة ، وقبضوا على إدريس وأقاموا ستة أيام ، بغاء أبو نعيم وأخرجهم ولم يقتل بينهم أحد .

ومات في هذه السنة من الأعيان ... المستعصر بالله أبو أحمد عبد الله بن المستنصر بالله أبي جعفر منصور بن الظاهر بالله أبي نصر محمد بن الناصر لدين الله أبي العباس أحمد ، آخر خلائف بني العباس ، مقتولا في سادس صفر ، بعد ما أتلف عساكر بغداد لثيمته في جمع المال . قُدِّم الإسلام وأهله بليته ، وإسناده الأمر إلى وزيره ابن العلقمي ، فإنه قطع أرزاق الأجناد ، واستجز التارح حتى كان ما كان . ومات الملك الناصر داود بن المعظم عيسى ابن العادل أبي بكر بن أيوب بن شاذي ، صاحب دمشق والكرك ، بعد ما مرت به خطوب كثيرة ، عن ثلاث وخمسين سنة خارج دمشق ، وله شعر بديع . وتوفي الحافظ ركن الدين أبو عبد الله عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله بن سلامة المنذري الشافعي الإمام الحجة ، عن خمس وسبعين سنة . ومات يحيى الدين أبو المظفر يوسف بن الحافظ جمال الدين أبي الفرج

(١) في س " الملوك " .

(٢) النصف الثاني من كلمة الأعيان محجوب بورقة ملصوقة فوقه في س ، وكذلك بقية السطر أيضا . ولعل تلك البقية ، وهي المشار إليها هنا بنقط ، عبارة عن لفظة " الخليفة العباسي " ، أو شيء مثل ذلك .

(٣) انظر ص ٤٠٠ ، حاشية ٢ .



- عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن محمد بن جعفر بن الجوزي البكري البغدادي الحنبلي ،  
 محتسب بغداد ورسول الخلافة ، عن ست وسبعين سنة . وتوفي صاحب محبي الدين  
 أبو عبد الله محمد بن نجم الدين أبي الحسن أحمد بن هبة الله بن محمد بن هبة الله بن أحمد بن  
 يحيى بن زيد بن هارون بن موسى بن عيسى بن عبد الله بن محمد بن عامر أبي جرادة العقيلي بن  
 العديم الحنفي ، عن ست وستين سنة بحلب . وتوفي نظام الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن  
 محمد بن عبد المجيد بن المولى الأنصاري الحلبي ، صاحب الإنشاء بحلب . وتوفي ناظر الجيش  
 بحلب ، [ واسمه ] عون الدين أبو المظفر سليمان بن البهاء أبي القاسم عبد المجيد بن الحسن بن  
 عبد الله بن الحسن بن العجمي الحلبي ، عن خمسين سنة . وتوفي صاحب عز الدين  
 أبو حامد محمد بن محمد بن خالد بن محمد بن نصر بن القيسراني الحلبي ، ناظر الدواوين بدمشق .  
 ١٠ وتوفي صاحب بهاء الدين زهير بن محمد بن علي بن يحيى الأزدي المكي ، الكاتب الشاعر الماهر ،  
 صاحب الإنشاء بديار مصر ، عن خمس وسبعين سنة . وتوفي الأمير سيف الدين علي بن  
 سابق الدين عمر بن قزل — المعروف بالمشد ، عن أربع وخمسين سنة ، وشعره الغاية في الجودة .  
 وتوفي شاعر بغداد جمال الدين أبو زكريا يحيى بن يوسف بن يحيى بن منصور الصرصيري  
 الحنبلي شهيدا ، عن ثمان وستين سنة . وتوفي الأديب شرف الدين أبو الطيب أحمد بن محمد  
 ١٥ ابن أبي الوفاء بن الحلاوي الموصل ، عن ثلاث وخمسين سنة بالموصل . و[ توفي ] الأديب  
 سعد الدين أبو سعد محمد بن محبي الدين محمد بن علي بن عربي ، بدمشق . و[ توفي ] الأديب

(١) توفي في تلك السنة أيضا ، حسبما جاء في ابن واصل (نفس المربع ، ص ٣٨٧ ب) ، الشيخ شمس الدين  
 يوسف سبط ابن الجوزي ، مؤلف تجارب مرآة الزمان .  
 (٢) كان هذا الأمير قريب جمال الدين بن منصور ، وابن أخ الأمير نزار الدين عثمان أستاذ الملك الكامل .  
 (ابن واصل : نفس المربع ، ص ١٣٨٩) .  
 (٣) بنير ضبط في ص ، والنسبة إلى صرصر ، وهو اسم يطلق على قريتين من سواد بغداد ، وهما صرصر العليا  
 وصرصر السفلى ، وكلتاهما على ضفة نهر عيسى الذي يسمى أحيانا نهر صرصر . ( ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ،  
 ص ٣٨١ ) .  
 (٤) بنير ضبط في ص ، والنسبة إلى بلدة حلاوة . انظر ياقوت (معجم البلدان : ج ٢ ، ص ٣٠٣) .



نور الدين أبو بكر محمد عبد العزيز بن عبد الرحيم بن رستم الإسعدي ، بدمشق . و [توفي]  
 الشيخ أبو الحسن علي بن عبد الله بن عبد الحق بن يوسف الشاذلي الزاهد ، بصحراء عيذاب .  
 و [توفي] أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن أحمد بن أبي الفتح ، خطيب مرّدا<sup>(١)</sup> ، التركي الحنّبل ،  
 عن سبعين سنة ، بمردا من عمل دمشق ، [وكان قد] حدث بالقاهرة .

\*\*\*

سنة سبع وخمسين وثمانئة . فيها نازل التتار مارددين فلم ينالوا منها شيئا ، فرحلوا عنها  
 إلى ميفارقين وحاصروا أهلها ، حتى أكلوا من عدم الأقوات جلود النعل التي تلبس في الرجلين .  
 وفيها خرج الملك المغيث من الكرك بعساكره يريد دمشق ، فخرج الملك الناصر من دمشق  
 إلى محاربته ، ولفيه بأريحا<sup>(٢)</sup> وحاربه . فانهزم المغيث إلى الكرك . وسار الناصر إلى القدس  
 فأقام به أياما ، ثم رحل إلى زيزاء<sup>(٣)</sup> نعيم على بركتها . وأقام [هناك] مدة سنة أشهر . والرسل  
 تتردد بينه وبين المغيث إلى أن وقع الاتفاق بينهما ، على أن الناصر يتسلم من المغيث الطائفة  
 البحرية جميعهم ، وأن المغيث يبعد عنه الشهزورية . فسارت الشهزورية من بلاد الكرك  
 إلى الأعمال الساحلية .

(١) بنير ضبط في س ، وهي قرية قرب نابلس ، تنطق بألف مقصورة دائما . (بافوت : معجم البلدان ،  
 ج ٤ ، ص ٤٩٣) .

(٢) كان هؤلاء قد غزم إبان تلك السنة على غزو الشام ، ووقعت محولاته على مارددين وميفارقين في الطريق  
 إليها . وكان من ضمن قواده إذ ذاك ولده يشموط (Yachmout) ، وقد ط به أخذ مدينة ميفارقين : (D'Ohsson :  
 Op. cit. III. pp. 306-308) . وكان صاحب ميفارقين الملك الكامل محمد بن الملك المنصور شهاب الدين غازي  
 ابن العادل أبي بكر بن أيوب ، وقد صابر حصار التتار واستمر على المقاومة مدة سنتين ، حتى قُتلت عنده الأزواد ،  
 وقُتِل أهل ميفارقين بالوباء والقتل ، وضعف من بق منهم لديه عن القتال . عند ذلك استولى التتار عليها ، وقتلوا صاحبها  
 الملك الكامل المذكور ، كما سبل بالمتن .

(٣) بنير ضبط في س ، وهي بلدة بالفرد من أرض الأردن بالشام ، بينها وبين بيت المقدس يوم القارص ،  
 وتسمى أيضا أريحا وأريحا . (بافوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٢٢٧ — ٢٢٨) .

(٤) بنير ضبط في س ، وهي قرية كبيرة تابعة للبلقاء ، وتطل على بركة واسعة . (بافوت : معجم البلدان ،  
 ج ٢ ، ص ٩٦٦) .



وسير الأمير ركن الدين بيبرس البندقداري إلى الملك الناصر ياتمس منه الأمان ، خلف له وحضر [ ركن الدين بيبرس ] إليه على بركة زيزاء : ومعه بدر الدين يسرى ، وإيتمش المسعودي ، وطيرس الوزيري ، وبلبان الرومي الدوادار ، وأقوش الرومي ، ولأجين الدرفيل الدوادار ، وكشغدي المشرف ، وإيدغمش [ الشيخى ؟ ] ، وأبيك الشيخى ، وبلبان المهراني ، وخاص ترك الكبير ، وسنجر المسعودي ، وأياز الناصري ، وسنجر الهامي ، وأبيك العلائي ، وطهن [ الشقيري ؟ ] ، ولأجين الشقيري ، وسليمان الإندكزي ، وبلبان الأقسيمي ، وعز الدين بيبرس<sup>(١)</sup> . فأكرمهم [ الملك الناصر ] ، وأقطعهم نصف نابلس وجنين وأعمالها ، بمائة وعشرين فارساً . وبعث المغيث سائر البحرية إلى الملك الناصر ، فرحل عن زيزاء إلى دمشق ، وقبض على البحرية واعتقلهم .

- ١٠ وفيها قدم الملك العزيز بن الملك الناصر من عند هولاكو . وعلى يده كتابه ونصه : "الذي يعلم به الملك الناصر صاحب حلب ، أما نحن قد فتحنا بغداد بسيف الله تعالى ، وقتلنا فرسانها وهدمنا بنيانها وأمرنا سكانها ، كما قال الله تعالى في كتابه العزيز : قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً فَفَسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ . واستحضرنا خليفها ، وسألناه عن كذبات فكذب ، فوافقه الندم واستوجب منا العدم . وكان قد جمع ذخائر نفيسة ، وكانت نفسه خسيسة ، فجمع المال ( ١١٠٦ ) ولم يعبأ بالرجال . وكان قد نمي ذكره وعظم قدره ، ونحن نعوذ بالله من التمام والكمال .

إذا تم أمر دنا نقصه • توق زوالا إذا قيل تم :

إذا كنت في نعمة فأرعبها • فإن المعاصي تزيل النعم

وكم من قديرات في نعمة \* فلم يدر بالموت حتى هجم

(١) قولت جميع هذه الأسماء على ترجمتها في (Quatremère : Op. cit. I. 1. p. 83) .

(٢) كذا في م ، ولعلها صيغة تحقير وتقصير على غير قياس ، فإن مصغر خليفة يكون خليفة .

(٣) في م "سالك" .



إذا وقفت على كتابي هذا، فسارع برجالك وأموالك وفرسانك إلى طاعة سلطان الأرض شاهنشاه روى زمين<sup>(١)</sup>، تأمن شره وتتل خيره، كما قال الله تعالى في كتابه العزيز: وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءُ الْأَوْفَى. ولا تعوق رسلنا عندك كما عوقت رسلنا من قبل، فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان. وقد بلغنا أن تجار الشام وغيرهم انهزموا بأموالهم وحریمهم إلى كروان سراي<sup>(٢)</sup>، فإن كانوا في الجبال نسفناها، وإن كانوا في الأرض خسفناها.

أين النجاة ولا مناص لهارب • ولئى البسيطان الثرى والماء

ذلت لهيبتنا الأسود وأصبحت • فى قبضتى الأمراء والوزراء

فانزع الناصر وسير حريمه إلى الكرك<sup>(٣)</sup>، وخاف الناس بدمشق خوفا كثيرا لعلمهم أن التتر قد قطعوا الفرات<sup>(٤)</sup>، وسار كثير منهم إلى جهة مصر، وكان الوقت شتاء فمات خلائق بالطريق، ونهب أكثرهم. وبعث الناصر، عند ما بلغه توجه هؤلاء نحو الشام، بالصاحب كمال الدين عمر بن العديم إلى مصر، يستنجد بعسكرها.

فلما قدم [ابن العديم] إلى القاهرة، فى يوم...، عُقد مجلس بالقلمة عند الملك المنصور، وحضر قاضى القضاة بدر الدين حسن السنجارى، والشيخ عز الدين بن عبد السلام، ومثلا فى أخذ أموال العامة ونفقتها فى العساكر، فقال ابن عبد السلام: "إذا لم يبق فى بيت المال

(١) فى س "روازمين"، ومعنى شاهنشاه روى زمين، ملك الملوك على وجه الأرض. (Quatremère : Op.cit. I. 1. p. 84. N. 119 & Richardson : A Dict. Pers. Ar. Eng.)

(٢) فى س "تال".

(٣) ترجم (Quatremère : Op. cit. I. 1. p. 48) هذا اللفظ ترجمة حرفية الى (Karavanserai)، أى محط الرجال أو فندق المسافرين. غير أنه توجد فوق هذا اللفظ فى س إشارة الى عبارة بهامش الصفحة، ونصها: "بمنى مصر"، وهى بخط المتن. ويغهم من هذا أن مصر كانت تعرف فى بلاد التتر باسم كروان سراي، وربما نشأت تلك التسمية من انتهاء معظم الطرق التجارية إليها من سائر جهات الشرق والغرب، فى القرون الوسطى. (٤) كان هذا الخبر مفعما بالمبالغة، فالمعروف أن هؤلاء لم يعبروا الفرات إلا بعد الاستيلاء على آمد وغيرها، وسبق ذكر ذلك كله فيما يلى. (انظر ص ٤١٩، سطر ١).

(٥) الضمير هنا عائد على أهل دمشق. (٦) بياض فى س.



شيء، وأنفقتم الحوائص الذهب ونحوها من الزينة، وساوَيْتم العامة في الملابس سوى آلات الحرب، ولم يبق للجندى إلا فرسه التي يركبها، ساعٍ أخذ شيء من أموال الناس في دفع الأعداء. إلا أنه إذا دهم العدو، وجب على الناس كافة دفعه بأموالهم وأنفسهم؛ وانقضوا. فوجد الأمير سيف الدين قطز سبيلاً إلى القول، وأخذ ينكر على الملك المنصور، وقال: "لأبد من سلطان قاهر يقاتل هذا العدو، والملك المنصور صبي صغير لا يعرف تدبير المملكة". وكانت قد كثرت مفاصد الملك المنصور على بن المعز أيبك، واستهتر في اللعب، وتحكمت أمه فاضطربت الأمور. وطمع الأمير سيف الدين قطز في أخذ السلطنة لنفسه، وانتظر خروج الأمراء للصيد؛ فلما خرج الأمير علم الدين سنجر الغتمى، والأمير سيف الدين بهادر، وغيره من المعزية لرمى البندق — وكان يوم السبت رابع عشرين ذى القعدة — قبض [قطز] على المنصور وعلى أخيه ققان وعلى أمهما، واعتقلهم في برج بقلعة الجبل. فكانت مدة المنصور ستين وثمانية أشهر وثلاثة أيام.

### الملك المظفر سيف الدين قطز<sup>(٢)</sup>

جلس على سرير الملك بقلعة الجبل يوم السبت، الرابع والعشرين من ذى القعدة، سنة سبع وخمسين وستمائة. وهو ثالث ملوك الترك بمصر. وفي خامسه ولي الوزارة زين الدين يعقوب بن عبد الرقيق بن يزيد بن الزبير، وصرف تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الأعز. فبلغ ذلك الأمراء فقدموا إلى قلعة الجبل، وأنكروا ما كان من قبض [قطز] على الملك المنصور، وتوَّبه على الملك. فخافهم واعتذر إليهم بحركة التتار إلى جهة الشام ومصر، والتخوف مع هذا من الملك الناصر صاحب دمشق، [وقال]: "وإني ما قصدت إلا أن نجتمع على قتال

(١) كان من بين الحاضرين هذا المجلس ابن واصل. انظر (قس المرجع، ص ٢٩١ ب).

(٢) ضبط اسم هذا السلطان على منطوقه في (Enc. Isl. Art. Kutuz)، وفي هذا المرجع أن اسم قطز الأصل محمود بن محمود، وأنه كان قريب (nephew) الملك جلال الدين خوارزمشاه، وقد أسر في حروب التتر، وبيع بدمشق للسلطان الملك المعز أيبك.

(٣) في ص "قبضه".



التر ، ولا يتأتى ذلك بغير ملك . فإذا خرجنا وكسرنا هذا العدو فالأمر لكم ، أقيموا في السلطنة من شتم " . ففرقوا عنه ، وأخذ يرضيهم حتى ( ١٠٦ ب ) تمكن . فبعث بالمنصور وأخيه وأمه الى ديباط ، واعتقلهم في برج عمره وسماه برج السلسلة ، ثم سيرهم الى بلاد الأشكرى<sup>(١)</sup> . وقبض على الأمير علم الدين سنجر الغنمى المعظمى ، والأمير عز الدين أيدمر النجيبى الصغير ، والأمير شرف الدين قيران المعزى ، والأمير سيف الدين بهادر ، والأمير شمس الدين قرا مستقر ، والأمير عز الدين أيبك النجمى الصغير ، والأمير سيف الدين الدود خال الملك المنصور<sup>(٢)</sup> على بن المعز ، والطواشى شبل الدولة كافور لا<sup>(٣)</sup> الملك المنصور ، والطواشى حسام الدين بلال المغنثى الجمدار . واعتقلهم ، وحلف الأمراء والعسكر لنفسه ، واستوزر الصاحب زين الدين يعقوب بن عبد الرافع بن الزبير فى خامس ذى القعدة ، واستمر بالأمير فارس الدين أقطاي الصغير الصالحى المعروف بالمستعرب أتابكا . وفوض إليه والى الصاحب [ زين الدين ؟ ]<sup>(٤)</sup> تدير العساكر واستخدام الأجناد وسائر أمور الدولة ، واحتفل باستخدام الجنود والاستعداد للجهاد .

وورد الخبر بقدم نجدة من عند هولاءكو إلى الملك الناصر بدمشق ، فكتب إليه الملك المظفر قطز وقد خافه كتابا يترقق فيه ، ويقسم بالأيمان أنه لا ينازعه فى الملك ولا يقاومه ، وأنه نائب عنه بديار مصر ، ومتى حل بها أقعده على الكرسي ، [ وقال فيه أيضا ] : " وإن اخترتني خدمتك ، وإن اخترت قدمي ومن معي من العسكر نجدة لك على القادم عليك ، فإن كنت لا تأمن حضوري سيرت إليك العساكر صعبة من تختاره " . فلما قدم على الملك الناصر كاب قطز اطمأن .

(١) المقصود ببلاد الأشكرى هي الإمبراطورية البيزنطية بيقية ، وصاحبها تلك السنة (Theodore Iasaris II. انظر (Camb. Med. Hist. III. pp. 501-506) .

(٢) كما في م ، وقد ترجم (Quatremère : Op. Cit. I. 1. p. 86) هذا الاسم الى (Addond) .

(٣) اللالاقطو رضى ، معناه الشخص المكلف بالمعاينة لأعمال . (Steingasse : A Pers. Eng. Dict.) .

(٤) في م "المبل" .



وفيها سار هولاكو من بغداد بنفسه إلى ديار بكر، ونزل على آمد يريد حلب، ونازل حران وأنصب عليها المجانيق — وكانت في مملكة الناصر يوسف — حتى أخذها . وقطع بعض جيشه الثمرات وعاثوا في البلاد<sup>(١)</sup>، وأجمع أهل حلب على الرحلة منها، وخرجوا جافلين . فاحترز نائبها المعظم تورانشاه بن الناصر يوسف، وجمع أهل الأطراف . وتقدم التار حتى دنوا من حلب، فقتلوا كثيرا من عسكرها الذين خرجوا إليهم، ثم رحلوا عنها عاجلا .

فاضطرب الناصر وعزم على لقاء هولاكو، وخيم على برزة<sup>(٢)</sup> . وكتب إلى الملك المغيث صاحب الكرك، وإلى الملك المظفر قطز، يطلب منهما نجدة . ومع هذا فكانت نفس الناصر قد ضعفت وخارت، وعظم خوف الأمراء والمساكر من هولاكو : فأخذ الأمير زين الدين الحافظي يعظم شأن هولاكو، ويشير بأن لا يقاتل وأن يدارى بالدخول في طاعته . فصاح به الأمير ركن الدين بيبرس البندقداري، وضربه وسبه وقال : "أتم سبب هلاك المسلمين"، وفارقه إلى خيمته . ففضى الزين الحافظي إلى الملك الناصر، وشكا إليه ما كان من الأمير بيبرس . فلما كان الليل (١١٠٧) هجم طائفة من المماليك على الملك الناصر، ليقتلوه ويملكوا غيره، وكانت في بستان، ففر هو وأخوه الملك الظاهر إلى قلعة دمشق . فبادر الأمراء القيمرية والأمير جمال الدين بن يغمور والأكابر إلى القلعة، وأشاروا على الناصر بأن يخرج إلى الخميم، فخرج . وعند ما خرج ركب بيبرس وسار إلى غزة، وبها الأمير نور الدين

(١) سار هولاكو بعد حصار ماردن وميادين إلى آمد، وترك على حصاره صالح إسماعيل بن بدر الدين توفيق صاحب الموصل . (انظر ص ٤٢١، سطر ٧) . ثم زحف هو على نصيبين واستولى عليها، وتقدم حتى حاصر حران وأسرع أهلها إلى التسليم، وحذا حذوه أهل الزها، وشهد أهل سروج فلم يرسلوا في طلب الأمن، فكما هم هولاكو بسيف عسكره مؤونة التسليم . (D'Ollsson: Op. cit. III. pp. 308-313) . لم يبق بعد ذلك بين جيوش التتار ونهر ثمرات سوى مسافة قصيرة، فأخذ هولاكو جزءا من الجيش بقيادة ولده يشوط، فسبق الجيش الرئيسي إلى عبوره والتقدم نحو حلب عن طريق ناحية تل باشر وبلدة نهر الجوز . وهذه المحاولة على حلب هي التي أتمها ابن واصل (قس المرجع، ص ١٢٩٣) المنازلة الأولى . (انظر ياقوت : معجم البلدان، ج ٢، ص ١٥١) .

(٢) بغير ضبط في س، وهي قرية بالنوبة شمالي دمشق . (ياقوت : معجم البلدان، ج ١، ص ٥٦٣؛ ابن واصل : قس المرجع، ص ١٢٩٢) .



بدلان كبير الشهرزورية، فتلقاه وأنزله . وسير<sup>(١)</sup> [بيبرس] إلى الملك المظفر قطز علاء الدين طيبرس الوزير ليحلفه ؛ [فكتب إليه الملك المظفر أن يقدم عليه . ووعده الوعود الجميلة . ففارق بيبرس الناصرية، ووصل في جماعة إلى مصر، فأنزله الملك المظفر بدار الوزارة، وأقبل عليه وأقطعه قلوب وأعمالها<sup>(٢)</sup> .

وبلغ الناصر أن هولاء كو أخذ قلعة حران وسائر تلك النواحي، وأنه عزم على أخذ حلب، فاشتد جزعه وسير زوجته وولده وأمواله إلى مصر، وخرج معهم نساء الأمراء وجمهور الناس . فنفرت العساكر، وبقى [الناصر] في طائفة من<sup>(٣)</sup> الأمراء . ونزل هولاء كو على البصرة وأخذ قلعتها — وأخذ منها الملك السعيد بن العزيز [عثمان بن العادل]، وله بها تسع سنين في الاعتقال، وولاه الصبيبة وبانياس — ، ونزل على حلب .

ففر أهل دمشق وغيرها، وباعوا أموالهم بأبخس ثمن، وساروا وكان الوقت شتاء، فهلك منهم خلق كثير . وسير الملك المغيث من بقي عنده من البحرية مفيدين على الجمال، وهم نحو الخمسين : منهم الأمير مستقر الأشقر . وسار أربعة من البحرية إلى مصر : وهم قلاون الأتني، وبكاش الفخرى أمير سلاح، وبكاش النجمي، والحاج طيبرس الوزير . وفيها كثرت الزلازل بأرض مصر . وفي ثاني عشر جمادى الآخرة جُبي التصقيع من أملاك القاهرة ومصر . وفي شعبان قبض على رجل يعرف بالكوراني، وضرب ضرباً مبرحاً بسبب بدع ظهرت منه؛ وجدد إسلامه الشيخ عز الدين بن عبد السلام، وأطلق من الاعتقال فأقام بالجبل الأحمر .

وفيها بنى [هولاء كو] الرصد بمدينة مراغة<sup>(٤)</sup>، بإشارة الخواجه نصير الدين محمد الطوسي<sup>(٥)</sup>،

(١) أضيف ما بين القوسين بعد مراجعة ابن واصل (تقس المراجع، ص ١٣٩٤) .

(٢) أضيف ما بين القوسين من ابن واصل (تقس المراجع والصفحة) .

(٣) أضيف ما بين القوسين من أبي القداء (المختصر في أخبار البشر، ص ١٢٩، ١٤٣، ١٤٤، في Rec. Hist. Or. I. .

(٤) بنير ضبط في ص، وهي من بلاد آذربيجان . (باقوت : معجم البلدان، ج ٤، ص ٤٧٦) .

(٥) الخواجه هنا أو الخواجه — المعلم، ومن معانيه الكاتب والتاجر . (Dozy : Suppl. Diet. Ar.) .



وهو دار للفقهاء والعلماء والأطباء ، بها من كتب بغداد شيء كثير ، وعليها أوقاف لخدمتها .

وفيها استقل يعقوب بن عبد الحق بن محبوب بن أبي بكر بن حمادة ، ملك بني مرين ، بملك فاس وعامة المغرب الأقصى . وفيها سار عز الدين كيكافوس وركن الدين قلج أرسلان ابنا كيكافوس بن كيقباد من قونية إلى هولاكو ، فأقاما عنده مدة ثم عادا إلى بلادهما .

ومات في هذه السنة من الأعيان الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ<sup>(١)</sup> الأتابكي صاحب الموصل ، في ثالث عشر شعبان عن ثمانين سنة ، دبر فيها الموصل نحو خمسين سنة . وقام من بعده ابنه الصالح إسماعيل ، وسار ابنه علاء الدين على مفارقا لأخيه إسماعيل إلى الشام . وتوفي الشريف منيف بن شبيحة الحسيني أمير المدينة النبوية . وتوفي صدر الدين أبو الفتح أسعد ابن المنجا التنوخي الدمشقي الحنبلي ، فاضل الجامع الأموي ، من ستين سنة بها . وتوفي نجم الدين أبو الفتح مظفر بن محمد بن إلياس بن السيرجي الأنصاري الدمشقي الشافعي ، محتسب دمشق ووكيل بيت المال بها . وتوفي الأديب بهاء الدين أبو عبد الله محمد بن مكى بن محمد بن الحسين بن الدجاجة القرشي الدمشقي بها ، عن ست وستين سنة .

== أما نصير الدين الطوسي ، المولود بطوس سنة ٥٩٧ هـ (١٢٠٠ م) ، فكان من البارزين في شتى العلوم في عصره ، واشتهر خاصة بالاشتغال بالهند . وقد أقام نصير الدين عند الإسماعيلية بلدة الموت مدة ، وهو الذي أعزى ركن الدين حورشاه رئيس الإسماعيلية بالتسليم إلى هولاكو . ودخل نصير الدين بعد ذلك في خدمة هولاكو ، وكان مسموع الكلمة عنده ، وهو الذي أقامه حينئذ كان يفكر في مصر الخليفة المستعصم ، أن يخدمه أليفه لن يستجلب غضب أحد في السماء أو الأرض . (Browne : Op. Cit. II. pp. 456-457, 460, 465, 484-486) .

(١) انظر الحاشية التالية .

(٢) عبارة المبتدئة من رقم الحاشية السابقة والمنتهية هذه مكتوبة بقلم مختلف بقلم المتن المعتاد ، على أنها بخط المقرئ ، والراجع أن مكانها كان بيضا ملأه المقرئ في ما بعد ، بعد أن اعتزى خطه شيء من المرة . هذا وقد تقدم ذكر أخبار هذين الملكين السلجوقيين في ص ٤٠٠ ، حاشية ١ .

(٣) يوجد في ابن واصل (نفس المراجع ، ص ٢٨٦ أ-ب) فقرة طويلة في تاريخ أعمال بدر الدين لؤلؤ . انظر أيضا (نفس المراجع ، ص ٢٩١ أ-ب) ، حيث توجد له ترجمة قصيرة .



\* \* \*

سنة ثمان وخمسين وستمائة . في المحرم نزل هولاء<sup>(١)</sup> على مدينة حلب ، وراسل متوليها الملك المعظم تورانشاه بن الملك الناصر يوسف ، على أن يسلمه البلد ويؤمنه ورعيته ، فلم يجبه [إلى طلبه] وأبى إلا محاربتهم . فحصرها التار سبعة أيام وأخذوها بالسيف ، وقتلوا خلقا كثيرا وأمرؤا النساء والثرية ونهبوا الأموال مدة خمسة أيام ، استباحوا فيها دماء الخلق حتى امتلأت الطرقات من القتلى . وصارت عساكر التار تمشي على جيف من قتل ، فيقال (١٠٧ ب) إنه أسر منها زيادة على مائة ألف من النساء والصبيان . وامتنعت قلعة حلب ، فنازلها [هولاء<sup>(٢)</sup>كو] حتى أخذها في عاشر صفر ، ونحربها ونحرب جميع سور البلد وجوامعها ومساجدها وبساتينها ، حتى عادت موحشة . وخرج إليه الملك المعظم توارن شاه ابن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، فلم يعترضه بسوء لكبر سنه ، فمات بعد أيام<sup>(٣)</sup> . ووجد [هولاء<sup>(٤)</sup>كو] من البحرية تسعة أنفس في حبس الملك الناصر ، فطقتهم وأكرمهم :

(١) يوجد فوق هذا اللفظ عبارة "في ثالث صفر" ، ولما كان من المعروف ، حسبما جاء في ابن واصل (نقص المراجع ، ص ٣٩٥ ب) ، أن هولاء<sup>(٥)</sup>كو نزل على نواحي حلب مثل جبرين والملاح في المحرم ، وأنه لم يزحف على مدينة حلب نفسها حتى ثلث صفر ، وذلك بعد رجوع رسوله من عند صاحبها الملك المعظم . (انظر الحاشية الثانية) ، فيظهر أن المقرئ كتب العبارة المشار إليها ليجرد الاختصار .

(٢) أضيف ما بين القوسين بعد مراجعة ابن واصل (نقص المراجع ، ص ٣٩٤ ب) . وكان مضمون الرسالة إلى الملك المعظم نائب حلب : "إن هولاء<sup>(٦)</sup>كو يقول لكم : ستم تضعفون عن ثناء المغل ، ومالككم قدرة بهم ، ونحن نقصد الملك الناصر ومن معه من العساكر . فتجلبون لنا عندكم شحنة بالقلعة وشحنة بالمدينة ، ونوجه نحن إلى الملك الناصر . وإن كانت الكسرة علينا فلأمر اليكم ، إن شئتم أبقيت على الشحنتين وطرديتموهما عنكم ، وإن شئتم قتلتموهما . وإن كانت النصر لنا ، فحلب وغيرها لنا وتكونون آمسين على أنفسكم . فلب لدى الرسول الرسالة على (كذا) الملك المعظم ، قال الملك المعظم نحن لا نجيب (في الأصل نجيب) إلى هذا أبدا ، وما بينا وبينه إلا سيف . فنصرف الرسول متعجبا من هذا الجواب ومثامنا ، لما يعلم أن من هذا الجواب يكون وباله (كذا) على أهل حلب والمسلمين . ولما بلغ هولاء<sup>(٧)</sup>كو ما أجاب به الملك المعظم ، ركب في محافله وعساكره الكثيرة ورحل إلى حلب ، وأحاط بها ثاني صفر من هذه السنة " .

(٣) لا يوجد في نسخة ابن واصل المتداولة هنا (نقص المراجع ، ص ٣٩٤ ب - ٣٩٥ أ) ، سوى أول أخبار هذا الحصار ، وذلك لفقد الصفحات التي بها بقية أخبار تلك السنة ، وجزء من أخبار السنة التالية أيضا .



منهم سقتر الأشقر، وسيف الدين سكر، وسيف الدين براق، وبدر الدين بكش المسعودي، ولاجين الجمدار الصالحى، وكندغدى الصغير<sup>(١)</sup>.

فلما وصل الخبر الى دمشق بأخذ قلعة حلب اضطربت بأهلها، وكان الملك الناصر قد صادر الناس، واستخدم لقتال التتر، فاجتمع معه ما يناهز مائة ألف ما بين عرب وعجم. فتمزق حينئذ الناس، وزهدوا في أمتعتهم وباعوها بأبخس الأثمان، وخرجوا على وجوههم. ورحل الملك الناصر عن برزة، يوم الجمعة منتصف صفر، بمن بقي معه يريد غزوة، وترك دمشق خالية، وبها غامتها قد أحاطت بالأسوار، وبلغت أجرة الجمل سبعمائة درهم فضة، وكان الوقت شتاء. فلم يثبت الناس عند خروج الناصر، ووقعت فيهم الجفلات حتى كأن القيامة قامت، وكانت مدة مملكة الناصر بحلب ودمشق ثلاثاً وعشرين سنة وسبعة أشهر، منها مدة تملكه لدمشق عشر سنين تنقص خمسين يوماً.

ولحق الملك الأشرف موسى بن المنصور صاحب حمص بهولاكو، وسار الملك المنصور ابن المظفر صاحب حماة إلى مصر بجريه وأولاده، وجفل أهل حمص وحماة.

وسار هولاكو إلى دمشق، بعد أخذ حلب بستة عشر يوماً، فقام الأمير زين الدين سليمان بن المؤيد على بن عامر العترباني المعروف بالزين الحافظي، وأغلق أبواب دمشق،

(١) كذا في س، وقد ترجم (Quatrenière: Op. Cit. I. I. p. 90.) هذا الاسم الى (Kidzadi).

(٢) في س "بلغ".

(٣) يفهم من س، ومن (Enc. Isl. Art. Hulagu: D'Ollsson: Op. Cit. III. p. 323)، أن

هولاكو لم يزحف بنفسه على دمشق.

(٤) بقير ضبط في س. ويوجد بين صفحتي ١٠٧ ب - ١٠٨ أ هامش عن ورقة منفصلة، فيه تعريف بهذا الأمير وتوضيح لسببه الى غزواته، التي هي إحدى فرى دمشق. انظر (بافوت: معجم البلدان، ج ٣، ص ٦٩٥). وهذا نص الهامش معصداً: "سليمان بن علي بن عامر الأمير زين الدين بن المؤيد المعروف بالزين الحافظي، وكان أبوه خطيب غفريا (كذا) من فرى دمشق واشتغل هو بالتب حتى مهر به، وخدم به الملك الحافظ نور الدين أرسلان شاه ابن [العاذل] أبي بكر بن أيوب صاحب جعبر، فنقله في دولته (في الأصل قوله في دولته) ودأخل أولاده. ثم انتقل الى خدمة الملك الناصر يوسف بطلب، فصارت له عنده يد ورفعة، وكثرت أمواله وسار مكباً في دولته، ويرسل عنه الى هولاكو. فزج (في الأصل فزج) التار وأضعهم في البلاد، وغاد فحول بهم على الناصر حتى هرب. فقام بأمر دمشق للتار، ودعوه بالملك زين الدين وسار معهم خوفاً من الملك المظفر فطره، فقتله وقتل أولاده".



و جمع من بقي بها وقرر معهم تسليم المدينة الى هولاء كو . قسملها منه نخر الدين المردغائي<sup>(١)</sup> ، وابن صاحب أرزن ، والشريف علي — وكان هؤلاء قد بعث بهم هولاء كو الى الملك الناصر وهو علي برزة . فكتبوا بذلك الى هولاء كو ، فسير طائفة من التروأوصاهم بأهل دمشق ، ونهاهم أن يأخذوا لأحد درهما فما فوقه .

فلما كان ليلة الاثنين تاسع عشر صفر ، وصل رسل هولاء كو صحبة القاضي محيي الدين ابن الزكي ، — وكان قد توجه من دمشق الى هولاء كو بحلب ، فخلع عليه وولاه قضاء الشام ، وسيره الى دمشق ومعه الوالي . فسكن الناس ، وجمعوا من الغد بالجامع ، فلبس ابن الزكي خلعة هولاء كو ، وجمع الفقهاء وغيرهم وقرأ عليهم تقليد هولاء كو . وقُرئت فرمانات هولاء كو بأمان أهل دمشق ، فكثر (١١٠٨) اضطراب الناس واشتد خوفهم .

وفي سادس عشر شهر ربيع الأول وصل نواب هولاء كو ، في جمع من التتر صحبة كتبغا<sup>(٢)</sup> نوين ، فقرأ فرمان بالأمان<sup>(٣)</sup> . وورد فرمان على القاضي كمال الدين عمر التفليسي ، نائب الحكم عن قاضي القضاة صدر الدين أحمد بن سني الدولة ، بأن يكون قاضي القضاة بمدائن الشام والموصل وماردين وميافارقين ، وفيه تفويض نظر الأوقاف اليه من جامع وغيره ، فقرأ بالميدان الأخضر .

(١) في من " المردغاي " ، وقد ترجم (Quatremère ; Op. cit. I. 1. p. 97) هذا الاسم الى (Merdegai) .

(٢) في من " كتبغا " بغير ضبط . انظر (Zetterstéen : Op. Cit. I. 33) . ويرد اسم هذا القائد ، وهو صهر هولاء كو ، على صيغ مختلفة مثل كنبوغا وكنبوغا وكنبوغا . انظر (Quatremère : Op. Cit. I. 1. p. 97. N. 129) .

(٣) بغير ضبط في من ، وهو لفظ فارسي ، كثير الورد في (D'Ohsson : Op. cit.) مقرونا بأسماء قراد التتر ، ومعناه مقدم ألف ، وهو حبا جاء بالقلقشندی (صبح الأعشى ، ج ٦ ، ص ٢٢) "من ألقاب كفال الممالك بالممالك القانية ، كخائب السلطة وأمرأه الألويس والوزير ونحوهم ، ... والنوبني نسبة اليه لبالغة ... وهو بمثابة الكافل في ألقاب التواب ... " راجع أيضا (Richardson : Dict. Ar. Pers. Eng.)



وغارت جمائع التتر على بلاد الشام، حتى وصلت إلى أطراف بلاد غزة وبيت جبريل والخليل وبركة زيزاء والصلت، فقتلوا وسبوا وأخذوا ما قدروا عليه، وعادوا إلى دمشق فباعوا بها المواشي وغيرها.

- واستطال النصارى بدمشق على المسلمين، وأحضروا فرمانا من هولاء كولا بالاعتناء بأمرهم وإقامة دينهم: فظاهرهم بالخمير في نهار رمضان، ورشوه على ثياب المسلمين في الطرقات، وصبوه على أبواب المساجد. وألزموا أرباب الحوانيت بالقيام إذا مروا بالصليب عليهم، وأهانوا من امتنع من القيام للصليب، وصاروا يمشون به في الشوارع إلى كنيسة مريم<sup>(٢)</sup>، ويقفون به ويخطبون في الناء على دينهم، وقالوا جهرا "ظهر الدين الصحيح دين المسيح". فقلق المسلمون من ذلك، وشكوا أمرهم لنائب هولاء كولا [وهو كتيبا]<sup>(٣)</sup>، فأهانهم وضرب بعضهم، وعظم قدر فسوس النصارى، ونزل إلى كنائسهم وأقام شعارهم. وجمع الزين الحافظي من الناس أموالا جزيلة، واشترى بها ثيابا وقدمها لكتيبا نائب هولاء كولا، وأبيدرا وسائر الأمراء والمقدمين من التتر، وواصل حمل الضيافات اليهم في كل يوم. ثم خرج كتيبا وبيدرا إلى مَرَج برغوث<sup>(٤)</sup>.

- ووصل الملك الأشرف صاحب حمص من عند هولاء كولا، وبيده مرسوم أن يكون نائب السلطنة بدمشق والشام. فامتلئ ذلك كتيبا، وصارت الدواوين وغيرها تحضر إلى

(١) في س "يمروا".

(٢) كانت تلك الكنيسة، بمشورف البوابة المسيحية، ولا بعد ما عدهم سوى كنيسة القيامة بيت المقدس. (Lo Strange: Palest. Under Moslems, pp. 254, 264).

(٣) في س "الرب"، وهو في ب (١٣١ ب) كما بالمتن هنا.

(٤) انظر ما على، سطر ١١.

(٥) كان كتيبا، قلا عن (D'Oshson: Op. Cit. III. P. 325. N. 1)، من قبيلة تترية اعتنقت

الدين المسيحي منذ قرون.

(٦) مضبوط على منطوقه في (Quatremère: Op. Cit I. l. p. 99).

(٧) غير ضبط في س، وهو على مسافة يوم من دمشق. (أبو شامة: كتاب الروضتين، ص ٣٨٤، ٤٩٥،

في Rec. Hist. Or. IV.

(٨) في س "اله".



[الأشرف] . ثم بعد أيام ثار الأمير بدر الدين محمد بن قرقمجاه<sup>(١)</sup> والى قلعة دمشق ، هو والأمير جمال الدين بن الصيرفي ، وأغلقت أبوابها . فحضر كتبغا بمن معه من عساكر التار، وحاصروا القلعة في ليلة السادس من ربيع الآخر . فبعث الله مطرا وبردا، مع ريح شديدة ورعود وبروق وزلزلة، سقط منها عدة أماكن ، وبات الناس بين خوف أرضي وخوف سمائي . فلم ينالوا من القلعة شيئا ، واستمر الحصار عليها ( ١٠٨ ب ) بالمجانيق — وكانت تريد على عشرين منجنيقا — إلى ثاني عشر جمادى الأولى . [عند ذلك] اشتد الرمي، ونحرب من القلعة مواضع، فطلب من فيها الأمان . ودخلها التتر فنهبوا سائر ما كان فيها، وحرقوا مواضع كثيرة، وهدموا من أبراجها عدة، وأتلفوا سائر ما كان فيها من الآلات والعدد . وساروا إلى بعلبك فغربوا قلعتها، وسارت طائفة منهم إلى غزة ، وخربوا بانياس وأسعروا البلاد حربا وملاوها قتلًا ونهبًا .

وفي يوم السبت ثاني عشر شهر ربيع الأول قدم الأمير ركن الدين بيبرس البندقداري إلى القاهرة ، فركب الملك المظفر قطز إلى لقائه ، وأنزله في دار الوزارة بالقاهرة ، وأقطعته قصبة قليوب الخاصة .

وفيهما ملك هولاكو ماردن ، وقتل أمراءها ونحرب أسوار قلعتها . وفيها وصل المنك الناصر إلى قطيا ، فخافه قطز وبرز بالعسكر إلى الصالحية . ففارق الناصر عدة من أمرائه ومن الشهرزورية ، ولحقوا بقطز وأقاموا ببليس : منهم حسام الدين طرنتاي ، وبدر الدين طيدمر الأخوث ، وبدر الدين أيدير الدوادار ، وإيدغدي الحاجي . فعاد الناصر من قطيا ، وقد تمزق ملكه وتفرق الناس عنه ، فترل البقاء .

ورجع قطز إلى قلعة الجبل ، وقبض على الأمير جمال الدين موسى بن يغمور ، واعتقله بقلعة الجبل . وصادر كل من وصل إليه من غلمان الملك الناصر وكتابه وأخذ أموالهم ، وألزم زوجة الملك الناصر بإحضار ما عندها من الجواهر ، فأخذ منها جوهرا كثيرا ، وأخذ من

(١) مضبوط على منطوقه في (Quatremère : Op. Cit I. I. p. 99) .



نساء الأمراء القيمرية أموالاً جمة، وعاقب بعضهم . وأما الملك الناصر، فإن شخصاً من غلمانته — يعرف بحسين الكردي الطبردار<sup>(١)</sup> — قبض عليه وعلى ولده الملك العزيز، وعلى أخيه غازي، وإسماعيل بن شادي ومن معه، وبعث بهم إلى هولاء كو .

وفيها رحل هولاء كو عن حلب يريد الرجوع إلى الشرق<sup>(٢)</sup>، وجعل كتبوا نواباً عنه بحلب، وبيدرا نائباً بدمشق . وأخذ [هولاء كو] معه من البحرية سبعة : منهم منقر الأشقر، وسكر، وبرامق، وبكمش المسعودي .

وفيها وصلت رسل هولاء كو إلى مصر بكتاب نصه : "من ملك الملوك شرقاً وغرباً، القان الأعظم . باسمك اللهم بأسط الأرض ورافع السماء . يعلم الملك المظفر قطز، الذي هو من جنس الممالك الذين هربوا من سيوفنا<sup>(٣)</sup> إلى هذا الإقليم، يتنعمون<sup>(٤)</sup> بأنعامه، ويقتلون<sup>(٥)</sup> من كان بسلطانه بعد ذلك . يعلم الملك المظفر قطز، ومساثر أمراء دولته وأهل مملكته، بالديار المصرية وما حولها من الأعمال، أنا نحن جند الله في (١١٠٩) أرضه، خلقنا من سخطه،

(١) بغير ضبط في س، والطبردار هو الذي يحمل طبر — أي فارس — السلطان، عند ركوبه في المواكب وغيرها؛  
رأى طبر هو الذي يحدث على الطير دراية الذين يحملون الأظفار . (القلقيشدي : صبح الأعشى، ج ٥، ص ٤٥٨، ٤٦٢) . انظر أيضاً (Quatremère: Op. Cit. I. 1. p. 100. N. 131.)، حيث توجد معلومات أدنى عن أصحاب تلك الوظيفة .

(٢) سبب رجوع هولاء كو إلى الشرق — والمقصود بذلك بلاد فارس — أن أخباراً وصلت إليه بوقاة أخيه منكوخان الخان الأعظم على جميع التتار سنة ٦٥٥هـ . وكان ذلك أحسن نصيحة من قوبلاي، وكان والياً على الصين من قبل أخيه، وهو الذي خلف منكوخان على جميع بلاد التتار، بعد أن تغلب على الطامغين في الملك من أبناء بيت جنكوخان، سنة ٦٥٩هـ (١٢٦٠م) . وقد حكم قوبلاي حتى سنة ٦٩٣هـ (١٢٩٤م)، واستول في أثناء حكمه على البقية الباقية من بلاد الصين، ونقل عاصمة التتار من فراغوم (Karakorum) إلى حان بالي (Khan Balik)، وهي تكين الحالية . وانضمت دولة قوبلاي من ذلك الوقت بصيغة ملقبة من دون ساتردول التتار، وعرفت الأميرة الحاكمة بها باسم (Yuen Dynasty) سنة ١٢١٠ (Encl. Isl. Art. Kubilai; Lane-Poole: Muh. Dyns. pp. 212-512).

(٣) هنا إشارة مبهمّة إلى أصل قطز، وقد تقدم القول (ص ٤١٧، حاشية ٢) بأنه كان من الخوارزمية .

(٤) في س "تمعوا" .

(٥) في س "قتلوا" .



وسلطنا على من حل به غضبه . فلکم بجميع البلاد معتبر ، وعن عزمنا مزدجر ، فاتعظوا بغيركم ،  
 وأسلموا إلينا أمرکم ، قبل أن ينكشف الغطاء . فتندموا ويعود علیکم الخطأ . فنحن ما نرحم  
 من بکی ، ولا نرق لمن شکی . وقد سمعتم أننا قد فتحنا البلاد ، وطهرنا الأرض من الفساد ،  
 وقتلنا معظم العباد . فعلیکم بالهرب ، وعلینا الطلب . فأی أرض تأویکم ، وأی طریق لتجیکم ،  
 وأی بلاد تحیکم ؟ فما لکم من سیوفنا خلاص ، ولا من مهابتنا مناص . نخیولنا سوابق ،  
 وسهامنا خوارق ، وسیوفنا صواعق ، وقلوبنا كالجبال . وعددنا كالرمال . فالحصون لدينا  
 لا تمنع ، والعساكر لقتالنا لا تنفع ، ودداءؤکم علینا لا یسمع . فإنکم أکتم الحرام ، ولا تعفون<sup>(١)</sup>  
 عند کلام ، وختم العهود والأیمان ، وفشا فیکم العقوق والعصیان . فابشروا بالمذلة والخوان ،  
 فالیوم تجزون عذاب الهون بما کنتم تستکبرون فی الأرض بغير الحق وبما کنتم تفسقون .  
 وسیعلم الذین ظلموا أی منقلب ینقلبون . فمن طلب حربنا ندم ، ومن قصد أماننا سلم . فإن  
 أنتم لشرطنا ولامرنا أطعتم ، فلکم مالنا وعلیکم ما علینا ؛ وإن خالفتم هلکتم ، فلا تهلكوا نفوسکم  
 بأيديکم . فقد حذر من أنذر ، وقد ثبت عندکم أن نحن الکفرة ، وقد ثبت عندنا أنکم  
 الفجرة ، وقد سلطنا علیکم من له الأمور المقدرة والأحكام المدبرة . فکثیرکم عندنا قليل ،  
 وعزیزکم عندنا ذلیل ، وبغير الأهنة ما للملوک عندنا سبیل . فلا تطیلوا الخطاب ، وأسرعوا  
 برد الجواب ، قبل أن تضرم الحرب نارها ، وترمی نحوکم شرارها ، فلا تجدون منا جاها  
 ولا عزرا ، ولا کافیا ولا حرزا ، وتذهبون منا بأعظم داهية ، وتصبح بلادکم منکم خالية . فقد  
 أنصفناکم إذ راسلناکم ، وأیقظناکم إذ حذرناکم ، فما بقى لنا مقصد سواکم . والسلام علینا  
 وعلیکم ، وعلى من أطاع الهدی ، وخشى عواقب الردی ، وأطاع الملك الأعلى .  
 ألا قل لمصیرها هلاون<sup>(٢)</sup> قد أتى بحد سیوف تفتضی وبواتر

(١) فی من "مفوا" .

(٢) کذا فی من بغير ضبط ، وهی صیغة لاسم هولاکو ، ترد کثیرا فی کتب المؤرخین المعاصرين . انظر  
 (Quatremère : Op. Cit. I. I. p. 102. N. 132) ، وقد ضبطت تلك الصیغة علی منطوقها فی هذا المرجع .  
 انظر أيضا ابن أبی الفضائل (کتاب النهج السدید ، ص ٧٢ ، حاشية ٧) .



يَصِيرُ أَعَزَّ الْقَوْمِ مِنْهَا أَذْلَةً وَيُلْحِقُ أَطْفَالَ لَهْمٍ بِالْأَكْبَرِ

- بجمع قطز الأمراء، وانفقوا على قتل الرسل والمسير إلى الصالحية: فقبض (١٠٩ب) على الرسل واعتقلوا، وشرع في تحليف من تخيَّره من الأمراء، وأمر بالمسير، والأمراء غير راضين بالخروج كراهة في لقاء التتر. فلما كان يوم الاثنين خامس عشر شعبان، خرج الملك المظفر قطز بجميع عسكر مصر، ومن انضم إليه من عساكر الشام ومن العرب والتركان وغيرهم، من قلعة الجبل يريد الصالحية.

- وفيه أحضر [قطز] رسل التتر، وكانوا أربعة: فوسط واحدا بسوق الخيل تحت قلعة الجبل، ووسط آخر بظاهر باب زويلة، ووسط الثالث بظاهر باب النصر، ووسط الرابع بالريدانية. وعاقبت رؤوسهم على باب زويلة، وهذه الرؤوس أول رؤوس عتقت على باب زويلة من التتار. وأبقى الملك المظفر على صبي من الرسل، وجعله من جملة مماليكه.

- ونودي في القاهرة ومصر، وسائر إقليم مصر، بالخروج إلى الجهاد في سبيل الله، ونصرة لدين رسول الله صلى الله عليه وسلم. وتقدم [الملك المظفر] لسائر الولاة بإزعاج الأجناد في الخروج للسفر، ومن وجد منهم قد اختفى يضرب بالمقارع. وسار حتى نزل بالصالحية وتكامل عنده العسكر، فطلب الأمراء وتكلم معهم في الرحيل، فأبوا كلهم عليه وامتنعوا من الرحيل. فقال لهم: "يا أمراء المسلمين! لكم زمان تأكلون أموال بيت المال، وأنتم للغزاة كارهون، وأنا متوجه فن اختار الجهاد يصسحني، ومن لم يختار ذلك يرجع إلى بيته. فإن الله مطلع عليه، وخطيئة حريم المسلمين في رقاب المتأخرين". فتكلم الأمراء الذين تخيَّروهم وحلفهم في موافقته على المسير، فلم يسمع البقية إلا الموافقة، وانفض الجمع.

- فلما كان في الليل ركب السلطان، وحرك كوساته وقال: "أنا ألقى التتار بنفسي"، فلما رأى الأمراء مسير السلطان ساروا على كره. وأمر [الملك قطز] الأمير ركن الدين بيبرس

(١) في س "ماكلوا". (٢) في س "نغار".

(٣) في س "التا".



البندقدارى أن يتقدم في عسكر ليعرف أخبار التتر ، فسار [بيبرس] إلى غزوة وبها جموع التتر ، فرحلوا عند نزوله ، وملك [هو] غزوة .

ثم نزل السلطان بالعساكر إلى غزوة وأقام بها يوما ، ثم رحل من طريق الساحل على مدينة عكا وبها يومئذ الفرنج ، فخرجوا إليه بتقادم وأرادوا أن يسيروا معه نجدة . فشكرهم وأخلع عليهم ، واستحلفهم أن يكونوا لاله ولا عليه . وأقسم لهم أنه متى تبعه منهم فارس أو راجل يريد أذى عسكر المسلمين رجّع وقتلهم قبل أن يلقى التتر .

وأمر [الملك قطز] (١١١٠) بالأمراء بجمعوا ، وحضهم على قتال التتر ، وذكرهم بما وقع بأهل الأقاليم من القتل والسبي والحريق ، وخوفهم وقوع مثل ذلك ، وحثهم على استنقاذ الشام من التتر ونصرة الإسلام والمسلمين ، وحذرهم عقوبة الله . فضجوا بالبكاء ، وتحلفوا على الاجتهاد في قتال التتر ودفعهم عن البلاد . فأمر [السلطان] حينئذ أن يسير الأمير [ركن الدين] بيبرس [البندقدارى] بقطعة<sup>(١)</sup> من العسكر ، فسار حتى أتى طليعة التتر . فكتب إلى السلطان يعلمه بذلك ، وأخذ في مناوشتهم . فتارة يقدم وتارة ينحجم . إلى أن وافاه<sup>(٢)</sup> السلطان على عين جالوت<sup>(٣)</sup> .

وكان كتبغا وبيدرا نائباً هولاًكو<sup>(٥)</sup> ، لما بلغهما مسير العساكر [المصرية] ، جمعا من تفرق من التتر في بلاد الشام ، وصارا يريدان محاربة المسلمين ، فالتقت طليعة عسكر المسلمين بطليعة التتر وكسرتها . فلما كان يوم الجمعة خامس عشرى شهر رمضان التقى الجمعان ، وفي قلوب المسلمين وهم عظيم من التتر ، وذلك بعد طلوع الشمس . وقد امتلأ الوادى ، وكثر صباح

(١) ترجم (Quatromère: Op. Cit. I. 1. p. 104) هذا اللفظ إلى (un corps de troupes) ، ولا يزد (Dozy: Supp. Diet. Ar.) عن هذا كثيرا ، إذ ترجمه إلى (corps d'infanterie, de cavalerie) .  
(٢) في م "وقاه" .

(٣) بنير ضبط في م ، واسمها في ياقوت (معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٧٦٠) عين جالوت ، وهي بلدة بين بيسان ونابلس من أعمال فلسطين .

(٤) في م "نواب" .  
(٥) في م "ساردا يريدون" .



أهل القرى من الفلاحين ، وتتابع ضرب كومات السلطان والامراء ، فتحيز التتر إلى الجبل .  
فعند ما اصطدم العسكران اضطرب جناح عسكر السلطان وانتفض طرف منه ، فالتقى الملك  
المظفر عند ذلك خوذته عن رأسه إلى الأرض ، وصرخ بأعلى صوته : " وإسلاماًه ! " ،  
وحمل بنفسه وبمن معه حملة صادقة ، فأيده الله بنصره . وقُتل كتبغا مقدم التتر ، وقُتل بعده  
الملك السعيد حسن بن العزيز — وكان مع التتر . وانهمز بأقبيهم ، ومنع الله ظهورهم المسلمين .  
يقتلون ويأسرون ، وأبلى الأمير بيبرس أيضاً بلاء حسناً بين يدي السلطان .

ومما اتفق في هذه الواقعة ، أن الصبي الذي أبقاه السلطان من رسل التتر وأضافه  
إلى مماليكه ، كان راكباً وراءه حال اللقاة . فلما التحم القتال فوق سهمه نحو السلطان ، فبصر  
به بعض من كان حوله فأُميسك وقُتل مكانه . وقيل بل رمى [الصبي] السلطان بسهمه فلم  
يخطئ فرسه وصرعه إلى الأرض ، وصار السلطان على قدميه ، فنزل إليه نحر الدين ماما  
وأركبه فرسه ، حتى حضرت الجنايب فركب نحر الدين منها .

ومر العسكر في أثر التتر إلى قرب بيسان ، فرجع التتر وصافوا مصافاً ثانياً أعظم من الأول ،  
فهزمهم الله وقتل أكابرهم وعدة منهم . وكان قد تزلزل المسلمون زلزالاً شديداً ، فصرخ  
السلطان صرخة عظيمة ، سمعه معظم العسكر وهو يقول : " وإسلاماًه ! " ثلاث مرات ،  
" يا الله ! انصر عبدك قطز على التار " . فلما انكسر التار الكسرة الثانية ، نزل السلطان عن  
فرسه وصرغ وجهه على الأرض وقبلها ، وصلى ركعتين شكراً لله تعالى ثم ركب ، فأقبل  
العسكر وقد امتلات أيديهم بالمغانم .

(١) في س " وإسلاماًه " .

(٢) في س " محط " .

(٣) الجنايب جمع جيب ، وهي الخيول التي كانت تسير وراء السلطان في الحروب لاحتياجها إليها ، وقد ترجم  
(Quatremère : Op. Cit. I. I. p. 106.) هذا المصطلح إلى (des cheveux de main) . انظر أيضاً

(محيط المحيط ؛ ر. Dozy : Supp. Dict. Ar.) .

(٤) في س " وإسلاماًه " .



فورد الخبر بانهمزام التتر إلى دمشق ليلة الأحد سابع عشرية ، وحملت رأس كتبغا مقدم التتار إلى القاهرة ، ففر الزين الحافظي ونواب التتار من دمشق ، وتبعهم أصحابهم . فامتدت (١١٠ ب) أيدي أهل الضياع إليهم ونهبوهم ، فكانت مدة استيلاء التتر على دمشق سبعة أشهر وعشرة أيام .

وفي يوم الأحد المذكور نزل السلطان على طبرية ، وكتب إلى دمشق يبشر الناس بفتح الله له وغزله التتر ، وهو أول كتاب ورد منه إلى دمشق . فلما ورد الكتاب مر الناس به سرورا كثيرا ، وبادروا إلى دور النصارى فنهبوا وأخربوا ما قدروا على تخريبه ، وهدموا كنيسة اليعاقبة وكنيسة مريم وأحرقوها حتى بقيتا كوما ، وقتلوا عدة من النصارى ، وامتد باقيهم . وذلك أنهم في مدة استيلاء التتر هموا مرارا بالثورة على المسلمين ، ونهبوا مساجد ومآذن كانت يجوار كنائسهم ، وأعلنوا بضرب الناقوس وركبوا بالصليب ، وشربوا الخمر في الطرقات ورشوه على المسلمين .

وفي ثامن عشرية نهب المسلمون اليهود بدمشق حتى لم يتركوا لهم شيئا ، وأصبحت حوانيتهم بالأسواق دكا ، فقام طائفة من الأجناد حتى كفوا الناس عن حريق كنائسهم وبيوتهم . وفيه نار أهل دمشق بجماعة من المسلمين كانوا من أعوان التتار وقتلوهم ، ونهبوا الدور المجاورة للكنائس ، وقتلوا جماعة من المغل ، فكان أمرا مهولا .

وفي تاسع عشرية وصل بكرة النهار الأمير جمال الدين المحمدي الصالحى بمرسوم الملك المظفر قطز ، فقتل بدار السعادة ، وأمن الناس ووطنهم .

وفي يوم الأربعاء آخر شهر رمضان وصل الملك المظفر بعساكره إلى ظاهر دمشق ، فقيم هناك وأقام إلى ثانی شوال ، فدخل إلى دمشق ونزل بالقلعة . ووجد الأمير ركن الدين بيبرس إلى حصص ، فقتل من التتر وأسركثيرا ، وعاد إلى دمشق .

(١) في س "أحرقوها حتى قُب" .

(٢) في س "مآذن" .



- وامتولى الملك المظفر على سائر بلاد الشام كلها من الفرات إلى حد مصر ، وأقطع  
الأمراء الصالحية والمعزية وأصحابه إقطاعات الشام ، واستناب الأمير علم الدين سنجر الحلبي  
في دمشق . ومعه الأمير مجير الدين أبو الهيجاء بن عيسى بن خشترازكشي<sup>(١)</sup> الكردي . وبعث  
[إليه] الملك الأشرف موسى — صاحب حمص ، ونائب هولاء بلاد الشام — يطلب  
الأمان فأمته . وبعث [السلطان أيضا] بالملك المظفر علاء الدين على بن بدر الدين لؤلؤ  
صاحب سنجار إلى حلب نائبها ، وأقطع أعمالها بمناسيره . وأقر الملك المنصور على حماة  
وبارين ، وأعاد عليه المعرة — وكانت بيد الحلبيين من سنة خمس وثلاثين وستمئة ،  
وأخذ سلمية منه وأعطاه الأمير شرف الدين عيسى بن مهنا بن مانع أمير العرب . ورثب  
الأمير شمس الدين أفوش البرلي<sup>(٢)</sup> العزيزي أميرا بالساحل وغزة ، ومعه عدة من العزيزية —  
وكان قد فارق الناصر يوسف وسار إلى القاهرة فكرمه السلطان ، وخرج معه فشهد وقعة عين  
جالوت . وأمر بشنق حسين الكردي الطبردار ، فشنع من أجل أنه دل على الملك الناصر .  
(١١١) وثار عدة من الأوشاقية<sup>(٣)</sup> مماليك السلطان بالنصارى ونهبوا دورهم ، [وكان]  
معه عدة من عوام دمشق ، فشنع منهم نحو الثلاثين نفسا . وأمر [السلطان] أن يقرر على  
نصارى دمشق مائة وخمسون ألف درهم ، بجمعوها وحملت إلى السلطان ، بسفارة الأمير  
فارس الدين أقطاي المستعرب أتابك العسكر .

(١) كذا في س ، و يوجد في أبي شامة (كتاب الروضتين ، ص ١٧٦ ، في Rec. Hist. Or. V) أمير  
اسمه ابن خشترازكشي ، وقد توفي ببحران سنة ٦١٦ هـ .  
(٢) بنير ضبط في س ، والمط البرلي بحرف من الكلمة التركية برتوللو ، ومعناها ذوا الألف الكبير . (أبو الفداء :  
المختصر في أخبار البشر ، ص ١٤٤ ، ١٤٦ ، ١٤٨ ، في Rec. Hist. Or. I) . انظر أيضا ص ٧٦٩  
في نفس المجلد .

(٣) بنير ضبط في س ، والواحد أوشاقى — ويقال أوجاقى أيضا — وهو الذي يتول ركوب الخيل للتسبير  
والرياضة . (القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٤٥٤) .

(٤) لعل الضمير هنا عائد مل النصارى ، انظر (Quatremère: Op. Cit. I. 1. p. 108) .

(٥) في س "نعمين" .



وأما الترفانهم لما لحقهم الطلب إلى أرض حمص، ألقوا ما كان معهم من متاع وغيره وأطلقوا الأسرى، وعرجوا نحو طريق الساحل. فنخطف المسلمون منهم وقتلوا خلقا كثيرا، وأسروا أكثر. فلما بلغ هولاء كسرة عسكره وقتل نائبه كتبغا عظم عليه، فإنه لم يكسر له عسكر قبل ذلك، ورحل من يومه.

وكان [هولاكو] لما قدم عليه الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن الملك العزيز صاحب الشام أكرمه وأجرى له راتبا، واختص به وأجلسه على كرسي قريبا منه، وشرب معه. ثم كتب له فرمانا<sup>(١)</sup> وقده مملكتي الشام ومصر، وأخضع عليه وأعطاه خيولا كثيرة<sup>(٢)</sup> وأموالا، وسيره إلى جهة الشام. فأمر [هولاكو] لما ورد عليه خبر الكسرة برده، فأحضر وقتل بجبال سَلَمَاس<sup>(٣)</sup> في ثامن عشر شوال؛ وقتل معه أخسوه الملك الظاهر غازي، والملك الصالح ابن شيركوه، وعدة من أولاد الملوك. وشفعت<sup>(٤)</sup> طغر خاتون زوجة هولاءكو في الملك العزيز ابن الناصر، فلم يسلم من القتل غيره، ورجع هولاءكو إلى بلاده.

وتراجع الناس إلى دمشق، وصارت الأسعار بها غالية جدا لقلة الأقوات. وعدمت الفلوس فيها، وتضرر الناس في المعاملة بسبب الدراهم، وعز كل ما كان قد هان.

فلما رتب السلطان أحوال التواب والولاء والشادين ببلاد الشام، خرج من دمشق يوم الثلاثاء سادس عشر شوال يريد مصر بعد ما كان قد عزم على السير إلى حلب، فثناه عن ذلك ما بلغه من تنكر الأمير بيبرس وتغيره عليه، وأنه قد عزم على القيام بخاربه. وسبب ذلك أن [الأمير بيبرس] سأل السلطان أن يولي نيابة حلب<sup>(٦)</sup>، فلم يرض فتنكر عليه،

(١) في م "فرمان".

(٢) في م "كثيرا".

(٣) بغير ضبط في م، وسلبا من مدينة في آذربيجان، بينها وبين أرمية يومان، وبينها وبين تبريز ثلاثة

أيام. (بافوت: معجم البلدان، ج ٣، ص ١٢٠).

(٤) مضبوط على منطوقه في (Quatremère: Op. Cit. I. 1. P. 109).

(٥) في م "أه".

(٦) كان قطز قد أعطى قبل ذلك نيابة حلب إلى علاء الدين بن بدر الدين لؤلؤ. انظر ص ٤٣٣، سطر ٥.



- ليقتضى الله أمرا كان مفعولا . نخافه [السلطان] وأضر له السوء، وسار إلى جهة مصر .  
 وبلغ ذلك بيبرس، فاحترس كل منها من الآخر، وعمل في القبض عليه . وحدث بيبرس  
 جماعة من الأمراء في قتل السلطان : منهم الأمير سيف الدين بلبان الرشيدى ، والأمير  
 سيف الدين بهادر المعزى ، والأمير بدر الدين بكتوت الجوكندار المعزى ، والأمير بيدغان  
 الركنى ، والأمير بلبان المارونى ، والأمير ( ١١١ ب ) بدر الدين أنس الأصبهانى .  
 فلم يزل السلطان سائرا إلى أن خرج من الغرابى وقارب الصالحية ، فانحرف<sup>(٢)</sup> في مسيره  
 عن الدرب للصيد ومعه الأمراء . فلما فرغ من صيده وعاد يريد الدهليز السلطانى ، طلب  
 منه الأمير بيبرس امرأة من سبي التتر ، فأنعم بها عليه . فأخذ [بيبرس] يد السلطان ليقبلها ،  
 وكانت إشارة بينه وبين الأمراء : فبدره الأمير بدر الدين بكتوت بالسيف [ و ] ضرب  
 به عاتقه ، واختطفه الأمير أنس وألقاه عن فرسه ، ورماه الأمير بهادر المعزى بسهم أتى على  
 روحه ؛ وذلك يوم السبت خامس عشر ذى القعدة ، ودفن بالتقصير<sup>(٣)</sup> ، فكانت مدة ملكه أحد  
 عشر شهرا وسبعة عشر يوما .  
 وحمل [قطز بعد ذلك] إلى القاهرة ، فدفن بالقرب من زاوية الشيخ تقي الدين قبل  
 أن تعمر؛ ثم نقله الحاج قطز الظاهرى إلى الترافة ، ودفن قريبا من زاوية ابن عبود . ويقال  
 إن اسمه محمود بن ممدود ، وإن أمه أخت السلطان جلال الدين خوارزم شاه ، وإن أباه ابن  
 عم السلطان جلال الدين ؛ وإنما سبى عند غلبة التتار ، فبيع بدمشق ثم انتقل إلى القاهرة .  
 (١) بغير ضبط فى س ، والجوكندار — والعامة تقول بكندار — هو الذى يحمل جوكان السلطان أثناء لعبة الكرة  
 والصوالة التى تعرف الآن باسم (Jolo) ؛ والجوكان المحض الذى تضرب به الكرة ، ويعبر عنه بالصوبجان أيضا .  
 (المقننى ، صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٤٥٨ ) . وكانت الجوكان عصى مدهونة طولا نحو من أربعة أذرع ،  
 ورأسها خشبة مخروطية مقوفة تزيد عن نصف ذراع . انظر (Quatremère : Op. Cit. I. I. p. 122) .  
 (٢) فى س "انحرف" .  
 (٣) فى س "بالتقصير" ، بغير ضبط ، وهو بلد بمصر بطريق الرمل ، بينه وبين الصالحية مرحلة . (أبو الفداء :  
 المختصر فى أخبار البشر ، ص ١٤٤ ، فى Rec. Hist. Or. I.)  
 (٤) على هذا فى ب (١١٣٥ - ب) وفيات ، هى فى الواقع تابعة لسنة ٦٥٦ هـ ، وقد وردت هناك فى موضعها



### الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى

كان [ بيبرس ] تركى الجنس ، فاشتراه الملك الصالح نجم الدين أيوب ، وترقى في خدمته واستفاد من أخلاقه . فلما مات [ الملك الصالح ] ، قام [ بيبرس ] في خدمة [ ابنه ] الملك المعظم [ تورانشاه ] الى أن قُتل ، فلم يزل يترقى إلى أن قُتل الفارس أقطاي ، ونُخرج من القاهرة وتنقل في بلاد الشام . ثم عاد الى مصر ، ونُخرج مع الملك المظفر قطز الى قتال التتر . فلما قتل قطز ، سار الأمراء الذين قتلوه الى الدهليز السلطاني [ بالصالحية<sup>(١)</sup> ] ، وانفقوا على سلطنة الأمير بيبرس . فقام الأمير أقطاي المستعرب الأتابك - وكان بالدهليز - وقال للأمرء عند حضورهم : ” من قتله منكم ؟ ” فقال الأمير بيبرس : ” أنا قتلتُه ” . فقال [ الأمير أقطاي ] : ” يا خوند ! اجلس في مرتبة السلطنة مكانه ” . فجلس [ بيبرس ] ، وبايعه [ أقطاي ] وحلف له ، ثم تلاه الأمير بلبان الرشيدى ، والأمير بدر الدين يسرى ، والأمير سيف الدين قلاون ، والأمير بيليك الخازندار<sup>(٢)</sup> ، ثم بقية الأمراء على طبقاتهم .

وتلقب [ بيبرس ] بالملك الظاهر . وذلك في يوم السبت سابع عشر ذى القعدة المذكور . فقال له الأمير أقطاي الأتابك : ” لا تتم السلطنة إلا بدخولك إلى قلعة الجبل ” . فركب [ بيبرس ] لوفته ، ومعه الأمير أقطاي ، والأمير قلاون ، والأمير يسرى ، والأمير بلبان ، والأمير بيليك ،

== المناسب ، وذلك حسبما جاء في س ، فضلا عن دلائل مادية ( انظر ص ١٢ : حاشية ١ ) ، تثبت وقوعها حيث أوردت . ولما كان ( Quatremère : Op. Cit. I. 1. PP. 113-115 ) قد اعتمد في ترجمته على نسخة ب ، فإنه انزل إلى خطها ، وأثبت تلك الوقفات تحت هذه السنة التي لم تنته بعد .

(١) في س ” نخرج ” .

(٢) أضيف ما بين القوسين بعد مراجعة أبي الفداء ( المختصر في أخبار البشر ، ص ١٤٤ ، ١٤٥ ، في ( Rec. Hist. Or. I. ) .

(٣) في س ” بيليك ” ، بغير ضبط . ويكرر ورود هذا الاسم ، بالصفحات التالية في س ، على ذلك الرسم الفص أول يشبهه ، ويصطلح في س إلى الصيغة المتنوعة هـ بالفتح ، من غير تعليق . انظر أ ب الفداء ( المختصر في أخبار البشر ، ص ١٥٦ ، ١٥٩ ، في ( Rec. Hist. Or. I. ) .

هذا وقد دأب ( Quatremère : Op. Cit. I. 1. p. 116, et seq. ) على ترجمة هذا الاسم إلى ( Bilbek ) .



ومماليكه . وتوجه الى قلعة الجبل ، فقبضه الأمير عز الدين أيدمر الحلبي نائب السلطنة بديار مصر ، و [ كان ] قد خرج الى لقاء الملك المظفر قطز . فأعلمه [ بيبرس ] بما جرى فخلف له الحلبي وتقدمه إلى القلعة ، ووعد من فيها من الأمراء بمواعيد جيدة عن بيبرس ، فلم يخالف منهم أحد . وجلس [ الأمير عز الدين أيدمر الحلبي ] على باب القلعة حتى قدم بيبرس والأمراء في الليل ، فتسلم القاعة ليلة الاثنين تاسع عشر ذي القعدة سنة ثمان وخمسين وستمائة<sup>(١)</sup> ، وحضر اليه صاحب الوزير زين الدين يعقوب بن الزبير ، وأشار عليه أن يغير اللقب بالملك الفاهر ، فإنه ما تلقب به أحد فأنجح ، فاستقر لقبه الملك الظاهر .

وكانت القاهرة قد زينت لتقدم الملك المظفر قطز ، والناس في (١١١٢) فرح ومسررات بفعل التتر . فلما طلع النهار نادى المنادى في الناس : " ترحموا على الملك المظفر ، وادعوا لسلطانكم الملك الفاهر ركن الدين بيبرس " . ثم في آخر النهار أمر بالدعاء للملك الظاهر . فغم [ الناس ] ذلك ، وخافوا من عودة دولة المماليك البحرية<sup>(٢)</sup> ، وسوء مملكتهم<sup>(٣)</sup> وجورهم .

وكان قطز قد أحدث في هذه السنة حوادث كثيرة عند حركته لفتال التتر : منها تصفية الأملاك وتقويمها ، وأخذ زكاتها من أربابها ، وأخذ من كل واحد من الناس من جميع أهل إقليم مصر ديناراً ، وأخذ من الترك الأهلية<sup>(٤)</sup> منها . فأبطل الملك الظاهر جميع ما أحدثه قطز ،

(١) في من "ولمان" .

(٢) في من "فهمهم" .

(٣) يستنتج من هذه الجملة أن السلطان قطز لم يكن من المماليك البحرية ، وهو استنتاج صحيح يدعمه الواقع التاريخي ، إذ ليس قطز من مماليك السلطان الملك الناصر نعم الدين أيوب حتى تصح له هذه التسمية ، بل كان ممثلاً للسلطان الملك المنزلي التركاني . (انظر من ٤١٧ ، حاشية ٢ ، وابن واصل : نفس المراجع ، ص ١٣٩١ ، ب) . وكل هذا قلبيست تسمية دولة سلاطين المماليك ، الذين تداولوا الحكم حتى سنة ١٣٨٢ م ، باسم دولة المماليك البحرية متفقة مع الحقائق التاريخية ، بل هي تسمية اصطلح عليها المؤرخون الحديثون من باب التعميم .

(٤) في من "مملكتهم" .

(٥) المقصود بهؤلاء ، حسبما جاء في ترجمة (Quatremère : Op. Cit. I. l. p.117) ، عناصر الترك المقيمة

بمصر من زمن طوئل (Turcs domiciliés) .



وكتب به توقيعا قرئ على المنابر، فكان جملة ما أبطله ستمائة ألف دينار. فسر الناس ذلك، وزادوا في الزينة.

وفي يوم الاثنين صبيحة قدوم السلطان، جلس [الملك الظاهر بيبرس] بالإيوان من القلعة، وحلف العساكر، واستناب الأمير بدر الدين بيليك الخازندار، واستقر بالأمير فارس الدين أقطاي المستعرب أنابكاً على عادته، والأمير جمال الدين أقوش النجيب الصالحى استاداراً، والأمير عز الدين أيبك الأقرم الصالحى أمير جاندار، والأمير صيام الدين لاجين الدرفيل والأمير سيف الدين بلبان الرومى دوادارية، والأمير بهاء الدين أمير آخور<sup>(٣)</sup> على عادته.

ورتب في الوزارة صاحب زين الدين يعقوب ابن الزبير، والأمير ركن الدين إياجى والأمير سيف الدين بكجورى حاجبين. وكتب بإحضار البحرية البطالين<sup>(٥)</sup> من البلاد، وكتب إلى الملوك والنواب يخبرهم بسلطته، فأجابوا كلهم بالسمع والطاعة، خلا الأمير سنجر الحلبي نائب دمشق: فإنه لما استقر في نيابة دمشق [كان قد] عمر سورها وحصنها، فورد عليه الخبر بقتل قطز وسلطنة بيبرس في أوائل ذى الحجة، فامتنع لذلك وأنف من طاعة بيبرس. ودعا لنفسه وحلف الأمراء وتلقب بالملك المجاهد، وخطب له يوم الجمعة سادس ذى الحجة، فدعا الخطيب للملك الظاهر أولاً ثم للملك المجاهد ثانياً وضربت السكة باسمهما. ثم ارتفع المجاهد عن هذا،

(١) في س "أماك". (٢) في س "استادار".

(٣) تقدمت الإشارة إلى ماهية الوظائف المذكورة هنا ما عدا وظيفة أمير آخور، وهي التي يتحدث متولها على اصطبل السلطان أو الأمير، ويتول أمر ما فيه من الخيل والإبل وغيرها مما هو داخل في حكم الإصطبلات. هذا وأمير آخور مركب من لفظين، أحدهما عربي وهو أمير، والثاني فارسي وهو آخور ومعناه الملقف، فيكون معنى أمير آخور أمير الملقف، لأنه المتول لأمر الدواب. وهناك أيضاً وظيفة السراخور — والعامة تقول سراخورى، ويقال أيضاً سلاخورى —، وهي مركبة من لفظين فارسيين، أحدهما سرا ومعناه الكبير، والثاني خور ومعناه الملقف، والمراد كبير الجماعة الذين يتولون ملق الدواب. (القفقشندى: صبح الأعشى، ج ٥، ص ٤٦٠ — ٤٦١). انظر أيضاً (Quatremière: Op. Cit. I. 1. p. 119. N. 3).

(٤) في س "جبابا".

(٥) يوجد بهامش الصفحة في س، بقالة هذا السطر تقريباً، عبارة مكتوبة هكذا ٣٣. ولعل المقرئ أراد بهذا أن يشير إلى السة التي وصل فيها إلى ذلك الحد من مؤلفه، أى سنة ٨٢٣ هـ.



وركب بشعار السلطنة والفاشية بين يديه ، وشرع في عمارة قلعة دمشق ، وجمع لها الصناع وكبراء الدولة والناس ، وعملوا فيها حتى عملت النساء أيضا ، وكان عند الناس بذلك سرور كبير .  
فقدم رسول الملك الظاهر [بيبرس] بكتابه بعد يومين ، فوجد الأمير سنجر قد تسلطن ، فعاد إلى مصر . فكتب الملك الظاهر إليه يعثفه ويقبح فعله ، فعالطه في الجواب .

- فولى دمشق في هذه السنة — من أولها إلى نصف صفر — الملك الناصر ، ثم ملكها دولا كو  
إلى أن صار إلى الشرق ، فاستتاب بها كتبغا وبيدرا ، فحكم فيها التتر إلى خامس عشر  
رمضان ، ثم صارت في مملكة قطز إلى (١١٢ ب) أن قتل في خامس عشر ذي القعدة ،  
فملكها الملك المجاهد علم الدين سنجر الحلبي بقية السنة . وكان القضاء بها أولا بيد القاضي  
صدر الدين أحمد بن يحيى بن هبة الله بن سني الدولة ، ثم ولى التتر القاضي كمال الدين عمر  
ابن بندار التفليسى ، ثم بعده القاضي محيى الدين بن الزكي ، ثم القاضي صدر الدين أبو القاسم .  
ثم ولى القاضي صدر الدين بعلبك ، فاستقل ابن الزكي بالقضاء [بدمشق] إلى أن صرفه قطز  
بنجم الدين أبي بكر محمد بن صدر الدين أحمد بن سني الدولة .

وفيها نار بخلب العزيزية والناصرية على الملك السعيد علاء الدين بن [بدر الدين] صاحب  
الموصل ، وقبضوا عليه ونهبوا وطاقه ، وقدموا عليهم الأمير حسام الدين لاجين العزيزي

(١) في مس "الحل" ، وقد صحت إلى الحلبي سبق ورودها بهذه العبارة الثانية في مس (ص ٤٣٨ ، سطر ١٠) ،  
وفي ابن أبي الفضائل (كتاب النج السديد ، ص ٦٨) . انظر أيضا (Quatremère : Op. Cit. I. 1. p. 121) .  
(٢) من "النجم" .

(٣) كان الملك السعيد علاء الدين هذا نائبا على حلب منذ ولاء السلطان قطز عليها ، (انظر ص ٤٣٣ ، سطر ٥)  
غير أنه أساء السيرة وظلم وعسف ، وجلب من الحلبيين خمسين ألف دينار ، فأغضب بذلك عامة الناس والمسكر .  
ثم حدث بعد ذلك بقليل أن أمار القائد بيدرا التتري على البيرة ، بغزو الملك السعيد لصدده شرذمة قليلة من عسكر حلب ،  
ولم يأت به لرأي كبار العزيزية والناصرية إلى كانوا قد أشاروا عليه بعدم العزم على البيرة . فلما انهزمت تلك الشرذمة  
على يد بيدرا قرب البيرة ، إرداد ببط الأمراء العزيزية والناصرية من الملك السعيد ، وأرأوا به وقبضوا عليه ، ثم حموه  
إلى قلعة الشغور بكاس واعتقلوه بها ، وأقاموا مكانه الأمير حسام الدين لاجين كالمتمن . وفي أثناء ذلك كان التار قد  
قاربوا حلب ، فأفرج التتار عن الملك السعيد ، وجلبوا جميعا من حلب إلى حماة . (ابن أبي الفضائل : كتاب النج  
السديد ، ص ٧٠ ، أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر ، ص ١٤٥ ، في Rec. Hist. Or. I. انظر أيضا  
(D'Ohsson: Op. Cit. III. PP. 358-359) .



الحوكندار . [وكان الأمير حسام الدين المذكور قد أخذ إذنا من الملك المظفر قطز، رحمه الله تعالى، وتوجه لاستخلاص ما بقى له من الإقطاع والودائع التي كانت له من أيام الملك الناصر. فلما اتفق ما اتفق وهو بحلب أجمع الحلبيون على تقديمه، فكتب إليه الملك المجاهد علم الدين سنجر الحلبي بأن يخطب له في حلب وأن يكون نائبا له، وأن يزيده على إقطاعه زيادات كثيرة]. فامتنع [لاجين] من إجابة الملك المجاهد سنجر، [وقال: "أنا نائب لمن ملك مصر"]، وأقام على طاعة الظاهر بيبرس؛ فبعث إليه الظاهر بالتقليد بنبابة حلب .

وفيها ثار جماعة من السودان والركبدارية والغلمان<sup>(٢)</sup>، وشقوا القاهرة وهم ينادون "يال على!"، وفتحوا دكاكين السيوفيين بين القصرين وأخذوا ما فيها من السلاح، واقتحموا اصطبلات الأجناد وأخذوا منها الخيول . وكان الحامل لهم على هذا رجل يعرف بالكوراني، أظهر الزهد وحمل بيده سبعة وسكن قبة بالجبل، وتردد إليه الغلمان فخذتهم في القيام على أهل الدولة، وأقطعهم الإقطاعات وكتب لهم بها رقاعا . فلما ثاروا في الليل ركب العسكر وأحاطوا بهم وربطوهم، فأصبحوا مصلبين خارج باب زويلة، وسكت النائرة. ونخرجت السنة ولم يركب الملك الظاهر [بيبرس] بشعار السلطنة على العادة.

ومأت في هذه السنة من الأعيان الملك المعظم تورانشاه بن الناصر يوسف بن العزيز

(١) أضيف ما بين الأقواس، بسائر هذه الفقرة، من ابن أبي القضائل (كتاب النجديد، ص ٧٠ - ٧١).  
(٢) الركبدارية - أو الركبدارية - هم الذين يحملون الغاشية بين يدي السلطان في المواكب الحفلة، كوكب العبد ونحوه. وهم نابعون لركاب حرمه، وهو بيت الركاب الذي تكون به السروج وهم والكاتبين، وله موظف موكل بمواصله بغيره بمهتار الركاب خاناه . (القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٤، ص ١٢٠، ١٢١).

(٣) أطلق هذا اللفظ - ومفرده غلام - على من يقوم بخدمة الخيل، وفي القلقشندي (صبح الأعشى، ج ٥، ص ٤٧١) أن لفظ غلام "في أصل اللغة مخصوص بالصبي الصغير والملوك، ثم غلب على هذا النوع من أرباب الخدم، وكانهم سموه بذلك لصفه في النفوس، وربما أطلق على غيره من رجال الخدم حذاه (كذلك) ونحوهم".

(٤) الوفيات الآتية واردة على ورقة منفصلة في ص ٤، بين الصفحتين ١١٢ ب، ١١٣، وهي غير واردة في ب (١١٣٧)، أو في (Quatremère: Op. Cit. I. 1. P. 129). على أنه لاشك في مناسبة وقوعها هنا، ويستدل على ذلك بمراجعة تواريخ وفاة الملوك الأيوبيين المذكورين من هذه الوفيات . انظر (Enc. Isl. Supp. Art. Aiyubids.).



- شادى بن [الظاهر غازى بن صلاح الدين يوسف بن أيوب] كبير البيت الأيوبي، ونائب حلب، عن ثمانين سنة . ومات الملك الكامل محمد بن المظفر غازى بن العادل أبي بكر ابن أيوب بن شادى صاحب ميافارقين، وكان عالماً عادلاً محسناً، قتله التار وحملوا رأسه إلى دمشق<sup>(٢)</sup>. وتوفي الملك السعيد حسن بن العزيز عثمان بن العادل أبي بكر بن أيوب ابن شادى، صاحب قلعة الصبية وبانياس، بعد ما أخذنا منه وسار إلى البيرة، فأعاده التار إلى ولايتهما، وحضر معهم عين جالوت<sup>(٣)</sup>، فأُمر وضرب عنقه . ومات الملك السعيد إيلغازى بن المنصور أرتق بن إيلغازى بن ألبى بن تمرش بن إيلغازى بن أرتق، صاحب ماردن بها، وقام من بعده ابنه المظفر قرا أرسلان، وتوفي قاضى القضاة بدمشق صدر الدين أبو العباس أحمد بن أبي البركات يحيى بن هبة الله بن الحسن بن يحيى بن سنى الدولة التغلبى بدمشق الشافعى ببعلبك، عن ثمان وستين سنة . وتوفي شيخ الإسلام تقي الدين أبو عبد الله محمد بن أبي الحسين أحمد بن عبد الله بن عيسى اليونينى الحنبلى، عن ست وثمانين سنة ببعلبك . وتوفي الصاحب مؤيد الدين أبو إسحاق إبراهيم بن يوسف بن إبراهيم بن القفطى الشيبانى، وزير حلب، بها عن أربع وستين سنة . وتوفي الأديب مخلص الدين أبو عبد الله

(١) موضع ما بين القوسين يياض فى م، وقد أضيفت هذه الأسماء بعد مراجعة : Lane-Poole (Saladin, Table II: Enc. Isl. Supp. Art. Aiyubids) على أنه ليس فى هذين المرجعين ما يشير إلى أن العزيز ابن الظاهر غازى كان يسمى شادى، بل كان اسمه محمداً .

(٢) حمل التار رأس الملك الكامل محمد هذا على رخ، ومرروا به على البلاد التى استولوا عليها بأشام مثل حلب وحماة، وظاهروا به دمشق بالمعاقى والطبول، وهناك علقوه فى شبكة بسور باب الفراديس، حيث ظل الرأس معلقاً حتى عادت دمشق إلى المسلمين، فدفن بمشهد الحسين . (أبو الفداء : المختصر فى أخبار البشر، ص ١٤٢، فى Rec. Hist. Or. I.)

(٣) انضم الملك السعيد هذا إلى التتر سنة ٦٥٧ هـ، بعد أن خلفه هؤلاء من سببه بالبيرة وولاه على الصبية وبانياس . (انظر ص ٤٢٠، سطر ٨) . وقد أغرق هذا الملك بعد ذلك فى الكر والفساد، فأعلن بالفسق والفجور وسفك دماء المسلمين، وحارب فى صفوف التتر فى رقعة عين جالوت، وهناك وقع أسيراً فى يد المظفر قطز فأمر بضرب عنقه، جزاء على ما كان قد اعتمده من السفك والقتل . (أبو الفداء : المختصر فى أخبار البشر، ص ١٤٣، فى Rec. Hist. Or. I.)



المبارك بن يحيى بن المبارك بن فضيل الغساني الحمصي ، بها في الخفلة . و [توفي] الأديب جلال الدين أبو الحسن علي بن يوسف بن محمد بن عبد الله الصفار الماردني الشاعر ، بها قتيلا عن ثلاث وثمانين سنة . وتوفي الشيخ أبو بكر بن قوام بن علي بن قوام الباسي الصالح الزاهد ، ببلاد حلب عن أربع وسبعين سنة .

\*\*\*

سنة تسع ونمسين وستمائة . فيها عظم الفار في أرض حوران أيام البيادر حتى أكل معظم الغلال ، فيقال إنه أكل ثلاثمائة ألف غرارة قمح .

وفيهما اجتمع من التار سنة آلاف فارس ، وقاموا بحمص . <sup>(٢)</sup> فبرز اليهم الملك الأشرف موسى بن شيركوه صاحب حمص ، والملك المنصور صاحب حماة ، واجتمع اليهما قدر ألف وأربعمائة فارس ، وقدم زامل بن علي أمير العرب في عدة من العربان . وواقعوا التترب يوم الجمعة خامس المحرم على الرستن <sup>(٣)</sup> ، فقتلهم قتلا وأسرا ، ووردت البشارة الى مصر بذلك . وكانت التار في ستة آلاف ، والمسلمون ألف وأربعمائة ، وحملت رهوس القتلى الى دمشق . وفيها اشتد الغلاء بدمشق .

(١) بنير ضبط في س ، وهي كورة واسعة من أعمال دمشق ، وبها قرى كثيرة ومزارع ، وقد صارت حوران في زمن سلاطين المماليك نيابة قائمة بذاتها وسميت باسم القبيلة ، وكان مقر نائبها بلدة أذرعات . هذا ومطلة جبال حوران هي جبل الدرر والحالي . ( ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٣٥٧ - ٣٥٨ ) . (Enc. Isl. Art. Hawran)

(٢) جمع بيدر ، وهو الموضع الذي تدرس فيه الغلال . ( محيط المحيط ) .

(٣) . كان معظم ذلك الجيش التتري مكونا من قنول الكتاب التي بقيت بعد وفاة من جالوت ، وقد جمعها القائد بيدرا من أطراف الشام والعراق ، وذلك بعد ذبوع خبر وفاة السلطان قطز . وزحف بيدرا بهذا الجيش أولا على البيرة ، وهزم القوة القليلة التي أرسلها لصدده الملك السعيد علاء الدين نائب حلب . وكانت تلك الهزيمة من أسباب ثورة المماليك العززية والناصرية على الملك السعيد . وتقدم التتري بعد ذلك الى حلب واحتلها ، بعد أن يادروا بالجلاد عنها الى حماة نائبها الجديد حسام الدين لاجين العززي ( انظر ص ٤٣٩ ، حاشية ٣ ) . ثم سار التتري الى حماة ، فتقهقر عنها الى حمص صاحبها الملك المنصور محمد ، والأمير حسام الدين لاجين العززي أيضا ، وقصد التتري بعد ذلك حمص ، وانفقوا قبل وصولهم اليها بجيوش صاحب حمص وحاماته كما بالمتن . ( D' Ohsson : Op. Cit. III. pp. 358 et seq. )

(٤) بنير ضبط في س ، وهي في نصف الطريق بين حماة وحمص . ( ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٧٧٨ ) .



وفي يوم الاثنين سابع صفر ركب الملك القاهرة [بيبرس] من قلعة الجبل بشعار السلطنة<sup>(١)</sup> إلى خارج القاهرة، ودخل من باب النصر. فترجل الأمراء والعسكر ومشوا بين يديه إلى

(١) المقصود بشعار السلطنة أنواع ملابس ولأدوات وترتيب، أي كان السلطان يظهرها في المواكب الخفية، مثل موكب السلطنة وموكب ركوب كسر الخيل حردود، بين وموكب صلاة العبد، ومن هذه الملابس ولأدوات، زمن الدولتين الأيوبية والموكبة بمصر، وذلك حسب ج. في خنفسى (ص ٧-٨)، "العاشية وهي عصابة مخرج من أديم مخروقة، ذهب، يتخذ الطر جميعها مصنوعة من الذهب، تحمل بين يديه [أي السلطان] عند الركوب في المواكب الخفية، كالزبدن ولأعياد ونحوها، يحملها [أحد] الركاب دارية رافعاها على يديه بطنها يمينا وشمالا، وهي من حوص هذه السكة. ومنها الخفة ويعبر عنها بالخر، ... وهي قبة من حرير أصفر مزركش بالذهب، على أركانها سائر من فضة (ص ٩) مصانة بالذهب، تحمل على رأسه في العبدن، وهي من بقايا المدونة العاطية ... ومنها الرقة وهي رقة من أصل أصفر مزركش بالذهب، بحيث لا يرى الأسفل لراكب ذهب عليها، [و] تحمل على رقة الفرس في العبدن والبيادين، من تحت ردى الفرس إلى نهاية عرقه، وهي من حواص هذه السكة. ومنها الخفة وهما اثنتان من أوشة قبة لمطلة فريش في السن، عليهما قبا، من صفران من حرير بطراز من زركش، وعلى رأسهما قبضان من زركش، وتحتهم فرسان أشبه برفين وسدة بطير ما السلطان راكب به، كأنهما معدان لأن يركبهما، [و] يركبان أمامه في أوقات مخصوصة كركوب القبة الزكرة في الميدان الكبير ونحو ذلك، وهما من حواص هذه السكة. ومن الأعلام وهي عدة رايات، منها راية عظيمة من حرير أصفر مفرزة بالذهب عليها القبة السلطان واسمها مصانة، وراية عظيمة في رأسها حصاة من شعر تسمى الجاليس، ورايات صغر تسمى السناجق ...".

وبلاحظ مما تقدم أنه كان لكل موكب ترتيب معين، وإن بعض ما كان يستخدم من لأدوات في العبدن غير موجود في بعض المواكب الأخرى. فخر خنفسى (فلس المربع والجزء، ص ٤٤ - ٤٩). هذا ويوجه بالخريزي (المواعظ والاعتبار، ج ٢، ص ٢٠٩) وصف لموكب السلطنة، وهو أن كان غير شامل للمواكب السلطنة في سائر الدولتين الأيوبية والموكبة بمصر. وأنه يعني فكرة لما كان عليه ترتيب تلك المواكب في زمن معين، ونصه: "وكانت عادة أيضا أنه إذا ولي أحد المملكة من أولاد الملك أو من غيره من فلاحين، فإنه عهد ولايته يحضر الأمراء إلى داره بالقلعة، وتقدس فيه الخلفة الخليفة الأسود... ومن تحتها فرجة حمران... وعلامة سوداء مدورة... ويقطع بالسيف العربي المذهب، ويركب فرس ثوبه، ويسير الأمراء بين يديه والعاشية قدامة، وبخاويشية تصيح والشبابية السلطانية ينفج بها والظفر دارية حواصه، إلى أن يعبر من باب الحارس إلى درج... الإيوان [المعروف بدار العدل]... فينزل عن الفرس ويصعد إلى تحت مجلس حبه. ويتقبل الأمراء الأرض بين يديه. ثم يقدمون إليه ويقبلون يده عن قدر رتبهم، ثم [يؤدى ذلك] مقدموا الخلفة. وإذا فرغوا حصر الخفة والعاشية، ففداس انتشار يف على الخلفة ويجلس مع السلطان على النعت، ويقطع السلطان المملكة بحضور القضاة والأمراء، ويشهد عليه بذلك، ثم ينصرف ونعمه القضاة. فيمد يده للأمراء، وإذا انقضى أكلهم قدم السلطان ودخل المقصورة، وانصرف الأمراء".

(٢) في من "ميرجل" ...



باب زويلة ، ( ١١١٣ ) ثم ركبوا إلى القلعة . وقد زينت القاهرة ، وثرت الدنانير والدرهم على السلطان ، وخلع على الأمراء والمقدمين وسائر أرباب الدولة . وكان هذا أول ركوبه ، ومن حينئذ تابع الركوب إلى اللعب بالأكرة<sup>(١)</sup> . وكتب إلى ملوك الغرب واليمن والشام والنفور بقيامه في سلطنة مصر والشام .

وفيها بعث [ السلطان ] الملك الظاهر [ بيبرس ] الأمير جمال الدين المحمدي إلى دمشق ، ومعه مائة ألف درهم وحوائن وخلع بالنقود دينار عينا ، ليستميل الناس على المجاهد منجر . فقدم دمشق ثالث صفر وتعمل ما أمر به ، فأجابه الأمراء القيمرية وخرجوا عن دمشق : ومعهم الأمير علاء الدين إيدكين البندقدار الصالحى ، والأمير بهاء الدين بُغْدِي الأشرقى ، والأمير قرا سنقر الوزيرى ، وعدة من الأمراء . ونادوا باسم الملك الظاهر بيبرس ، فارتجت دمشق .

وبعث المجاهد [ منجر ] إليهم بعسكر فانهزم ، فخرج بنفسه وحمل بأصحابه ، ففروا عنه ثم عادوا عليه ، فخرج وقتل عدة من جماعته ، والتجأ [ هو ] إلى القلعة فامتنع بها في يوم

(١) الأكرة تُعب في الكرة (محيط المحيط) ، والمراد بلعب الأكرة اللعبة المعروفة الآن باسم ( polo ) ، وقد تقدمت الإشارة إلى ذلك في ص ٤٣٥ ، حاشية ١ . هذا ويوجد في القلشندي (صبح الأمتى ، ج ٤ ، ص ٤٧) وصف هيئة ركوب السلطان للعب الكرة بالميدان الأكبر زمن الأيوبيين والمماليك بمصر ، ونصه : " عادة أن يركب لذلك بعد وفاة النيل ثلاث مرات متوالية في كل سبت ، [ و ] ينزل من قصره أول النهار من باب الإصطبل وهو راكب على الهيئة المذكورة في العبد (انظر نفس المرجع والجزء ، ص ٤٦) ، ماعدا الجوق فانه لا يعمل على رأسه . وتعمل العاشية أمامه في أول الطريق وآخره ، ويصير إلى الميدان فينزل في قصره ، وينزل الأمراء ماظم على قدر طبقاتهم . ثم يركب شعب الكرة بعد صلاة الظهر والأمراء معه ، ثم ينزل فيستريح ، وينتظر الأمراء في لعب الكرة إلى أذان العصر ، فيصلى العصر ويركب على الهيئة التي كان عليها في أول النهار ، ويطلع إلى قصره " . أما الميدان الأكبر فهو الميدان السلطاني ، الذي بناه الملك الصالح نجم الدين أيوب بخط باب اللوق . (انظر ص ٣٤١ ، سطر ١٧ ؛ القلشندي : نفس المرجع : ج ٣ ، ص ٣٧٨) .

(٢) في ص " البندقدارى " .

(٣) في ص " بدي " ، وبغير ضبط . انظر (Zetterstéen: Op. Cit. P. 24) . ويرد هذا الاسم كثيرا بالصفحات التالية في ص ، على هذا الرسم الناقص أو ما يشبهه ، ويصلح إلى الصيغة المثبوتة هنا بغير تعليق .



السبت حادى عشر صفر . فدخل الأمير إيدكين البندقدار — أستاذ الملك الظاهر — إلى المدينة وملكها ، وحلف الناس للملك الظاهر وقام بأمرها . وخاف المجاهد على نفسه ففر من قلعة دمشق إلى بعلبك ، فأرسل إليه الأمير إيدكين وأحضره محتفظا به . فلما بلغ الملك الظاهر [بيبرس] ذلك قرر الأمير علاء الدين طبرس الحاج الوزيرى فى القلعة، وجعل إليه التحدث فى الأموال ، واستدعى الأمير سنجر الحلبي ، وأقام إيدكين مدة شهر فى نيابة دمشق ، ثم صرفه عنها بالأمير طبرس الوزيرى . وسار الأمير سنجر مع الأمير بدر الدين بن رحال<sup>(٢)</sup> ، وأحضر فى سادس عشر صفر وهو مقيّد إلى مصر . فندب الملك الظاهر إلى لقائه الأمير بيسرى ، وأدخله ليلا من باب القرافة على خفية واعتقله بالقلعة ، من غير أن يعلم به أحد من الناس .

- ١٠ وفيها جهز الملك الظاهر [بيبرس] الأموال والأصناف صحبة الأمير علم الدين الينمورى لعمارة الحرم النبوى بالمدينة ، وبعث الصناع والآلات لعمارة قبة الصخرة بالقدس<sup>(٣)</sup> ، وكانت قد وهت . وأخرج ما كان فى إقطاعات الأمراء من أوقاف الخليل عليه السلام<sup>(٤)</sup> ، ووقف عليه قرية تعرف بأذنا<sup>(٥)</sup> . ورسم للأمير جمال الدين بن يغمور بعمارة ما تهدم من قلعة الروضة، فرم ما فسد منها ورتب بها الجندارية وأعاد لها حرمتها، وفرق أبراجها على الأمراء :  
وهم الأمير قلاون ، والأمير عز الدين الحلى ، والأمير عز الدين أوغان ، والأمير بيسرى ،

(١) كذا فى س ، وقد ورد فى ب (١٣٧ ب) "اسادار" ، وترجمه فى (Quatremère : Op. Cit. I. l. p. 139) إلى (Majordome) .

(٢) كذا فى س بغير ضبط ، وهو مترجم فى (Ibid : Op. Cit. I. l. p. 139) إلى (Radjal) ، اعتدّا على الرّمم الوارد فى ب (١٣٧ ب) .

(٣) الخليل اسم لبلدة فلسطين بها قبر سيدنا الخليل إبراهيم ، واسمها الأصل حبرون ، وهى بقرب بيت المقدس . (بأقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٤٦٨) .

(٤) فوق هذه الكلمة بالمتن فى س ، إشارة إلى هامش ذهب كل الفاظه سوى الأخير منها ، وهو لفظ "وقوف" .

(٥) فى س "أذنا" بغير ضبط ، وليس فى المراجع المتعارفة فى هذه الحواشى ما يدل على قرية فلسطين بهذا الاسم .



وغيرهم - لكل أمير منهم برج . وأمرهم أن تكون إصطبلاتهم وبيوتهم فيها ، وسلمهم  
مفاتيح القلعة . وأمر بعمارة القناطر بجمهر شبرامنت<sup>(١)</sup> من الجزيرة ، لكثرة ما كان يشرق من  
الأراضي في كل سنة (١١٣ ب) ، فانتفعت البلاد بهذه القناطر . وأمر بعمارة أسوار الإسكندرية ،  
ورتب لذلك حملة من المال في كل شهر . وبني بئر رشيد مرقبا لكشف البحر . وأمر  
بردم فم بحر دمياط ، فخرج جماعة الحجارين والتوا فيه القراييص<sup>(٢)</sup> . حتى يضيق وتمنع السفن  
البحار من دخوله ، واستقر ذلك إلى اليوم .

وأمر [السلطان] بإخراج الأمير سيف الدين الرشيدى إلى بئر أشموم ، فتوجه إليه وأحضر  
الولاية وحفر هذا البحر ، وأزال منه ما ترقى به من الأطنان ، وغرق عدة مراكب حتى ردت إليه  
الماء . وأمر بعمارة ما تحربه التتر من قلاع الشام : وهي قلعة دمشق ، وقلعة الصلح ،  
وقلعة عجلون ، وقلعة صرخد ، وقلعة بصرى ، وقلعة بعلبك ، وقلعة شيزر ، وقلعة الصبيبة ،  
وقلعة شيميش<sup>(٣)</sup> ، وقلعة حمص . فعمرت كلها ونظفت خنادقها ، ووسعت أبراجها وشحنت  
بالعدد ، وجرى إليها المال والجناد . وخرنت بها الغلات والأزواد . وحملت غلال كثيرة  
إلى دمشق ، وفرقت في البلاد لتصير تقاوى الفلاحين . ورتب [السلطان] بدمشق دار العدل ،  
وبني مشهدا في عين جالوت عرف بمشهد النصر .

ورتب [السلطان] البريد<sup>(٤)</sup> في سائر الطرقات ، حتى صار الخبر يصل من قلعة الجبل إلى  
دمشق في أربعة أيام ويعود في مثلها . فصارت أخبار الممالك ترد إليه في كل جمعة  
مرتين ، ويتحكم في سائر الممالك من العزل والولاية وهو مقيم بقلعة الجبل ، وأنفق في ذلك  
١٠٠ (أ) في س "شيميش" بغير ضبط . انظر (Quatremère : Op. Cit. I. I. p. 140. N. 9) . وهي  
قرية من مديرية الجزيرة ، تعرف أيضا باسم شبرامنت وبني يوسف ، وتقع في شمال بوضير ، وبقيلها بجرم من عند من  
البلد إلى الجبل . (مبارك : المخطط التوفيقية ، ج ١٢ ، ص ١٣٤ - ١٣٥) .

(٢) القراييص هي الحجارة ، ومفرد ما قرباص ، ويظهر أن أصل اللفظ يوناني (Dozy : Suppl. Dief. Ar.)

(٣) بغير ضبط في س ، وهي إحدى بلاد كورة حمص . (Lo Strange : Palest. Under Moslems. p. 42) .

(٤) فباله هذا اللفظ في بهامش الصفحة في س كلمة "البريد" ، بخط يشبه خط المتن .



- مالا عظيما حتى تم ترتيبه . ونظر في أمر الشواني الحربية ، وكان قد أهمل أمر الأسطول بمصر وأخذ الأمراء رجاله واستعملوهم في الحراريق وغيرها ، فأعادهم إلى ما كانوا عليه في أيام الملك الصالح نجم الدين ايوب . وأنشأ عدة شواني بنفري دمياط والإسكندرية . ونزل بنفسه إلى [دار] الصناعة ورتب ما يجب ترتيبه ، وتكامل عنده بيت مصر ما ينيف على أربعين قطعة وعدة كثيرة من الحراريق والطرائد ونحوها .
- فلما كان ذات يوم حضر إليه رجل من أجناد الأمير الصيقل<sup>(١)</sup> ، وأخبره أن أستاذه فرق مالا على جماعة من المعزية وقرر معهم قتل السلطان : منهم الأمير علم الدين الغنمى ، والأمير بهادر المعزى ، والأمير شجاع الدين بكتوت ، فقبض على الجميع في ثامن ربيع الأول .
- [ و ] فيها قبض على صاحب زين الدين يعقوب بن الزبير ، وعوق في قاعة الوزارة ؛ فشفع فيه الأمير سيف الدين أنس ، فخلع عليه في يومه . ولم يقم سوى أيام وقبض السلطان على الأمير أنس ، فقبض على صاحب زين الدين [بن الزبير] في صنيحة مسكه . ثم طلب قاضى القضاة تاج الدين عبد الوهاب ليل الوزارة فأبى ، وأقام الأمير فارس الدين أنابك يراوده زمانا وهو لا يقبل ، ثم نزل إلى داره . فطلب [السلطان] بهاء الدين على بن سديد الدين محمد بن سليم بن حنا ، فولى الوزارة ، (١١١٤) وفوض إليه تدبير المملكة وأمور الدولة بأسرها ، وخلع عليه . فركب معه جميع الأعيان والأكابر ، وعدة من الأمراء منهم الأمير متيف الدين بلبان الرومى الدوادار .
- وورد الخبر من عكا أن سبع جزائر من جزائر الفرنج في البحر خسف بها وبأهلها ، بعد ما نزل عليهم دم عشرة أيام ، فهلك بها خلق كثير ، وصار أهل عكا في خوف واستغفار وبكاء . وجهز السلطان الأمير بدر الدين بيليك الأيدمرى في جماعة ، ولم يعرف مقصده في ذلك أحد من جرده ولا غيرهم ، فساروا إلى الشوبك وتسلموها من نواب الملك المغيث فتح الدين عمر في سادس عشر ربيع الآخر . واستقر في نيابتها الأمير سيف الدين بلبان المختصى<sup>(٢)</sup>

(١) في من "الغنى" ، وقد ترجم (Quatremère : Op. cit. I. p. 114) هذا الأمر إلى (Saikal) .

(٢) كذا في من بنير ضبط ، وقد ترجم (Ibid. : Op. Cit. I. l. p. 145) هذا اللفظ إلى (Mokhtassi) .



واستخدم فيها النقباء والجنادرة ، وأفرد بنخاص القلعة ما كان في الأيام الصالحة . وفيه قبض على الأمير بهاء الدين بندقى<sup>(١)</sup> ، وحبس بقلعة الجبل حتى مات .

وفي يوم الثلاثاء عاشر جمادى الأولى قُوض قضاء القضاة بديار مصر للقاضى تاج الدين عبد الوهاب ابن القاضى الأعز خلف ، المعروف بابن بنت الأعز ، عوضا عن بدر الدين السنجارى ، بعد عدة شروط اشترطها على السلطان أغلظ فيها . وقصد [القاضى تاج الدين] بكثرة الشروط أن يعفى من ولاية القضاء ، فأجاب السلطان الى قبول ما اشترط عليه رغبة فيه وثقة به ، وصلى بالسلطان صلاة الظهر وحكم بعد ذلك . وقبض السلطان على البدر السنجارى وعوقبه عشرة أيام ، ثم أفرج عنه .

وفيها مار الأمير أبو القاسم أحمد ابن الخليفة الظاهر أبى نصر محمد بن الناصر لدين الله أحمد بن المستضى بالله العباسى — الذى يقال له الزرأتينى<sup>(٢)</sup> لقب لقيه به العامة — ، مع جماعة من العرب بنى مهنا ، يريد دمشق . وكان قد فر من بغداد لما قتل هولاكو الخليفة المستعصم بالله ، ونزل عند عرب العراق فى هذه المدة ، ثم أراد أن يلحق بالملك الظاهر [بيبرس] بمصر . فوردت مكتبة الأمير علاء الدين أيدكين البندقدار ، والأمير علاء الدين طبرمس الوزيرى نائب دمشق : ”بأنه ورد الى القوطة رجل ادعى أنه أبو القاسم أحمد الأئمر ابن الإمام الظاهر بن الإمام الناصر ، وهو عم المستعصم وأخو المستنصر ، ومعه جماعة من عرب خفاجة فى قريب الخمسين فارسا ، وأن الأمير سيف الدين قلعج البغدادى عرف أمراء العرب المذكورين ، وقال بهؤلاء يحصل المقصود “ . فكتب [السلطان] الى النواب بالقيام فى خدمته وتعظيم حرمة ، وأن يسير معه حجاب من دمشق ، (١١٤ ب) فسار من دمشق بأوفر حرمة الى جهة مصر . فخرج السلطان من قلعة الجبل يوم الخميس تاسع شهر رجب

(١) كذا فى م ، وقد صحح (Blochet) ، نشر ابن أبى الفعائل (كتاب السجديد ، ص ٧٩) ، هذا الاسم الى بندقى ، وترجمه (Yaghoudai) . انظر ص ٤٤٤ ، حاشية ٣ .

(٢) كذا فى م بغير ضبط ، وقد ترجم (Quatremère : Op. Cit. I. l. p. 146) هذا اللفظ الى (Zerâtini) . ويوجد أيضا فى ابن تفسرى بردى (النجوم الزاهرة ، ج ٦ ، ص ٧٧٧) شخص اسمه شمس الدين محمد الزرأتينى ، قلعل هذه النسبة واجعة الى بلد بهذا الاسم .



الى لقائه، ومعه الوزير صاحب بهاء الدين بن حنا، وقاضى القضاة ناج الدين بن بنت الأعز، وسائر الأمراء وجميع العسكر، وجمهور أعيان القاهرة ومصر، ومعظم الناس من اليهود والمؤذنين . وخرجت اليهود بالتوراة، والنصارى بالإنجيل . فسار [السلطان] به إلى باب النصر، ودخل إلى القاهرة وقد لبس شعار العباسى، وخرج الناس إلى رؤيته، وكان من أعظم أيام القاهرة . وشق القصبة الى باب زويلة، وصعد قلعة الجبل وهو راكب، فانزل في مكان جليل قد هي له بها، وبالغ السلطان في إكرامه وإقامة ناموسه .

فلما كانت يوم الاثنين ثالث عشره حضر قاضى القضاة ونواب الحكم، وعلماء البلد وقتهاؤها وأكابر المشايخ وأعيان الصوفية، والأمراء ومقدمو العساكر، والتجار ووجوه الناس، وحضر [أيضا] الشيخ عز الدين بن عبد السلام<sup>(١)</sup> . فتلوا كلهم بحضرة الأمير أحمد، وجلس السلطان متادبا معه بغير كرسى ولا طراحة ولا مسند . وشهد العربان وخادم من البناددة بأن الأمير أحمد هو ابن الإمام الظاهر أمير المؤمنين ابن الإمام الناصر أمير المؤمنين، وشهد بالاستفاضة القاضى جمال الدين يحيى بن عبد المنعم بن حسن المعروف بالجمال يحيى نائب الحكم بمصر، والفقيه علم الدين محمد بن الحسين بن عيسى بن عبد الله بن رشيق، والقاضى صدر الدين موهوب الجزرى، ونجيب الدين الحترانى، وسديد الدين عثمان بن

(١) فوق هذا اللفظ، بين مطور المتن، ثلاثة ألقاظ بخط دقيق تمذرت قراءتها .

(٢) يوجد بالملقشتى (صبح الأعشى، ج ٤، ص ٦ - ٧) وصف لأنواع المقاعد الذى يجلس عليها السلطان في أوقات مختلفة، زمن الدولتين الأيوبية والملوكية بمصر، ونصه: "مرير الملك، ويقال له تحت الملك... وهو منبر من رحام يصدر إيوان السلطان الذى يجلس فيه، وهو على هيئة منابر (ص ٧) الجوامع... لا انه مسند الى الخائط، وهذا المنبر يجلس عليه السلطان في يوم مهم كقدوم رسل طلبة ونحو ذلك، وفي سائر الأيام يجلس على كرسى من خشب مفتى بالحريز، إذا أرنى رجليه كادنا أن تلحق الأرض . وفي داخل قصوره يجلس على كرسى صغير من حديد، يحمل معه الى حيث يجلس" .

(٣) الطراحة - وجمعها طرايح - مرتبة يفرشها السلطان إذا جلس . انظر (Dozy : Suppl. Dict. Ar.)

ابن واصل : قس المرجع، ص ٣٧١ (١) .

(٤) في ص "عجب" . انظر (Quatremère: Op. Cit. I. 1. P. 148)، حيث ترجم هذا الاسم إلى

(Mouhibb) .



عبد الكريم بن أحمد بن خليفة، [و] أبو عمرو بن أبي محمد الصنهاجي الترميني<sup>(١)</sup>، أنه أحمد بن الإمام الظاهر بن الإمام الناصر . فقبل قاضي القضاة تاج الدين شهادات القوم، وأقبل على نفسه بالثبوت ، وهو قائم على قدميه في ذلك المحفل العظيم حتى تم الإقبال والحكم .

فلما تم ذلك كان أول من بايعه القاضي تاج الدين ، ثم بعده قام السلطان وبايع أمير المؤمنين المستنصر بالله أبا القاسم أحمد بن الإمام الظاهر ، على العمل بكتاب الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله ، وأخذ أموال الله بحقتها وصرفها في مستحقها . ثم بايعه بعد السلطان الشيخ عز الدين بن عبد السلام ، ثم الأمراء وكبار الدولة<sup>(٢)</sup> . فلما تمت البيعة قلد الإمام المستنصر [بالله] السلطان الملك الظاهر البلاد الإسلامية وما ينضاف إليها ، وما سيفتحه الله على يديه من بلاد الكفار . ثم قام الناس فبايعوا الخليفة المستنصر [بالله] على اختلاف طبقاتهم . وكتب في الوقت إلى الملوك والنواب بسائر أملاك أن يأخذوا البيعة على من قبلهم للخليفة المستنصر بالله أبي القاسم أحمد بن الإمام الظاهر ، وأن يدعى له (١١١٥) على المنابر ثم يدعى للسلطان بعده ، [وأن] تنقش السكة باسمهما .

(١) بغير ضبط في س ، والنسبة إلى قرية ترمت التابعة لعمل الهنسي بصعيد مصر ، ونقع على غربي النيل . (بأقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٨٤٨) .  
(٢) يفهم من عبارة أبي القسداء ( المختصر في أخبار البشر ، ص ١٤٧ ، في Rec. Hist. Or. I. ) في هذا العدد ، أنه كان شاكا في نسبة الخليفة الجديد إلى العباسيين ، وهذا نصها : " وفي هذه السنة في رجب قدم إلى مصر جماعة من العرب ، ومعهم شخص أسود اللون اسمه أحمد ، وزعموا أنه ابن الإمام الظاهر بالله ابن الإمام الناصر ، وأنه خرج من دار الخلافة ببغداد لما ملكها التت . فعقد الملك الظاهر بيبرس مجلسا حضر فيه جماعة من الأكابر ... ، فشهد أولئك العرب أن شخص الله كور هو ابن محمد بن محمد بن الإمام الناصر ، فيكون عم المستنصر وأقام القاضي [ابن بنت الأعرس] جماعة من اليهود ... ، فثبت ... نسب أحمد ... بكور ، والقبيل المستنصر بالله أبا القاسم ... وبايعه الملك والناس بالخلافة . وأقام الملك الظاهر بأمره ، وعمل له الدعايز والجدارية وآلات الخلافة ، واستخدم له عسكرا ، وغرم على تجهيزه جملا طائلة ، قبل أن مقدار ما غرمه عليه كان ألف ألف دينار ... وبرز الملك الظاهر والخليفة الأسود ... ونوحها أن دمشق ... " . انظر أيضا ابن أبي مصائل ( كتاب نهج السديد ، ص ١٠٥ ) ، حيث سمى هذا الخليفة باسم " المستنصر بالله الأسود " .



فلما كان يوم الجمعة سابع عشره خطب الخليفة المستنصر بالله في جامع القلعة ، فاستفتح بقراءة صدر سورة الأنعام ، ثم صلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، وترضى عن الصعابة وذكر شرف بنى العباس ، ودعا لملك الظاهر ، وقضى الخطبة ، فاستحسن الناس ذلك منه . واهتم السلطان بأمره ، ونثر عليه جملا مستكثرة من الذهب والفضة . فلما شرع في الخطبة ثلثا فيها ، ثم نزل بعد تمامها وصلى بالناس الجمعة<sup>(١)</sup> .

وكان منصب الخلافة شاغرا ثلاث سنين ونصف<sup>(٢)</sup> [سنة] . منذ قتل الخليفة المستنصر في صفر سنة ست وخمسين ، فكان الخليفة المستنصر بالله هو الثامن والثلاثون من خلفاء بنى العباس ، وبينه وبين العباس أربعة وعشرون أباً . وكان أسمر اللون ومسياً ، شديد القوى على المهمة ، له شجاعة وإقدام . وانفق له مالم يتفق لغيره . وهو أنه لقب بالمستنصر لقب أخيه باني المدرسة [المستنصرية] ببغداد ، ولم يقع لغيره أن خليفة لقب بلقب أخيه سواه .

وفي يوم الأحد تاسع عشره ركب الخليفة والسلطان من قلعة الجبل إلى مدينة مصر ، وركبا في الحراريق وسارا في النيل إلى قلعة الجزيرة ، وجلسا فيها . وأحضرت الشوانى الحربية ، فلبت في النيل على هيئة محاربتها العدو في البحر . ثم رجا إلى البر وسارا إلى قلعة الجبل ، وقد نرج الناس لمشاهدتهما ، فكان من الأيام المشهودة<sup>(٣)</sup> .

وفيه قلد السلطان الأمير علم الدين سنجر الحلبي — [الذى تار قبلا] بدمشق — نيابة حلب ، وجهاز معه أمراء لكل منهم وظيفة : وهم الأمير شرف الدين قيران الفخري أستاذ دار ، والأمير

(١) الفقرة التالية واردة يها من الصفحة في س ، وقد أشار المقرئ إلى مكانها المناسب من المتن ، على أنها غير واردة في ب (١١٤٠) ، أو في ترجمة (Quatremère : Op. Cit. I. 1. p. 149) .

(٢) في س "وصفا" .

(٣) مقرونة بـ ، حتى نهاية سطر ٤ بالصفحة التالية . غير واردة في ترجمة (Quatremère : Op. Cit. I. 1. p. 149) .

(٤) على أنها موجودة في ب (١١٤٠) .

(٤) في س "علم الدين سنجر الحلبي التار بدمشق" ، وكان السلطان بيرس قد عفا عن هذا الأمير قبل ذلك بمدة . (ابن أبي الفضائل : كتاب التهج السديد ، ص ٧٨) .



بدر الدين جماق أمير جاندار ، والأمير علاء الدين أيدكين الشهابي شاد الدواوين . وسار [ الأمير علم الدين ] من القاهرة كما تسافر الملوك ، فدخل حلب في ثالث شعبان ، فحضر إليه جماعة من العزيزية والناصرية وسألوا الأمان — وكانت العزيزية والناصرية قد اختلفوا وخرجوا إلى الساحل ، فاقطعهم السلطان إقطاعات ، وأحضر منهم عدة إلى مصر .

وفي يوم الاثنين رابع شعبان ركب السلطان إلى خيمة ضربت له في البستان الكبير خارج القاهرة ، ومعه أهل الدولة . ومُحِلَّت الخلع صحبة الأمير مظهر الدين وشاح الخفاجي ، وخادم الخليفة المستنصر بالله . فدخل السلطان إلى خيمة أخرى ، وأفيضت عليه الخلع الخليفية وخرج بها : وهي عمامة سوداء مذهبة مزركشة ، ودُرَاعَةٌ <sup>(٢)</sup> بنفسجية اللون ، وطوق ذهب ، وقيد من ذهب عُمل في رجله ، وعدة سيوف تقلد منها واحدا — ومُحِلَّت البقية خلفه ، ولواءان منشوران على رأسه ، وسهمان كبيران وترس . فقدم له فرس أشهب ، في عنقه <sup>(٣)</sup> مشدَّة سوداء وعليه كنبوش أسود . وطلب الأمراء واحدا بعد واحد وخلع عليهم ، وخلع على

(١) كذا في م .

(٢) الدراعة جبة مشقوقة المقدم ، ولا تكون إلا من صوف ، والجمع دراريع . (محيط المحيط) . والدراعة أيضا صدرية تلبسها البناات . (Dozy: Supp. Dict. Ar.) .

(٣) في م "وعمل مد من ذهب في رجله" ، وقد غير ترتيب الجملة للانجاء مع أسلوب بقية العبارة .

(٤) ترجم (Dozy: Supp. Dict. Ar.) هذا اللفظ إلى (écharpe au cou d'un cheval) ، وعلى هذا تكون المشدَّة مرادة للفظ "الرقبة" المذكورة في القلشندي (صبح الأعشى : ج ٤ ، ص ٨) ، في باب رسوم الملك وآلانه . (انظر ص ٤٤٣ ، حاشية ١) . هذا وفي محيط المحيط أن الشد عند العامة شال من الحرير يعم به أو ينطق ، والمشد طاق شد المرأة به نفسها . أما كون المشدَّة ها — أو الرقبة — سوداء فراجع إلى رغبة السلطان بيرس في إحياء شعار العباسيين وهو السواد .

(٥) في م "كنفوش" بغير ضبط ، ولعل هذا مجاه ثان لكلمة كنبوش ، وهي البرذعة تجعل تحت مرج الفرس . (محيط المحيط) . وإنما يقابل هذه الكلمة في (Dozy: Supp. Dict. Ar.) اللفظ الفرنسي (housse) ، الذي من معانيه غاشية الفرس ، وقد تقدم شرحها . (انظر ص ٢١٤ ، حاشية ٥) . هذا والكنبوش — بفنح الكاف — الثام الذي يستعمله أهل بلاد المغرب لذهبية الوجه من الذنق إلى الخيشوم ، اتقاء لبرودة هواء الصباح ووطوبته . (Dozy: Supp. Dict. Ar.) .



قاضى القضاة تاج الدين، وعلى صاحب بهاء الدين، وعلى نحر الدين بن لقمان صاحب ديوان الإنشاء. ونُصب منبر، فصعد عليه ابن لقمان بعد ما جال بثوب حرير أطلس أصفر، وقرأ تقليد الخليفة للسلطان، وهو من إنشائه، ونصه بعد البسملة: "الحمد لله الذى (١١٥ ب) اصطفى الإسلام بملابس الشرف، وأظهر بهجة درره وكانت خافية بما استحکم عليها من الصدف، وشيد ما وهى من علائه حتى أنسى ذكر ما سلف، وقبض لنصره ملوكا اتفق على طاعتهم من اختلف. أحده على نعمه التى رعت الأعين منها فى الروض الأنف، والطفاه التى وقف الشكر عليها فليس له عنها منصرف. وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة توجب من المخاوف أمنا، وتسهل من الأمور ما كان حزنا. وأشهد أن محمدا عبده الذى جبر من الدين وهنا، ورسوله الذى أظهر من المكارم فنونا لا فنا، صلى الله عليه وعلى آله الذين أضحت مناقبهم باقية لا تنفى، وأصحابه الذين أحسنوا فى الدنيا فاستحقوا الزيادة من الحسنى".

"وبعد فإن أولى الأولياء بتقديم ذكره، وأحقهم أن يصبح القلم راكعا وساجدا فى تسطير مناقبه وبره، من سعى فأضحى بسعيه الحميد متقدما، ودعا الى طاعته فأجاب من كان مُنجدا ومُثمِما، وما بدت يد من المكرمات إلا كان لها زندا ومعصا، ولا استباح بسيفه حمى وغى إلا أضرمه نارا وأجراه دما. ولما كانت هذه المناقب الشريفة مختصة بالمقام العالى المولوى السلطانى الملكى الظاهرى الركنى شرفه الله وأعلاه، ذكره الديوان

(١) تقدمت الإشارة (ص ٣٥٧، حاشية ١) إلى بعض ما جاء فى الألقاب وأنواعها بالتحقيق (ص ٤٩١، ج ٥، وما بعدها؛ ج ٦، ص ٥٥، وما بعدها)، ومنه يتضح أن لفظ المقام كان من الألقاب الخاجة بالملك والسيادة، وأنه كان يستعمل فى المكاتبات السلطانية للكتابة عن السلطان تعظيما له عن النفوذ باسمه، فيقال المقام الأشرف أو المقام الشريف تعالى أو المقام العلى؛ وكان لفظ العلى فقط من الألقاب التى يشترك فيها أيضا أرباب السيوف والإفلام. أما لفظ المولى فمشتق من كلمة مولى، ويظهر أنه كان من الألقاب المنجبة، لأن المولى لفظ مشترك يقع فى اللغة من السيد وعن الملوك والعتيق. أما اللفظ فى عهد السلطان، وقد أدخلت عليه بابه النسب للبيعة، وكذلك الحال فى لفظ الملكى أيضا، على أن لفظ الملكى كان من الألقاب المشتركة بين الملك نفسه وأتباعه المنسوبين إليه، من الأمراء والوزراء ومن فى مناصبهم.



العزير النبوي الإمامي المستنصرى أعز الله سلطانته . تنويعها بشريف قدره ، واعترافا بصنعه  
الذى تنفذ العبارة المسبهة ولا تقوم بشكره . وكيف لا وقد أقام الدولة العباسية ، بعد أن  
أفقدتها زمانة الزمان . وأذهبت<sup>١٢</sup> ما كان من محاسن وإحسان . وأعتب دهرها المسمى لها  
فأعتب ، وأرضى عنها زمنها وقد كان صال عليها صولة مغضب . فأعاده لها سالما بعد أن  
كان عليها حربا ، وصرف إليها اهتمامه فرجع كل متضايق من أمورها واسعا رحبا ، ومنع  
أمير المؤمنين عند القدوم عليه حنوا وعظما ، وأظهر من الولاء رغبة في ثواب الله ما لا يخفى ،  
وأبدى من الاهتمام بأمر الشريعة والبيعة أمرا لو رامه غيره لامتنع عليه ، ولو تمسك بجعله  
متمسك لا تقطع به قبل الوصول إليه . لكن الله تعالى ادخر هذه الحسنة ليثقل بها ميزان  
ثوابه ، ويخفف بها يوم القيامة حسابه . والسعيد من خفف من حسابه . فهذه متقبة  
أبى الله إلا أن يغلدها في صحيفة صنعه ، ومكرمة قضت لهذا البيت الشريف بجمعه بعد أن  
(١١٦) حصل الإيأس من جمعه .

” وأمر المؤمنين يشكرك هذه الصنائع ، ويعترف أنه لولا اهتمامك لا تسع الخرق على  
الواقع . وقد قللك الديار المصرية والبلاد الشامية والديار بكرية والحجازية واليمنية والغمرانية ،  
وما يتجدد من الفتوحات غورا ونجدا . وفوض أمر جندها ورعاياها إليك حين أصبحت  
بالمكارم فردا ، ولا جعل منها بلدا من البلاد ولا حصنا من الحصون يستثنى ، ولا جهة من  
الجهات تعد في الأعلى ولا في الأدنى “ .

” فلاحظ أمور الأمة فقد أصبحت لها حاملا ، وخلّص نفسك من التبعات اليوم  
ففى غد تكون مسئولاً لا سالماً ، ودع الاغترار بأمر الدنيا فما نال أحد منها طائلا ،

(١) كان هذا اللفظ من القاب ديوان الخلافة خاصة ، فيقال الديوان العزير كما بالمتن هنا ، وقد جرى المصطلح  
على عدم إضافة ياء النسب إلى هذا اللفظ . (الفلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٦ ، ص ٢٠٠) .

(٢) كان لفظ الإمام من القاب الخلفاء أنفسهم ، على أنه كان يقع أيضا في القاب أكابر العلماء ، وقد تضاف  
إليه ياء النسبة أحيانا للبالغة . (الفلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٦ ، ص ٩) .

(٣) في ص ” واذهب “ .



وما رآها أحد بعين الحق إلا رآها خيالا زائلا . فأسعبد من قطع منها آماله الموصولة ، وقدم  
 لنفسه زاد التقوى فتقدمة غير التقوى مردودة لا مقبولة . وابسط يدك بالإحسان والعدل ،  
 فقد أمر الله بالعدل وحث على الإحسان ، وكرر ذكره في مواضع من القرآن ، وكفر به عن  
 المرء ذنوبا كتبت عليه وآثاما ، وجعل يوما واحدا منها كعبادة العابد مستين عاما . وما سلك  
 أحد سبيل العدل إلا واجتنب ثماره من أمان . ورجع الأمر به بعد بُعد تداعي أركانه  
 وهو مشيد الأركان ، وتحصن به من حوادث زمانه والسعيد من تحصن من حوادث الزمان ،  
 وكانت أيامه في الأيام أبهى من الأعياد ، وأحسن في العيون من العرر في أوجه الجياد ، وأحلى  
 من العقود إذا حل بها عاطل الأجياد ” .

” وهذه الأقاليم المنوطة بك تحتاج إلى نواب وحكام ، وأصحاب رأى من أصحاب  
 السيوف والأقلام . فإذا استعنت بأحد منهم في أمورك فنقب عليه تنقيا ، واجعل عليه  
 في تصرفاته رقيا . وسل عن أحواله ففى يوم القيامة تكون عنه مسئولا وبما أجرم مطلوبا ،  
 ولا تول منهم إلا من تكون مساعيه حسنات لك لا ذنوبا . وأمرهم بالإنفاذ في الأمور والرفق ،  
 ومخالفة الهوى إذا ظهرت أدلة الحق ، وأن يقابلوا الضعفاء في حوائجهم بالنفخ الباسم والوجه  
 الطلق ، ولا يعاملوا أحدا على الإحسان والإساءة إلا بما يستحق . وأن يكونوا لمن تحت أيديهم  
 من الرعايا إخوانا . وأن يوسعهم برا وإحسانا . وألا يستحلوا حرماهم ( ١١٦ ب ) إذا استحل  
 الزمان لهم حرمانا ، فالمسلم أخو المسلم ولو كان أميرا عليه وسلطانا . والسعيد من نسج ولاته  
 في الخير على منواله ، واستنوا بسنته في تصرفاته وأحواله ، وتحملوا عنه ما تعجز قدرته  
 عن حمل أنقاله ” .

” ومما يؤمرون به أن يُنقى ما أحدث من سبي السن . وجند من المظالم التي هي من أعظم  
 النجس ، وأن يشتري بإعطائها المحامد فإن المحامد وخيصة بأعلى ثمن . ومهما جبي منها من الأموال  
 فوئما هي باقية في الذمم حاصلة ، وأجباد الخزائن وإن أفضحت بها حالية فإنما هي على الحقيقة منها

(١) ضمير الملامها قائم على المظالم .



عاطلة. وهل أشقى ممن احتجب إثما، واكتسب بالمساعي الذميمة ذمًا، وجعل السواد الأعظم له يوم القيامة خصما، وتحمل ظلم الناس فيما صدر عنه من أعماله وقد خاب من حمل ظلما. وحقيق بالمقام الشريف المولوى السلطانى الملكى الظاهرى الركنى أن تكون ظلمات الأثام مردودة بعذله، وعزائمه تخفف ثقلها لا طاقة لهم بحمله. فقد أضفى على الإحسان قادرا، وصنعت له الأيام ما لم تصنعه لغيره ممن تقدم من الملوك وإن جاء آخره. فأحمد الله على أن وصل إلى جانبك إمام هدى أوجب لك منزلة التعظيم، ونبه الخلائق على ما خصك الله به من هذا الفضل العظيم. وهذه أمور يجب أن تلاحظ وترعى، وأن توالى عليها حمد الله فإن الحمد يجب عليها عقلا وشرعا، وقد تبين أنك صرت فى الأمور أصلا وصار غيرك فرعاً.

”ومما يجب أيضا تقديم ذكره أمر الجهاد الذى أضفى على الأمة فرضا، وهو العمل الذى يرجع به مسود الصغائف مبيضا. وقد وعد الله المجاهدين بالأجر العظيم، وأعد لهم عنده المقام الكريم، وخصهم بالجنة التى لا لغو فيها ولا تأثيم. وقد تقدمت لك فى الجهاد يد بيضاء أسرعت فى سواد الحساد، وعرفت منك عزيمة هى أمضى مما تجننه ضمائر الأنعام، وأشهى إلى القلوب من الأعياد. وبك صان الله حمى الإسلام من أن يتبدل، وبعزمك حفظ على المسلمين نظام هذه الدول، وسيفك أثر فى قلوب الكافرين قروحا لا تندمل، وبك يرجى أن يرجع مقر الخلافة إلى ما كان عليه فى الأيام الأولى. فأيقظ لنصرة الإسلام جفنا ما كان غافيا ولا هاجما، وكن فى مجاهدة أعداء الله إماما متبوعا لا تابعا، وأيد كلمة التوحيد فاستجد فى تأييدها إلا مطيعا سامعا“.

”ولا تخل الثغور من اهتمام بأمرها تبسم له (١١١٧) الثغور، واحتفال بيدل ما دبحى من ظلماتها بالنور. واجعل أمرها على الأمور مقدما، وشيد منها كل ما غادره العدو منهدما، فهذه حصون بها يحصل الانتفاع، وهى على العدو داعية افتراق لا اجتماع. وأولاها بالاهتمام

(١) كذا فى س، ولعلها أشرعت أو أشرقت أو أشرقت. وقد ترجم (Quatremère : Op. Cit. I.1.)

(P. 156) هذه العبارة ال كلها (faits éclatants, qui ont fait pâlir les envieux).



ما كان البحر له مجاورا، والعدو له ملتفتا ناظرا، لاهبيا ثغور الديار المصرية، فإن العدو وصل إليها رابحا وراح خاسرا، واستأصلهم الله فيها حتى ما أقال منهم طائرا".

"وكذلك أمر الأسطول<sup>(١)</sup> الذي تزجى<sup>(٢)</sup> خيله كالأهنة، وركائبه سابقة بغير سائق<sup>(٣)</sup> مستقلة. وهو أخو الجيش السلجاني: فإن ذاك غدت الرياح له حاملة، وهذا تكفلت بحمله المياه السائلة. وإذا لحظها جارية في البحر كانت كالأعلام، وإذا شبهها قال هذه ليل تطلع بالأيام".

"وقد سنى الله لك من السعادة كل مطلب، وأناك من أصالة الرأي الذي يريك المغيب؛ وبسط بعد القبح منك الأمل، ونشط بالسعادة ما كان من كسل؛ وهذاك إلى نتائج الحق وما زلت مهتديا إليها، وألزمك المرشد ولا تحتاج إلى تنبيه عليها. والله يمدك بأسباب نصره، ويوزعك شكر نعمه، فإن النعمة ستم بشكره".

١٠. ولما فرغ من قراءته، ركب السلطان بالخلعة والطوق الذهب والقييد الذهب، وكان الطالع برج السنبلة. وحمل التقليد الأمير جمال الدين النجيبى أستاذ السلطان، ثم حمله صاحب بهاء الدين وسار به بين يدي السلطان، وسائر الأمراء ومن دونهم مشاة سوى الوزير. ودخل [السلطان] من باب النصر وشق القاهرة، وقد زينت وبُسط أكثر الطريق بتياب فائحة مشى عليها فرس السلطان. وضع الخلق بالدعاء بخلود أيامه وإعزاز نصره وأن يُخلعها خلع الرضى، إلى أن خرج من باب زويلة وسار إلى القلعة، فكان يوما مشهودا تقصر الألسنة عن وصفه.

وشرع السلطان في تجهيز الخليفة للسفر، واستخدم له عساكر، وكتب للأمير سابق الدين

(١) تقدم ذكر كلمة أسطول أكثر من مرة، ولم ينه إلى أصلها أو أنواع استعمالها في كتب المؤلفين بالعربية. وأسطول لفظ يوناني الأمل، يطلق في العربية أحيانا على المراكب الحربية المجنعة، وأحيانا على مركب حربي واحد فقط؛ والأسطول هو المسمى الذى يعمل فى البحر، أما الذى ينظم فى ملك الجيوش البرية فهو الجندى. (Quatremère : Op. Cit. I. 1. p. 157 N. 33).

(٢) فى س "تزجى".

(٣) فى س "سابقه بغير سائق".



بوزبا أتابك العسكر الخليفة<sup>(٢)</sup> بألف فارس ، وجعل الطواشي بهاء الدين صندل الشراي<sup>(٣)</sup> الصالحى  
شراييا بنخمائة فارس ، والأمير ناصر الدين بن صيرم خازندارا بمائتى فارس ، والأمير الشريف  
نجم الدين جعفر أستاذارا بنخمائة فارس ، وسيف الدين بلبان الشمسى دوادارا<sup>(٦)</sup> (١١٧ ب)  
بنخمائة فارس ، والأمير فارس الدين أحمد بن أزدمر اليعمورى دوادارا<sup>(٧)</sup> أيضا ، والقاضى  
كمال الدين محمد بن عز الدين السنجارى وزيرا ، وشرف الدين أبا حامد كاتباً ، وأقام عدة من  
العربان أمراء . وحمل [ السلطان ] إلى الجميع الخزائن والسلاح وغيره من الصناجق  
والطبلخاناه ، وأنفق فيهم أموالا كثيرة . واشترى مائة مملوك بكارا وصغارا ، ورثبهم سلاح  
دارية وجامدارية ، وأعطى كلا منهم ثلاثة أرؤس من الخيل وجملا لعدته . ورثب  
سائر ما يحتاج إليه الخليفة : من صاحب ديوان وكاتب إنشاء ودواوين وأئمة ، وغللمان

(١) كذا فى س ، وقد تقدم ورود هذا الاسم (ص ٤٠٥ ، سطر ١١) على أنه "بوزنا" ، اعتمادا  
على رسم وروده فى ب (١١٢٦) . انظر ص ٤٠٥ ، حاشية ٣ . هذا وفى ابن أبي القضائل (كتاب النجديد ،  
ص ٨٣) ، أن اسم هذا الأمير ابورتا ، وهو فى ابن واصل (تقس المربع ، ص ١٣٩٥) "روما" ، بغير نقط  
الينة .

(٢) هذا اللفظ وارد بهامش الصفحة فى س ، بدون إشارة كالمعاد إلى موضعه المقصود ، وقد وضع هنا لمناصبه  
المسمى .

(٣) الغالب أن الشراي هو الذى يصنع الأشرطة والأدوية ، وأنه كان أحد رجال الشراب خاناه ، مثل  
الشريدار . انظر القلقشندي (صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٤٦٩) . ويقوى هذا القرض أن صانع الأدوية يسمى  
شرايى وشربانى فى (Dozy : Supp. Diet. Ar) ، وأنه يوجد بالمقرىزى (المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ١٦)  
مادة تسمى بجارة الشرايية ، وقد "عرفت بذلك لأنها كانت موضع سكن العلماء الشرايية" [ وهم ] إحدى طوائف  
العسكر ... . هذا وقد ترجم (Blochet) ، ناصر ابن أبي القضائل (كتاب النجديد ، ص ٨٣) هذا اللفظ  
إلى (échanson) ، ويقابل ذلك فى مصطلح دولة المسالك كلمة الساق (Dozy : Supp. Diet. Ar) .

(٤) فى س "خازندار" .

(٥) فى س "استادار" .

(٦ و ٧) فى س "دوادار" .

(٨) الكاتب فى العرف العام بالديار المصرية ، زمن الدولتين الأيوبية والمملوكية ، هو كاتب المال ومن فى معناه .

(القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٤٥٢) .



وجرائحية وحكمة<sup>(١)</sup>، وبيونات<sup>(٢)</sup>، وكلها كلها مما تحتاج إليه . ورتب الجنايب وخيول الإصطبلات ،  
 واستخدم الأجناد ، وعين نخاص الخليفة مائة فرس وعشر قُطْرُ بغال<sup>(٣)</sup> وعشر قُطْرُ جمال ،  
 وطشت خاناه وشراب خاناه وحوائج خاناه<sup>(٤)</sup>، وكتب لمن وفد معه من العراق تواقع ومناشير  
 بالإقطاعات .

- فلما تها ذلك كله برز الدهليز الخليفى والدهليز السلطاني إلى البركة ظاهر القاهرة ،  
 وركب الخليفة والسلطان من قلعة الجبل في السادسة من نهار الأربعاء تاسع عشر شهر رمضان ،  
 وسارا إلى البركة فتل كل منهما في دهليزه ، واستمرت النفقة في أجناد الخليفة . وفي يوم  
 عيد الفطر ركب السلطان مع الخليفة تحت المظلة ، وصليا صلاة العيد ، وحضر الخليفة  
 إلى خيمة السلطان بالمنزلة وألبسه سراويل الفتوة<sup>(٥)</sup> بحضرة الأكابر . ورتب السلطان الأمير  
 عز الدين أيدير الحلّي نائب السلطنة بديار مصر ، وأقام معه الصاحب بهاء الدين بن حنا .

(١) الجرائحية جمع جرائحي ، وهذا الجمع مفردة صيغة عامة للفنّ جراحيون وجراحي ، والجراحي — ويقال  
 الجراح أيضا — الطيب الذي يعالج الجراح . (محيط المحيط) .  
 (٢) ترجم (Quatremère: Op. Cit. I. I. P. 160) هذا النمط إلى (des maisons garnies de toutes sortes d'accessoires utiles) وفيه من ذلك أن السلطان أعطى الخليفة بيوتا مفروشة بكامل  
 الأثاث والمفروشات .

(٣) جمع قُطْر ، وهو عدد من البغال أو غيرها من المشاة ، تكون على نسق واحد . (محيط المحيط) .  
 (٤) الحوائج خاناه بيت الحوائج ، وهي حشاه جاء في القلقشندي (صبح الأعشى، ج ٤، ص ١٢ — ١٣) ،  
 "جهة تحت يد الوزير ، منها يصرف الخدم الراتب لطبخ السلطان والدور السلطانية ، ورواتب الأمراء والمالّيك  
 السلطانية ومائر الخدم والمنعمين ، وغيرهم من أرباب الرواتب الذين يملأ (ص ١٣) أسمازم الدقار ، وكذلك نوابل  
 الطعام لطبخ السلطان والدور السلطانية ، ومن له نوابل مرتبة من الأمراء وغيرهم ، و [ كذلك ] الزيت للوقود ،  
 والحبوب وغير ذلك من الأصناف المتعددة . ولما مباشرون منفردون بها ، يضبطون أسماء المنعقات ومقادير  
 استحقاقهم : وهي من أوسع جهات أعرف ، حتى أن ثمن الخمر وحده يبلغ ثلاثين ألف درهم في كل يوم ، خارجا  
 عما عداه من الأصناف ، وربما زاد على ذلك" .

(٥) تقدمت الإشارة إلى الفتوة وسراويلها (انظر ص ١٧٢ ، حاشية ٢٤١) ، وقد أورد ابن أبي الفضايل  
 (كتاب النجيب السديد، ص ٨٤ — ٨٥) مقرة طويلة في هذا العدد ، ونصها : "ثم تجهز السلطان [ببهرس] إلى الشام  
 في تاسع عشر رمضان ، ورتب في لباس الفتوة فألبسه [الخديعة] فل سفره . ونسبة الفتوة من الإمام علي بن أبي طالب  $\text{عليه السلام}$



وفي يوم السبت سادس شوال رحل الخليفة وصحبته الملك الظاهر بجميع العساكر، فساروا إلى الكسوة ظاهر دمشق، وخرج إلى لقائهم عسكر دمشق في يوم الاثنين سابع ذي القعدة . فتزل الخليفة بالتربة الصالحية في سفح قاسيون<sup>(١)</sup>، ونزل السلطان بقلعة دمشق . وفي يوم الجمعة عاشره دخل الخليفة [الجامع الأيوبي بدمشق] من باب البريد<sup>(٢)</sup> وجاء السلطان من باب الزيادة، واجتمعا بمقصورة الجامع حتى فرغا من صلاة الجمعة، وخرجا إلى باب الزيادة فمضى الخليفة وعاد السلطان .

وكان قد قدم إلى السلطان وهو بقلعة الجبل الملك الصالح ركن الدين إسماعيل بن الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل، وولده [الملك السعيد<sup>(٣)</sup>] علاء الملك وأهله، في شعبان إلى القاهرة . فأقبل السلطان عليه وأحسن إليه، وأمر له ولن معه بالإقامات والأموال من دمشق إلى القاهرة، وتنقاه وأنزله بدار تليق به . ثم وصل أخوه الملك المجاهد سيف الدين (١١١٨) إسماعيل صاحب الجزيرة، فتلقاه [السلطان] كما تلقى أخاه . وكان أخوهما الملك المظفر

كترم الله وجهه، سليمان الندرمي، لعل التوني، لحافظ الكندي، لعوف الغساني، لأبي (ص ٨٥) العزائقي، لأبي مسهر الخراساني، هلال البهني، بلعوش الحراري، للأثير حداد، لأبي الفضل القرشي، لأبي الحسن النجار، لملك أبي كلنجار، لروزيه القارمي، للأثير وهزان، لقائد عيسى، لمهنا العلوي، لعل الصوفي، لمعز بن أنس، لأبي القاسم بن حنا، لفيس العلوي، لبقا بن الطاج، لحسن بن الشرايدار، لأبي بكر بن الجيوش، لمعز بن الرصاص، لعبد الله بن العين، لعل بن زعيم، لعبد الجبار، للإمام الناصر، لجده .

(١) بفسر ضبط في ص، وهو جبل مقل على الشمال الغربي من دمشق، ويقال إنه (Mons Casius) الروماني . راجع (482) Note \*, 240. pp. *Le Strange : Palest. Under Moslems*، بالموت : معجم البلدان، ج ٤، ص ١٣ .

(٢) باب البريد أحد الأبواب الأربعة التي لجامع دمشق، وهي : باب البريد، وباب جيرون ويسمى أيضا باب الساعات، وباب الزيادة ويعرف هذا باب الصرمايانية وباب الساعات أيضا، وباب العمرة وكان معروفا قديما باسم باب الفراديس وباسم باب - صفيين أو الناصريين، *Le Strange : Palest. Under Moslems* (p. 226).

(٣) أصيب ما بين القوسين من ابن واصل (نفس المرجع، ص ١٢٩٦) .

(٤) على هذا يياض في ص يسع لفظا تقريبا .



علاء الدين على صاحب سنجار قد رتبته الملك المظفر قطز في نيابة حلب<sup>(١)</sup> ، فقبضه العزيزية واعتقلوه ، فسأل إخوته الملك الظاهر فيه فأفرج عنه ، وبالع في إكرامهم وعطائهم . و[كان السلطان] لما نزل بالبركة خارج القاهرة ، [قد] جهز إليهم خيل النوبة<sup>(٢)</sup> والعصائب<sup>(٣)</sup> والجمدارية والخلع ، وكتب لهم تقاليد بلادهم التي فوضت إليه من الخليفة : فكتب للملك الصالح بالموصل ونصيبين وعُقر<sup>(٤)</sup> [و] شوش<sup>(٥)</sup> ودارا والقلاع<sup>(٦)</sup> العمادية ، وكتب للجهاهد بالجزيرة ، وكتب للمظفر بسنجار . فقبلوا الأرض عند لبس الخلع ، وسير [السلطان] إليهم الكوسات والسناجق والأموال ، وأغفوا من الحضور والخدمة . فساروا إلى دمشق ، وحضروا مجلس الشام بقلعة دمشق ، ولبسوا الخلع وقبلوا الأرض ، وخرجوا والأتابك في خدمتهم بشعار السلطنة ، وأعطاهم [السلطان] في لعب الكرة شيئا كثيرا .

- (١) تقدمت الإشارة إلى هذا الملك ، وما حدث له منذ تولي نيابة حلب ، ص ٤٣٩ ، حاشية ٣) ، وأسمه هناك الملك السعيد ، وكان السلطان قطز قد لقبه بذلك القلق . (D'Ohsson : Op. Cit. III. p. 359. N. 1) .
- (٢) خيل النوبة هي التي تربط قرب قصر السلطان إركب منها حين يريد الركوب ، وتسمى أيضا فرس النوبة . وللفظ النوبة فقط معان اصطلاحية أخرى ، أحدها فرق الجند التي تتأرب الوقوف لحراسة شخص السلطان ، وهي خمس نوبات ويكون تعيينها في ظهر والمصر والعشاء ونصف الليل وعند الصباح . والنوبة عند المعين اسم لألات الحرب إذا أخذت معا ، ويقال لها في الفرنسية (anlade, concert, fanfares, musique symphonie, orchestre) ، وربما أطلقت على الطارين بها إذا اجتمعوا ، ويقال لهم النوبة عند الأتراك . هذا ويقال ضربت النوبة بمعنى صدر الأمر للمسكر بالتقهقر ، والنوبة أيضا الوهمة الحربية . (Dozy : Supp. Diet. Ar. : محيط المحيط) .
- (٣) جمع عصاية ، وقد تقدم وصفها في ص ٤٤٣ ، حاشية ١ .
- (٤) بنير ضبط في س ، وهي قلعة في الجبال الواقعة شرقي الموصل ، وتعرف بقر الحبيدية نسبة إلى أهلها الأكراد المعروفين بهذا الاسم . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ١٩٦) .
- (٥) بنير ضبط في س ، وهي قلعة عالية جدا قرب عقر الحبيدية . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٢٢٤) .
- وبلاحظ أن المقريزي اعتبر هذه قلعة والتي قلها كأنهما موضع واحد ، غير أنه ليس في المراجع المتداولة في هذه الجوانب ما يستدعي هذا التركيب المزيج . (Quatremère : Op. Cit. I. 1. p. 166. N. 49) .
- (٦) بنير ضبط في س ، وهي قلعة في شمالي الموصل ، عمرها عماد الدين زنكي سنة ٥٣٧ هـ (١١٤٢ م) ونسبت إليه ، وكانت اسمها قبل ذلك آشب . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٧١٧) . ويتضح من (Quatremère : Op. Cit. I. 1. p. 166. N. 49) أن قلعة عُقر وشوش كانتا تدخلان في عمل القلاع العمادية ، وهذا يفسر تسمية المقريزي لما جعلا باسم القلاع العمادية .



ووصل إلى دمشق الملك الأشرف مظفر الدين موسى صاحب حمص ، والملك المنصور صاحب حماة . فوصل [السلطان] كلا منهما بثمانين ألف درهم وحملين من الثياب وخيول ، وركب كل منهما بدمشق والأمراء مشاة في خدمته بشعار الساطنة . وكتب [السلطان] لهما التقاليد باستقرارهما على ما بأيديهما وزادهما ، ثم عادا إلى بلادهما .

• وكان السلطان قد عزم أن يبعث مع الخليفة عشرة آلاف فارس حتى يستقر ببغداد ، ويكون أولاد صاحب الموصل في خدمته . فخلا أحدهم بالسلطان وأشار عليه ألا يفعل : "فإن الخليفة إذا استقر أمره ببغداد نازعك وأخرجك من مصر" . فرجع إليه [الوسواس] ، ولم يبعث مع الخليفة سوى ثمانية فارس . وجرّد [السلطان] الأمير سيف الدين بلبان الرشيدى ، والأمير شمس الدين سنقر الرومى إلى حلب ، وأمرهما بالمسير إلى الفرات ، وإذا ورد عليهما كتاب الخليفة بأن يسير أحدهما إليه سار . ١٠

وركب السلطان لوداع الخليفة ، وسافر [الخليفة<sup>(١)</sup>] في ثالث عشر ذى القعدة ، ومعه أولاد صاحب الموصل الثلاثة . ففارقوه في أثناء الطريق وتوجه كل منهم<sup>(٢)</sup> إلى مملكته . فوصل الخليفة إلى الرحبة<sup>(٣)</sup> ، وأناه الأمير على بن حذيفة من آل فضل بأربعمائة فارس من العرب ، وانضاف إليه من ممالك المواصلة نحو الستين مملوكا ، ولحق به الأمير عز الدين برکه من حماة في ثلاثين فارسا . ورحل [الخليفة] من الرحبة إلى مشهد على ، فوجد رجلا<sup>(٤)</sup> ادعى ١٥

(١) أصيب ما بين القوسين بعد مراجعة ابن واصل (نفس المرجع ، ص ٣٩٦) .

(٢) في ص "منهما" .

(٣) بنسب ضبط في ص ، وهي رحبة مالك بن طوق ، وموقعها على شاطئ الفرات جنوبى قريبا ، وتبعد عن بغداد مائة فرسخ . (بافوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٧٦٤) .

(٤) يقصد المفريزى بهذا الرجل الأمير أبا العباس أحمد ، الذى أتى مصر فبأ بعد وصار خليفة بها وتلقب بالحاكم بأمر الله . (انظر ص ٤٦٧ ، سطر ٦) . وقد ترجم السيوطى (تاريخ الخلفاء ، ص ٣١٧ ، وما بعدها) لهذا الأمير العباسى ، وفصل ما حدث له منذ نجاة من أيدى التتر بعد وفاة بغداد ، وهذا نص ما جاء به مصححا ، ومضافا اليه بإدات توضيحية بين الأقواس من نفس المرجع (ص ٣١٦ - ٣١٧) : "الحاكم بأمر الله أبو العباس أحمد بن أبي على الحسن القبى - بضم القاف وتشديد الباء الموحدة - ابن على بن أبي بكر بن الخليفة المسترشد بن المستظهر بالله ،



أنه من بنى العباس قد اجتمع اليه سبعمائة فارس من التركمان ، كان الأمير شمس الدين أقوش البرلى قد جهزهم من حلب . فبعث الخليفة الى التركمان واستألمهم ففارقوه وأتوا الخليفة ، فبعث اليه الخليفة يستدعيه (١١٨ ب) وأمنه ورغبه في اجتماع الكلمة على إقامة الدولة العباسية ، ولاطفه حتى أجاب وقدم اليه ، فوق له وأنزله معه . وسار [ الخليفة ] الى عانة ثم الى الحديثة ، وخرج يريد هيت ، وكتب الى الملك الظاهر [بيبرس] بذلك .

وأما حلب فإن الأمير سنجر الحلبي فارقها وسار الى دمشق ، فاستولى عليها الأمير شمس الدين أقوش البرلى وبعث بالطاعة الى السلطان ، فأبى إلا حضوره . فلما سار الأمير سيف الدين الرشيدى والأمير مستقر الرومى من دمشق رحل أقوش عن حلب ، فدخلها وسارا منها الى الفرات ، وأغارا على بلاد أنطاكية ، وكسب العسكر وغنم ، وحرق غلال الفرنج ومراكبهم وعاد . فولى السلطان الأمير علاء الدين بندقدار نيابة حلب ، فأقام بها في شدة من غلاء الأسعار وعدم القوات ، ثم رحل عنها .

وقدمت الإقامات من الفرنج<sup>(٢)</sup> الى السلطان ، وسألوا الصلح فتوقف وطلب منهم أمورا

== كان اختفى وقت أخذ بغداد ونجا ، ثم خرج منها وفي صحبه جماعة ، فقصده حسين بن فلاح أمير بنى خفاجة فأقام عنده مدة . ثم توصل مع العربى الى دمشق ، وأقام عند الأمير عيسى (ص ٢١٨) بن مها مدة ، فطالع [ ابن مها ] به الناصر صاحب دمشق فأرسل يطلبه ، فبغته بحى النار . فلما جاء الملك المنصور [ قطز ] دمشق سير في طلبه الأمير قلع البغدادى ، فاجتمع به وبايعه بالخلافة ، وتوجه في خدمته جماعة من العرب ، فافتتح الحاكم [ بأمر الله ] عانة بهم والحديثة وهيت والأنبار ، وصاف التار وانصر عليهم . ثم كاتبه علاء الدين طبرس نائب دمشق يومئذ والملك الظاهر يستدعيه (كذا) ، فقدم دمشق في صفر ، فبعث الى السلطان . وكان المستنصر بالله قد سبقه بثلاثة أيام الى القاهرة ، فسا رأى أن يدخل إليها خوفا من أن يمسك فرجع الى حلب . فبايعه بها صاحبها [ شمس الدين أقوش ] ورؤسائها [ و ] منهم عبد الخليم بن تيمية ، وجمع خلقا كثيرا وقصد عانة . فلما رجع المستنصر وأقام به مدة ، فافتاد الحاكم [ بأمر الله ] له ودخل تحت يده ... " ، لئلا يملن . ويتضح من هذا أن سلاطين المماليك قبل بيبرس فكروا في اجتذاب الخلافة العباسية الى القاهرة ، وأن أبناء البيت العباسى كانوا يعتبرون عاصمة الديار المصرية ملجأ أمينا لإبرائهم وحمايتهم .

(١) كذا فى ص .

(٢) من أخبار السلطان بيبرس والفرنج تلك السنة ، وهذا اقتلا عن العيني ( عقد الجمان ، ص ٢١٦ ، فى =



لم يجيبوا اليها ، فأهانهم . وكان العسكر قد خرج للغارة على بلادهم من جهة بعلبك ، فسألوا رجوعه . واتفق الغلاء ببلاد الشام ، فتقرر الصالح على ما كان الأمر عليه الى آخر أيام الملك الناصر<sup>(١)</sup> ، وإطلاق الأسارى من حين انقضت الأيام الناصرية . فسارت رسل الفرنج لأخذ العهود وتقرير الهدنة لصاحب<sup>(٢)</sup> يافا وممتلك بيروت ، فكاسر الفرنج في أمر الأسارى ، فأمر السلطان بنقل أسرى الفرنج من نابلس الى دمشق واستعملهم في العمار . فتعلل الفرنج بالعوض عن زرعين ، فأجيبوا : ” بأنكم أخذتم العوض عنها في الأيام الناصرية مرج عيون ، وقايضتم صاحب تبنين<sup>(٣)</sup> والمقايضة في أيديكم . فكيف تطلبون العوض مرتين ؟ فإن بقيتم على العهد وإلا فما لنا شغل إلا الجهاد ” . وخرج الأمير جمال الدين المحمدي في عسكر ، وأغار على بلاد الفرنج وعاد غانما سالما .

وسارت عدة من العسكر فأوقعوا بعرب زبيد<sup>(٤)</sup> لكثرة فسادهم ، وقتلوا منهم جماعة وعادوا

(Rec. Hist. Or. II. 1 = أن السلطان جهز الى إمبراطور الدولة العربية ، وهو مانفرد بن فردريك الثاني (Manfred, son Of Frederic II) هدية من جعلها عدد من الزراف ، وجماعة من أسرى التار الماخوذون في نوبة عين جالوت ، بخيولهم الثرية وعدتهم . انظر (Camb. Med. Hist. VI. p. 177) . على أن الفرنج المقصودين هنا بالمتن هم ملوك وأمراء الصليبيين بالشام ، ومنهم صاحب يافا وممتلك بيروت ، واسم كل منهما (John of Ibelin) . انظر (Stevenson: The Crusaders In The East. p. 336; King: The

Knights Hospitallers In The Holy Land. p. 258)

(١) المقصود بالملك الناصر هنا السلطان الناصر يوسف صاحب حلب ودمشق ، وكان يتيما وبين (John of Ibelin) صاحب يافا معاهدة قديمة . راجع (Lane-Poole: A Hist. of. Egypt In The Middle Ages. P. 268. N. I.)

(٢) اسم هذا الأمير فيايل كند يافا ، أي (Count of Jaffa) .

(٣) في س ، ب ( ١١٤٤ ) سبس ، وقد ترجمها (Quatremère : Op. Cit. I. 1. p. 169) على هذا الاعتبار . انظر ابن واصل (قوس المرجع ، ص ٣٩٨ ب) .

(٤) بغير ضبط في س ، وزبيد اسم ل قبيلة كانت مساكنها حول دمشق ، وقد عرف كل فرع من فروعها باسم نواحي دمشق التي سكنتها ، وهذه الفروع هي زبيد القوطة ، وزبيد المرج ، وزبيد صرخدا ، وزبيد حوران ، وزبيد الأحلاف الذين كانت مساكنهم قرب الرحبة بجوار منازل آل فضل . (القلقشندي : مسبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٢١٣ - ٢١٤) .



غانمين . وأحضر السلطان أمراء العربان ، وأعطاهم وأقطعهم الإقطاعات ، وسلمهم <sup>(١)</sup> درك البلاد وألزمهم حفظ الدروب إلى حدود العراق ؛ وكتب منشور الإمرة على جميع العربان للأمير شرف الدين عيسى بن مهنا .

وفوض [ السلطان ] إلى الأمير علاء الدين الحاج طبرمس الوزيري نيابة دمشق ، وفوض قضاءها للقاضي شمس الدين <sup>(٢)</sup> أبي العباس أحمد بن محمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان . وكان قد خرج معه من مصر — ، عوضا عن نجم الدين أبي بكر محمد بن أحمد بن يحيى بن السنن ، ووكّل به وسفّره إلى ( ١١١٩ ) القاهرة . وقرئ تقليد ابن خلكان يوم الجمعة تاسع ذي الحجة ، وفوض إليه الحكم من العرش إلى الفرات ، والنظر في جميع أوقاف الشام من الجامع والمدرستان والمدارس والأحياس وتدريس سبع مدارس .

١٠ وخرج السلطان من دمشق يوم السبت سابع عشره يريد مصر . وصرف قاضي القضاة تاج الدين ابن بنت الأعرز في سلخ شوال عن قضاء مصر والقبلي ، واستقر مكانه قاضي القضاة برهان الدين السنجاري ، وبقى قضاء القاهرة والوجه البحري بيد ابن بنت الأعرز . وأمر السلطان ببناء مشهد على عين جالوت .

وفيها كتب السلطان إلى الملك بركة [ خان ] بغريه بقتال هولاءكو ويرغبه في ذلك ، وسببه تواتر الأخبار بإسلام بركة . وفيها أغار التار الذين تخلفوا على أعمال حلب وعانوا ، ١٥ ونزل مقدمهم بيسدرا على حلب ، وضايقها حتى غلت أسعارها وتعذر وجود القوات ، فلما بلغهم توجه عسكر السلطان إليهم رحلوا . وفيها استولى الأمير شمس الدين أقوش البرلي <sup>(٣)</sup> العزيزي على حلب ، وجمع معه التركان والعرب ، فأقام نحو أربعة أشهر . ثم توجه إلى البيرة

(١) الدرك النبعة ، فيقال ذلك السلطان أمراء العربان بالبلاد في جعلها تحت دركهم وتبعهم وخفارتهم ، وهو فعل موله . انظر ( محيط المحيط ؛ Dozy: Supp. Dict. Ar ) . هذا وعبارة ابن واصل في هذا العدد ( نفس المراجع ، ص ٢٩٨ ب ) توضع هذا المعنى تماما ، ونصها : " وعهم السلطان بفضلله ، فأطلق رسومهم وكتب مناشيرهم ، وسلم إليهم خفر البلاد وألزمهم حفظها إلى حدود العراق " .

(٢) في من " ابو " .

(٣) هذا اللفظ مضبوط في من يسكون على الراء فقط .



وأخذها، ومضى إلى حران فأقام بها، وصار يقرب من حلب ويبعد عنها خوفا من السلطان .  
وفيها عدى بنو مرين العدو لقتال الفرنج فظفروا . وفيها حج الملك المظفر يوسف بن عمر بن  
رسول ملك اليمن، وكسا الكعبة وتصدق بمال .

ومات في هذه السنة من الأعيان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن العزيز محمد بن  
الظاهر غازي بن الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شادي، صاحب حلب [و] دمشق  
— و[هو] آخر ملوك بني أيوب — ، بعد أربعة وعشرين عاما من ملكه، واثنين وثلاثين سنة  
من عمره، مقتولا بأمر هولاكو<sup>(١)</sup>. ومات الملك الصالح إسماعيل بن المجاهد شيركوه ابن الظاهر  
محمد بن المنصور أسد الدين شيركوه بن شادي، صاحب حمص، مقتولا [بأمر هولاكو<sup>(٢)</sup> أيضا].  
وتوفي الأديب مخلص الدين أبو العرب إسماعيل بن عمر بن يوسف بن قرناص الحموي .

♦ ♦ ♦

سنة ستين وستائة . في ثاني المحرم وصل السلطان من دمشق . واشتد الغلاء بدمشق،  
فبلغت الغرارة القمح أربعمائة وخمسين درهما فضة، وهلك خلق كثير من الجوع .

(١) غير ضبط في م ، وقد أطلق المؤرخون هذا الاسم — ويقال بر العدو أيضا — على الشامي المراكشي  
لبوغازجيل طارق ، ويستعمل لفظ عدوة في مراكش الحالية بمعنى شامي نهر ، ويسمى قسما مدينة قاس القديمة باسم  
العدوتين . انظر (G. - Demombynes : Masalik el Absār, p. 137. N. 1.) .

(٢) تقدم ذكر وقوع الملك الناصر هذا وأخيه الملك الظاهر غازي وغيرهم في يد التتر ، وإرسالهم جميعا إلى  
هولاكو بتبريز . (انظر ص ٤٢٧ ، سطر ١) . ويفهم مما يل هنا سطر ٢٠ ، أن الناصر رأى وقت ذاك أن  
السلامة لا تكون إلا بإظهار الميل إلى التتر ، فأعلن أنه لاجئ بحمي هولاكو ورحته ، ولذا أقبل عليه هولاكو وعلى  
من معه ، ووعد برده إلى مملكته . أما سبب قتله ، فخلا عن أبي الفداء (المختصر في أخبار البشر، ص ١٤٧ ،  
في Rec. Hist. Or. I.) ، فهو أنه " لما بلغ هولاكو كسرة عسكره بعين جالوت وقتل كتبا ، ثم كسرة عسكره  
مل حمص ثانيا ، غضب من ذلك وأحضر الملك الناصر يوسف ، الذي كان قد التجأ إليه ... وأحضر معه أخاه الملك  
الظاهر غازي ، وقال له : أنت قلت إن عسكر الشام في طاعتك ، فندرت بي وقتلت المنفل . فقال له الملك الناصر :  
لو كنت بالشام ما ضرب أحد في وجه عسكرك بسيف ، ومن يكون بتوريز كيف يحكم على من به لثم ؟ فاستوفى  
(كذا) هولاكو لعت الله يا صبي (une flèche أي سهم أو نسيئة أو رمح) وضربه به . فقال له الناصر : يا خوند !  
الصنعة ! فنهاه أخوه الظاهر وقال : قد حضرت . ثم رماه [هولاكو] بفردة ثانية فقتله ، ثم أمر بضرب وقاب  
الباقين ، فقتلوا الظاهر أخا الناصر والملك الصالح ابن صاحب حمص ، والجماعة الذين كانوا معهم " .

(٣) انظر الحاشية السابقة .



- و [ فيه ] سار قراباً<sup>(١)</sup> مقدم التار من بغداد — وكان قد استخلفه هولاً كو عليها عند<sup>(٢)</sup> عوده إلى بلاد الشرق — يريد لقاء الخليفة المستنصر بالله ومحاربتة ، فنهب الأنبار وقتل جميع من فيها ، وتلاحقت به بقية التار من بغداد . ولقيهم الخليفة وقد رتب عسكره : بفعل التركان والعرب في جناحى العسكر ، واختص جماعة جعلهم في القلب ، وحمل بنفسه على التار فكسر مقدمتهم ، وخذله العرب والتركان فلم يقاقلوا . وخرج كين للتار ففر العرب والتركان ، وأحاط التار بمن بقى معه فلم يقتل منهم سوى الأمير أبى العباس أحمد الذى قدم إلى مصر وتلقب بالحاكم بالله ، والأمير ناصر الدين بن مهنا ، والأمير ناصر الدين ابن صيرم ، والأمير سابق الدين بوزبا الصيرفى<sup>(٣)</sup> ، والأمير أسد الدين محمود ، فى نحو الخمسين من الأجناد . ولم يعرف الخليفة خبر : فيقال قتل بالمعركة فى ثالث المحرم ، ويقال بل نجح مجروحاً فى طائفة من العرب فمات عندهم . وكانت هذه الواقعة فى العشر الأول من المحرم ، فكانت خلافته دون السنة . وبلغت نفقة الملك الظاهر على الخليفة والملوك الموصلة ألف ألف دينار وستين ألف دينار عينا .

- واستقر الملك الصالح عماد الدين اسماعيل [ بن بدر الدين لؤلؤ ] فى مملكته بالموصل ، وسار أخواه إسحاق وعلى إلى الشام خوفاً من التار ، وقدموا على السلطان بقلعة الجبل فأبرم مقدمهما ، وسألاه فى تجهيز نجدة لأخييهما<sup>(٤)</sup> . فرسم [ السلطان ] بتجريد الأمير شمس الدين مستقر الرومى

(١) مضبوط على مطبوعة فى (Quatremère : Op. Cit. I. I. p. 171) .

(٢) كان قراباً ، نقل عن (D'Ohsson : Op. Cit. III. p. 368) ، قائداً عاماً على الجيوش النورية بسائر العراق العربى ، أما القائد الذى استخلفه هولاً كو على بغداد فاسمه بهادر على (Bahdir Ali) ، وقد سار القائدان معاً لملاقاة الخليفة المستنصر على الأنبار ، كما يلى بالمتن .

(٣) فى س "الصيرمى" .

(٤) كان رحيل الملك الصالح هذا قبلاً إلى حضرة السلطان بيبرس (انظر ص ٤٦٠ ، سطر ٧) قد أغضب أهل الموصل والمدوب النثرى المقيم بها . وكان ممن خرج من الموصل لتوديع الملك الصالح وقت ذلك أحد فواده واسمه علم الدين سنجر ، فلما رجع هذا القائد إلى الموصل منه المدوب النثرى من دخول المدينة . ثم استطاع علم الدين أن يدخلها مع رجاله خفية ، واضطر المدوب النثرى إلى الهوى إلى القلعة ، وبذلك إيقاع علم الدين بالمسيحين وبكثائهم =



في جماعة من البحرية والحلقة ، وساروا من القاهرة في (١١٩ ب) رابع جمادى الأولى .  
وكتب إلى دمشق بخروج عسكرها صحبة الأمير علاء الدين الحاج طبرس ، فسار العسكران  
من دمشق في عاشر جمادى الآخرة .

وفوض السلطان وزارة دمشق لعز الدين عبد العزيز بن وداعة . وتسلم نواب السلطان  
قلعة البيرة . ووقع الصلح بين السلطان وبين الملك المغيث صاحب الكرك . وباشر السلطان  
عرض عساكر مصر بنفسه ، وحلفهم لولي عهده الملك السعيد ناصر الدين خاقان  
بركه خان .

وفي يوم الأحد ثاني عشرى صفر ، وصل الأمير أبو العباس أحمد الذي تنقب بالحاكم  
بأمر الله إلى دمشق ، ونخرج منها يريد مصر في يوم الخميس سادس عشرىه ، فوصل إلى  
ظاهر القاهرة في سابع عشرى شهر ربيع الأول . فاحتفل السلطان لغائه ، وأزله في البرج  
الكبير داخل قلعة الجبل ، ورتب له ما يحتاج إليه . وفي نصف رجب قدم جماعة من  
البغاددة مماليك الخليفة [ المستنعم ]<sup>(١)</sup> ، الذين تأخروا بالعراق بعد قتل الخليفة ، ومقدمهم  
الأمير سيف الدين سار . فأكرمهم السلطان ، وأعطى الأمير سار إمرة خمسين في الشام  
ونصف مدينة نابلس ، ثم نقله إلى إمرة طبلخاناه بمصر . وفيها أطلق السلطان الأمير

= وأديرتهم . وبينما الموصل مانحة بتلك الحركة الانتقامية ، وصلها جيش تترى على رأسه قائد مسيحي اسمه صندغون  
(Sandaghoun) ، لحاصرها وأخذ يعد العدة لهدم ثورته . ثم جاء إلى ذلك القائد أن الملك الصالح قد عاد من  
مصر وأنه على مقربة من الموصل يريد الدخول إليها ، فرفع الحصار عنها وانحى موضعا خفيا حتى دخلها الملك الصالح ،  
وعاد بعدئذ إلى حصارها ونصب عليها نعمة وعشرين منجنيقا . عند ذلك أرسل الملك الصالح يطلب مجدة السلطان  
طبرس ، كما بالتمن هنا وفي ص ٤٧٥ . راجع ( ابن أبي الفضائل : كتاب التهجد الجديد ، ص ٩٤ ، وما بعدها )  
(D'Oheson : Op. Cit. pp. 370 et seq.)

(١) انظر ص ٤٦٢ ، حاشية ٤ .

(٢) أضيف ما بين القوسين من أبي الفداء ( المختصر في أخبار البشر ، ص ١٤٨ ، في Rec. Hist. Or. I. ) .  
(٣) أصل هذا الأمير مملوك قبشاق من قبيلة دوروت (Dourout) ، وقد اشتراه الخليفة الظاهر العباسي  
(٦٢٢ — ٦٢٣ هـ) ، وترقى في خدمته حتى أصبح في عهده واليا على واسط والكوفة والحلة ، وظل كذلك حتى آخر  
عهد المستنعم ووتوع بندا في يد هولاكو سنة ٦٥٦ هـ . عند ذلك انضم الأمير سار بما كان لديه من العسكر إلى =



سيف الدين قلع البغدادى المستنصرى من الاعتقال ، وكان قد اعتقله ، فمن عليه وأذن له في لعب الكرة<sup>(١)</sup> معه .

وفي شعبان قدم الأمير سيف الدين الكرزي<sup>(٢)</sup> ، والقاضى أصيل الدين خواجا إمام ، من عند الأنبرور ملك التمرنج بكابه<sup>(٣)</sup> . ثم قدم رسوله بهدية ومعه نفران من البحرية<sup>(٤)</sup> ، فاعتقلا بقلعة الجزيرة تجاه مصر . وقدم الأمير شرف الدين الجاكي ، والشريف عماد الدين الهاشمي ، من عند صاحب الروم — وهو السلطان عز الدين كيكائوس بن كيخسرو ، ومعهما رسل المذكور [ وهما الأمير ناصر الدين نصر الله بن كوح رسلان<sup>(٥)</sup> أمير حاجب والصدر صدر الدين الأخلاطى ] ، وكتابه المتضمن أنه نزل عن نصف بلاده للسلطان ، ومير

= جيش والى شتر ، وظن أنه يستطيع معه محاربة التتر . فخاب ظنه ولبا الى بلاد الحجاز ، وامتنع من الذهاب الى حضرة هولاء وغم الوعود التي رسلته منه بأرجاعه الى ولاياته بالعراق ، ثم جاء الى مصر بناء على طلب السلطان بيبرس وإلحاحه . (D'Ohsson : Op. Cit. III. pp. 375-377) .

(١) نبالة هذه العبارة في س أرقام مرسومة هكذا  $\frac{3}{33}$  ، ويظهر أن المقرئ قد فهم هذه الأرقام أن يشير الى الشهر والسنة التي وصل فيها الى هذا الشطر من تاب السلوك ، أى ربيع الأول سنة ٨٢٣ هـ .

(٢) كذا في س ، بنقطة تحت الكاف لعلها إشارة الى وجوب ضبط هذا الحرف بالكسر ، وقد ورد هذا الاسم في ابن واصل (نفس المربع ، ص ٤٠٠ ب) برسم "الكردي" .

(٣) هذان الرسولان هما اللذان كانا قد ذهبا قبلما الى الإمبراطور بهدية السلطان بيبرس ، التي كان من محتواها زراف (انظر ص ٤٦٣ ، حاشية ٢) ، وقد ذكر ابن واصل (نفس المربع ، ص ٤٠٠ ب) أخبار ما حدث للرسولين في بلاد الإمبراطور ، ونصه مصححا : "أن الأنبرور اهتم بهما اهتماما عظيما ونجول لهما تعلا عظيم ، وأعرضت (كذا) عليه الهدية فأعجبه الزرافة بحجابها ، ورأى من الثمن ما أذهبه ولا عيب . وفري عليه كتاب السلطان إحدى عشرة مرة وهو يردده ويفهمه ، وأحسن الى الرسل غاية الإحسان ، وجهاز رسولا وهدية فيما بعد ، وكانت هدية لا تحصى" .

(٤) يفهم مما جاء في ابن واصل في هذا الصدد (نفس المربع والصفحة) أن هذين البحرين كانا من ذهب مع الهدية التي أرسلها بيبرس الى الإمبراطور ، وأنها أساءا الأدب هناك ، فألادها الإمبراطور مع رسول من عنده الى مصر ، كما بالتمن . "فلما شاهدتها السلطان أمر بتأديبهما ، لأنه بلغه سوء اعتادهما ، فسيرهما الى قلعة الجزيرة بعملاق فيها مقيدان" . وقد علق ابن واصل (نفس المربع والصفحة) على تلك العقوبة بالآتي : "وفي ذلك تأديب وحسن سياسة وردع للعندين ، وحفظ (في الأصل وحفظا) لأموس السلطة وإقامة لحرمة الملكة" .

(٥) أضف ما بين القوسين من ابن واصل (نفس المربع ، ص ٤٠٠ ب - ٤٠١ أ) .



دُرُوجاً فيها علامٌ بما يُقَطَّع من البلاد لمن يختاره السلطان ويؤمره، وسأل أن يكتب له [السلطان] منشوراً [قرين منشوره] <sup>(١)</sup>. فأكرمهم السلطان، وشرع في تجهيز جيش نجدة لصاحب الروم، و[أمر] بكتابة المناشير <sup>(٢)</sup>. وعين [السلطان] الأمير ناصر الدين أعلمش <sup>(٣)</sup> السلاح دار الصالحى لتقدمة العسكر ومعه ثلاثة فارس، وأقطعه إقطاعاً ببلاد الروم منه آمد وبلادها. و [في شهر رجب] <sup>(٤)</sup> قدم الأمير عماد الدين بن مظفر الدين صاحب صهيون، رسولاً من جهة أخيه الأمير سيف الدين، وصحبته هدية. (١٢٠) فأكرمهم السلطان وكتب له منشوراً بإمرة ثلاثين في حلب، ومنشوراً آخر بإمرة مائة في بلاد الروم. و [في هذا التاريخ] <sup>(٥)</sup> ورد كتاب ملك الروم، بأن العدو هو لا كوما بلغه اتفاق الروم مع السلطان خاف من هيئته وولى حارباً، وأنه سير إلى قونية يحاصرها ليأخذها من أخيه. و [في هذا التاريخ] <sup>(٦)</sup>

(١) المدروج جمع درج، وهو كما عرفت القلقشندى (صبح الأعشى، ج ١، ص ١٣٨) "الورق المنطيل المركب من عدة أوصال، وهو في عرف الرمان عبارة عن عشرين وصلاً متلاصقة لا غير"، وكان يكتب فيه و بلف. (محيط المحيط).  
(٢) العلام جمع علامة، وقد تقدم شرحها في ص ٣٤٤، حاشية ١.

(٣) في ص "منشور". والراجع أن المقصود بلفظ المنشور هنا كل ما يصدر عن سلطان أو ملك من المكتابات، مما لا يحتاج إل غتم، كالمكتوب بالولاية والمكتوب بالحامية والمكتوب بالإقطاع أيضاً. انظر القلقشندى (صبح الأعشى، ج ١٣، ص ١٥٧).

(٤) أضيف ما بين القوسين من ابن واصل (نفس المرجع، ص ٤٠١).

(٥) في ص "كتابه" وقد أضيف حرف الجر، وما بين القوسين بعد مراجعة ابن واصل (نفس المرجع، ص ٤٠١).

(٦) المناشير جمع منشور، ومعنى المنشور هنا ما يكتب في الإقطاعات خاصة، وقد جرى الاصطلاح بهذا التخصيص في عهد دولة أماليك بمصر، وقبلها كان المكتوب بالإقطاع معروفًا بالتوقيع في أيام الأيوبيين، وبالسجل في أيام الفاطميين، وبالمفاضة في الدولة الإسلامية زمن العباسيين، وبالقبطية فيما سبق ذلك. (القلقشندى : صبح الأعشى، ج ١٣، ص ١١٨ — ١٥٧).

(٧) كذا في ص، وقد ترجم (Quatremère : Op. Cit. I. 1. p. 176) هذا الاسم إلى (Ogulmusch)، وهو في ابن واصل (نفس المرجع، ص ٤٠١) "اعلمس".

(٨ و ٩) أضيف ما بين الأقواس من ابن واصل (نفس المرجع، ص ٤٠١ — ب).

(١٠) انظر ص ٤٠٨، سطر ٣.

(١١) أضيف ما بين القوسين من ابن واصل (نفس المرجع، ص ٤٠١ ب).



قدم كتاب الملك المنصور صاحب حماة، وصحبه قصاد من التار معهم فرمان<sup>(١)</sup> له، فشكره السلطان على ذلك، واعتقل التار. وفي [هذا التاريخ] سار الأمير عز الدين الأفرم أمير جاندار بمسكرا إلى بلاد الصعيد، وأوقع بالعربان وبتد شملهم، وذلك أنهم كثر طمعهم وهموا بتغيير الممالك، ووثبوا على الأمير عز الدين الموحاش وإلى قوص وقتلوه.

- و[في شعبان<sup>(٢)</sup>] كثر قدوم العزيزية والناصرية الذين كانوا صحبة الأمير البرلى، فأكرمهم السلطان وعفا عنهم<sup>(٣)</sup>. و[في هذه المدة وصل الأمير فارس الدين أقوش المسمودي، الذي كان قد توجه رسولا إلى الأشكري. وكان] الأشكري قد بعث يطلب<sup>(٤)</sup> من السلطان بطركا للنصارى الملكية، فعين الرشيد الكحال لذلك، وسيره إليه مع الأمير فارس الدين أقوش المسمودي في عدة من الأساقفة. فلما وصلوا إليه أكرمهم وأعطاهم، وأوقف الأمير أقوش على جامع بناء بالقسطنطينية ليكون في صحيفة السلطان ثوابه. وعاد الأمير أقوش وصحبه البطرك المذكور، فقدم البطرك ما ورد على يده من هدية الأشكري للسلطان، وقدم أيضا ما حصل له من المال، فرد السلطان ذلك عليه. وجهز السلطان برسم جامع قسطنطينية الحصر العبداني<sup>(٥)</sup>.
- ١٠

(١) فرمان في اللغة ما يصدره السلطان أو الملك من الكتب أو الأوامر والعهود، يملن فيها نصيبهم وأمور بينهم، واجمع فرمانات ورايين وقرامنة. (Dozy: Suppl. Dict. Ar.) محيط المحيط. ويظهر أن هؤلاء القصاد كانوا قد حصروا إلى الملك المنصور من قبل التار ليرسلهم إلى السلطان ببرس، وأن فرمانه كان لتعريف السلطان ببرس بهم.

(٢) في س "وفيا"، وقد أضيف ما بين القوسين من ابن واصل (قس المرجع، ص ١٤٠٢).

(٣) أضيف ما بين القوسين من ابن واصل (قس المرجع والصفحة).

(٤) في س "وبعث الأشكري يطلب..."، وقد عدلت الجملة وأضيف ما بين القوسين من ابن واصل (قس المرجع والصفحة). هذا والأشكري المقصود هو الإمبراطور (Michael VIII Palaeologus)، وهو الذي أعاد الدولة البيزنطية إلى قسطنطينية تلك السنة (Camb. Med. Hist. IV, pp. 507 et seq.)، وقد صادف وصول الأمير فارس الدين إلى حضرة بعد ذلك بقليل. (ابن واصل: قس المرجع، ص ١٤٠٢).

(٥) بفسر ضبط في س، والنسبة إلى عبادان — فيقال عباداني وعبادي أيضا، وهي بلد جنوبي البصرة قرب الخليج الفارسي، وتقع في جزيرة محاذة بماء مصبات دجلة والفرات، وكانت مشهورة بصنع الخصر. (هاتوت: معجم البلدان، ج ٣، ص ٩٧ وما بعدها، Dozy: Suppl. Dict. Ar.).



والتناديل المذهبة والستور المرقومة ، والمباخر والسجادات [ إلى غير ذلك من البسط الرومية<sup>(١)</sup> ] ،  
والعود والعنبر والمسك وماء الورد . وفيها أغار الأمير شمس الدين مستقر الرومي على أنطاكية ،  
ونازل صاحبها البرنس<sup>(٢)</sup> وأحرق الميناء بما فيها من المراكب ، وكان معه [ الملك الأشرف موسى ]  
صاحب حمص ، [ والملك المنصور<sup>(٣)</sup> ] صاحب حماة . ثم حاصر السويدياء ، واستولى عليها وقتل  
وأسر وعاد ، فوصل إلى القاهرة يوم الخميس لليلة بقيت من شهر رمضان ، وصحبته من  
الأسرى نحو مائتين وخمسين أسيرا . فأكرمه السلطان ، وأحسن إلى الأمراء ، وسير الخلع إلى  
الملكين المذكورين .

وفي ثالث شهر رمضان عزل السلطان قاضي القضاة برهان الدين السنجاري عن قضاء  
مصر والوجه القبلي ، وأعاد قاضي القضاة تاج الدين عبد الوهاب بن بنت الأعز ، فصار بيده  
قضاء القضاة بديار مصر كلها . وكان متشددا في أحكامه ، فرسم له في ذى القعدة أن يستنوب  
عنه مدرسي المدرسة الصالحية من الحنفية والمالكية ( ١٢٠ ب ) والحنابلة ، فاستنابهم في الحكم  
عنه ، ولم يعرف ذلك بمصر قبل هذا الوقت : بجلس القاضي صدر الدين سليمان الحنفي ،  
والقاضي شرف الدين عمر السبكي المالكي ، والقاضي شمس الدين محمد بن إبراهيم الحنبلي ،  
في أول ذى القعدة وحكموا بين الناس بمذاهبهم . وفي رابعه قبض على الأمير علاء الدين  
الحاج طبرمس الوزيرى نائب الشام ، وحمل إلى مصر فاعتقل بقلعة الجبل ، وكانت مدة نيابته  
سنة وشهرا . وحكم في دمشق بعده الأمير علاء الدين أيدغدى الحاج الركني إلى أن يحضر نائب .

(١) أضيف ما بين القوسين من ابن واصل (نفس المرجع ، ص ٤٠٢ ب) . (٢) هذا تعريب واضح  
لفظ (prince) أى أمير ، وكان أمير أنطاكية تلك السنة بوهمند السادس (Bohemond VI of Antioch) ،  
وهو من أولئك الصليبيين الذين رأوا أن مصادقة التترى الوسيلة الباقية لماواة القوى الإسلامية بالشام ، ولذلك كن  
يبرس بفتح الفرس لمحاربتهم . فلما هدأت أمور حلب على يد الأمير شمس الدين مستقر الرومي المذكور ، أمره السلطان  
بالإغارة على أنطاكية ، وقد رافقه إلى تلك الغارة الملك المنصور صاحب حماة والأشرف صاحب حمص ، كما بالمتن . (ابن  
واصل : نفس المرجع ، ص ٤٠٢ ، أبو القداء : المختصر في أخبار البشر ، ص ١٤٨ ، في Rec. Hist. Or. I) .  
(٣) انظر الحاشية السابقة .



وفيهما كثير الإرجاف في دمشق بحركة التار، فكتب السلطان برحيل أهل الشام بأهلهم إلى مصر. فحضر من تلك البلاد خلق كثير، بعد ما كتب [السلطان] إلى الولاة بتخفيضهم<sup>(١)</sup>، وألا يؤخذ منهم مكس ولا زكاة، ولا يتعرض لما معهم من متجر ولا غيره، ولا تُفَسَّس<sup>(٢)</sup> تجارة، فاعتمد ذلك. وكتب [السلطان] إلى حلب بتحريق الأعشاب، فسيرت جماعة إلى بلاد آمد وغيرها وحرقت الأعشاب التي كانت بالمروج التي [جرت] عادة هولاء أن يتزلها. فعمت النار مسيرة عشرة أيام حتى صارت كلها رمادا، وعم الحريق بلاد خلاط، وقُطِع السبل وهو أخضر.

و[فيها] خرجت الكشافة<sup>(٣)</sup> من دمشق وغيرها، فظفروا بكثير من التار يريدون القدوم إلى مصر مستأمنين. وقد كان الملك بركة بعثهم نجدة إلى هولاء، فلما وقع بينهما كتب يستدعيهم إليه، ويأمرهم أن تعذر عليهم<sup>(٤)</sup> الخلق به أن يصيروا إلى عساكر مصر. وكان سبب عداوة بركة وهولاء أن وقعة كانت بينهما، قُتل فيها ولد هولاء وكُسر عسكره وتمزقوا

(١) في س "لتخفيضهم".

(٢) في س "ففسس محارة".

(٣) في س "فسير".

(٤) الكشافة جمع كشاف، ومعناها هنا فئة معينة من العسكر، وكان عملها الخروج لكشف أخبار العدو.

(Quatremère : Op. Cit. I. I. p. 180. N. 61).

(٥) توجد أقوال كثيرة في تعليل سبب العداوة بين هولاء وبركة، ومنها عدا ما ورد بالمتن أن بركة لم يرش عماله هولاء ببلاد المسلمين وأنه سلف لقتله الخليفة المستنعم، ومنها أن أسس دولة هولاء كوبرغرس لم يرق في عين بركة ولا سيما بعد إدماج بلاد أزان وأذربيجان داخل حدودها، مع أنها كانتا من إرث جومش أبي بركة حسب وصية جتكرخان. (Enc. Isl. Art. Berke). هذا وفي ابن أبي القضايل (كتاب النهج الجديد، ص ١٠١، وما بعدها) أن العداوة بين هولاء وبركة نشأت من عدم مطاهرة بركة بخار الأعظم قوبلاي، وانتصاره لأخ صغير اسمه (Arigh-Buga). وهذا القول سبب من الاعتبار، لأن المعروف أن بركة اعترف بهذا الأخ الصغير حاكما أعظم على جميع بلاد التتر. انظر (Enc. Isl. Art. Berke) ; (D'Ohsson ; Op. Cit. III. pp. 377 et seq.). وقد ذكر ابن أبي القضايل (نفس المراجع، ص ١٠٢، وما بعدها) سببا ثانيا لتلك العداوة قد لا يقل عن سابقه في القبة، وهو أن هولاء كانوا منذ صار بركة ملكا على مغول القبايق قد منع من ذلك الفرع المغول نصيبه المعتاد من مقام الحروب، وهذا نص ما جاء في المراجع المذكور: "ومما قلته صاحب عز الدين بن شداد في سيرة الملك =



في البلاد، وصار هولاء كوا إلى قلعة بوسط بحيرة آذر بيجان محصورا بها . فلما بلغ ذلك السلطان سر به، وفرح الناس باشتغال هولاء كوا عن قصد بلاد الشام . وكتب [السلطان] إلى النواب بإكرام الوافدية من التار، والإقامة لهم بما يحتاجون إليه من العليق والغنم وغيره، وسيرت إليهم الخلع والإعامات والسكر ونحوه . وساروا إلى القاهرة، فخرج السلطان إلى لقائهم في سادس عشر ذى الحجة ولم يتأخر أحد عن مشاهدتهم، فتعاقبهم وأنزلهم في دور بنيت لهم في اللوق<sup>(١)</sup> ظهر القاهرة، وعمل لهم دعوة عظيمة هناك، وبعث إليهم الخلع والخيول والأموال . وأمر [السلطان] أكابرهم، ونزل باقيهم في جملة البحرية، وكانوا مائتي فارس بأهاليهم، فحسن حالهم، ودخلوا في الإسلام<sup>(٢)</sup> .

= القاهرة [بيبرس] لما قل هذه السنة، وسبب الخلف الذي وقع بين التار، قال حكى لي علاء الدين بن عبد الله البغدادى أحد أصحاب الأمير سيف الدين طربان الرومى المودادار، قال أخذنى (كذا) التار سيرا من بغداد لما (١٠٣) أخذوها (كذا) التار، وكنت قد عدت عندهم مخططا بهم ومنظما على أخبارهم . فلما كانت سنة ستين وستة وورد من عند بركة [خان] رسولان، أحدهما يسمى بلاغيا والآخر ططر شاه، برسالة ضمنها ما جرت به العادة، ومن جعلها حمل ما جرت به العادة إلى بيت باتو [خان]، مما كانوا يعملونه من فتوح البلاد . وكانت المادة أن يجمع [تار] ما يحصل في البلاد التي يملكون ويستولون (في الأصل يستولوا) عليها من نهر جيحون معزبا فيقسم خمسة أقسام، فبأن تلقا الكبير وقسمان لسكر وقسم لبيت باتو [خان] . فهات من باتو وجلس بركة على تحت منع هولاءون (كذا) نفسه، فبعث بركة رسله إلى هولاءون وبعث فيهم سحرة يفسدون (في الأصل يفسدوا) سحرة هولاءون . وكان عند هولاءون ساحر يسمى (١٠٤) يكشا، فأعطوه هدية بمنها بركة إليه، وسألوه أن يوافقهم على غرضهم فاتفق معهم . وكان هولاءون [قد] جعل هؤلاء الرسل من يخدمهم، وجعل في الجملة ساحرة تسمى كشا لقتله على أخبارهم . وما علمت أخبارهم أخيرة بذلك، فأمر بالقبض عليهم في قلعة تلاء، ثم قتلهم بعد نعمة عشر يوما من قبضهم، وقتل الساحر الذي كان له المسمى يكشا . فلما بلغ بركة قتل رسله وسحرته أظهر العداوة لهولاءون، وبعث رسله إلى الملك القاهرة [بيبرس] يحرضه على اجتماع الكلمة على بيت هولاءون...“ .

(١) كانت أراضى اللوق هذا، حسبما جاء في المقرئى (المواعظ والاعتبار، ج ٢، ص ١١٧) بسائين ومزروعات، ليس فيها من الأبنية سوى ما كان قد عمره بها القاضى الفاضل لنفسه، فكان يحى أولئك التار صيبا لبناء دور للسكن بها لأول مرة . وقد تكرر الوافدون من التار بعد ذلك على مصر، نتيجة حسن معاملة السلطان بيبرس لإخوانهم السابقين، فآدى تكاثرهم إلى زيادة العارة بأرض اللوق . (انظر الحاشية التالية) .

(٢) توجد بالمقرئى (المواعظ والاعتبار، ج ٢، ص ١١٧ - ١١٨) تفصيلات أوفى عما اتفق لهؤلاء التار من جاء بعدهم إلى مصر، ومنها يتبين أن أعدادا كثيرة منهم اندمجت في سلك الممالك وحيث حياتهم الحربية، وهذا نصها: ”فأعطى [السلطان] كبارهم إمرات، فتم من عمله أمير مائة ومنهم دون ذلك، ونزل بقيتهم من جملة“ .



وكتب [السلطان] إلى الملك بركة كتابا ، وسيره مع الفقيه مجد الدين والأمير سيف الدين كسريك<sup>(١)</sup> .

وفيها (١٢١) سار صندغون<sup>(٢)</sup> مقدم التتار إلى الموصل ، ونصب عليها خمسة وعشرين منجنيقا ، ولم يكن بها سلاح ولا قوت فاشتد الغلاء . وحاصرها [صندغون] حتى خرج إليه الملك الصالح إسماعيل بن الملك الرحيم [بدر الدين] لؤلؤ الأتابكي ، في يوم الجمعة النصف من شعبان ، فقبض عليه وعلى من معه . ووقع التخريب في سور المدينة وقد اطمأن أهلها ، ثم اقتحموها ووضعوا السيف في الناس تسعة أيام ، ووسطوا علاء الدين بن الملك الصالح<sup>(٣)</sup> ، ونهبوا المدينة وقتلوا الرجال وأسروا النساء والأثريّة ، وهدموا المباني وتركوها بلاقع ، ورحلوا بالملك الصالح إسماعيل ، ثم قتلوه<sup>(٤)</sup> [وهم في طريقهم إلى هولاكو] .

وفيها خرج الأمير شمس الدين أقوش البرلي<sup>(٥)</sup> من حلب نجدة للملك الصالح ، فأدركه التتار بسنجان وواقعوه ، فانهزم منهم إلى البيرة في رابع عشر جمادى الآخرة . ثم استأذن [الأمير

= البحرية ، وصار كل منهم من سنة الحال كالأمير في خدمته الأجناد والفلان ، وأفرد لهم عدة جهات برسم مرتبهم ، وكثرت نعمهم وظواهرها بدين الإسلام . فلما ( ١١٨ ) بلغ التتار ما فعله السلطان مع هؤلاء وفد عليه منهم جماعة ، وهو يقابلهم بمزيد الإحسان ، فكاثروا بديار مصر ، وزايدت المأثر باللوق وما حوله . وفي سادس ذي الحجة من سنة إحدى وسنين [وسنة] قدم من المغل والبهادرية زيادة على ألف وثلاثمائة فارس ، وأنزلوا في مساكن عمرت لهم باللوق بأهلهم وأولادهم .

(١) كذا في س . انظر ما يل ( ص ٤٧٩ ، سطر ١٤ ) ، حيث سمي المقرئ هذا الأمير باسم سيف الدين كشتك ، وهو مترجم إلى (Keschtek) في (Quatremère : Op. Cit. I. 1. p. 181) .

(٢) في س "صندغون" بنقط العين من تحتها ، وبغير ضبط . راجع ابن أبي الفضائل (كتاب التهج السديد ، ص ٩٤) . وقد تقدمت الإشارة إلى سبب سير هذا القائد التتار إلى الموصل تلك السنة . انظر ص ٦٧ ، حاشية ٤

(٣) كان عمر علاء الدين هذا تلك السنة ثلاث سنين ، وقد صفاه التتار قبل قتله ، ثم وسطوه بحبل قوس شذوه حول وسطه حتى انقطع جسمه نصفين . (D'Ohsson. Op. Cit. III. p. 374) .

(٤) أضيف ما بين القوسين من ابن أبي الفضائل (كتاب التهج السديد ، ص ٩٤) ، وهناك رواية أخرى في مصرع الملك الصالح ، وهي أنه وصل فعلا إلى حضرة هولاكو فأمر بوضعه في جلدشاة ، وتركه فيها معرضا لحرارة الشمس مدة شهر كامل ، حتى مات . (D'Ohsson : Op. Cit. III. p. 374) .

(٥) مضبوط هكذا في س . (٦) في س "واستأذن" .



شمس الدين السلطان [ في العبور إلى مصر، فأذن له وسار إلى القاهرة فدخلها أول ذي القعدة،  
فأنعم عليه السلطان وأقطعته إمرة سبعين فارساً . وولى [ السلطان ] بعده نيابة حلب الأمير  
عزالدين أيدير الشهابي، فواقع أهل سيس وأخذ منهم جماعة، وبعثهم إلى مصر فوسطوا.

وفيها وفد على السلطان بعيد كسرة المستنصر شيوخ عبادة وخفاجة، من هيت والأنبار  
إلى الحلة والكوفة<sup>(١)</sup>، وكبيرهم خضر بن بدران بن مقلد بن سايان بن مهارش العبادي، وشهرى<sup>(٢)</sup>  
ابن أحمد الخفاجي، ومقبل بن سالم، وعياش بن حديثة، ووشاح، وغيرهم . فأنعم السلطان  
عليهم وكانوا له عينا على التار .

ومات في هذه السنة من الأعيان الخليفة أمير المؤمنين المستنصر بالله أبو القاسم أحمد بن  
الظاهر بالله أبي نصر محمد بن الناصر لدين الله أبي العباس أحمد العباسي، قتيلا في المعركة  
قريبا من هيت . وتوفي شيخ الإسلام عز الدين أبو محمد عبد العزيز بن عبد السلام بن  
أبي القاسم بن الحسن المذهب السلمي الشافعي، عن اثنين وستين سنة، في .....<sup>(٣)</sup> . وتوفي  
الصاحب كمال الدين أبو القاسم عمر بن نجم الدين أبي الحسن أحمد بن هبة الله بن محمد بن  
هبة الله بن أحمد بن يحيى بن العديم الحنفي بالقاهرة<sup>(٤)</sup>، عن نيف وستين سنة . وتوفي الأديب  
عبي الدين أبو العز يوسف بن يوسف بن سلامة بن زبلاق الهاشمي الموصل  
الأديب الشاعر الكاتب، قتيلا بالموصل، عن سبع وخمسين سنة .

(١) يلاحظ أن هذه البلاد كانت حتى مقتل الخليفة المستنصر بيد الأمير شمس الدين سلار، وهو الذي  
جاء إلى السلطان يبرس قبلا فأكرمه وأحسن إليه . (انظر ص ٤٦٨، حاشية ٣) . وقد كتب الأمير شمس الدين بعد  
ذلك إلى من تأخر من خدائيه وإلى أصحابه من خفاجة، وأخبرهم بما قاله من الإحسان على يد السلطان (ابن واصل:  
تقس المراجع، ص ٤٠٠)، فلحقوا به كما بالمتن .

(٢) كذا في ص .

(٣) بياض في ص، وقد ورد في ابن واصل (تقس المراجع، ص ٤٠٨ ب) أنه توفي بمصر .

(٤) جاء في (Enc. Isl. Art. Kamal al Din) أن الصاحب كمال الدين ابن العديم، وهو مؤلف  
كتاب تاريخ حلب المشهور، كان قد هرب مع الناصر صاحب حلب من وجه التت إلى القاهرة . ثم استدعاه هولاكو  
إلى الشام ليريه قضاء القضاة بها، غير أن ظل مقبلا بالقاهرة حتى مات .



\*\*\*

سنة إحدى وستين وثمانمائة . في الخميس ثامن المحرم جلس الملك الظاهر مجلسا عاما جمع فيه الناس ، وحضره التتار الذين وفدوا من العراق والرسل المتوجهون الى الملك بركه . وجاء الأمير أبو العباس أحمد بن أبي بكر على بن أبي بكر بن أحمد بن المسترشد بالله العباسي ، وهو راكب ، الى الإيوان الكبير بقلعة الجبل . وجلس الى جانب السلطان ، وقُرى نسبه على الناس بعد ما ثبت على قاضي القضاة تاج الدين عبد الوهاب بن بنت الأعز ، ولُقب بالإمام الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين<sup>(١)</sup> ، وتولى قراءة نسبه القاضي محي الدين بن عبد الظاهر كاتب السر . فلما ثبت ذلك مد السلطان يده وبايعه على العمل بكتاب الله وسنة رسوله ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وجهاد أعداء الله ، وأخذ أموال الله بحققها وصرفها في مستحقها ، والوفاء بالعهود وإقامة الحدود ، وما يجب على الأئمة فعله في أمور الدين وحراسة المسلمين . فلما تمت البيعة أقبل [ الخليفة ] على السلطان وفلده أمور البلاد والعباد ، وجعل إليه تدبير الخلق ، وأقامه قسيمه في القيام بالحق ، وفوض اليه سائر الأمور ، وعقد به صلاح الجمهور . ثم أخذ الناس على اختلاف طبقاتهم في مبايعته ، فلم يبق ملك ولا أمير ولا وزير ولا قاض ولا ( ١٢١ ب ) مشير ولا جندي ولا فقيه إلا وبايعه . فلما تمت البيعة تحدث السلطان معه في إنفاذ الرسل الى الملك بركه ، وانقض الناس .

فلما كان يوم الجمعة ثاني هذا اليوم ، اجتمع الناس وحضر الرسل المذكورون ، وبرز الخليفة الحاكم بأمر الله وعليه سواده ، وصعد المنبر لخطبة الجمعة فقال : " الحمد لله الذي أقام لال العباس ركا وظهيرا ، وجعل لهم من لديه سلطانا نصيرا . أحمد على السراء والضراء ، وأستنصره على دفع الأعداء . وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا

(١) ليس في ما يقابل هذه العبارة في أي العدا (المختصر في أخبار البشر ، ص ١٤٨ ، في Rec. Hist. Or. I) ، فتأكد في صحة نسبة هذا الخليفة كمنشكبه السابق بصدد الخليفة المستنصر ، (انظر ص ٥٠ ، حاشية ٢) ، على أن عبارته لم تخل من التميز ، وهذا نصها " وفي أوخر ذي الحجة من هذه السنة جلس الملك الظاهر مجلسا عاما ، وأحضر شخصاً... من نسل بني العباس يسمى أحمد ، بعد أن أثبت نسبه ، وبايعه بالخلافة . ولقب أحمد المذكور الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين ... " .

(٢) كذا في م .



عبدہ ورسولہ صلی اللہ علیہ ، وعلى آلہ وصحبہ نجوم الاحتداء وأئمة الاقتداء الأربعة الخلفاء ، وعلى  
العباس عمہ وكاشف غمہ أبی السادة الخلفاء الراشدين<sup>(١)</sup> والأئمة المهديين ، وعلى بقية الصحابة  
التابعين لم یأحسن الى يوم الدين . أيها الناس ! اعلّموا أن الإمامة فرض من فروض  
الإسلام ، والجهاد محتوم على جميع الأنام ، ولا يقوم علم الجهاد إلا باجتماع كلمة العباد ، ولا سببت  
الحرم إلا باتهاك المحارم ، ولا سفكت الدماء إلا بارتكاب المآثم . فلو شاهدتم أعداء الإسلام  
حين دخلوا دار السلام ، واستباحوا الدماء والأموال ، وقتلوا الرجال والأبطال والأطفال ،  
وهتكوا حرم الخليفة والحريم ، وأذاقوا من استبقوا العذاب الأليم ، فارتفعت الأصوات بالبكاء  
والعويل ، وعلت الضججات من هول ذلك اليوم الطويل . فكم من شيخ خضبت شببته  
بدمائه ، وكم طفل بكى فلم يرحم لبيكاته . فشمروا عن ساق الاجتهاد في إحياء فرض الجهاد  
وَأَتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ، وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ ، وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ  
قُلُوبُكُمْ هُمْ الْمُفْلِحُونَ . فلم تبق معذرة عن القعود عن أعداء الدين ، والمحاماة عن المسامين .  
”وهذا السلطان الملك الظاهر ، السيد الأجل العالم العادل المجاهد المربط ركن الدنيا  
والدين ، قد قام بنصر الإمامة عند قلة الأنصار ، وشرّد جيوش الكفر بعد أن جاسوا خلال  
الديار . فأصبحت البيعة باهتمامه منتظمة العقود . والدولة العباسية به متكاثرة الجنود .  
فبادروا عباد الله الى شكر هذه النعمة ، وأخلصوا نيابكم تُنصروا ، وقاتلوا أولياء الشيطان  
تظفروا . ولا يروّعنكم ما جرى ، ( ١٢٢ ) فالجرب سجال والعاقبة للمتقين ، والدهر بومان  
والأخرى للمؤمنين . جمع الله على التقوى أمركم ، وأعز بالإيمان نصركم ، واستغفر الله العظيم  
لى ولكم ولسائر المسلمين ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم “ .

وجلس [الخليفة] جلسة الاستراحة . ثم قام للخطبة الثانية وقال : ” الحمد لله حمدا يقوم

(١) كذا في س ، ، والمقصود بالسادة الخلفاء الراشدين هنا بنو العباس .

(٢) المقصود بهذا بغداد ، والإشارة الى سقوطها في يد التتار .

(٣) يوجد بهامش هذه الصفحة في س ، علامة مكتوبة هكذا ٣٣ ، ولعلها إشارة أخرى الى السنة التي

وصل المقرري فيها الى هذا النظم من السلوك ، أى سنة ٨٣٣ هـ (انظر ص ٤٣٨ ، حاشية ٥ ، ص ٤٦٩ ، حاشية ١) .



بشكر نعمائه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له عدة للقاءه، وأشهد أن محمداً سيد رسله وأنبيائه، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه عدد ما خلق في أرضه وسماؤه . أوصيكم عباد الله بتقوى الله، إن أحسن ما وعظ به الإنسان كلام الملك الديان : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ، فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا . نفعتنا الله وإياكم بكتابه، وأجزل لنا ولكم من ثوابه، وغفر لي ولكم وللمسلمين أجمعين ، والحمد لله رب العالمين<sup>(١)</sup> . ثم نزل [الخلافة] وصلى بالناس صلاة الجمعة، وانصرف .

وفي هذا اليوم خطب على منابر القاهرة ومصر بالدعاء للخليفة الحاكم بأمر الله، وكتب إلى الأعمال بذلك، فخطب له بدمشق في يوم الجمعة سادس عشره . وقد قيل في نسبه إنه أبو العباس أحمد بن الأمير محمد بن الحسن بن أبي بكر بن الحسن بن علي القبي<sup>(٢)</sup> بن الحسن ابن أمير المؤمنين الراشد بن المسترشد ، وهو الخليفة التاسع والثلاثون من خلفاء بني العباس ، وليس فيهم بعد السفاح والمنصور من ليس أبوه وجده خليفة غيره، وأما من ليس أبوه خليفة فكثير .

وتجهز الفقيه مجد الدين والأمير سيف الدين كش تك<sup>(٣)</sup> ، وكتب على يدهما كتب بأحوال الإسلام ومبايعة الخليفة، واستدلة الملك بركه وحشه على الجهاد ، ووصف عساكر المسلمين وكثرتهم وعدة أجناسهم ، وما فيها من خيل وتركان وعشائر وأكراد ، ومن وافقها وهادها

(١) يوجد نص هذين الخطبين في ابن واصل (نفس المربع، ص ١٤١٠ — ب) .

(٢) كذا في س، بضم القاف فقط . ولعل هذه النسبة مأخوذة من قبة الحمار، وهي دار أنشأها الخليفة المكتفي بأمره في بغداد ، وقد سميت بذلك الاسم لأنه كان يصعد إليها على حمار له . هذا وقد كانت بلدة الرحبة تعرف باسم قبة الكوفة ، ومن هذه النسبة خرج ياقوت (معجم البلدان، ج ٤، ص ٢٣) تلك النسبة .

(٣) كذا في س، وقد تقدم ذكر هذا الأمير باسم "كسر بك" ، (انظر ص ٤٧٥، سطر ٢)، وهو وارد بهذا الرسم المتقدم من غير قطع في ابن واصل (نفس المربع، ص ١٤٠٩)، وأصله حسبما جاء في نفس المربع والصفحة، "رجل ترى كان جدار خوارزم شاه، له معرفة بالبلاد وخبرة بالألسنة" .

(٤) في س "حبل" ، وفي ابن واصل (نفس المربع والصفحة) "خيل تركان" ، بغير واو بين اللفظين أو فقط البتة .



وهادنها، وأنها كلها سامعة مطبوعة [لإشارته، إلى غير ذلك من] الإغراء بهلاون وتهوين أمره والإشلاء عليه وتقبيح فعله، ونحو ذلك . وجهاز [السلطان] معهما أيضا نسخة نسبة الخليفة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأُذِيت وكتب فيها الإستجال بثبوتها . وُجِّعت الأمراء والمفاردة وغيرهم وقرئت عليهم الكتب، وصلت إلى الرسل . وسير معهما نفران من التتر أصحاب الملك بركة ليعرفاهما بالطرق، وساروا في الطرائد ومعهم زوادة أشهر . فوصلوا إلى الأشكري فقام بخدمتهم، واتفق وصول رسل الملك بركة إليه (١٢٢ ب) فسيرهم صحبته . وعاد الفقيه مجد الدين لمرض نزل به، ومعه كتاب الأشكري بمسير الأمير سيف الدين ورفقته . وسار الأمير جمال الدين أفوش التجيبي الصالحى إلى نيابة دمشق، ومعه صاحب عز الدين عبد العزيزين وداعة وزير دمشق، وعلى يده تذاكر شريفة بعد ما خلع عليهما .

وفي سابع ربيع الآخر سار السلطان من قلعة الجبل إلى بلاد الشام، ونزل خارج القاهرة . ورحل في حادى عشره، ودام الصيد إلى أن دخل غزوة، بعد ما ضرب حلقة بثلاثة آلاف

(١) عبارة المقرئى هنا غير مستقيمة، ونصها : "وأنا كلها سامعة مطبوعة واغراء بهلاون..."، وقد عدلت وأضفت ما بين القوسين من ابن واصل (قس المرجع والصفحة) .

(٢) جمع مفردى، والمفاردة نوع من عساكر حلقة السلطان . ويظهر أنهم أفردوا بهذه التسمية لتجنيهم مباشرة لديوان المفرد، وهو ديوان يرجع تأسيسه إلى أيام الخاطمين . وكانت تخرج منه في زمن الدولة المملوكية بقعة المليك السلطانية من جاميكات وعليق وكوة . (انظر القلقشندي : صبح الأعشى، ج ٢، ص ٣٥٧ ؛ ابن شاهين : زبدة كشف المالك، ص ١٠٧ ؛ Quatremère : Op. Cit. I. 1. p. 187. n. 66 ؛ G.-Demombynes : Op. Cit. Introd. P. XXXIII).

(٣) في س "ليعرفها" .

(٤) الرسل، كما هو مضبوط بالمتن، الجماعة والقطيع من كل شيء، وجمعه أرسال . (محيط المحيط) .

(٥) التذاكر جمع تذكرة، وهي كما يدل عليها معناها المعنى كل مكتوب يصدر من السلطان إلى نوابه بالأقاليم المصرية ونيابات الشام، أو إلى قصاده الذين يرسلهم في مهام الدولة . لتذكيرهم بتدبير ما يوكل إليهم، وليكون بمثابة ورقة اعتماد ووجهة عند الجهات التي يقصدونها . (القلقشندي : صبح الأعشى، ج ١٣، ص ٧٩ — ١٠٤) .

انظر أيضا (G.-Demombynes : Op. Cit. Introd. P. LXX)، حيث ترجم فقط تذكرة إلى (note résumée) ، وقد ترجمه (Quatremère : Op. Cit. I. 1. P. 188. N. 68) إلى (un acte, un rescrit émané du prince)



فارس في العريش، فوقع فيها صيد كثير جدا . وتقطر<sup>(١)</sup> الأمير شمس الدين سنقر الرومي [عن فرسه]، فسار السلطان اليه ونزل عنده ، وجعل رأسه على ركبته وأخرج من خربطته مومي<sup>(٢)</sup>ا وسقاه ، وأخذ معه الى خيمته . وتقطر<sup>(٣)</sup> الأمير سيف الدين قلاوون ، فاعتمد [السلطان] معه مثل ذلك .

- ٥ . وقدم عليه في غزوة جماعة منهم أم الملك المغيث عمر بن العادل أبي بكر بن الكامل محمد ابن العادل أبي بكر بن أيوب صاحب الكرك ، فأنعم عليها إنعاما كثيرا وأعطى سائر من كان معها ، [وحصل الحديث في حضور ولد<sup>(٤)</sup>ها إلى السلطان] ، وعادت إلى ابنها بالكرك . ومن جملة ما زودها به [السلطان] من صيده خمسة عشر حملا ، وسار معها الأمير شرف الدين الجساكي المهنمدار ، برسم تجهيز الإقامات<sup>(٥)</sup> لملك<sup>(٦)</sup> المغيث إذا حضر . ونظر السلطان في أمر التركمان ، وخلع على أمرائهم وعلى أمراء [العربان من] العابد وجرم ونعلبة ، وصمّتهم البلاد وألزمهم القيام بالعداد<sup>(٧)</sup> ، وشرط عليهم خدمة البريد وإحضار الخيل برسمه . وكتب إلى ملك شيراز وأهل تلك الديار ، وإلى عرب خفاجة ، يستحثهم على قتال هولاء<sup>(٨)</sup> ملك التتار ، وأن الأخبار قد وردت من البحر بكسر الملك بركة له غير مرة .

(١) كذا في س ، وقد دأب الناصر على إصلاح هذا القمل الى "تقطر" فياسبق من الصفحات ، على أن الصيغة الموجودة بالمتن هنا واردة في (Dozy : Supp. Diet. Ar.) ، مقرونة باستشهاد على صحتها في اللغة العربية الفصحى .  
(٢) الموميا — وهي لفظ يونانية الأصل — مادة دواء يستعمل شربا ومرورا وضادا ، ويستخدم كثيرا لخبث العظام المكسورة . وهي مادة تتحد من بعض الجبال مع الماء ، وتفوح منها وهي جامدة رائحة مثل رائحة الزيت . وتطلق الموميا أيضا على الدواء المعروف بفقر اليهود ، ومل حجارة سود فيها مجويف توجد في صنعاء اليمن ، وتكسر هذه الحجارة فيوجد في مجويفها ماء سائل أسود ، فتل الحجارة والسائل في الزيت لتفاد جميع ما فيها من تلك الرطوبة السوداء السبالة . (محيط المحيط ، Dozy : Supp. Diet. Ar.) .

(٣) أخيف ما بين القوسين من ابن واصل (نفس المراجع ، ص ٤١٢ ب) .

(٤) أخيف ما بين الأقواس من ابن واصل (نفس المراجع ، ص ٤١٢ ب) .

(٥) في س "العاد" . راجع الفلقتندي (صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٢٠٥ ، ٢١١) .

(٦) العداد هنا زكاة . فمروسة السلطان سنو با على قطعان القبائل العربية والتركانية ، وفي : (Quatremère)

Op. Cit. I. 1. p. 189. N. 69) أمثلة لتوضيح هذه الزكاة ، منها أنه كان يحصل من التركمان "في كل سنة

عشرات آلاف من الغنم ، تؤخذ منهم عن زكاة أغنامهم ، يقال لها العداد" . (انظر أيضا محيط المحيط) .



ثم رحل [السلطان] من غزة [إلى جهة الساحل]، ونزل الطور في ثاني عشر جمادى الأولى، وقدم [إليه هناك] <sup>(١)</sup> الملك الأشرف صاحب حمص في خامس عشره بإذن [منه] . فتقاه السلطان وأكرمه، وبعث إليه سبعين غزالا في دفعة واحدة، وقال : ”هذا صيد يومنا هذا، جعلته لك“ . وخرج [إليه] الملك المغيث من الكرك، بعد ما كاتبه الملك الظاهر يستدعيه وهو يسوف به . فأظهر السلطان من الاحتفال به شيئا كثيرا، وخذعه أعظم خديعة، وكنم أمره عن كل أحد . فلما وصل [المغيث] بيسان ركب السلطان إلى لقائه في سادس عشرى جمادى الأولى، ووافاه في أحسن زى . فعند ما التقيا ساق الملك المغيث إلى جانب السلطان، فسار به إلى (١٢٣) دهليز السلطاني، ودخلا إلى خركاه، وللوقت قبض عليه . وأحضر [السلطان] الملوك والأمراء، وقاضى القضاة شمس الدين أحمد بن خلكان - وكان قد استدعاه من دمشق، والشهود والأجناد ورسل الفرج . وأخرج [السلطان] إليهم كُتُب الملك المغيث إلى التتار وكُتُب التتار إليه، وأخرج أيضا فتاوى الفقهاء بقتاله، وأحضر أيضا <sup>(٢)</sup> القضاة الذين كانوا يسفرون بينه وبين دولاكو . ثم قال ”الأمير“ لا تأبك لمن حضر : ”السلطان <sup>(٣)</sup> الملك الظاهر يسلم عليكم“ ، ويقول ما أخذت الملك المغيث إلا بهذا السبب“ ، وقرئت الكتب المذكورة عليهم . فكتب بصورة الحال، وأثبت القضاة خطوطهم في المكتوب، وانفض الجمع . وجلس السلطان وأمر فكتب إلى من بالكرك بعدهم ويحذرهم . وسير الأمير بدر الدين بيسرى، والأمير عز الدين الأستاذار، بالكتب والخلع والأموال إلى الكرك . وأرسل الملك المغيث عشاء إلى مصر مع الأمير شمس الدين آقستقر التارقاني السلاح دار،

(١) أضيف ما بين الأقواس في هذه الفقرة كلها من ابن واصل (نفس المراجع، ص ٤١٣) .

(٢) في من ”وقال“ .

(٣) في من ”الملك الظاهر السلطان“ .

(٤) كانت هذه الكتب حسبما ورد في ابن واصل (نفس المراجع، ص ٤١٣ ب) أجوبة كتب من الملك المغيث ”مضى، ونها شكر هلازون ملك الترمش، واعتداده باعتزايه (كذا) إليه، وبعده بوعود حسنة، ويقول في أمور منها قد أظعنك من بصرى إلى غزة، ويقول قد عرفت ما أشار إليه من طلب عشرين ألف فارس يسيرها إليه بفتح بها مصر، وبعده بأرسالها ويوميه على أمور جيدة“ .



فسار به الى قلعة الجبل وسجنه بها . وأطلق [السلطان] حواشيه ، وبعث بغيرته الى مصر ، وأطلق لهم الرواتب .

ولما خلا بال السلطان من هم الملك المغيث . توجه بكتيته الى الفرنج : فإنهم [كانوا قد] شرعوا في التعلل وطلبوا زرعين ، فأجابهم السلطان " بأنكم تموضم عنها في الأيام الناصرية ضياعا من مرج عيون " ، [وهم لا يزدادون] لا شكوى . وآخر الحال طلب الفرنج من والى غزة كتابا يتمكن رسلكم إذا حضروا . فكتب لهم الكتاب ، وتواصلت بعد ذلك كتبهم . ووردت كتب النواب بشكواهم ، وأنهم قد اعتمدوا أمورا تفسخ الهدنة . فلما صار السلطان في وسط بلادهم وردت عليه كتبهم . وفيها : " ماعرفنا بوصول السلطان " . فكتب إليهم : " من يريد [أن] يتولى أمرا ينبغي أن يكون فيه يقظة ، ومن خفى عنه خروج هذه العساكر ، وجهل ما علمته الوحوش في الغلاة والخيتان في المياه ، من كثرتها التي [لعل] بيوتكم ما فيها موضع إلا ويكنس منه التراب الذي أنارته خيل هذه العساكر ، ولعل وقع سنايكها قد أصم أسماع من وراء البحر من الفرنج ، ومن في موقان من النار . فإذا كانت هذه العساكر تصل جميعها الى أبواب بيوتكم ولا تدرن ، فأي شيء تعلمون ؟ [وماذا تحيطون به علما ؟ ولم لا أعطيتم لوالى غزة الكتاب الذى كنا سيرناه لكم يتمكن رسلكم إذا حضر ؟ ] فقال الرسول :

(١) وقعت تلك المفاوضات الأولى ، حيا سبق وروده هنا ، سنة ٦٥٩ هـ . (انظر ص ٤٦٤ ، سطر ٥) .

(٢) عبارة السلوك هنا مختصرة جدا ، وتنقصها بعض حقائق لازمة لفهم تسلسل الحوادث ، وقد أضيف ما بين

الأقواس في هذه الفقرة وما يليها من ابن واصل (نفس المراجع ، ص ٤١٤ أ - ب) .

(٣) في ص " عليهم " .

(٤) يفهم من ابن واصل (نفس المراجع والصفحة) أنه لما وصلت كتب شكوى النواب من تعدى الفرنج ومن عدم احترامهم لهدنة القنطرة ، أجاب السلطان أنهم رآه سيحقق تلك الأمور جميعا عند مجيئه الى الشام ، ونشر بدعوة الفرنج الى حضرته من أجل ذلك . فلما جاء الى الشام ورد إليه رسول من الفرنج وهما بسلامة الوصول ، وقال له بأن الفرنج لم يعرفوا بمجيئه ، وكان جواب السلطان للرسول كما يلى بالمتن . ويلاحظ أن المفهوم من عبارة المقرئى هنا أن ذلك كله حدث بالمكاتبة .

(٥) بفرضبط في ص ، وهى إحدى أقسام آذربيجان ، ويطلق عليها أهلها موقان أيضا ، وبها مروج كثيرة

تحتها التركان للرعى . (بافوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٦٨٦) .



”نسينا ، وما علمنا كيف عُدِم . فكان الجواب : ” إذا نسيتم هذا فأى شيء تذكرون ؟  
وإذا ضيَعتموه فأى شيء تحفظون ؟ “ وانفصل الحال على هذا . ووصلت نواب يافا ونواب  
أرسوف بهدية ، فأخذت منهم [نظميا لقلوبهم ، وتسكيناً لهم . هذا] و[قد] أمر السلطان  
ألا ينزل أحد في زرع الفرنج ولا يسبب فرساً ، ولا يؤذى لهم ورقة خضراء ، ولا يتعرض  
إلى شيء من مواشيهم ولا إلى (١٢٣ ب) أحد من فلاحهم .

وكانت كتبهم أولاً ترد بندمهم على الهدنة وطلبهم فسخها ، فلما قرب السلطان منهم  
صارت ترد بأنهم باقون على العهد متمسكون بأذيال المواثيق<sup>(١)</sup> .

وفي اليوم الذي قبض فيه على الملك المغيث ، أمر السلطان بإحضار بيوت الفرنجية وقال :  
” ما تقولون ؟ “ قالوا : ” نتمسك بالهدنة التي بيننا “ . فقال [السلطان] : ” لم لا كان هذا  
قبل حضورنا إلى هذا المكان ، وإنفاق الأموال التي لو جرت لكنت بحاراً ؟ ونحن [لما  
حضرنا إلى هاهنا] ما آذينا لكم زرعاً ولا غيره ، [ولا نهب لكم مال ولا ماشية ، ولا أسر لكم<sup>(٢)</sup>

(١) انظر ملحق رقم ١ في آخر هذا الجزء ، وهو نص لمضمون كتب وردت إلى السلطان يبرس من عند مقدم  
هيئة الفرسان الإسبتارية تلك السنة ، وجواب السلطان عليها .

(٢) المقصود بالبيوت هنا الدويلات الصليبية الباقية بالشام ، مثل بيت الاسبتار وبيت الداوية وإمارة يافا  
وإمارة أنطاكية . وفي ابن واصل (نفس المرجع ، ص ١٤١) مثل على هذا الاستعمال ، ونصه : ” ولما استقل  
ركاب الملك الظاهر وسار إلى وسط بلاد الفرنج ، ورد رسول منهم يذكر أن البيوت يقبلون الأرض ويهتجون  
بالسلامة ... “ . على أن تسمية الدويلات الصليبية باسم ” البيوت “ له معناه ، فإن بيتي الإسبتارية والداوية كما  
قد أصبحا — في تلك الأيام الباقية للصليبيين بالشرق — القوة الحربية التي يعتمد بها هناك . ولقد كان من بين  
الرسول الفرنج الذين جاءوا لحضرة السلطان تلك السنة ، واحد من قبل (Hugh Revel) رئيس الاسبتار ،  
وآخر من عند (Thomas Bernard) رئيس الداوية . انظر (King : The Knights Hospitallers In  
The Holy Land. pp. 258-259) .

(٣) أضيف ما بين القوسين من ابن واصل (نفس المرجع ، ص ١٤١) . وسلاحظ القارئ كثرة الإضافات  
بالصفحات التالية ، وكلها من نفس المرجع (ص ١٤١ — ١٤٦ ب) ، وسبب كثرة هذه الإضافات أن  
المقريزي اختصر ما أورده هنا من هذه الوثائق اختصاراً مغللاً ، مع أن المقام كان يقتضى منه النقل الحرفي . على أنه  
ليس مفهوماً تماماً سبب اختصار المقريزي لهذه الوثائق ، وقد يكون ذلك راجع إلى أن بعض الحقائق المتعلقة بها  
غير موجودة في صلب كتاب السلوك ، أو لأن المقريزي نقل هنا من مرجع مختصر .



- أسير] . وأتم منعم الجلب<sup>(١)</sup> والميرة عن العسكرا، [ وحرمتهم خروج شئ من الغلات والأغنام وغير ذلك، ومن انفرد من غلمان العسكرا أسرتموه ] . وسيرتم إليها بدمشق نسخة يمين حلفنا عليها، وسيرنا نسخة يمين [ من عندنا ] لم تحلفوا عليها، وعلمتم أنتم نسخة حلفتم عليها، وشرط اليمين الأولى تتعلق بالثانية . وسيرنا الأسارى إلى نابلس ومنها إلى دمشق، وما سيرتم أنتم أحدا، وكل بيت يحيل على الآخر، [ وما سيرنا الأسارى إلا وفاء بالعهد وإقامة الحجّة عليكم ] .  
 وسيرنا كمال الدين بن شيث رسولا يعلمكم بوصول الأسرى، فلم تبعثوا أحدا، ولم ترحموا أهل ملتكم الأسرى وقد وصلوا إلى أبواب بيوتكم، كل ذلك حتى لا تبطل أشغالكم من أسرى المسلمين عندكم . وأموال التجار شرطتم القيام بما أخذتموه منها، ثم قلتم ما أخذت من بلادنا وإنما أخذت في أنطرسوس، وحمل المال إلى خزنة [ بيت ] الديوية ولأسرى في بيت الديوية، فإن كانت أنطرسوس ما هى لكم فأنه يحقق ذلك . ثم إنا سيرنا رسلا إلى [ بلاد  
 السلاجقة ] الروم، وكتبنا إليكم بتسفيرهم في البحر، فأشرتم عليهم بالسفر إلى قبرس [ فسافروا بكتابكم وأمانكم ]، فأخذوا وقيدوا وضيق عليهم، وأتلف أحدهم [ على ما ذكر ] . فإن كان هذا برضاكم فقبّيح أن يعتمدوا هذا الاعتماد . هذا مع إحساننا إلى رسلكم [ وتجاركم ]، والوفاء أحد أركان الملك . وجرت عادة الرسل أنها لا تؤذى، وما زالت الحرب قائمة والرسل تتردد، [ وما القدرة على الرسول بشئ، يسكن غيظا ] . فإن كان هذا بغير رضاكم فإنه نقص في حرمتكم،  
 [ وإذا كان صاحب جزيرة قبرس من أهل ملتكم، يخرق حرمتكم ولا يبنى بعهدهم ولا يحفظ ذمامكم ولا يقبل شفاعتكم، فأى حرمة تبقى لكم وأى ذمام يوثق به منكم، وأى شفاعنة تقبل عند المسلمين والفرنجية ؟ ] . وهل كانت الملوك [ الماضية ] تقى النفوس [ والرجال ] والأموال إلا بحفظ الحرمة ؟ و [ ما ] صاحب [ جزيرة ] قبرس [ ملك عظيم ]، ولا صاحب حصن منيع،

(١) الجلب هنا ما نعله اللاد من الأطعمة للعبوش الدابة فربها، وينصح هذا المعنى من العبارة الآتية وهى من ابن أبي الفضائل (كتاب النهج الجديد، ص ١٠٨)، ونصها: "فأرسل الله سبحانه [ من ] الأمطار ما منعت الجلب، فقلت الأسعار ولحق العسكرا مشقة عظيمة".

(٢) هذه صيغة أخرى لفظ الدارية . انظر ابن واصل (نفس المربع، ص ٤١٥ ب).



- ولا قائد جيش كثير ، ولا هو خارج عنكم . بل [ أكثر تعلقاته في عكا والساحل ، وله عندكم المراكب والتجار ] والأموال والرسول [ ، وليس هو منفرد بنفسه ، وعنده الديوية وجميع البيوت والنواب مقيمون عنده ، وعنده كُند يافا [ وغيره ] . فلو كنتم لا تؤثرون ذلك كنتم قتم جميعكم عليه ، وأحطتم على كل ما يتعلق به [ وأصحابه ، واسترحتم من هذه الفضيحة ] ، وكنتم إلى ملوك الفرنجية وإلى البابا بما فعله . [ وإذا قتم صاحب قبرس لا يسمع منكم ولا يطيعكم ، فإذا لم يسمع منكم صاحب قبرس وهو من أهل منكم ، فمن يسمع منكم ؟ وهل لهذه المقدمة إلا الأمر والنهي ؟ ولا سيما أنتم تقولون إن أموركم دينية ، ومن ردها عصي المعبود ، ويفضض عليه المسيح . فكيف لا يعصى المعبود ويفضض المسيح على صاحب قبرس ، وهو قد رده أمركم وأغرى بكم وقبح قولكم ؟ وكألو اشتها أخذنا حقنا منه ، وإنما الحق عندكم نحن نطلب منكم ، وأنتم تطلبون منه ] . وأنتم في أيام [ الملك ] الصالح إسماعيل أخذتم صغد والشقيف ، على أنكم تجددونه<sup>(١)</sup> على السلطان الشهيد الملك الصالح نجم الدين [ أيوب ] . وخرجتم<sup>(٢)</sup> ( ١٢٤ ) جميعكم في خدمته ونجده ، وجرى ما جرى من خذلانه ، وقتلكم وأسرتم [ وأسر ملوككم وأسر مقدميكم ؛ وكل أحد يتحقق ما جرى عليكم من ذهاب الأرواح والأموال ] . و [ قد ] انتقضت تلك الدولة ، ولم يؤخذكم السلطان الشهيد عند فتوحه البلاد ، وأحسن إليكم فقابلتم ذلك بأن رحتم إلى الريدا<sup>(٣)</sup> فرنس ، وساعدتموه وأتيتم صحبته إلى مصر ، حتى جرى ما جرى من القتل والأسر . فأى مرة وفيتم فيها لمملكة مصر ، أم أى حركة أفلحتم [ فيها ] ؟ وبالجملية فأنتم أخذتم هذه البلاد من [ الملك ] الصالح إسماعيل لإعانة مملكة الشام ، وطاعة ملكها ونصرته [ والخروج في خدمته ، وإتفاق الأموال في نجده ] . وقد صارت [ بحمد الله ] مملكة الشام وغيرها لي ، وما أنا محتاج إلى نصرتم ولا إلى نجاتكم ، [ ولم يبق لي عدو أخافه ] . فردوا ما أخذتموه من البلاد ، وفكوا أسرى المسلمين جميعهم ، فإني لا أقبل غير ذلك ” .

(١) في م “تجدوه” . (٢) يوجد بين الصفحتين ١٢٣ ب ، ١٢٤ أ في م ورقة ملصقة ،

فيها رفيات تاجمة لسنة ٦٦١ هـ ، وسنورد في مكانها المناسب في ذيل هذه السنة .

(٣) انظر م ٣٣٢ ، ص ١٧ .



[ فلما سمع رسل الفرنج هذه المقالة بهتوا ] ، وقالوا : <sup>(١)</sup> "نحن لا ننقض الهدنة ، وإنما نطلب مراحم السلطان في استدامتها ، [ ونحن ] نزيل شكوى التواب ، ونخرج من جميع الدعاوى [ ونفك الأسرى ، [ ونستأنف الخدمة ] " . فقال السلطان : " كان هذا قبل خروجي من مصر ، في هذا الشتاء وهذه الأمطار ، ووصول العساكر [ إلى هنا ] . وانفصلوا على هذه الأمور ] ، فأمر [ السلطان ] بإخراجهم وألا يبيتوا في الوطاق . ووجه الأمير علاء الدين طبرس إلى كنيسة الناصرة ، وكانت أجل مواطن عباداتهم ويزعمون أن دين النصرانية ظهر منها ، فسار إليها وهدمها ، فلم يتجاسر أحد من الفرنج [ أن ] يتحرك . ثم وجه [ السلطان ] الأمير بدر الدين الأيدمرى في عسكر إلى عكا ، فساروا إليها وافتحموا أبوابها وعادوا . ثم ساروا ثانيا ، وأغاروا على مواشى الفرنج ، وأحضروا منها شيئا كثيرا إلى الخيم .

واستمر جلوس السلطان كل يوم على باب الدهليز بصفة عمرها ، من غير احتجاب عن أحد ، [ فمن وقف له أحضره وأخذ قصته وأنصفه ] <sup>(٢)</sup> ، وهو في أمر ونهى وعطاء وتدبير ، واستجلاب [ قلوب ] أهل الكرك . وقدمت رسل دار الدعوة بالمدايا ، فأحسن إليهم وعادوا .

(١) في س "هالوا" .

(٢) الصفة هنا مطبة مرتفعة تستعمل للجلوس عليها (محيط المحيط) ، ومن معانيها في (Dozy: Supp. Diet. Ar.) المقطع الإنجليزي (sofa) أى الأريكة أو المقعد ، وى شبه بين منطوق المصنفين العربى والإنجليزى . يوجب الانفتاح . وفى ابن راصل (نفس المرجع ، ص ٤١٦ ب) أن هذه الصفة التى عمرها السلطان يبرس كانت مبنية بالحجر المنحوت ، وعليها اسم السلطان .

(٣) القصة هى الطلب أو الالتماس (resquête, placet) ، ويرفعها صاحب الحاجة أو الشكوى إلى حضرة السلطان عن طريق موظف خاص اسمه قصة دار . وقد تكون القصة خاصة بطلب تحديد إقطاع انتهى عقده ، أو بإرتجاع إقطاع انتقل عن صاحبه لسبب من الأسباب ، وفى مثل هذه الحالة تعرض القصة أولا على ناظر الجيش ، (يكشف عنها قبل عرضها على السلطان . انظر (الفلقشتدى : صبح الأعشى ، ج ١٣ ، ص ١٥٤ ، Dozy : Supp. Diet. Ar.) .

(٤) أضيف ما بين القوسين من ابن راصل (نفس المرجع ، ص ٤١٦ ب) .

(٥) المقصود بدار الدعوة هنا مركز الإسماعيلية بالنسام (Quatremère : Op. Cit. I. 1. p. 198) ، وهو ثغر مصياف (Le Strango : Palest. Under Moslems. p. 352) ، واسمه مصياف أيضا ، وموقعه بالساحل قرب طرابلس . (بافوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٥٥٦) .



وأمر جماعة في الشام والساحل ، وأعطى الأمير علاء الدين أيديكين البندقدار إقطاعا جيدا بمصر . وطلب أهل بلاد الساحل من الفلاحين ، وقرر عليهم أموالا ستمها جنايات<sup>(١)</sup> ، والزمهم بحملها الى بيت المال ، عن ديات من قتل وأيس له وارث وعما نهبوه من مال جهل مالكة . فحملت من ذلك أموال كثيرة جدا من بلاد نابلس وبلاد الساحل ، وانكسرت شوكة أهل العيث والفساد بذلك بعد ما كان الضرر عظيما بهم ، من تسلطهم على الرعية (١٢٤ ب) ونقلهم الأخبار للفرنج . فرأى [ السلطان ] عقوبتهم بهذا الفعل أولى من قتلهم ، فأنهم أصحاب زرع وضرع .

ولما كان ليلة السبت رابع جمادى الآخرة ، ركب السلطان وجرّد من كل عشرة فارسا ، واستناب الأمير شجاع الدين الشبلى المهمندار في الدهليز السلطاني ، وساق من منزلة الطور نصف الليل . فصبح عكا وأطاف بها من جهة البر ، وندب جماعة لحصار برج كان قريبا منه فشرعوا في نقبه ، وأقام [ السلطان ] على ذلك الى قريب المغرب وعاد . وكان قصده بذلك كشف مدينة عكا ، فإن الفرنج كانوا يزعمون أن أحدا لا يجسر أن يقرب منها ، فصاروا ينظرون من أبواب المدينة ولا يستطيعون حركة . ولما عاد السلطان الى الدهليز ركب لما أصبح ، وأركب الناس معه ، وساق الى عكا . فإذا الفرنج قد حفروا خندقا حول تل الفضول ، وجعلوا معائر<sup>(٢)</sup> في الطريق ، ووقفوا صفوفًا على التل . فلما أشرف [ السلطان ] عليهم رتب<sup>(٣)</sup> العسكر بنفسه ، وشرع الجميع في ذكر الله وتهليله وتكبيره ، والسلطان يحثهم على ذلك حتى ارتفعت أصواتهم . وللوقت رُدّت الخنادق بأيدي غلمان العساكر وبمن حضر من الفقراء المجاهدين ، وصعد المسلمون فوق تل الفضول ، وقد انهزم الفرنج الى المدينة .

(١) الجنايات جمع جناية ، ومعناها في الاصطلاح التاريخي ما يفرضه السلطان من الضرائب والغرامات التأديبية على رعيته . (Quatremère: Op. Cit. I. 1. p. 199. N.79) . انظر أيضا (Dozy: Supp. Dict. Ar.) .  
(٢) ترجم (Quatremère : Op. Cit. I. 1. p. 200) هذا اللفظ الى (chausse - trapes) ، ولعل المعائر جمع العائور ، وهو ما يمد في الأرض من حفرة ونحوها يقع فيه أحد ، وتأني أيضا بمعنى المهلكة من الأرض ، ويعني البئر . (محيط المحيط) .



وامتدت الأيدي إلى ماحول عكا من الأبراج فهدمت، وحرقت الأشجار حتى انعقد الجو من دخانها . وساق العسكر إلى أبواب عكا، وقتلوا وأسروا عدة من الفرنج في ساعة واحدة، والسلطان قائم على رأس التل يعمل الراى في أخذ المدينة، والأمراء تحمل على الأبواب واحدا بعد واحد . ثم حملوا حملة واحدة ألفوا فيها الفرنج في الخنادق، وهلك منهم جماعة في الأبواب . فلما كان آخر النهار ساق السلطان إلى البرج الذي نُقِب، وقد تعلق حتى رُمى بين يديه، وأخذ<sup>(١)</sup> منه أربعة من الفرسان ونيف وثلاثون راجلا، وبات [ السلطان على ذلك ] . فلما أصبح عاد على بلاد الفرنج وكشفها مكانا مكانا، وعبر على الناصرة حتى شاهد خراب كنيستها وقد سُوى بها الأرض، وصار إلى الصفة التي بناها قبالة الطور، فوافاها ليلا وجلس عليها . وأحضر<sup>(٢)</sup> الشموع [ التي ] بالمنجنيقات ونصب عليها خيمة، وأحضر<sup>(٣)</sup> الصاحب نحر الدين محمد بن حنا وزير الصعبة . وجماعة كتاب الدرج وهم (١١٢٥) سبعة : الصاحب نحر الدين بن ١٠

(١) هذا اللفظ مضبوط في م بضم الألف فقط .

(٢) الشموع جمع شمع، ومعنى الشموع هنا الأعمدة الخشبية الدقيقة (mince pilier) . انظر (محيط المحيط

: Dozy : Supp. Diet. Ar. ) .

(٣) كان كتاب الدرج من موظفي ديوان الإنشاء، وكذلك كتاب الدست، وقد شرح الفلشندي (صبح الأضيء، ج ١، ص ١٢٧، وما بعدها) عمل كل من هاتين الطبقتين من الكتاب وعددهما في زمة وقبلة، وبين أصل تسميتهما أيضا، ونصه : "وأما ما استقر عليه الحال في زماننا فكتاب الديوان على طبقتين : الطبقة الأولى كتاب الدست، وهم الذين يجلسون مع كاتب السر بمجلس السلطان يدار العدل في المواكب، على ترتيب منازلهم بالقدم، ويقرون القصص على السلطان بعد قراءة كاتب السر على ترتيب جلوسهم، ويقرون على القصص كما يوقع عليها كاتب السر . وصموا كتاب الدست إضافة إلى دست السلطان، وهو مرتبة جلوسه، بجلوسهم للكتابة بين يديه . وهؤلاء هم أحق كتاب ديوان الإنشاء باسم الموقعين لتوقيعهم على جوانب القصص بخلاف غيرهم . و... كانوا في أوائل الدولة التركية، في الأيام الظاهرية ببيرس وما والاها، قبل أن يلقب صاحب ديوان الإنشاء بكاتب السر، ثلاثة كتاب ... ثم زادوا بعد ذلك قليلا إلى أن صاروا في آخر الدولة الأشرافية شعب بن حسين عشرة أو نحوها، ثم تزايدوا بعد ذلك شيئا فشيئا، خصوصا في سلطنة الظاهر برقوق وابنه الناصر فرج، حتى جاوزوا العشرين وهم آخذون في التزايد ... (ص ١٣) الطبقة الثانية كتاب المدرج، وهم الذين يكتبون ما يوقع به كاتب السر أو كتاب الدست، أو إشارة السائب أو الوزير أو رسالة الدوادار، ويحذفون من المكتوبات والتقليد وتوافيق والمراسيم والمناشير والأيمان والأمانات، ونحو ذلك مما يجري مجراه . وصموا كتاب المدرج لكتابتهم هذه المكتوبات ونحوها في دروج الورق، والمراد بالمدرج في الحرف ...



لقمان، والصدر بدر الدين حسن الموصل، والصدر كمال الدين أحمد بن العجمي، والصدر فتح الدين بن القيسراني، والصدر شهاب الدين أحمد بن عبيد الله، والصدر برهان الدين .  
و [أحضر] كتاب الجيش . وأمر الأمير سيف الدين الريني أمير علم أن يجلس مع كتاب الجيش ، لأجل كتابة المناشير وتجهيز الطباخانة . وأن يكون الأتابك بين يدي السلطان .  
واستدعى من الجُشارات بخمسة فرس لأجل الطباخانة وخبول الأمراء . وأحضرت خلع كثيرة، وأمر السلاح دارية أن يستريحوا بالنوبة ويحضروا . فلم تزل المثالات<sup>(٢)</sup> والمناشير<sup>(٣)</sup>

== العام الورق المستطيل المركب من عدة أوصال، وهو في عرف الزمان عبارة عن عشرين وصلا متلاصقة لا غير...  
ويتوزأ أن يطلق عليهم [ أي كتاب الدرج ] لأنهم يكتبون ما يند من المكاتبات ويحفظونها تقدم ذكره، ولا يجوز أن يطلق عليهم لقب الموفعين، لما تقدم أن المراد من التوقيع الكتابة على حوائط النقص ونحوه . وكما زاد عدد كتاب الدست في العدد زاد كتاب الدرج حتى خرجوا عن الحد، وبلغوا نحو من مائة وثلاثين كتابا... على أن كتاب الدست الآن هم المتصدرون لكتابة المهم من كتابة الدرج ، كتطبيقات البريد المختصة بالسلطان من المكاتبات والمعهود والقبائل وكبار التواقيع والمراسيم والمناسبات . وصار كتاب الدرج مخصوصين بالمكاتبات في حواصل الحقوق وما في معناها، وكذلك صفار التواقيع والمراسيم والمناسبات مما يكتب في القطع الصغير . وربما شارك أعلام كتاب الدست في التقاليد وكبار التواقيع وما في معناها، إذا كان حسن الخط... . انظر أيضا القلقشندي (نفس المرجع)، ج ٥، ص ٤٦٤ - ٤٦٥ (G. - Demombynes : Op. Cit. Index).

(١) كان صاحب هذه الوظيفة هو الذي يتول أمر الأعلام السلطانية والطلبغانة، وسرت العادة في أيام المماليك أن يكون المتحدث مليا من طبقة أمير عشرة . وكان هناك أيضا وظيفة مله دار، وصاحبها هو الذي يحمل العلم في ركاب السلطان . (القلقشندي : صبح الأعشى، ج ٤، ص ٢٢٢، ج ٥، ص ٤٥٦، ٤٦٣).

(٢) الجشارات جمع جشار، وهو مكان رمى المشاة من خيل وغيرها . وفي (Dozy : Supp. Dict. Ar.) مثل لتوضيح هذا المعنى، ونصه : "... .. ونجم على جشارهم ، فأخذ منهم من الخيل أربعة وأسم ومائة من البقر".  
(٣) المثالات جمع مثال ، وهو أول ما كانت يكتب من الأوراق الرسمية لإيدانها بإقطاع أحد المماليك إقطاعا من الإقطاعات الخالية . وكان المثال يخرج من ديوان الجيش ، ويقدمه ناظر هذا الديوان إلى السلطان أثناء جلوسه بدار العدل ، فإذا شمله السلطان بالموافقة أرسله ناظر ديوان الجيش إلى ديوان النظر لتسجيله وحفظه، ويكتب بذلك "مربة" فيها اسم المعين على الإقطاع ورتبته وغير ذلك من التفاصيل اللازمة . ثم ترسل المربة إلى ديوان الإنشاء، يكتب كاتب السر بمقتضاها منشور الإقطاع، والمنشور آخر دوائر تلك العملية . (القلقشندي : صبح الأعشى، ج ١٣، ص ١٥٣، وما بعدها (G. - Demombynes : Op. Cit. Introd. p. XLIII et seq.)).

(٤) انظر الحاشية السابقة، وكذلك ص ٤٧٠، حاشية ٦ .



تكتب وهو يعلم، فكتب بين يديه تلك البسلة ستة وخمسون منشورا بكارا بخطب لأمراء  
بكار . و [ ظل ] صاحب نحر الدين يعلم . وفتح الدين بن سناء الملك صاحب ديوان الجيش  
وصاحب ديوان الخزائن يعلم ، والأمير بدر الدين الخازندار واقف ، والمستوفي يتزل ، حتى  
كلت بين يديه . وأصبح [ السلطان ] نخلا بنفسه . وجهز الطبخانه والسناجق والخيل  
والخلع الى الأمراء ، وجعل الأمير ناصر الدين التيمورى نائب السلطنة بالفتوحات الساحلية .  
ورحل [ السلطان ] من الطور يوم الاثنين ثالث عشر جمادى الآخرة . ومار الى القدس  
فوافاه يوم الجمعة سابع عشره : وكشف أحوال البلد وما يحتاج اليه المسجد من العمارة ، ونظر  
في الأوقاف وكتب بمحايتها ، ورتب برسم مصابح المسجد في كل سنة خمسة آلاف درهم ،  
وأمر ببناء خان خارج البلد . ونقل إليه من القاهرة باب القصر المعروف بباب العيد ،  
ونادى بالقدس ألا يتزل أحد في زرع .

ثم سار [ السلطان ] الى الكرك فزله يوم الخميس ثالث عشره بعساكره ، وأحضر  
السلام الخشب من الصلوات وغيره ، والنجارين والبنائين والتجارين والصناع من مصر ودمشق .  
وكتب إلى من في الكرك يخافوا ، وترددت لرسول بينهم وبينه ، حتى استقر الحال على أنه  
يعطى الملك العزيز عثمان بن الملك المغيث إمرة مائة فارس . فأنعم بذلك . ونزل أولاد المغيث ،  
وقاضى المدينة وخطبها وعدة من أهلها . ومعهم مفاتيح المدينة والقلعة ، فخلف لهم السلطان  
وأرضاهم ، وسير الأمير عز الدين أيدمر الأستادار ، والصاحب نحر الدين محمد بن الصاحب  
بهاء الدين على بن محمد بن سليم بن حناء في ( ١٢٥ ) ليلة الجمعة رابع عشره ، فتسلموا القلعة .  
وفي بكرة الجمعة دُعي للسلطان على الأسوار ، ونصبت ساجقه على الأبراج ، وركب في الساعة  
الثالثة وطلع الى القلعة ورتب أمر جيش الكرك . وأنفق فيهم ثلاثة أشهر من خزائنه .

(١) كان ذلك الباب أحد أبواب القصر الكبير المسمى . وقبل له باب العيد لأن الخليفة كان يخرج منه في يوم  
البدن الى الصلاة . ( المقرئى : المواعظ والاعتبار ، ج ١ ، ص ٤٣٥ ؛ الفقهندى : صبح الأعشى ، ج ٣ ،  
ص ٣٥٠ ) .

(٢) في س "فق" .



واهتم [السلطان] ببلادها وعين لها خاصا، وزاد جماعة، وأنعم على أولاد الملك المغيث بجميع ما كان في القلعة من مال وقماش وأثاث . وصلى بها صلاة الجمعة ، ونزل قريب المغرب ، ولم يتعرض أحد من العسكر لأهلها بسوء . وأصبح [السلطان] فبعث إلى العزيز بن المغيث الخلع والقماش ، وإلى الطواشي بهاء الدين صندل ، والأمير شهاب الدين صعلوك أتابكه . وكتب بالبشارة إلى مصر والشام بأخذ الكرك ، وأن تُحمل إليه الغلات والأصناف . وطلع [السلطان] إليها يوم الاثنين ، وأحضر الدواوين ورتب الإقطاعات للعربان والأجناد، فكتب بين يديه زيادة على ثلاثمائة منشور، وسلّم لأربابها بعدما حلفوا بين يدي السلطان، وكتب أيضا تواقع لأهل الكرك بمناصب دينية وديوانية . وجرّد [السلطان] بها عدة من البحرية والظاهرية ، وحلف مقدمي الكرك ونصاراها، وقال لأهل الكرك : "اعلموا أنكم قد أسأتم إلى في الأيام الماضية، وقد اغتفرت لكم ذلك لكونكم ماخضرتم على صاحبكم . وقد ازدادت فيكم محبة، فتناسوا الحقود" . وأحضر الأمير عبيدة وغيره من عرب بني مهدي<sup>(١)</sup>، وألزمهم أدراك البلاد وخفرهم إلى أرض الخجاز . وأمر بعمارة ما يحتاج إليه في السور وحصنه، وحفر الخندق وأحاطه بالحصن ، ولم يكن قبل ذلك كذلك . وأشحن الحصن بالأسلحة والغلال وآلات الحرب والأقوات، ووضع فيه مبلغ سبعين ألف دينار عينا ومائة ونحسين ألف درهم نقرة . واستتاب بالكرك الأمير عز الدين أيدمر من مماليكه ، وأضاف إليه الشوبك وأعطاه ثلاثين ألف درهم وكثيرا من القماش .

ورحل [السلطان] إلى مصر ، ومعه أولاد الملك المغيث وحريمه ، في يوم الأربعاء تاسع عشره . فدخل القاهرة في سابع عشر رجب وقد زينت أحسن زينة ، فشق

(١) كذا في م ، وقد ترجم (Quatremère : Op. Cit. I. 1. p. 207) هذا الاسم إلى (Otha) ، ويمرّز هذه الصيغة الثانية ابن واصل (نفس المرجع ، ص ٤١٩ ب) ، حيث أمم هذا الأمير العربي "عنه من بني عقبه" . (انظر الحاشية التالية) .

(٢) المقصود هنا عرب بني عقبه الذين كانت مساكنهم حول الكرك، وهم أحد فروع بني مهدي . (القلقشندي : صبح الأعشى، ج ٤، ص ٢١٢ - ٢١٣، ٢٤٢ - ٢٤٣) .

(٣) يوجد فوق هذا اللفظ في م إشارة إلى مقطة موجودة بهامش الصفحة ، وهي "وسرف الدين" .



القصبية الى قلعة الجبل على شقق الحرير الأطلس والعنابي، وخلع على الأمراء والمفارقة والمقدمين وجميع حاشيته (١٢٦) وغلماؤه ومباشريه، وأعطى العزيزين الملك المغيث إمرة مائة فارس وخلع عليه وأعطاه طبلخاناه، وأطلق لأخويه وحرم أبيه سائر ما يحتاجون اليه هم وغلماؤهم، وأنزلهم بدار القطية بين القصرين من القاهرة.

- وأصبح [السلطان] فقبض على الأمير سيف الدين الرشيدى واعتقله. وفي تاسع عشره قبض على الأمير عز الدين أيبك المدياطى والأمير شمس الدين أفوش البرلى واعتقلهما، فكان آخر العهد بأفوش البرلى. ولما قبض [السلطان] عليهما أحسن الى مماليكهما وحواشيتهما، ولم يفر على أحد منهم ولا تعرض الى بيوت الأمراء. وكان سبب تنكره على هذه الأمراء أنه [كان قد] فوض الى الرشيدى أمر الملكة حتى تصرفت يده فى كل شيء، وأطلق له فى كل جمعة خوانين [من عنده] يمدان له حتى ماء الورد، ورتب له فى كل شهر كلاًوتين<sup>(١)</sup>.

(١) هذا اللفظ منى كوة، وهى غطاء للرأس تلبس وحدها أو بعمامة، وتجمع على كوات وكلاوات، وتسمى أيضا كمة وكمنة وكفنة، ويقابلها فى الفرنسية لفظ (calotte). وقد اختلف الأصويوت فى أصل هذا الاسم، فيقول بعضهم إنه من اللفظ اللاتينى (calva) أى لغط. أعلى الرأس (superior pars capitis)، ويقول آخرون إنه من لفظ لاتينى آخر هو (calautica)، كما يقول فريق ثالث إنه معرب للفظ الفارسى "كوة" (Dozy: Suppl. Diet. Ar.). وقد استحدث سلاطين الأيوبيين لبس الكوة بمصر، فكانوا يلبسون الكوات الجوخ الصفر على رؤوسهم بفسير عمام، وذوائب شعورهم مرخاة تحتها، وكذلك كان يفعل أمراؤهم وجندهم ومماليكهم. ولم يزل السلاطين والجنود يلبسون الكوات الصفراء بغير عمامة الى أواسد دولة المماليك البحرية، فلما ول السلطان المنصور قلاوون السلطنة غير هذا الزي، بإضاف لبس الشاش على الكوة. وفى عهد ابنه الأشرف خليل رسم جميع الأمراء أن يركوا بين مماليكهم بالكوات الزركش، وترك الكوات الجوخ الصفراء دونه، عن ثيابها طلت تلبس فوق ذوائب الشعر المرخاة على ما كان عليه الأمر أولا. فلما ملك السلطان الناصر محمد بن قلاوون استجد العمام الناصرية وهى صفراء، وحلق رأسه وحلق الأمراء وموالمهم، وترك ذوائب الشعر. ثم حلت الكوات البلباغوية المسبوبة الى الأمير بلغا الخاصكى المعرى محل العمام الناصرية، وحل الأمر على ذلك حتى عهد السلطان المنصور برفوق أول سلاطين دولة المماليك الجراكمة، فأحدث هذا السلطان الكوات الجركسية، وهى أكبر من البلباغوية. (المقريزى: المواعظ والاعتبار، ج ٢، ص ٩٨؛ القلقشندى: صبح الأعشى، ج ٤، ص ٥-٦) ومن أغلبية الرأس أيضا فى تلك الأزمنة الشربوش والطايفة، وقد تقدم وصف أولها فى ص ٢٥١، حاشية ١، ويضاف اليه هنا أن الشربوش كان يلبس عادة مع الخلع السلطانية، وقد ذكره يقول المقريزى (المواعظ والاعتبار، ج ٢، ص ٢٥١).



زركش قيمة كل منهما مبلغ خمسين ديناراً عينا وقيمة كلبيدها مبلغ أربعين ديناراً ،  
 [ ورتب له برسم مشروبه اثني عشر ألف دينار في كل سنة<sup>(٢)</sup> . هذا ] سوى ماله من  
 الإقطاعات الجبلية والمرتبات الكثيرة ، وسوى الإنعامات وجوامك البزدارية<sup>(٣)</sup> والفهادة<sup>(٤)</sup> وعليق  
 الخيل . فأقبل [ الرشيدى ] على اللهو وشرب الخمر ، وحث حواشيه عذة بلاد ، وحدثت  
 منه أمور لا تسر ، فأغضى عنه السلطان . فلما كان بالطور بلغه أن الرشيدى قد فسدت  
 نيته ، فأقام عليه عيوناً تحفظ كل ما يجرى منه : فبلغه عنه أنه كان يكتب المغيث بالكرك  
 ويحذره من القدوم على السلطان ويشير عليه ألا يسلم نفسه . وأنه كتب الى أهل الكرك  
 أيضاً بعد القبض على المغيث بأمرهم ألا يساموا الكرك ، فأسر [ السلطان ] ذلك فى نفسه  
 إلى أن سار الى الكرك ، فبلغه عنه أنه يريد المبادرة إلى أخذ الكرك ، فسارع إليه ولاطفه

(ص ٩٩) : " وأما الخلع فإن السلطان كان إذا أمر أحداً من الأتراك ألبسه الشربوش ، وهو شىء يشبه التاج  
 كأنه شكل مثلث ، يجعل على الرأس بنير عمامة ... وقد بطل الشربوش فى الدولة العثمانية " . أما الطاقية فالفهوم من  
 المقرئى (نفس المرجع والجزء ، ص ١٠٤) أنها كانت أولاً للصبيان والبنات ، ثم " كثر لبس رجال الدولة من  
 الأمراء والمالِك والأجناد ومن يشبه بهم الطواق فى الدولة العثمانية ، وصاروا يلبسون الطاقية على رؤوسهم بنير  
 عمامة ، ويمزجون كذلك فى الشوارع والأسواق والمراكب ، لا يرون بذلك بأساً ، بعد ما كان نزع العمامة من الرأس  
 عاراً وفضيحة . وتوعوا هذه الطواق ما بين أخضر وأحمر وأزرق وغيره من الألوان ، وكانت أولاً ترتفع نحو سدس  
 ذراع ، ويصل أعلاها مدقراً مسطحاً . فحدث فى أيام الملك الناصر فرج شىء عرف بالطواق العثمانية ، يكون  
 ارتفاع عصاة الطاقية منه نحو ثلث ذراع ، وأعلاها مدقراً مسطحاً . وداموا فى تطاير الطاقية بالورق والكثير (كذا) ،  
 فيما بين البطانة المباشرة للرأس والوجه الظاهر للناس ، وجعلوا من أسفل العصاة المذكورة زبناً من فرو القرض الأسود  
 يقال له القندس ، فى عرض نحو ثمن ذراع ، يصير دائراً بحجة الرجل وأعلى عنقه . وهم على استعمال هذا الزى  
 الى اليوم (أى زمن المقرئى) ، وهو من أسمح ما عانوه ، ويشبه الرجال فى ذلك بالنساء " .

(١) كذا فى ص ، وقد ترجم (Quatremère : Op. Cit. I. 1. p. 211) هذا اللفظ الى (turban)  
 أى عمامة . غير أن المفهوم من سياق العبارة أن الكلبد هذا كان جزءاً من غطاء الرأس ، سواء أكان عمامة أو كراوة .  
 (انظر الحاشية السابقة) .

(٢) أضيف ما بين القوسين من ابن واصل (نفس المرجع ، ص ٤٢٠ ب) .

(٣) البزدارية جمع بزدار — أو بازدار — ، وقد تقدم شرح هذا اللفظ . (انظر ص ٣٦ ، حاشية ٦) .

(٤) الفهادة هم الأشخاص الموكول إليهم حراسة القهود .



وركب<sup>(١)</sup> معه إلى الكرك وأخذها . و [بلغ السلطان عنه<sup>(٢)</sup> أيضا ] عدة أمور من هذا النحو .  
وقدمت رسل الملك بركة تطاب<sup>(٣)</sup> النجدة على هولاءكو — وهم الأمير جلال الدين  
ابن القاضي ، والشيخ نور الدين<sup>(٤)</sup> على ، في عدة — ، [ و ] يغبرون بإسلامه وإسلام قومه ،  
وعلى يدهم كتاب مؤرخ بأول رجب سنة إحدى وستين [ وستمائة<sup>(٥)</sup> ] . وقدم أيضا رسول  
الأشكرى ، [ ورسول مقدم الجنوية<sup>(٦)</sup> ، ورسول صاحب الروم السلاجقة ] ، فأحسن [ السلطان ]  
إلى الرسل وعمل لهم دعوة بأراضي اللوق ، وواصل الإنعام عليهم في يومى الثلاثاء والسبت  
عند اللعب في الميدان .

وفي يوم الجمعة ثامن عشر شعبان خطب الخليفة الحاكم بأمر الله بحضور رسل الملك  
بركة ، ودعا السلطان وليك بركة في الخطبة ، وصلى بالناس صلاة الجمعة ، واجتمع بالسلطان  
وبالرسل في مهمات أمور الإسلام .

وفي ليلة الأربعاء ثالث شهر رمضان سال [ السلطان ] الملك الظاهر الخليفة الحاكم

(١) في م "وركب به معه" .

(٢) أضيف ما بين القوسين بعد مراجعة ابن واصل (نفس المربع ، ص ١٤٢٠ — ١٤٢٢) حيث هذه الأخبار  
واردة بتفصيل أكثر ، ومن ضمنها مخرج سبب غضب السلطان على البرل والديباطى .

(٣) في م "طلب" .

(٤) اسم هذين الأميرين في ابن أبي الفضائل (كتاب التيج السديد ، ص ١١٠) جلال الدين ابن قاضي توقات ،  
وعز الدين التركاني .

(٥) أورد ابن واصل (نفس المربع ، ص ١٤٢٢ — ب) مضمون هذا الكتاب ، وهذا نص عبارته :  
"وقرى كتاب الملك بركة ، [ و ] مضمونه الشكر والحمد وطلب الإنجاد على هلاورون ، وإني قدمت أنا وإخوتي  
لحربه من سائر الجهات ، لإقامة دار الإسلام ، وإعادة مواضع الهدى إلى ما كانت عليه من العبادة وذكر الله والأذان  
والقراءة والصلاة ، وأخذ نار الأئمة والأئمة . ويطلب من إقناذ جماعة من المسكر إلى جهة القراة لمسك الطريق  
على هلاورون (ب ٤٢٢) ، ويوصى على صاحب الروم " . هذا وفي ابن أبي الفضائل (كتاب التيج السديد ،  
ص ١١٠ ، وما بعدها) مضمون لتلك الرسالة أيضا ، وهو لا يخرج في معناه عن ملخص ابن واصل .

(٦) أضيف ما بين القوسين من ابن واصل (نفس المربع ، ص ١٤٢٢) ، والجنوية أهل مدينة جنوة . انظر  
القلقشندي (صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٤٠٥) .



(١٢٦ ب) بأمر الله : " هل لبس الفتوة من أحد من أهل بيته الظاهرين أو من أوليائهم المتقين ؟ " فقال : " لا " . واتمس من السلطان أن يصل سببه<sup>(١)</sup> بهذا المقصود . فلم يمكن السلطان إلا طاعته المفترضة ، وأن يمنحه ما كان ابن عمه رضى الله عنه [قد] افترضه . ولبس [الخليفة] في الليلة المذكورة بحضور من يُعتبر حضوره في مثل ذلك ، وبأشر الالبس الأتابك فارس الدين أقطاي بطريق الوكالة عن السلطان ، بحق لبسه<sup>(٢)</sup> عن الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين ولد الإمام الظاهر — وأبوه بلجده الناصر [لدين الله] — والناصر لعبد الجبار ، لعلي ابن دُغيم ، لعبد الله بن الفير ، لعمر بن الرصاص ، لأبي بكر بن الجحيش ، لحسن بن الساربار ، لبقاء بن الطباخ ، لنفيس العلوي ، لأبي هاشم بن أبي حبة ، لعمر بن ألبس ، لأبي علي الصوفي ، لمهنا العلوي ، للقائد عيسى ، لأمير وهران ، لرؤبة الفارسي ، للملك أبي كالجبار ، لأبي الحسن النجار . لفضل الفرقاني ، للقائد شبل بن المكدم ، لأبي الفضل القرشي ، لأمير حسان ، لجوشن الفزاري ، لأمير هلال النهاني ، لأبي مسلم الخراساني ، لأبي العز النقيب ، لعوف الفسائي ، لحافظ الكندي ، لأبي علي النوبي ، لسلام الفارسي ، للإمام الطاهر النقي النقي علي بن

(١) كذا في س ، ويقابل هذه العبارة في ابن واصل (نفس المرجع ، ص ٤١٢) ما نصه : " واتمس من السلطان أن يصل سببه هذا المقصود " .

(٢) الضمير هنا عائد على السلطان ، وقد تقدمت الإشارة إلى لبس السلطان بلبس الفتوة على يد الخليفة المستنصر بالله (انظر ص ٤٥٩ ، حاشية ٥) ، والمفهوم من سياق العبارة هنا أن يبرس أصبح رئيس الفتوة بعد موت الخليفة المذكور عند هيت . (راجع ص ٤٦٧ ، سطر ٩) .

(٣) كذا في س بضم الهمزة فقط . انظر ابن أبي الفضائل (كتاب التهجديد ، ص ٨٥) ، حيث صحح هذا الاسم من مثل الصيغة الواردة هنا بالمتن إلى " زعيم " .

(٤) كذا في س . انظر نفس المؤلف والمرجع والمضمة ، حيث صحح هذا الاسم من " الفير " إلى " العين " .

(٥) كذا في س ، وهو وارد بمثل هذا الرسم في ابن واصل (نفس المرجع ، ص ٤١٢) ، بغير نقط البنة ، وقد أورده ابن أبي الفضائل (كتاب التهجديد ، ص ٨٥) " الشرايدار " .

(٦) في س " العاني " ، وقد نقطه كاتب نسخة ب (١٥٢ ب) وصيره " القبانى " ، والصيغة المثبتة هنا من ابن أبي الفضائل (كتاب التهجديد ، ص ٨٤) ، أما في ابن واصل (نفس المرجع ، ص ٤١٢) فقد ورد هذا المفظ برسم " العاني " .



أبى طالب رضى الله عنه<sup>(١)</sup> . وحمل السلطان<sup>(٢)</sup> إلى الخليفة من الملابس لأجل ذلك ما يليق بجلاله .

وفي الليلة الثانية حضر رسل الملك بركة إلى قلعة الجبل ، وألبسهم الخليفة بتفويض الوكالة<sup>(٣)</sup> للآتابك ، وحمل إليهم من الملابس ما يليق بمثلهم . وجهز السلطان هدية جليلة للملك بركة ، وكتب جواب كتابه في قطع النصف في سبعين<sup>(٤)</sup> ورقة بغدادية بخط محي الدين بن

(١) سيلاحظ القارئ تجنب سقط بشار هذه مقبرة ، ونسب هو أنه يوجد خلاف واضح بين صيغ معظم الأسماء والأندب كما هي الواردة هـ ، وبين كل مما يقابلها في ابن واصل (نفس المرجع ، ص ١٤١٢) ، وابن أبي عمات (كتاب التهج السديد ، ص ٨٤ — ٨٥) .

(٢) في ص : " وحمل إلى السلطان من الملابس " .

(٣) احتوت هذه الهدية ، على حة تعبير ابن واصل (نفس المرجع ، ص ٤٢٢ ب) ، " من كل شيء على اختلافه " ، وكان من جعلها " خسة شريفة يذكر أنها خط عثمان بن عفان رضى الله عنه ، بغلاف أطلس مزركش ، ضمن درج أحمر آدم مطن بفتى ، وكرسى هـ أنوس وتاج مخرم بسقط فضة ، ومعها هدية غنية مالا توصف (كذا) . ومن جملة الهدية سيوف وملحورية (كذا) باستطاد ذهب وفضة وهي عدد كثير ، ومن الذهب يس والنفس الحق (كذا) الدمشقية جملة كثيرة ، ومن نفس البندق بأوتارها عدة كثيرة . ومن جملة الهدية قناديل بكار مذهبة شيء كثير ، ومن الجوارى الطباغات جماعة ، ومن الخيل الجياد السبق عدد كثير ، ومن الدواب الفراء التي لا تلحق عدد كثير ، وأصناف كثيرة ما ذكرناها لطول شرحها " . والغالب أن الأصناف التي لم يذكرها ابن واصل " لطول شرحها " ، هي المذكورة في ابن أبي القضائل (كتاب التهج السديد ، ص ١١١ ، وما بعدها) ، وهذا نص عبارته : " وكان من جملة الهدية ، من الوحوش الغريبة في تلك الأرض : فيل وزرافة وفرود ، وحمر وحشية عتابة ومجن وحمر مصرية ، وجملة كثيرة من ملابس ومصاغ وشتمدانات فضة وحصر عبدانية ، وأمنعة وأواني صيني ، وثياب سكندرية (ص ١١٢) ومن عمل دار الطراز ، وسكرنيات وسكرياض شيتا كثيرا " .

(٤) يوجد في ابن واصل (نفس المرجع ، ص ٤٢٢ ب) ملخص لجواب السلطان ببرز ، وهذا نص العبارة كلها : " وكتب الملك الظاهر جواب الملك بركة في سبعين ورقة بغدادية ، من الأحاديث النبوية والآيات من القرآن الكريم ، في الرغبة في الجهاد وفي مصر وما ورد فيها من الأحاديث النبوية والآيات ، وقيل المشركين ، وفيه من ذكر مواطن العبادات ومواقع الزيارات في سائر الشام . وجمع في هذا الكتاب من ترقيب والاستئالة والإعراء على هلاون ، وإظهار الميل إليه ، ووصف جنود الديار المصرية وما هي عليه وأهلها من حب الجهاد في سبيل الله تعالى ، وأنه موافقة له في نصرة الإسلام ، إلى خبر ذلك من الأمور الموكبة والأحوال الجهادية ، ما لا يجمع في كتاب " .

(٥) كان الورق البغدادى أجود أنواع الورق وأكبره معة ، وكان مخصوصا للكتابة المصاحف ، ولا يستعمل فيها عدا ذلك من أغراض الكتابة سوى مكتبة كبار الملوك . ويوجد في المتفشدن (صحيح الأعشى ، ج ٢ ، ص ٧٦) =



عبد الظاهر، و[هو الذي] قرأه على السلطان بحضور الأمراء . وسألت الهدية للأمير فارس الدين أقوش المسعودي ، والشريف عماد الدين الهاشمي ، فسارا في طريدة بحرية فيها عدة رماة وجرخية ووزاقين<sup>(١)</sup> ، وأخذت بالأزودة لمدة سنة ، وسارا في سابع عشره . وخرجت النجابة إلى مكة والمدينة بأن يدعى لملك بركة ويعتمر عنه ، وأمر الخطباء أن يدعوا له على المنابر بمكة والمدينة والقدس وبمصر والقاهرة ، بعد الدعاء للسلطان الملك الظاهر .

(١٢٧ أ) وفي سادس شوال توجه السلطان إلى جهة الإسكندرية ، فأقام بتروجة أياما ، ودخل البرية وضرب حافة فوق وقع فيها كثير من الصيد . واهتم [السلطان] بأمر المياه ، وولى أمرها الأمير شجاع الدين الراهدى أحد الخجابه ، وأحضر من الإسكندرية الرجال لحفر الآبار

= وما بعدها) فصل في أسماء وأجناس الورق المستعمل للكتابة في الدول الإسلامية ، ونصه : " ... وأعل أجناس الورق فيما رأيناه البغدادى ، وهو ورق نخين مع لبونة ورقة حاشية وتناسب أجزاء ، وقطعه وافر جدا ، ولا يكتب فيه في الغالب إلا المصاحف الشريفة ، وربما استعمله كتاب الإنشاء في مكاتبات القاعات وبحوها ... . ودونه في الرتبة ثلثى وهو على نوعين ، نوع يعرف بالخموى وهو دون القطع ببغدادى ، و[نوع] دونه في القدر وهو المعروف بالشام وقطعه دون القطع الخموى . ودونهما في الرتبة الورق المصرى وهو أيضا على قطعين ، القطع المنصورى وقطع العادة ، والمنصورى أكبر قطعا وقلبا يصفل وجهاه جميعا ، أما العادة فإن فيه ما يصفل وجهاه ويسمى في عرف الوزاقين المصلوح ... " . هذا وقد كان هناك نوعان من الورق البغدادى : أحدهما "قطع البغدادى الكامل" ، وعرض درجه ... ذراع واحد بذراع القماش المصرى ، وطول كل وصل من الدرج المذكور ذراع ونصف بالذراع المذكور . وفيه كان (كذا) تكتب عهد الخلاء وبيعانهم ، وفيه تكتب الآن سهود كبار الملوك والمكاتبات إلى الطبقة العليا من الملوك ، كأكبر القاعات من ملوك الشرق " ، فيكون هذا النوع هو البغدادى المذكور هنا . أما النوع الثانى فاسمه "قطع البغدادى الناقص" ، وعرض درجه دون عرض البغدادى الكامل بأربعة أصابع مطبوعة ، وفيه يكتب للطبقة الثانية من الملوك ، وربما كتب فيه للطبقة العليا لإعزاز البغدادى الكامل " . (نفس المؤلف والمرجع ، ج ٦ ، ص ١٩٠ ، وما بعدها) .

(١) الجرغبة جمع جرنبى أى رامى الجرخ ، ويقابل الجرخ في الفرنسية لفظ (arbalète) أى البندق . انظر (Dozy Supp. Diet. Ar.)

(٢) جمع ذراق ، ومعناه هنا رامى القبط من الزرافة ، ويقابل لفظ الزرافة في (Ibid : Op. Cit) العبارة التفسيرية الآتية : (le tube avec laquelle on lançait le naphite) ، أى الأنبوبة التى يزرق بها النفط .

(٣) بغير ضبط فى ص ، وهى قرية من كورة البحيرة (ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٨٤٥) ، وهى الآن موضع حرب في الجنوب الغربى من دمنهور . (مبارك : المخطط التوفيقية ، ج ١ ، ص ٢٢) .



ونزحها . ثم سار [ السلطان ] من تروجة إلى الإسكندرية ، وكان الصاحب بهاء الدين ابن حنا قد سبق إليها وحصل جملا كثيرة من المال : منها حمل بلغ خمسة وتسعين لفة من القماش السكندري ، [ ولم يعامل أحدا من أهلها بغير العدل ] ، ولم يضرب بها أحدا [ بمقرعة ]<sup>(١)</sup> . فضرب السلطان خيامه ظاهر المدينة ، ونادى ألا يقيم بالنفر جندى ولا ينزل أحد في دار . وفي يوم الخميس مستهل ذى القعدة دخل [ السلطان ] إلى المدينة من باب رشيد ، ففتقاه الناس [ بالسروور والفرج والدعاء ]<sup>(٢)</sup> . واستدعى [ السلطان ] بالخزائن والأمتعة ، وشرع في تعبئة ما يعيبه للأمراء على قدر مراتبهم ، ورسم بمكتوب برقة مال السهمين<sup>(٣)</sup> وصلة أرزاق الفقراء ، وسامح بما كان يؤخذ من أهل الإسكندرية وهو ربع دينار عن كل فنطار يباع من ...<sup>(٤)</sup> . ولعب بالكرة وخضع على الأمراء ، وأعطى الأتابك ثلاثة آلاف دينار ، وأعطى الأمراء على [ حسب ]<sup>(٥)</sup> مراتبهم : وركب لزيارة الشيخ المعتقد محمد بن منصور ابن يحيى أبي القاسم القباري ، فلم يمكنه من الطلوع إليه ولم يكلمه إلا وهو في البستان والشيخ في عليته ، ثم مضى لزيارة الشيخ الشاطبي .

وحضر إلى السلطان رجلا من أهل النفر : أحدهما يقل له ابن البورى والآخري يعرف بالمكرم بن الزيات ، ومعهما أوراق تتضمن استخراج أموال ضائعة . فاستدعى السلطان في يوم الثلاثاء سادسه الأتابك والصاحب والقضاة والفقهاء ، وأمر فقرئت الأوراق وصار

(١) أضيف ما بين الأقواس بهذه الفقرة من ابن واصل (نقش المربع ، ص ٤٢٣ ب) .

(٢) في س "خامه" .

(٣) أضيف ما بين القوسين من ابن واصل (نقش المربع ، ص ٤٢٤ أ) ، وقد كان ابن واصل حاضرا ذلك

كله ، وعبارته في هذا الصدد أكثر تفصيلا مما هنا . انظر (نقش المربع ، ص ٤٢٣ ب) .

(٤) كذا في س .

(٥) يباين في س يبع كلمة واحدة لعلها "البهار" ، فإنه كان أهم متأجرا أهل الإسكندرية في تلك المصود .

(٦) مضبوط هكذا في س ، ويظهر أن النسبة إلى قبار (fossoyeur) ، وهو الرجل الذي يتولى حفر القبور

ودفن الأموات . انظر (Dozy : Supp. Diet. Ar.) . هذا وفي محيط المحيط أن القبار هم عمال الصيد الذين

يجتمعون "بجز ما في الشباك من الصيد" .



كلما ذكر له باب مظلمة سده ويعود على المذكورين بالإِنْكار، حتى انتهت القراءة . فقال :  
 ”اعلموا أنى تركت لله تعالى ستمائة ألف دينار، من التصقيع<sup>(١)</sup> والتقويم والراجل والعبد والحارية  
 وتقويم النخل<sup>(٢)</sup>، فعوضني الله من الحلال أكثر من ذلك؛ وطلبت جرائد الحساب فزادت  
 بعد حط المظالم جملة، ومن ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً“، وأمر بإشهار ابن البورى .

وفي سابعه قدم البريد من البيرة وحلب بأن جماعة مستأمنة وردت الى الباب العزيز،  
 [عذتها] فوق الألف وثلاثمائة فارس (١٢٧ ب) من المغل والبهادرية، فكتب بالإحسان اليهم .  
 وفي يوم الخميس ثامنه جلس السلطان بدار العدل، وأمر بتطهير الثغر من الخواطي<sup>(٣)</sup> الفرنجيات .

وفي ثامن عشره سار [السلطان] من الإسكندرية يريد القاهرة، فقتل تروجة وأمر  
 عربائها بالسباق بين يديه، فاجتمع ألف فارس من عرب تروجة، وانضم إليها جملة من  
 خيل العسكر . وعين [السلطان] لهم المدى، ووقف على تل، وأوقف الرماح وعليها الثياب  
 الأطلس والعتابي وفيها المال . فأقبلت الخيل في الحلبة، وأخذ كل راكب سبق ما فرض  
 له . ثم سار [السلطان] الى قلعة الجبل، فلما وصل فوض قضاء الثغر للفقير برهان الدين  
 إبراهيم بن محمد بن علي البوشي المالكى، وكان زاهدا عابدا يأوى الى مسجد بمصر؛ وفوض  
 الخطابة للقاضي زين الدين أبي الفرج محمد بن القاضي الموفق بن أبي الفرج الإسكندراني،  
 الذي كان حاكما بالثغر .

وفي آخر ذى القعدة نزل السلطان الى القاهرة، وعاد الأمير سيف الدين قلاون الألفى،  
 والأمير علاء الدين الحاج أيدغدى الركنى، والأمير حسام الدين بن بركه خان . وفي ليلة الأربعاء،  
 خامس ذى الحجة توفي الأمير حسام الدين بن بركه خان، فحضر السلطان جنازته ومشى فيها  
 مع الناس .

(١) في من ”التصقيع“، ثلاث قطع تحت السين .

(٢) في من ”النخل“ .

(٣) الخواطي جمع خاطبة، وهي المرأة الدامرة، وتسمى أيضا مخطبة، والجمع مخطبات .  
 (Dozy: Supp. Dict. Ar.)

(٤) تقدم ذكر ما حدث لبعض هؤلاء الأمراء في الصيد عند العريش . (انظر ص ٤٨١، سطر ١) .



وفي سادسه وصلت التار المستامنة، وأعيانهم كرمون<sup>(١)</sup> وامطغية ونوكية وجبرك وقيان  
وناصيه وطيشور ونبتو وصحي وجوجلان واجقرفا وارفرق وكراى وصلاغيه ومتقدم  
وصراغان . فركب السلطان الى تلقبيهم ، فزلوا عند مشاهدته عن خيولهم وقبلوا الأرض  
وهو راكب، فأكرمهم وعاد الى القلعة .

وفي ثامنه خلع عليهم [السلطان] ، ونزل الى تربة ابن برکه خان . ثم وردت الكتب  
بقدوم طائفة أخرى ، فاحتفل بهم وركب لتلقيهم . ثم وردت طائفة ثالثة ، فاعتمد معهم  
مثل ذلك وأمر أكابرهم ، وعرض عليهم الإسلام فأسلموا وختنوا بأجمعهم .

وانفق أن الأمير بهاء الدين أمير آخور ضرب بعض دلالى سوق الخليل ، فمات بعد  
ما حمل الى داره ، فغضب السلطان غضبا شديدا خاف منه ، فهرب الى بيت الأمير قلاون  
واستر عنده . فدخل [قلاون] على الأتابك فى أمره ، وأخرج لأولاد الميت من ماله خمسة آلاف  
درهم ومائة أردب غلة وكسوة ، فأبروه وأقزوا أن أباهم مات بقضاء الله وقدره . ودخل  
الأتابك الى السلطان وحدثه فى ذلك ، فاشتد غضبه ، فقال له الأتابك : ” تغضب والشرع  
معنا ؟ فإن كان قد قتل عمدا أو خطأ فقد أبرأ الأولياء ” . وتحدث الأمراء فى العفو عنه  
فُعفى ، وأمر (١١٢٨) بعمل جامع من الثياب المفصلة يضرب على يمين الخيمة السلطانية ،  
فعمل ونصبت محاريبه وأبوابه وعملت فيه مقصورة برسم السلطان .

وفي هذه السنة جددت دار العدل تحت قلعة الجبل ، وجلس بها السلطان فى يومى الخميس  
والاثنين لعرض العساكر . وفيها وردت هدية من بلاد اليمن . وفيها أمر بتنصيب أربعة  
قضاة نوابا للقاضى القضاة تاج الدين ابن بنت الأعز ، فاستتاب حنфия ومالكيا [وشافعيا] ،  
ولم يجد من يستنبيه من الحنابلة فولى عاقدا<sup>(٢)</sup> حنبلية . وفيها جهز السلطان عرب خفاجة

(١) مضبوط هكذا فى م ، وقد رجعت الأسماء التالية على منطوقها فى (Quatremère: Op.

Cit. I. 1. P. 222.) ، واكتفى بإثبات ضبط ما هو مضبوط منها فى م .

(٢) فى م ”صحي“ ، وهذا الاسم مترجم فى (Ibid : Op. Cit. I. 1. p. 222) الى (Sobhi) .

(٣) العائد هو الذى يتولى تحرير العقود وتكاتبها ، كمقود البيع والزواج ، وهو دون القاضى فى الرتبة . انظر =



بالخلع إلى أكابر أهل العراق، وكتب إلى صاحب شيراز وغيره بغريهم بهولاكو، وأبس عدة من أمراء خفاجة الفتوة، وجهز معهم الأمير عز الدين إلى شيراز. وفيها جهز السلطان في البحر جماعة من البنائين والنجارين والنجارين والعاملين، وعدة أخشاب وغيرها من الآلات، برسم عمارة الحرم النبوي. ونُحمت كسوة الكعبة على العادة، وحملت على البغال وطيف بها في القاهرة ومصر، وركب معها الخواص وأرباب الدولة والقضاة، والفقهاء والفقهاء والصوفية والخطباء والأئمة. وسُفرت إلى مكة في العشر الأوسط من شوال، وفُوضت عمارة الحرم لزين الدين بن البوري.

وفيها جمع الفرنسييس ملك الفرنج عساكره يريد أخذ دمياط. فأشار عليه أصحابه بقصد تونس أولا، ليسهل أخذ دمياط بعدها. فسار إلى تونس ونازلها حتى أشرف على أخذها، فبعث الله في عسكره وباءً هلك فيه هو وعدة من أكابر أصحابه، وعاد من بقي منهم.

ومات في هذه السنة الأمير الكبير مجير الدين أبو الهيجاء بن عيسى بن خشتين الأركمى الكردي بدمشق. وتوفي عز الدين أبو محمد عبيد الرزاق بن رزق الله بن أبي بكر بن خلف الرسغنى الحنبلي، شيخ البلاد الجزيرية، بسنجار عن اثنين وسبعين سنة. وتوفي علم الدين = (Dozy : Supp. Diet. Ar.)، على أنه لا يوجد بالملقشندى (صبح الأعشى، ج ٥، ص ٤٦٣، وما بعدها)، في باب ألقاب أرباب الأفلام، موظف بهذا القالب. راجع أيضا قسم المؤلف والمراجع (ج ٤، ص ٣٤، وما بعدها). (١) تعرف هذه الحملة باسم الحملة الصليبية الثامنة، وقد تقدمت إشارة المقرئ طاعرضا في ص ٣٦٤، وهي آخر الحملات الكبرى التي أرسلتها أوربا لتنفيذ أغراض الحروب الصليبية. وقد أدركت الوفاة فائدها (Louis IX) ملك فرنسا بعيد نزول جنودها قرب تونس، وذلك قبل أن تقوم الحملة بشئ مذكور. فقام على قيادتها أخوه (Charles of Anjou) ملك صقلية، غير أن القائد الجديد انصرف عن غرض الحملة إلى ما يطلبه مصالح ملكه الصقلية، فاستدفع ملك تونس وهو المستنصر محمد بن يحيى بن عبد الوهاب مبلغا من المال كغرامة حربية، واستأداة جزية سنوية تدفع إلى خزائنه بملكه. (Barker : The Crusades, pp. 87-89) ابن أبي الفاضل : كتاب التهج السديد، ص ١٢١.

(٢) كذا في ص ٤، وقد تقدم ورود هذا الاسم هنا برسم مخالف (انظر ص ٤٣٣، سطر ٣)، وهو في ب (١١٥٤) " ... عيسى بن جشتين بن الأركمى ... "، وترجمه (Quatremère : Op. Cit. II. p. 221) إلى (Isa ben-khasehken le curde).

(٣) الوفيات التالية مكتوبة في عدة الصفحة في ص ٤، بدون أي إشارة إلى الموضع المناسب لإنباتها بالمتن، على أنها واردة كها في ب (١١٥٤)، وأيضا في (Quatremère : Op. Cit. I. l. p. 221)، وليس تمت شك في وقوعها هذه السنة. انظر (ابن العماد : شذرات الذهب، ج ٥، ص ٣٠٥ - ٣٠٧).



أبو محمد القاسم بن أحمد بن موفق بن جعفر المرمي المورى بدمشق ، وقد انتهت إليه مشيخة الإقراء ، عن ستين سنة <sup>(١)</sup> .

+ + +

سنة اثنتين وستين وستمائة : استفتح سلطان هذه السنة بالجلوس في دار العدل ، فأحضرت إليه ورقة مختومة مع خدام أسود تتضمن مرافعة في شمس الدين شيخ الخدابة ، أنه يفيض السلطان ويختل زوال دولته ، لأنه ما جعل للخدابة نصيبا في المدرسة التي أنشأها بجوار قبة الملك الصالح ، ولا ولي حنبليا قاضيا ، وذكر أشياء قدحة فيه . فبعث [ السلطان ] بها الى الشيخ ، فأقسم أنه ما جرى منه شيء ، " وإنا هذا الخدم طردته من خدمتي " . فقال السلطان : " ولو شئتني ( ١٢٨ ب ) أنت في حل " ، وأمر فضرب الخدام مائة عصا .

وفي المحرم نودى بالقاهرة ومصر أن امرأة لا تتعمم بعمامة ولا تتربى بزي الرجال ، ومن فعلت ذلك بعد ثلاثة أيام سلبت ما عليها من الكسوة . وطلب الطوائف شجاع الدين <sup>(٢)</sup> مرشد الحموي الى قلعة الجبل ، وأمر عليه السلطان اشتغال بخدومه صاحب حماة بالملهو ، وقدر معه إلزام الأجناد بأقامة اليك وتكبير العدد ، وكتب له تقيدا <sup>(٣)</sup> وسافرا الى حماة . وقدم

(١) يظهر من العبارة التالية ، وهي من مخطوطة ابن واصل المتداولة في هذه الحواشي (نفس المراجع ، ص ١٤٢٥) أن مؤلف مفرج الكروب وقف عن الكتابة أثناء سنة ٦٦١ هـ (١٢٦٢ م) ، وأن بقية هذه المخطوطة التي تنهى سنة ٦٨٠ هـ (١٢٨١ م) من تلخيص الكاتب الذي استلها ، وذلك من كتاب آخراين واصل أو غيره اسمه التاريخ . أما صيب الشطع ابن واصل عن الإمامه ، ولما راجع أنه راجع الى دهره الى صفة حوران ذلك الوقت رسولاً من عبد السلطان بيبرس الى صاحبها الملك ما تقر (Manfred) ، وإقامته هناك عدة سنين . (انظر Enc. Isl. Art. Ibn Wāsil) . وهذا نص العبارة : " قل الفقير الى رحمة الله تعالى وعفوه نور الدين علي بن عبد الرحيم بن أحمد الكاتب المظفر ، انتهى الى هاهنا لإملاء القاضي الإمام العالم العلامة جمال الدين محمد بن سالم بن واصل رحمه الله تعالى ، ولم نستوعب حوادث سنة إحدى (في الأصل أحد) وستين وستمائة . وجرى أمور كثيرة ، ونحن نذكر بعون الله تعالى مختصرا من تمام التاريخ على حسب الطاقة ، ونسأل الله تعالى المحونة في ذلك ، إنه على كل شيء قدير وإليه المصير " .

(٢) في ص " فعل " ، هذا وليس من المفهوم سبب تقليد النساء للرجال في الملابس ، في هذا العصر الأول من تاريخ الممالك ، إلا إذا كان ما أشار إليه المقرئ (المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ١٠٤) بخصوص عصر الممالك الجراكسة ، موجودا أيضا في عصر بيبرس .

(٣) في ص " تقليد " .



الأمير جمال الدين يشكر بن الدوادار المجاهد دوادار الخليفة ببغداد — وكان قد تأخر حضوره — ، فأحسن إليه السلطان وأعطاه إمرة طبلخاناه .

وفي يوم الأحد الخامس من صفر اجتمع أهل العلم بالمدرسة الظاهرية بين القصرين عند تمام عمارتها<sup>(١)</sup> ، وحضر القراء وجلس أهل كل مذهب في إيوانهم . وقُوض تدريس الحنفية للصدر محمد الدين عبد الرحمن بن صاحب كمال الدين بن العديم ، وتدریس الشافعية للشيخ تقي الدين محمد بن الحسن بن رزين ، والتصدير لإقراء القرآن للفقهاء كمال الدين المحلي ، والتصدير لإفادة الحديث النبوي للشيخ شرف الدين عبد المؤمن بن خلف الدمياطي . وذكروا الدروس ومدت الأنسطة ، وأنشد جمال الدين أبو الحسين الجزار يومئذ : —

ألا هكذا يبنى المدارس من بني      ومن يتغالى في الثواب وفي الثنا  
لقد ظهرت للظاهر الملك<sup>(٢)</sup> همة      بها اليوم في الدارين قد بلغ المني  
تجمع فيها كل حسن مفترق      فراقت قلوبا للأنام وأعيننا  
ومذجاورت قبر الشهيد فنفسه الذ      غيبة منها في سرور وفي هنا  
وما هي إلا جنة الخلد أزلقت      له في غد فاختر تعجيلها هنا

وأنشد عدة من الشعراء أيضا [ ومنهم السراج الوزاق ، والشيخ جمال الدين يوسف بن الخشاب ] ، نخلع عليهم وكان يوما مشهودا . وجعل [ السلطان ] بهذه المدرسة خزانة كتب جليلة ، وبني بجانبها مكتبا للسبيل ، وقدر لمن فيه من أيتام المسلمين الخبز في كل يوم والكسوة في فصل الشتاء والصيف .

وفيه ورد الخبر مع الحاج بأنه خطب للسلطان بمكة ، وأن الصدر جمال الدين حسين بن

(١) بدأ السلطان ببيس بناء هذه المدرسة في ربيع الآخرة ٦٦٠ هـ (١٢٦١ م) ، على أقاض قاعة الخليم ، وهي إحدى قاعات القصر الكبير الفاطمي . (المقريزي : المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٣٧٨ — ٣٧٩) .

(٢) في ص "السلطان" . انظر (المقريزي : المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٣٧٩) .

(٣) أضيف ما بين القوسين من المقريزي (نفس المرجع والصفحة) ، حيث يوجد أيضا نص الأشعار التي أنشدت في ذلك الحفل الافتتاحي .



الموصلى ، كاتب لإنشاء المتوجه إلى مكة ، تسلم مفتاح الكعبة وقفله بالقفل المسير صحبته ، وأباح الكعبة للناس مدة ثلاثة ( ١١٢٩ ) أيام بغير شيء ، يؤخذ منهم . وفيه قرئ كتاب وقف النحون بمدينة القدس في مجلس السلطان بقلعة الجبل ، وحضر قاضى القضاة تاج الدين ابن بنت الأعز قراءته ، وكتب به عدة نسخ . ووقف [ السلطان ] أيضا إصطباين تحت القلعة ، يعرف أحدهما بجوهر النوبى . على وجوه البر . وفيه ورد الخبر بأنه رُتب بمدينة الخليل السماط والرواتب للقيمين والواردين ، وكان قد بطل ذلك من مدة أعوام كثيرة .

وفيه سار السلطان إلى <sup>(١)</sup> ويسمى ومعنى إلى الغربية ، فصار يسير منفردا في خفية ويسأل عن والى الغربية الأمير بن الهمام وعن سيرة نوابه وغلماناه ومباشريه . فذكرت له عنه سيرة سيئة ، فقبض عليه وأذبه وأقام غيره . وشكى إليه من ظلم بعض المباشرين النصارى ، فأمر به فشنق من أجل أنه تكلم بما يوجب ذلك . ودخل [ السلطان ] دمياط ، ثم عاد إلى أشتوم ، وسار من المثلة إلى الشرقية . وفيه سأل الفرنج أن يؤذن لهم في زراعة ما بيدهم من بلاد الشام وتقويتها بجمل من الغلال . فتقررت الهدنة معهم إلى أيام ، وأذن لهم في ذلك فزرعوا .

وفى يوم الجمعة حادى عشرية مات الملك الأشرف مظفر الدين موسى بن الملك المنصور إبراهيم بن الملك المجاهد شيركوه بن الأمير ناصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه بن شادى ابن مروان صاحب حمص ، عن غير ولد ولا أخ ولا ولى عهد . فبعث [ السلطان ] إلى الأمير بدر الدين بيليك العلاتى أحد الأمراء ، فتسلمها في سابع عشرية وحلف الناس بها للملك الظاهر ، وتسلم الرحبة أيضا . وبعث السلطان إليها عشرين ألف دينار عينا ، وولى مدينة

(١) فى س " النوى " ، ولعل هذا الإصطبل كان مبنا على جزء من الموضع المسمى فى المقرئى ( المواظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ١١٩ ) باسم " حكر جوهر النوبى " ، وموقعة تجاه حارة الوزيرية فى شرق بستان العدة بالقاهرة . وكان ذلك الحكر بستانا إلى نحو سنة ١٢٦٠ هـ ( ١٢٦١ م ) ، ثم حكر وبنت فيه الدور . أما جوهر النوبى فأمر خصى من أمراء الملك الكامل ، وهو أحد الذين تاروا بالملك العادل الذى وحلوه ، فلما تسلم الملك الصالح نجم الدين أيوب بعد أخيه العادل قبض على جوهر المذكور فى سنة ٦٣٨ هـ .

(٢) بنير ضبط فى س ، وهى بلدة من مديرية الجيزة ، غربى ناحية إتباه . ( مبارك : التوفيقية ، ج ١٧ ،

ص ٥٧ — ٦١ : باقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٩٢٩ ) .



حران الأمير جمال الدين الجاكي، وولى مدينة الرقة أميراً آخر. وورد الخبر بأن ممتلك جزيرة دَهْلَك<sup>(١)</sup>، وممتلك جزيرة سَوَاكِين<sup>(٢)</sup>، يتعرضان إلى أموال من مات من التجار. فسير [السلطان] اليهما أحد رجال الحلقة رسولاً، ينكر عليهما.

وفي هذه السنة بلغ ثمن القُرْط<sup>(٣)</sup> الذي قضته الخيول السلطانية وجمال المناحات بأرض مصر، ما يبلغه خمسون ألف دينار. وفي هذه السنة ارتفعت الأسعار بمصر، فبلغ الأردب القمح نحو المائة درهم نقرة، فأمر السلطان بالنسعر فاشتد الحال وعدم الخبز. وبلغ القمح مائة درهم وخمسة دراهم (١٢٩ ب) الأردب، والشعير إلى سبعين درهما الأردب، والخبز ثلاثة أرطال بدرهم، والقمح كل رطل بدرهم وثلاث، وبلغ بالإسكندرية الأردب القمح ثلاثمائة وعشرين درهما من الورق<sup>(٤)</sup>. ثم اشتد الحال بالناس حتى أكلوا ورق اللفت والكرب

(١) بغير ضبط في س، وهي أكبر الجزر المعروفة باسم أرغيل دهلج بالبحر الأحمر، وموقعها قبالة مصوع. ولقد امتد سلطان الإسلام إلى هذه الجزيرة بإبان الفتح العربية الأولى، واستخدمها خلفاء الأمويين والعباسيين منى للبعدين، ثم أسلمت من الخلافة العباسية وصارت تابعة لأمراء زبيد، وبين، وظلت كذلك حتى زالت تلك الدولة. ثم استقلت بشؤونها مدة طويلة حتى كان زمن المماليك بمصر، فعزل مملوكوها على تمز العلاقات الخمسة بينهم وبين سلاطين المماليك، وذلك ردًا لعادية الدولة الرسولية باليمن. (Enc. Isl. Art. Dahlak).

(٢) بغير ضبط في س، وهي سواكن الحالية وتقع على ساحل البحر الأحمر، وقد وصفت بأنها جزيرة تقيها فُلا في وسط جزيرة بوصلها بالشاطئ. لسان ضيق من الأرض. (بافوت: معجم البلدان، ج ٣، ص ١٨٢؛ Enc. Isl. Art. Sawakin).

(٣) عبارة من كالاتي: "وبلغ ثمن القُرط الذي قضته الخيول السلطانية وجمال المناحات في هذه السنة بأرض مصر ...".

(٤) القُرط هو البرسيم (محيط المحيط)، وهو مترجم في (Dozy: Supp. Diet. Ar.) إلى الألفاظ القرنية (luzerne, foin, fourrage).

(٥) المناحات جمع مناح، وهي هنا الأمكنة المخصصة لأنواع الجمل السلطانية. كإصطبلات لأصناف الخيل (Dozy: Supp. Diet. Ar.) ومنها مناح الجمل البحاني ومناح الجمل القرومناح اخنوخ والياق. وكانت هذه المناحات، وكذلك إصطبلات الخيل وغيرها من أنواع الحيوان كالميلة والسباع والتمهود، نعمة لإدارة الإصطبلات السلطانية. (ابن شاهين: زبدة كشف الممالك، ص ١٢٥؛ المقرئ: المواعظ والأمثال، ج ٢، ص ٢٢٤ — ٢٢٥).

(٦) بغير ضبط في س، والدراهم الورق بضبط المتن — ويقال أيضا الورق والورق والورق — هي الدراهم المضروبة، وتجمع على أوراق ووراق، ويقال لهذه الدراهم أيضًا الرقة. (محيط المحيط).



ونحوه ، وخرجوا إلى الريف فأكلوا عروق الفول الأخضر . فلما كان يوم الخميس سابع ربيع الآخر نزل السلطان إلى دار العدل وأبطل التسعير ، وكتب إلى الأهرام<sup>(١)</sup> ببيع خمسمائة أردب كل يوم لضعفاء الناس ، ويكون البيع من ويتين إلى ما دون ذلك حتى لا يشتري من يخزن . ونودي للفقراء فاجتمعوا تحت القلعة ، ونزل الحجاب إليهم فكتبوا أسماءهم ، ومضى إلى كل جهة حاجب فكتب ما بقي في القاهرة ومصر من الفقراء ، وأحضروا عدتهم فبلغت الوفا . فقال [السلطان] : " والله لو كانت عندي غلة تكفي هذا العالم لفزقتها " . ثم أخذ ألوفا منهم ، وأعطى لنواب ابنه الملك السعيد مثل ذلك ، وأمر ديوان الجيش فكتب باسم كل أمير جماعة على قدر عدته ، وأعطى الأجناد والمفاردة من الحلقة والمقدمين والبحرية ، وعزل التركان ناحية والأكراد ناحية . وأمر أن يُعطى كل فقير كفايته مدة ثلاثة أشهر .

(١) الأهرام السلطانية هي الأماكن التي يخرج بها الغلال والأتين الخاصة بالسلطان . احتياطا لأمداد طوارئ الاقتصادية الواردة بالحق ، وكانت لا تمنع إلا عند الضرورة . وكان لخاص السلطان نصف شوب ، وهذه يوضع بها ما يستهلك طول السنة من الغلال والأعطاب والأتيان وما أشبه ذلك . ( ابن شاهين : زبدة كشف الممالك ، ص ١٢٢ — ١٢٣ ) . ويوجد بالمقريزي ( المواعظ والاعتبار ، ج ١ ، ص ٤٦٤ ، وما بعدها ) وصف للأهرام السلطانية في زمن الخلفاء الفاطميين ، ونصه : " وكانت أهرام الغلال السلطانية في دولة الخلفاء الفاطميين حيث المواضع التي فيها الآن خزانة شتاتل ، وما وراءها إلى قرب حارة الواريرة . قال ابن الطوير : وأما الأهرام فإنها كانت في مدة ( ص ٤٦٥ ) أماكن بالقاهرة ، هي اليوم إسطبلات ومناخات . وكانت تحتوى على ثلاثمائة ألف أردب من العلات وأكثر من ذلك ، وكان فيها مخازن يسمى أحدهما بقنادي ، وآخر بقول ، وآخر بخرافة . وط الحماة من الأهرام والمشارفين من العدول ، والمراكب وأصلها إليها بأصناف العسلات إلى ساحل مصر وساحل القس ، والخالون يحملون ذلك إليها بالرسائل على يد رؤساء المراكب وأمتانها من كل ناحية سلطانية ، وأكثر ذلك من الوجه القبلي . ومنها إطلاق الأنوار لأرباب الرتب والخدم وأرباب الصدقات وأرباب الجوامع والمساجد ، وجرايات العبد السودان بتعريفات . و [ منها ] ما يتفق في الطواحين برسم خاص الخليفة ، وهي طواحين مدارها سفلى وطواحينها علو ، حتى لا تقارب زبل الدواب ، ويحمل دقيقها لخاص وما يختص بالجهات في خرائط من شقق حلية . ومن الأهرام تخرج جرايات رجال الأسطول وجرايات السوادات ، ومنها ما يستعمل بدار الضيافة لأخبار الرسل ومن يتبعهم ، وما يعمل من القمح برسم الكعك لزيد الأسطول ... " . وكان في زمن القلقشندي ( صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٣٣ ) وصيفة تسمى " نظر الأهرام بمصر بالصحة " ، وهي شونة غلال السلطانية التي يتكلم عليها الوزير ، وموضوعها التحدث فيها بعملها من النواحي من الغلال وغيرها ، وما يصرف منها على الإسطبلات الشريفة والمناخات السلطانية ، وغير ذلك " .



وأعطى للتجار طائفة من الفقراء، وأعطى الأغنياء على اختلاف طبقاتهم كل أحد بقدر حاله .  
 وأمر أن يُفترق من الشئون السلطانية على أرباب الزوايا في كل يوم مائة أردب ، بعد ما يعمل  
 خبزا يجتمع ابن طولون . ثم قال [السلطان] : ” هؤلاء المساكين قد جمعناهم اليوم وانقضى  
 نصف النهار، فادفعوا لكل منهم نصف درهم يتفقوت به خبزا . ومن غدا يتقرر الحال “  
 ففترق فيهم جملة كبيرة . وأخذ الصاحب بهاء الدين طائفة أميان ، وأخذ الأتابك جماعة  
 التركان، فلم يبق أحد من الخواص ولا من الحوائث ولا من الخجاب، ولا من الولاة وأرباب  
 المناصب وذوى المراتب وأصحاب المال، حتى أخذ جماعة من المساكين . وقال السلطان  
 للأمر صارم الدين المسعودى وإلى القاهرة : ” خذ مائة فقير أطعمهم لله “ . فقال [الأمير] :  
 ” قد فعلت ذلك، وأخذتهم دائما “ . فقال [السلطان] : ” ذلك فعلته ابتداء من نفسك،  
 وهذه المائة خذها لأجلي “، فأخذ مائة مسكين أخرى . وشرع الناس في فتح المخازن وتفريق  
 الصدقات، فانحطت السعر عشرين درهما الأردب ، وقت الفقراء . واستمر الحال إلى شهر  
 رمضان، فدخل المغل الحديد وانحل ( ١٢٠ ) السعر في يوم واحد أربعين درهما الأردب .  
 وفي اليوم الذى جلس فيه السلطان بدار العدل، رفعت إليه قصة ضحان دار الضرب فيها  
 بوقف الدراهم ، وسألوا لإبطال الدراهم الناصرية ، وأن ضمانهم مبلغ مائتى ألف وخمسين  
 ألف درهم . فأمر [السلطان] أن يحط من ضمانهم مبلغ خمسين ألف درهم، وقال :  
 ” لا تؤذى الناس في أموالهم “ .

وفي العشرين من ربيع الآخر كانت زلزلة عظيمة هدمت عدة أماكن . وفي ثالث عشره  
 رسم بمساحة بنات الأمير حسام الدين لاجين الجوكندار العزيزى بما وجب للديوان  
 (١) في س ” رفعت إليه قصة ضحان دار الضرب بها بوقف الدراهم “ ، وقد ترجم (Quatremère : Op.  
 Cit. I. 1. p. 233) العبارة كماها إلى ” on lui apporta un placet adressé par les fermiers  
 de l'hôtel de la monnaie : ils représentaient que la fabrication du dirhem était  
 arrêtée .... “ هذا وقد كانت دار الضرب من منشآت القاطمين ، وقد بنيت سنة ٦١٥ بجهة القاشين ، وميت  
 بدار الأمرية نسبة إلى الخليفة الأمر به الله . ومارات دار الضرب هذه باقية حتى أيام السلطان صلاح الدين الأيوبي ،  
 فنقلت إلى الموضع الذى عرف فيما بعد بامم درب الشمس . (المقريزى : المواظ والاعتبار، ج ١١ ص ٤٠٦، ٤٠٥).



في تركة أيهن<sup>(١)</sup> — وكان قد مات بدمشق في رابع عشر المحرم — وهو مبلغ أربع مائة ألف درهم نفقة، خارجا عن ماله من الأملاك والغلال والخيل. وكتب [السلطان] بذلك إلى الشام، وقصد بذلك أن يفهم أمراءه أن من مات في خدمته وحفظ يمينه، ينظر في أمر ورثته ويبقى عليهم ما يخلفه. ومات الأمير شهاب الدين القيمري نائب السلطنة بالفتوحات الساحلية، فأعطى ابنه إقطاعه وهو مائة طواش. ولما أسر الفرنج الأمير شجاع الدين وإلى سمرمين<sup>(٢)</sup> أبقى [السلطان] إقطاعه بيد إخوته وغلمانته، كل ذلك استجلابا للقلوب<sup>(٣)</sup>.

(١) في س "أيهن".

- (٢) بغير ضبط في س، وهي بلدة من أعمال حلب. (ياقوت: معجم البلدان، ج ٢، ص ٨٣).  
 (٣) يفهم من كل هذا أن الإقطاع في العرف المملوك — وفي عرف الدول الإسلامية جميعا — كان أمرا شخصيا بحيث لا يدخل حقوق الملكية أو الأحكام الواردة به. فكان المقطع يحق في الإقطاع على سلطان لينتفع بعقلته وإراداته لحسب، ثم يؤول جميعه إلى السلطان بمجرد انتهاء مدة الإقطاع المتفق عليها، أو بسبب وفاة المقطع إذا كان الإقطاع لمدة الحياة، أو بسبب إخلال المقطع بشروط العقد القائم، وسواء في ذلك ما يسمى باسم إقطاع التملك وهو الإقطاع العادي، أو إقطاع الاستغلال وهو إقطاع شخص تراج جهة معينة. راجع (القلقيشدي: صبح الأعشى، ج ١٣، ص ١٠٤ — ١١٧). وقد بين (G. Demombynes: La Syrie, Introd. p. CXIV.) ذلك كله بوضوح في العبارة الآتية: "La dotation foncière (iqta) ne donne ni la propriété, ni la possession, ni la jouissance du fonds; elle fait seulement participer le titulaire au revenus du sol, dont elle lui confère l'impôt; le mouqta' est substitué au souverain pour la perception de celui-ci". وهذه الصفة الشخصية فقط تجعل الإقطاع في البلاد الإسلامية مثلهما للإقطاع الأوروبي في أوائل القرون الوسطى، أي حتى القرن العاشر الميلادي (انظر انزع المحرري تقريرا)، إذ كان الإقطاع هبة من الملك لأتباعه، وليس تمت حدود مقررة تعين حقوق كل من الطرفين سوى منسبة الملك (precariae verbo regis). انظر (Camb. Med. Hist. II. p. 616 et seq.). غير أن الإقطاع الأوروبي تطور فيما بعد القرن العاشر، فصار المقطع ملكية انتدع أو ارتفاق واستغلال معينة (dominium utile) وصار بينه وبين المالك الأصل أو الأول (dominium eminens) عقد شاملا لالتزامات كل من الطرفين. ومع أن توريث الخلف الشرعي للمقطع لم يكن من شروط العقد الإقطاعي في أوروبا، فإن المادة كانت أن يخلف الوارث سلطه بهذا المالك الأصل، بعد تأدية مبلغ معين من المال (relevium) بمثابة رسم دخول إلى الإقطاع. انظر (Camb. Med. Hist. III. p. 478 et seq.) وفي هذه الظاهرة الأخيرة وحدها أحد لأشياء التي تجعل الإقطاع زمن التملك مختلفا في صميمه عن الإقطاع الأوروبي المعاصر له، مع ما بينهما من شبه العام. ويتضح من هذا أن ما أراد به السلطان ببرس "استجلاب القلوب"، كان محاولة غير مقصودة للتقريب بين النظام الإقطاعي في الدولة المملوكية ونظيره



وفيه ورد الخبر أن هيتوم ملك الأرمن<sup>(١)</sup> جمع وسار إلى هرقلة، ونزل على قلعة صرْفَنْد<sup>(٢)</sup>.  
 نخرج البريد من قلعة الجبل إلى حماة وحمص بالمسير إلى حلب، نخرجوا وأغاروا على عسكر  
 الأرمن، وقتلوا منهم وأسروا. فانهزم الأرمن واستنجدوا بالتار، فقدم منهم من كان في بلاد  
 الروم - وهم سبعة آلاف فارس - ، فلما وصلوا إلى حارم رجعوا من كثرة الثلج، وقد هلك  
 منهم كثير.

وورد الخبر بأن خليج الإسكندرية قد انسدت وامتلات فوهته بالطين، وقل الماء  
 في نهر الإسكندرية بهذا السبب. فسير السلطان الأمير عز الدين أمير جاندار خفرو، وبعث  
 الأمير جمال الدين موسى بن يغمور الأستاذار لحفر بحر جزيرة بنى نصر عند قلة ريبا.

وفي جمادى الأولى سافر الأمير سيف الدين بلبان الزينى أمير علم إلى الشام برسم تجهيز  
 مهمات القلاع، وعرض عساكر حماة وحلب ورجال الثغور، وإلزام الأمراء بتكميل العدة<sup>(٣)</sup>  
 والعدة<sup>(٤)</sup>، وإزاحة الأعذار بسبب الجهاد. وكتب على يده عدة تذاكر بما يعتمد، وأن يحمل من  
 دمشق خزانة كبيرة إلى البيرة برسم نفقاتها. ورحلت جماعة من (١٢٠ ب) عرب خفاجة كانوا  
 قد وردوا بكتب من جماعتهم بالعراق، يخبرون فيها بأنهم أغاروا على التار حتى وصلت

في أوروبا. على أن ذلك المنفور في الإقطاع الإسلامي. يكن الأول من نوعه، فقد كانت العدة زمن السلطان نور الدين  
 محمود بن زنكي، حسبما ورد في المقرئى (المواعظ والاعتبار، ج ٢، ص ٢١٦)، أنه "إذا مات الجندي [من  
 أجداده] أعطى [السلطان] إقطاعه لولده، من كان صغيراً وتب معه من بين أمره حتى يكبر. فكان أجداده يقولون  
 الإقطاعات أملاكنا يرثها أولادنا الولد عن والده، فنحن نقاتل عليها، وبه افتدى كثير من ملوك مصر...". راجع  
 أيضاً (المقرئى: قس المربع، ج ١، ص ٩٥-٩٨؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٤، ص ٥٠-٥١).  
 (١) المقصود بملكه الأرمن هنا بلاد قليقية، وهي أرمينية الصغرى، وكان ملكها هيتوم (Hethum)  
 (1226-1270) قد انضم إلى هولاكو، رغبة منه في حماية مملكته من السلاجقة الروم بالشمال ودولة المماليك  
 بالجنوب، وصارت تلك المملكة بذلك ولاية تابعة لدولة التتر بفارس. (Camb. Med. Hist. IV. p. 175. & Enc. Isl. Art. Armenia)

(٢) غير ضبط في م. انظر أبا الفداء (المختصر في أخبار البشر، ص ٦٩٢، في Rec. Hist. Or. I).

(٣) كذا في م، بضم العين فقط، وقد ضبط لفظ العدة الأول بفتح العين.

(٤) في م "أراحة الأعداء"، وقد صححت من ب (ص ١١٥٧).



غاراتهم باب مدينة بغداد ، ويغبرون بأحوال مدينة شيراز ، فأجيبوا وأحسن إليهم . وفيه توجه قصاد إلى الملك بركة ، وأسلم عالم كبير على يد السلطان من التار الواصلين ومن الفرنج المستأمنين والأسرى ومن النوبة القادمين من عند ملكها ، ففرق فيهم في يوم واحد الأمير بدر الدين الخازندار مائة وثمانين فرسا .

- ٥ وفي جمادى الآخرة قبض على جاسوسين من التار . وتجزر البرج الذي بناه السلطان في قارة<sup>(١)</sup> ، وشرع في بناء برج أكبر منه لحفظ الطرقات من عادية الفرنج . واهتم ملك الأرمن بالمسير إلى بلاد الشام ، وأعد ألف قباء تترى<sup>(٢)</sup> وألف سراقوج<sup>(٣)</sup> ، ألبسها الأرمن ليوهم أنهم نجدة من التتر . فلما ورد الخبر بذلك خرج البريد إلى دمشق بخروج عسكرها إلى حمص ، وخروج عسكر حماة . وألا يخرج عربان الشام في هذه السنة إلى البرية . فخرجت المساكر ، ووالت الغارات من كل جهة ، فانهزم الأرمن . ونزل العسكر على أنطاكية فقتل وأسر وغنم ، وأغار العسكر أيضا ببلاد الساحل على الفرنج حتى وصل إلى أبواب عكا . وشرع [السلطان] البناء في شقيف تيرون ، وكان قد خرب من سنة ثمان ونحسين وستمائة ، فلما تم بناؤه حمل إليه زردخاناه وذخائره ، وبعث إلى عسكر الساحل مئتي ألف درهم فزقت فيهم . وورد البريد بأن جماعة من شيراز ، ومن أمراء العراق وأمراء خفاجة ، وصلوا وافدين إلى الأبواب السلطانية .

١٥

١٥ وفي أول رجب رفعت قصة بأن على باب المشهد الحسيني مسجدا ، إلى جانبه موضع من حقوق القصر قد بيع بستة آلاف درهم حملت إلى الدبوان . فأمر [السلطان] ردها

(١) في من "قارا" بغير ضبط ، وهي قرية جنوبي حمص ، على مسافة ستة وثلاثين ميلا منها ، وتقع على الطريق بين حمص ودمشق . ( ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ١٢ - ١٣ ؛ أبو القداء : المختصر في أخبار البشر ، ص ١٥١ ، في Rec. Hist. Or. I. )

(٢) في من "فاترى" . انظر (Quatremère : Op. Cit. I. I. P. 235) .

(٣) في من "سراكوج" ، وهي قلنسوة تترية ، وتجمع على ميرافوجات . (Dozy: Supp. Diet Ar.) .

(٤) في من "مسجد" .



وَعَمَلُ الجميع مسجداً، وأمر بممارته . ووقف أحد الجند بينم معه ذكر أنه وصيه ، فقال السلطان لقاضي القضاة : ” إن الأجناد إذا مات أحدهم استولى خشداً شيته على موجوده ، ويُعمل اليتيم من الأوشاقية . فإذا مات اليتيم أخذ الوصي موجوده ، أو يكبر اليتيم فلا يحسد شيئاً ولا تقوم له حجة على موجوده ، أو يموت الوصي فيذهب مال اليتيم في مثله . والرأى أن أحداً من الأوصياء لا ينفرد بوصية ، وليكن نظر الشرع (١ ١٢١) شاملاً . وأموال اليتامى مضبوطة ، وأمناء الحكم يحاقتون على المصروف “ . وطلب [السلطان] نواب الأمراء ونقباء العساكر وأمرهم بذلك ، فاستمر الحال عليه .

وفي ثالثه قدم الوافدون من شيراز ، ومقدمهم الأمير سيف الدين بكك<sup>(٢)</sup> ، ومعهم سيف الدين اقتبار الخوارزمي جمدار جلال الدين خوارزم شاه ، وغلمان أتابك سعد وهم شمس الدين سنقرجاه ورفقته . ووصل صحبتهم مظهر الدين وشاح بن شهري ، والأمير حسام الدين حسين بن ملاح أمير العراق . وكثير من أمراء خفاجة . فلقاهم السلطان بنفسه ، وأعطى سيف الدين بكك إمرة طبلخاناه ، وأحسن إلى سائرهم .

وفي شعبان أمر السلطان الأمراء والأجناد وماليك بعمل العدد الكاملة ، فوقع الاهتمام من كل أحد بعمل ذلك ، وكثر الازدحام بسوق السلاح ، وارتفع سعر الحديد وأجر الحدادين وصناع آلات السلاح . ولم يبق لأحد شغل إلا ذلك ، حتى صار العسكر لا ينفق متحصله في شيء سوى السلاح ، ولا يشتغل أحد منهم إلا بنوع من أنواع الحرب كالرمح ونحوه ، وتفننوا في أنواع الفروسية . وورد كتاب أمير المدينة النبوية أنه سار مع كسوة الكعبة حتى علقها على البيت .

وفي شهر رمضان تجزت كسوة قبر النبي صلى الله عليه وسلم . وتعين سفرها مع الطواشي جمال الدين محسن الصالحى . ووقع الشروع في تجهيز الشمع والبخور والزيت والطيب .

(١) في س ” تكبر “ .

(٢) كذا في س ، وقد ترجم (Quatremère: Op. cit. I, 1, p. 238) هذا الاسم إلى (Beklemek) .

(٣) هذا القفظان مضبوطان هكذا في س .



ونخرج البريد إلى الأمير ناصر الدين التيمرى بالغارة على قيسارية<sup>(١)</sup> وعثايت<sup>(٢)</sup>، فساق إلى باب عثايت ونهب وقتل وأسر، ثم ساق إلى قيسارية ففعل مثل ذلك بالفرنج . وكان الفرنج قد قصدوا يافا، فخافوا ورجعوا عنها . وفيه جرى السلطان على عادته في إجراء الصدقات بمطابخ القاهرة ومصر برسم الفقراء، فكان يصرف في كل ليلة من ليالى رمضان جملة كبيرة من الخبز واللحم المطبوخ، وجرى أيضا على عادته في عتق ثلاثين نسمة على عادة الملوك الماضين<sup>(٣)</sup>، سوى من أعتقه من مماليكه . وورد الخبر بأن الفرنج أخذوا أخيدة كبيرة للمسلمين، فكتب إلى نواب الشام بالاجتهاد في ردها، فورد كتاب الأمير ناصر الدين التيمرى بأن الفرنج ردها، وكانت تشمل على عالم كبير من الناس وجملة من المواشى . فسمع في ساعة ردها، من اختلاف الأصوات بدعاء (١٣١ ب) الرجال والنساء وبكاء الأطفال، مانكاد ترق له الحجارة . وقدم البريد من البيرة بأن صارم الدين بككاش الزاهدى أغار على باب قلعة الروم مرارا . وورد كتاب الملك شارل<sup>(٤)</sup> أخى الفرنسيس ملك الفرنج، ومعه حدية وكتاب أمتاداره : " بأن مخدومه أمره أن يكون أمر الملك الظاهر نافذا في بلاده، وأن أكون نائب الملك الظاهر كما أنا نائبه " .

(١) بنير ضبط في س، وقيسارية المقصودة هنا بلد على ساحل فلسطين قبالة طبرية . (بافوت : معجم البلدان،

ج ٤، ص ٢١٤) .

(٢) بنير ضبط في س، وهو حصن بساحل الشام بين جبلا وقيسارية، وكان يعرف بالحصن الأحمر، واسمه في الحوليات الصليبية (Castellum Peregrinorum) أى حصن الحجاج، وقد زادت هيئة القرمسان الداوية في تحصينه في أواخر أيام الحروب الصليبية، وجعلته المركز الرئيسى لقواتها بالشام، (Le Strango : Palest. Under Moslems. P. 403 ; Stevenson : Crusaders In The East .P. 303) . انظر أيضا

(بافوت : معجم البلدان، ج ٣، ص ٦١٦) .

(٣) يفهم من هذه العبارة أن عتق هذا المدد كان عادة سنوية منتظمة في الدولة المملوكية .

(٤) في س " شارك " . والملك شارل المقصود هنا هو (Charles d' Anjou) ملك صقلية، وقد تقدمت

الإشارة إليه وإلى أخيه لويس التاسع (Louis IX) ملك فرنسا المتوفى في تونس . (انظر ص ٥٠٢، حاشية ١) . أما الكتاب المشار إليه فكان الغرض منه عقد معاهدة تجارية بين دولة المماليك ومملكة صقلية . (Lane-Poole :

A Hist. Of Egypt. p. 266)



وفي يوم الجمعة خامس عشرية قرئ مكتوب في جامع مصر بإبطال ما قرر على ولاية مصر من الرسوم، وهي مائة ألف درهم وأربعة آلاف درهم نقرة. وورد الخبر بأن الأشكري<sup>(١)</sup> عوق الرسل إلى الملك بركة بالهدية عن المسير إليه، حتى هلك أكثر ما معهم [من الحيوان<sup>(٢)</sup>]. فأحضر السلطان البطارقة والأساقفة، وسألهم عن خالف الأيمان وما كتب به الأشكري، فأجابوا بأنه يستحق أن يحرم من دينه. فأخذ [السلطان] خطوطهم بذلك، وأخرج لهم حينئذ نسخ أيمان الأشكري، وقال: "إله قد نكت بإمساك رسل، ومال إلى جهة هولاء كو". ثم جهز إليه<sup>(٣)</sup> الراهب الفيلسوف اليوناني، ومعه قسيس وأسقف، بحرمانه من دينه، وكتب له كتابا أغظ فيه. وكتب [السلطان] أيضا إلى الملك بركة [كتابا]، وسيره إلى الأمير فارس الدين أقوش المسعودي المتوجه بالهدية إلى الملك بركة. فلما وصلوا إلى الأشكري أطلقهم لوقت<sup>(٤)</sup>، فساروا إلى الملك بركة<sup>(٥)</sup>.

(١) سمى ابن أبي القضائل (كتاب النج السديد، ص ١١٢) هذا الأشكري باسم "الباسلوس كرمبائيل"، وهو الإمبراطور (Michael VIII Palaeologus, 1259-1282)، والباسلوس معرب اللفظ اللاتيني (Basileus) ومعناه الإمبراطور، وقد تلقب به أبانيرة الدولة البيزنطية منذ أوائل القرن السابع الميلادي. راجع (Camb. Med. Hist. IV. pp. 726 et seq. 905).

(٢) أضيف ما بين القوسين من ابن أبي القضائل (كتاب النج السديد، ص ١١٣)، وقد تقدم ذكر ما احتوته تلك الهدية من أنواع الحيوان. (انظر ص ٤٩٧، حاشية ٣). هذا ويوجد في نفس المراجع (ص ١١٣ - ١١٤) تفصيلات كثيرة فيما حدث لسل السلطان في هذا الفر، ومنها أن سبب تعويقهم أنه كان عند الإمبراطور وقت وصول رسول "من جهة هولاء كو"، فاعتذر إليهم [الإمبراطور] عن تأخير مسيرهم، لخوفه لتلاطم هلاوون على ذلك...".

(٣) ليس في المراجع المتداولة في الحواشي، ما يساعد على التصريف بالراهب المذكور، وقد ترجم (Quatremère: Op. cit. I. l.p. 240) العبارة إلى "un moine philosophe grec".

(٤) الضمير عائد على الرسل الذين كانوا قد عوقوا قبلا.

(٥) يوجد في ابن أبي القضائل (كتاب النج السديد، ص ١١٦، وما بعدها) وصف لوصول السفارة المملوكية إلى حضرة بركة خان، وقد ضمت كثيرا من عادات الترويق باليد، وصورة دقيقة لشخص بركة خان، ونعمه مصححا من الحواشي المتعلقة به: "فلما قاربوا [مسكر بركة خان] النقام الوزير شرف الدين القزويني، وهو يتحدث بالعربية وتركبة، فأمرهم في منزلة حسنة وحن إليهم ضيافة من احم والسمن والخبز وغير ذلك. وصح الملك بركة رل (كذا) في منزلة قريبة، وانتحضر الرسل. وكانوا قد عرفوهم ما يفعلونه عند دخولهم: وهو الدخول من جهة اليسار، وإذا



وقدم البريد من البلاد الشامية بأن عدة من التتار ومن الأتراك والبغاددة قد قصدوا البلاد مستأمنين، فأمر [السلطان] بجمع الأمراء وأعلمهم بذلك، وقال: "أخشى أن يكون في مجيئهم من كل جهة ما يستراب منه، والرأى أن نخرج إليهم، فإن كانوا طائعين عاملناهم بما ينبغي، وإلا فنكون على أهبة. ومن احتاج من العسكر إلى شيء أعطيته، وما أنا إلا كأحدكم يكفيني فرس واحد، وجميع ما عندي من خيل وجمال ومال كله لكم ولمن يجاهد في سبيل الله".

— أحد (كذا) كتب منهم ينتفون إلى جهة معين، ويكون الجوس على الركبتين، وأن لا يدخل أحد إلى خركته سيف ولا سكين ولا (ص ١١٧) عدة، ولا يدرس رجله عدة الحركاء، وإذا قلع أحد ثيابه يلقها على الجانب الأيسر، ويضع قوسه من الخردل ويقت وتره، ولا يدع في تركته نشاب، ولا يأكل ثلعا، ولا يسل ثوبه في الأردو، وإن انفق غسبه يشبه حقة. ثم بينهم وحدوا الملك ركة في حركه كبيرة نسع حسيانة فارس، وهي مكسوة لباد أبيض، ومن داخلها مسرة بصداب وخطاني، مكنة بجواهر ولؤلؤ. وهو جالس على تخت مرتفعين الرجليين على كرسي، وعلى الكرسي مخدة، وبه (في الأصل فان) كان به وجع الفرش (كذا)؛ وإلى جانبه الخانون الكبير واسمها صغدي حاتون، وله امرأتان جريها وهما بجنت حاتون وكهار حاتون... (ص ١١٨) وكان عمر الملك بركة إلى ذلك التاريخ وخمسين سنة، وصفته خفيف الحية كبير الوجه في لونه صفرة، يلف شعره عند أذنيه، في أذنه حلقة ذهب فيها جوهرة منة، عليه قباء خطاني، وعلى رأسه سراقوج، وحياسة ذهب بجوهرة بسولو بلغاري أخضر، وفي رجله خف كيمخت أحمر. ولبس في (ص ١١٩) وسطه سيفاً، وفي حياسته قرون سود معوجة مقمعة بذهب، وعنده خمسون أميراً على كراسي في حركته. فلما دخلوا عليه ودوا الرسالة، أعجبهم ذلك إعجاباً عظيماً، وأخذوا الكتاب وأمرهم بالتزاور. ثم قلهم عن يمينه، وأستدعهم مع جنب الحركاء خلف الأمراء بين يديه، وأحضروهم القمز وبعده الصل المطبوخ، ثم أحضروهم لحماً وسكناً فأكوا. ثم أمرهم بترأفهم عند زوجته بجنت حاتون، ولما أصبحوا صيفتهم الخانون في حركتها، ثم انصرفوا آخر النهار إلى مساكنهم. وصار السلطان بركة يطلبهم في سائر أوقافه، ويسألهم عن الخمين والزرافة، وسأل عن النيل وعن معمر مصر، وقال سمعت أن علي بن آدم عند علي البين، يعبوا (كذا) (ص ١٢٠) فأسس عليه، ففدوا هذا ما رأياه ولا هو عندنا. وأقاموا عنده ستة وعشرين يوماً، وأعطاهم شيئاً من الذهب الذي يتعاملون به في بلاد الأشكرى. ثم خلعت عليهم زوجته المذكورة، وأعطاهم جوايهم. وسيرهم معهم الرسل، وهم أربوقا وأزيمور وتيمورتاش. وكان عند الملك بركة رجل فقير من أهل القيوم، اسمه الشيخ أحمد المصري، له عندنا حرمه كبيرة. وكل أمير عنده له مؤذن وإمام، ولكل حاتون مؤذن وإمام، والحصار الذين عندهم لهم مكاتب ويتنون القرآن. وقاموا (كذا) أرسل مدة غيبتهم إلى ستة خمس وستين وسبعة. انظر الترجمة الفرسية لهذا النص في قس المرجع والمفصلات، لتفسير ما به من الألفاظ الغريبة أو الغامضة.



فاشار الأمراء حينئذ بسلطنة ولده، ليكون مقياً بديار مصر في غيبته . فلما كان يوم  
الخميس ثالث عشر شوال، أركب السلطان ابنه الملك السعيد بشعار السلطنة، وخرج بنفسه  
في ركابه وحمل الغاشية راجلاً بين يديه، فأخذها منه الأمراء، ورجع إلى مقر ملكه . ولم  
تزل الأمراء والعساكر في خدمته إلى باب النصر، ودخلوا به من (١١٣٢) القاهرة رجالة  
يحملون الغاشية، وقد زينت [المدينة] أحسن زينة، واهتم الأمراء بنصب القباب . فسار  
[الملك السعيد]، والأمير عز الدين أيدير الحلبي راكباً إلى جانبه وقد تقز أن يكون أتباعه،  
والنياب الأطلس والعتابي تفرش تحت فرسه، حتى عاد إلى قلعة الجبل . ولم يبق أمير حتى  
فرش من جهته الثياب الحريرة، فاجتمع من ذلك أحمال تفرقها الممالك السلطانية . وكتب  
القاضي محي الدين بن عبد الظاهر تقليد الملك السعيد، بتفويض عهد السلطنة له .

وفي يوم الاثنين سابع عشره اجتمع الأمراء والقضاة والفقهاء . وقرئ التقليد المذكور،  
وشُرع في ختان الملك السعيد، فامر [السلطان] الناس بالتأهب لعرض عليه بالأسلحة والآلات  
الحرب . وقدمت طائفة من جهة التار المستأمنة . فكتب [السلطان] إلى أمراء خفاجة<sup>(١)</sup>  
بخدمتهم . وظهر كوكب الذؤابة بالشرق وذؤابته نحو الغرب، وصار يطلع قبيل الفجر،  
ويتقدم قليلاً قليلاً حتى صار يطلع مرتفعاً، وأضاء ذنبه كثيراً . ولم يتغير عن منزلة الحقعة<sup>(٢)</sup>،  
وبعد منة إلى جهة المشرق نحو ربح طويل . واستمر من آخر رمضان إلى أول ذي القعدة،  
وكان يظهر له قبل بروزه شعاع عظيم في الجو . وظهر أيضاً في الغرب مما يلي الشمال . بعد  
عشاء الآخرة في ليال عديدة من أخريات رمضان وأوائل شوال، خطوط مضيئة شبه الأصابع  
مرتفعة في جو السماء . واحترت الشمس في رابع شوال قبيل الغروب، وذهب ضوءها حتى

(١) في س "قدم" .

(٢) ترجم (Quatremère : Op. Cit I. 1. p. 211) هذا المفظ ال (comète) أى النجم المذنب،

نحو تعليق .

(٣) ضبط هذا المفظ على منطوقه في (Ibid. Op. Cit. I. 1. p. 211) .

(٤) في س "إلى" .



صارت كأنها منكسفة إلى أن غربت ؛ فلما كان بعد عشاء الآخرة أصاب القمر مثل ذلك .  
 وأحضر من المنس ظاهر القاهرة طفل ميت ، له رأسان وأربع أعين وأربع أرجل  
 وأربع أيدي ، وُجد بساحل المنس . وفيه قتل الملك المغيث فتح الدين عمر بن الملك العادل  
 صاحب الكرك . وورد الخبر بوصول الرسل إلى الملك بركة ، وإكرامه لإياهم وتجهيزه لهم .

- وفي أول ذي القعدة جلس السلطان لعرض العساكر عند طلوع الشمس ، وقد ملأوا  
 الدنيا : فساق كل أمير في طلبه وهو لابس لامة حربه ، وجرأوا الخنايب وعليها عدد الحرب ؛  
 وأمر السلطان ألا يلبس أحد في هذا اليوم إلا شعار الحرب . فما زال السلطان جالسا على  
 الصُفَّة التي بجانب دار العدل ، والعساكر تسوق وهي لابسة ، وديوان الجيش ( ١٣٢ - ) بين  
 يديه ، والعساكر تعبر خمسة خمسة ، ثم عبرت عشرة عشرة . وكاد الناس يهلكون من الزحام  
 وحمم الحديد ، فعبروا بغير حساب . وذهبت عدة من الناس في الزحام . منهم أيبك مملوك  
 الأمير عز الدين أيدير الحلبي ، فدفن ثم نبش ودفن في قبر آخر . فقال في ذلك القاضي  
 محي الدين بن عبد الظاهر : —

ما نقلوا أيبك من قبره      لحادث كلاً ولا عن شور  
 لكنه في يوم عرض قفى      والعرض لا بد له من شور

- وأراد السلطان بركوب العسكر في يوم واحد حتى لا يقال إن أحدا امتنع شيئا ، فكان  
 من يعرض يدخل من باب القرافة ، ويخرج من جهة الجبل إلى باب النصر إلى الدهليز  
 المضروب هناك . فلما قرب غروب الشمس ركب السلطان بقاء أبيض لا غير ، وساق  
 في وسط العساكر الملبسة — ومعه يسير من سلاح داريته وخواصه — إلى الدهليز ، فنزل  
 به ورتب المنازل ، ثم عاد إلى القلعة وقت المغرب . ثم إن الناس اهتموا باللعب ، وأبسوا

(١) أفرغت تلك مناور السهوية جميع من شهود ، وقالوا إنها من علامات قرب اجتياح القربلاد المسلمين

مرة أخرى . انظر ابن واصل (قص المربع ، ص ١٤٢٧) .

(٢) في س "ارمه" ، في العبارة كلها . (٣) انظر ص ٥١٤ ، حاشية ٥ .



خيولهم المشاهير<sup>(١)</sup> والبراسم البحرية<sup>(٢)</sup>، والمراوات والأهلة الذهب والفضة<sup>(٣)</sup>، والأطلس الخطائي<sup>(٤)</sup>.  
ونزل السلطان. وجنائبه تجر، فكان منظرا يهر العيون حسنه. وكان الذي دخل في المراوات  
من البنود الأطلس الأصفر قيمته عشرة آلاف دينار، وما تجدد بعد ذلك لا يحصى. وساق  
السلطان إلى ميدان العيد وقُدَّامه جنائبه<sup>(٥)</sup>، وشَرَطَ لكل أمير يصيب القَبْقُ<sup>(٦)</sup> فرسا من الجنائب  
بما عليه من المشاهير، وخلعة لكل مفردى أو مملوك أو جندى. وساق هو والأمراء،  
ثم المفاردة والبحرية والظاهرية والحلقة والأجناد، ودخل الناس بالرماح بكرة النهار. ونزل  
السلطان وقت الصلاة للصلاة وإطعام الطعام. ثم ركب الناس ولبسوا، وركب السلطان لرمى  
النشاب وأعطى وخلع.

- (١) المشاهير هي الأشرطة التي توضع حول صدر الحصان، وقد شرحها (Dozy : Supp. Diet. Ar.)  
بالعبارة الفرنسية التالية: "les bandes plus ou moins large, qui serrent la poitrine du cheval."  
(٢) كذا في س، وقد قرأها (Quatremère : Op. Cit. I. 1. p. 243) "البراسم الحربية"، وترجمها  
إلى (de caparaçons de guerre) أي السروج الحربية.  
(٣) المراوات قطع من المعدن أو غيره، يزان بها سرج الحصان، وقد فسرها (Dozy : Supp. Diet. Ar.)  
بالعبارة الفرنسية التالية: "des plaques de métal ou autres, qui décoraient le harnais du cheval"  
ويظهر مما يلى (سطر ٣) أن المراوات كانت تحاط بقماش السرج.  
(٤) الأطلس الخطائي نوع من الحرير، وأصل صناعته في بلاد الخطا أي شمال الصين، وكان في زمن ياقوت  
(معجم البلدان، ج ١، ص ٨١٢) من مصنوعات تبريز أيضا. راجع (Dozy : Supp. Diet. Ar.).  
(٥) انظر الحاشية التالية.

(٦) القبق — أو القباقي — لفظ تركي معناه نبات القرعة السلية (une courgette)، وقد أطلق في العربية على  
الهدف الذي كان مستعملا في لعب الرماية المعروف باسم القبق أيضا. وكانت طريقة لعب القبق أن ينصب صار طوليل  
من خشب، يكون في رأسه شكل قرعة من ذهب أو فضة بمثابة هدف، ويكون في القرعة طير حمام. ثم يأتي اللاعبون  
تباراة في رمي الهدف بالنشاب أو السهام وهم على ظهور الخيل، فمن أصاب منهم القرعة وأطار الحمام حاز السبق وأخذ القرعة  
المعدنية قسمها مكافأة. (Quatremère: Op. cit. I. 1. p. 243. N. 118; Dozy: Supp. Diet. Ar.)  
وقد وصف المقرئ (المواظ والاعتبار، ج ٢، ص ١١١) لعب القبق وصفا يختلف قليلا عن الوصف المتقدم،  
ونصه: "والقبق عبارة عن خشبة عالية جدا، تنصب في براح من الأرض، ويعمل بأعلامها دائرة من خشب،  
وتنقش الرماة بنفسها وترى بالسهم جوف الدائرة، لكي تمر من داخلها إلى غرض هناك، تمر بها لهم على حكم الرمي،  
ويعبر عن هذا بالقبق في لغة الترك". وكان لرمي القبق ميدان خاص خارج القاهرة، وكان موضعه حسبما جاء بالمقرئ =



وفي هذا اليوم حضر رسل الملك بركة . فشهدوا من كثرة العساكر وحسن ذيهم  
واهتمام السلطان وبهجة الخيول وجلالة الفرسان ما بهر عقولهم ، ووقفوا بجانب السلطان  
يشاهدون حركات العساكر وإصابة رميها . واستمر ذلك أياما .

وفي ناسعه خلع السلطان على الملوك والأمراء والبحرية والمجانب والخلفاء ، وأرباب  
العلم والوزراء والقضاة وذوى البيوت ، وحضروا بالخلع ، واستمر اللعب بقية النهار .  
فسألت الرسل عن العساكر ، هل هى عساكر مصر والشام ، فقبل لهم : ” هذا عسكر مصر  
فقط ، غير من فى الثغور مثل إسكندرية ودمياط ورشيد وقوص ، ( ١١٣٣ ) والمجردين  
والذين سافروا فى إقطاعاتهم“ . فكثرتعجبهم من ذلك .

وفي عاشره غمّل السباط بقلعة الجبل ، وحضر الملك السعيد وفى خدمته أولاد الملوك  
وأولاد الأمراء . فغتن الملك السعيد ، ثم ختن ابن الأمير عز الدين الحلى الأتابك ، وابن

= (المواعظ والاعتبار، ج ٢، ص ١١١، وما بعدها) ”فيا بين القرة التى ينزل من قلعة الجبل إليها وبين قبة النصر  
التي تحت الجبل الأحمر، ويقال له أيضا الميدان الأسود وميدان العيد والميدان الأخضر وميدان السباق، وهو ميدان  
السلطان الملك الناصر بيبرس البندقدارى المعالى الجسمى . [وفى] بجى مصطبة فى الحرم من ستة وستين وستائة،  
عندما احتفل برى الشباب وأمور الحرب وحث الناس على لعب الرمح ورمى الشباب ونحو ذلك، وصار ينزل كل يوم  
الى هذه المصطبة فلا يركب منها الى العشاء الآخرة، وهو يرمى ويحرض الناس على الرمي والنضال والرهان، فسايق أمير  
ولا مملوك إلا وهذا شغل، وتوفر الناس على الرمح ورمى الشباب . وما برح من بعده من أولاده، والملك المنصور  
سيف الدين قلاوون الألبى المعالى الجسمى، والملك الأشرف خليل بن قلاوون، يركبون فى الملوك هذه الميدان،  
وتقف الأمراء والمالِك السلطانية تسابق بالخيول فيه قدامهم، وتنزل العساكر فيه لرمى القبق ... (ص ١١٣) ...  
وما برح هذا الميدان فضاء من قلعة الجبل الى قبة النصر ليس فيه بيان، وقلوك فيه من الأعمال ما تقدم ذكره . الى أن  
كانت سلطة الملك الناصر محمد بن قلاوون . فترك القبول إليه، وبجى مصطبة برسم طعم مطبوخ السعيد بالقرب من ركبة الخنصر،  
وصار ينزل هناك . ثم ترك [الناصر] تلك المصطبة فى سنة عشرين وسبعائة، وعاد الى ميدان القبق هذا وركب إليه على  
عادة من تقدمه من الملوك، الى أن بنيت فيه القرب شيئا بعد شيء حتى انسدت طريقه، وانصلت الباني من ميدان القبق  
الى تربة الروضة خارج باب البرقية، وبطل السباق به ورمى القبق فيه من آخر أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون ...  
وأنا أدركت هناك حواميد من رخام قائمة بهذا الفضاء، تعرف بين الناس بحواميد السباق، بين كل عمودين مسافة  
بعيدة، وما برحت قائمة هناك الى ما بعد سنة ثمانين وسبعائة ...“ راجع أيضا التوبرى (نهاية الأرب، ج ٢٩،  
ص ١٣٠٤) .



الأمير شمس الدين سقمر الأشقر الرومي . وابن الأمير سيف الدين سكر . وابن حسام الدين ابن بركة خان ، وابن الملك المجاهد ابن صاحب الموصل ، ثم أولاد الملك المغيث صاحب الكرك الثلاثة ، وابن خرا الدين الحمصي . وعدة من أولاد الأمراء . و [ كان ] ذلك بعدما عمل لعدة من الأيتام وأبناء الفقراء بمصر والقاهرة كسوة . فأحضروا في هذا اليوم وختنوا . ومنع السلطان الأمراء والخواص من التقدمة التي جرت العادة بها للملوك في مثل هذا المهم ، فلم يقدم أحد من الخاصة شيئا البتة .

ولما انقضى هذا المهم خرج السلطان إلى الطرانة<sup>(٢)</sup> ، وسار إلى وادي هيب<sup>(٣)</sup> ونزل الأديرة [ التي هناك ] . ومضى إلى تروجة وسار منها إلى الحمامات ، وسلك إلى العقبة وضرب الحلقة برسم الصيد . وأدركه عيد النحر هناك . ووجد جماعة لأخذ عربان بلغه كثرة فسادهم ، وأحضر حوارة وعرب سليم . وألزمهم بإشهاد كتب عليهم بعمارة البلاد ، وألا يؤا أحدا من أهل الفساد . ثم عاد إلى نجر الإسكندرية ، وعم المفاردة والأمراء والخواص بتفرقة المال والقماش ، ولعب الكرة بالميدان ، وزار الشاطبي . ثم سار إلى القاهرة ، فنزل تروجة ، ورسم بتقديم سيف الدين عطا الله بن عزار على عرب بركة ، وألزمه بجباية زكاة المواشي وأخذ عشر الزروع والثمار بفريضة الله ، فأنتم بذلك . وأنعم عليه بسنجد ونقارات ، وتوجه لحفظ البلاد واستخراج الزكاة والعشور من العربان ببرقة .

ووصل السلطان إلى قلعة الجبل ، فقدم شحنة تكريت بجماعة . وجهاز [ السلطان ] الأمير أمين الدين موسى بن التركماني . ومعه عدة من الرماية والمقاتلة ، وخزانة مال وعدة خلع ، وكثير

(١) كذا في س .

(٢) بنير ضبط في س ، وهي بلدة واقعة على الشاطئ الغربي لقرع رشيد ، بينها وبين القاهرة نحو أربعين ميلا . (مبارك : المخطط التوفيقية ، ج ١٣ ، ص ٣٤ ، وما بعدها) . انظر أيضا : (P. Omar Toussoun : La Geographie de L'Egypte A L'Epoque Arabe I. 2. Planche 1).

(٣) بنير ضبط في س ، وهو وادي النطرون . (مبارك : المخطط التوفيقية ، ج ١٧ ، ص ٤٨ ، وما بعدها) .

(٤) الشحنة اسم وظيفة ، وقد تقدمت الإشارة إليها . (انظر ص ٤٠ ، حاشية ه) .



من أمراء عربان الكرك وبحريتها ، ومبلغ من الغلال والذخائر . فساروا إلى خير واستولوا على قلعتها .

وكرر في هذه السنة قتل الناس في الخليج ، وفُتد جماعة ، والتبس الأمر (١٣٣ ب) في ذلك . ثم ظهر بعد شهر أن امرأة جميلة يقال لها غازية كانت تخرج بزيتها ومعها عجوز ، فإذا تعرض لها أحد قالت له العجوز : " لا يمكنها المصير إلى أحد ، ولكن من أرادها فليأت منزلنا " ، فإذا وافى الرجل إليها خرج إليه رجال فقتلوه وأخذوا ما معه . و [ كانت المرأة ] في كل قليل تنتقل من منزل إلى منزل ، حتى سكنت خارج باب الشعرية على الخليج . فأتت العجوز إلى ماشطة مشهورة بالقاهرة واستدعتها إلى فرج ، فسارت [ الماشطة ] معها بالحلى على العادة ومعها جاريتها ، ودخلت الماشطة وانصرفت جاريتها ، فقتل الجماعة الماشطة وأخذوا ما كان معها . وجاءت جاريتها إلى الدار تطلب مولاتها فنكروها ، فضت إلى الوالى وعرفته الخبر ، فركب إلى الدار وهجمها فإذا بالصبية والعجوز ، فقبض عليهما وعرضهما على العذاب ، ففترتا فخبسهما . وانفق أن رجلا جاءهما لتفقد أحوالهما ، فقبض عليه وعوقب فدل على رفيقه ، فإذا هو صاحب أقمه طوب فعوقب [ أيضا ] . فوجد أنهم كانوا إذا قتلوا أحدا ألقوه في القمين حتى تحترق عظامه ، وأظهروا من الدار حفائر قد ملئت بالقتلى ، فسُمروا جميعا . ثم أطنقت المرأة بعد يومين ، فأقامت قليلا وماتت . [ ثم عملت الدار التي كانوا بها مسجدا ، وهو المعروف بمسجد الخناقة ] .

وفي هذه السنة وقف السلطان عدة قرى بأعمال الشام والقدس ، لعصرف ريعها في ثمن خبز ونعال لمن يرد إلى القدس من المشاة ، ومبلغ فلوس . وأنشأ خانا وفرنا وطاحونا بالقدس ، وجعل النظر في ذلك للأمير جمال الدين محمد بن نهار .

(١) كذا في س .

(٢) أضيف ما بين القوسين بعد مراجعة ابن أبي الفضائل (كتاب النهج السديد ص ١٢٦) ، والنص كما هو واردة بذلك المرجع (ص ١٢٤ - ١٢٦) ، ومن هناك أكثر تفصيلا .



وفيها قبض الأشكري صاحب قسطنطينية على عز الدين كيكائوس بن كيخسرو بن كيقباد صاحب بلاد الروم : وسبب [ وجود عز الدين عند الأشكري هو ] اختلافه مع أخيه [ ركن الدين قنچ أرسلان ] ، حتى غلبه أخوه فقتل منه ، وملك أخوه ركن الدين قنچ أرسلان بلاد الروم . فمضى عز الدين إلى الأشكري ، فأواه وأنزله ومن معه من الأمراء ، وقام بأمرهم مدة ، حتى بلغه أنهم قصدوا قتله وأخذ الملكة منه ، فقبض عليهم واعتقل عز الدين ، وكل أصحابه كلهم فأعدمهم .

[ وفيها ] ولي محي الدين أبو المكارم محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن علوان بن الأستاذ الأسدي الشافعي قضاء حلب ، عوضا عن ابن عمه كمال الدين أبي بكر أحمد [ المتوفى ]<sup>(١)</sup> . ومات في هذه السنة من الأعيان الملك المغيث عمر بن العادل أبي بكر بن الكامل محمد ابن العادل أبي بكر بن أيوب بن شادي صاحب الكرك ، مقتولا بقلعة الجبل ، عن ثلاثين سنة . ومات الملك الأشرف موسى بن المنصور بن إبراهيم بن المجاهد شيركوه بن القاهرة محمد بن المنصور ابن شيركوه بن شادي صاحب حمص ، عن خمس وثلاثين سنة بها ، وهو آخر من ملك حمص من أولاد شيركوه . ومات الأمير حسام الدين لاجين العزيزي الجوكدار بدمشق ، عن نحو خمسين سنة . وتوفي قاضي قضاة دمشق عماد الدين أبو الفضائل عبد الكريم بن جمال الدين

(١) في س "وسيه" ، وقد تقدمت الإشارة إلى ما حدث لعز الدين المذكور على يد الأشكري (Theodore II Lascaris) إمبراطور الدولة البيزنطية . انظر ص ٤٠٨ ، حاشية ١ ، وهي التي منها أضيف ما بين الأقواس للتوضيح .

(٢ و ٣) العبارة الواردة هنا بين الرقبن موجودة بهامش صفحة ١٢٢ ب في س .

(٤) انظر الصفحة التالية ، سطر ٣ .

(٥) الوفيات التالية واردة على ورقة منفصلة بين الصفحتين ١٢٢ ب ، ١٢٤ أ في س ، ( انظر ص ٤٨٦ ، حاشية ٢ ) ، ولا شك في مناسبة وضعها هنا تحت سنة ٦٦٢ هـ ، فقد سبق ورود خبر وفاة كل من الملك المغيث عمر ، والملك الأشرف موسى ، بين أخبار تلك السنة . ( انظر ص ٥٠٥ ، سطر ١٣ ، ص ٥١٧ ، سطر ٤٣ وكذلك أبا الفداء : المختصر في أخبار البشر ، ص ١٥٠ ، في Rec. Hist. Or. I. ، ابن العاد : شذرات الذهب ، ج ٥ ، ص ٣٠٥ — ٣٠٧ ، ابن إياس : بدائع الزهور ، ج ١ ، ص ١٠٣ ) . هذا وليس لهذه الوفيات وجود في ب (١٥٩ ب) ما عدا واحدة ، وهي وفاة قاضي قضاة دمشق عماد الدين الحرستاني . ( انظر سطر ١٤ ) .



أبي القاسم عبد الصمد بن محمد بن الفضل بن الحرستاني الدمشقي الشافعي ، وهو معزول  
 وبه خطابة الجامع وتدريس الحديث بالأشرفية ، عن خمس وخمسين سنة بدمشق . وتوفي  
 قاضي القضاة بطلب كمال الدين أبو بكر أحمد بن زين الدين أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن  
 ابن علوان الأسدي الشافعي ، المعروف بابن الأستاذ ، عن إحدى وخمسين سنة . وتوفي شيخ  
 الشيوخ بحجة شرف الدين أبو محمد عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن الأنصاري ، عن ست  
 وسبعين سنة ، في ثامن رمضان ، ومولده في جمادى الأولى سنة ست وثمانين وخمسمائة .  
 وتوفي الرجل الصالح أبو القاسم بن منصور بن يحيى القباري بالإسكندرية ، عن خمس  
 وسبعين سنة .

♦ ♦ ♦

سنة ثلاث وستين وستمائة . في المحرم توجه الملك الظاهر من قلعة الجبل إلى الصيد  
 فقام بوسيم ، ثم سار إلى العباسة ورمى البندق ، وادعى له جماعة منهم الأمير نحر الدين عثمان  
 ابن الملك المفيت صاحب الكرك . فورد الخبر بتزول الشتر على البيرة ، فجهز [السلطان] من فوره  
 الأمير بدر الدين الخازندار على البريد ، ليخرج أربعة آلاف فارس من بلاد الشام . وركب  
 السلطان من موضعه وساق إلى القلعة ، وكانت الخيول على الربيع ، فلم يتم بقلعة الجبل بعد  
 عوده من الصيد غير ليلة . وعين الأمير عز الدين إيفان المعروف بسم الموت لتقديم العساكر ،  
 ومعه من الأمراء الأمير نحر الدين الحمصي ، والأمير بدر الدين بليك الأيدمرى ، والأمير  
 علاء الدين كشتغدي الشمسي ، وعدة من الأمراء والحلقة تبلغ أربعة آلاف فارس (١٢٤) ؛

(١) المعنى المقصود هنا بفعل "ادعى له" — وخير الهاء عائد على السلطان بيبرس — أن الأمير نحر الدين  
 عثمان المذكور اتسب إليه واعتبره أسناده في الصيد . ذلك أن العادة في دوائر الصيد كانت في تلك الأزمنة أن  
 المبتدئ لا يصير في زمرة هواة هذا الفن إلا بعد الاتسب لأحد رماة الصيد القدماء ، فإذا تم له ذلك قبل إنه ادعى  
 لقلان ، أي اتسب إليه . وكانت وسيلة "الادعاء" هذه أن يفتح المبتدئ في إصابة ريته من طير أو غيره ، وعند  
 ذلك يختار الاتسب إلى من يشاء من رجال الصيد المعروفين ، سلطانا كان أو أميرا أو فقيها أو عاميا . انظر  
 (Quatremère : Op. Cit. II. 1. P. 75. N. 83).

(٢) في س "سم الموب" ، وقد صحح الاسم كله من ابن أبي الفضايل (تخاب النهج السديد ، ص ١٢١) .



نخرجوا من القاهرة جرائد في رابع شهر ربيع الأول . ثم عين الأمير جمال الدين المحمدي ،  
والأمير جمال الدين أيدغدي الحاجبي ، ومعهما أربعة آلاف أخرى ، فبرزوا نائي يوم خروج  
الأمير عز الدين إيفان الى ظاهر القاهرة ، وساروا في عاشره .

[ وفي يوم السبت رابع ربيع الآخر<sup>(١)</sup> شرع السلطان في السفر ، وخرج بنفسه في خامس  
شهر ربيع الآخر ومعه عساكر كثيرة . فوقع فناء في الدواب ذلك منها عدد كثير ، وصارت  
الأموال مطروحة ، والسلطان لا يقصر في السير . فلما شكى اليه قلة الظهر قال : ” ما أنا  
في قيد الجمل ، أنا في قيد نصرة الإسلام “ . ونزل [ السلطان ] غزاة في العشرين منه ، فورد  
الخبر بأن العدو نصب على البيرة سبعة عشر منجنيقا ، فكتم ذلك ولم يعلم به سوى الأمير  
شمس الدين منقر الرومي والأمير سيف الدين قلاوون فقط . وكتب [ السلطان ] للأمير  
إيفان : ” متى لم تدركوا قلعة البيرة ؟ وإلا سقطت إليها بنفسى جريدة “ ، فساق [ الأمير إيفان ]  
العسكر . ورحل السلطان من غزاة ، ونزل قريبا من صيداء ، فركب للصيد فتقطر عن فرسه  
وانهشم وجهه ، فتجلد ورحل . وأناه قسطلان يافا بتقادم<sup>(٢)</sup> .

ونزل السلطان ببني<sup>(٣)</sup> في سادس عشرية ، فورد البريد من دمشق وهو في الحمام بالدلهيز ،  
فلم يمهل وقرئ عليه الكتاب وهو عريان : فإذا هو يتضمن بأن بطاقة الملك المنصور  
صاحب حماة سقطت بأنه وصل إلى البيرة بالعساكر ، صحبة الأمير عز الدين إيفان وجماعة  
الأمراء — يوم الاثنين ، وأن التار عند ما شاهدوهم هربوا ، ورموا بجانيقهم وغرقوا  
مراكبهم . وكان من حين كتابتها بالبيرة إلى حين وصولها ببني أربعة أيام . ثم توالى كتب  
الأمراء بالبشارة ، فكتب بذلك إلى القاهرة وغيرها . واستشهد على البيرة الأمير صارم الدين

(١) في س ” فشرع “ ، وقد أضيت العبارة الافتتاحية هذه الجملة من ابن أبي الفعائس ( كتاب نهج السديد ،

ص ١٣٢ ) . (٢) المقصود هنا الأموال التي سحلتها الدواب مع جيش السلطان .

(٣) مررب اللفظ اللاتيني (Castellanus) ، ومعناه مستحفظ القلعة ، ( انظر ص ٣٥ ، حاشية ٥ ؛  
ص ٤٠ ، حاشية ٦ ) ، ويقابله في الفرنسية (Châtelain) ، راجع (Dozy. Supp. Diet. Ar.) . هذا  
رأى المقصود بقسطلان يافا في تلك السنة هو صاحبها ومملوكها (John II d'Étoli) ، وقد تقدمت الإشارة إليه  
في ص ٤٦٤ ، سطر ٤ . (٤) في س ” بيتا “ .



بكناش زاهدى، وترك موجودا كبيرا وبننا واحدة، فرسم [السلطان] أن يكون جميع الإرث لها لا يشاركها فيه أحد. وكتب [السلطان] بعارة ماخرب من البيرة، وحمل آلات القتال والأسلحة اليها من مصر والشام، وأن يعبأ فيها كل ما يحتاج اليه أهلها في الحصار لمدة عشر سنين. وكتب للأمراء ولصاحب حماة بالإقامة على البيرة، حتى ينظف الخندق من الحجارة التي ردمها العدو فيه؛ فكانت الأمراء تنقل الحجارة على أكتافها مدة. وبعثوا بخبر ذلك إلى السلطان، وهو واقف على سور قيسارية ليهدمه بنفسه، وفي يده القطاعة<sup>(١)</sup> وقد تجزحت يده. فكتب جوابهم: "إنا نحمد الله ما تخصصنا عنكم براحة ولا دعة، ولا أنتم في ضيق ونحن في سعة. ما هنا إلا من هو مباشر الحروب الليل (١٢٤) والنهار، وناقل الأحجار ومُرابط الكفار. وقد تساوينا في هذه الأمور، وما نتم ما تضيق به الصدور". وكتب [السلطان] إلى القاهرة باستدعاء مائتي ألف درهم ومائتي تشريف، وإلى دمشق بتجهيز مائة ألف درهم ومائة تشريف، وحمل جميع ذلك إلى البيرة. وكتب إلى الأمير إيفان بأن يحضر أهل قلعة البيرة ويخلع على سائر من فيها من أمير ومأمور وجندى وعامى، وينفق فيهم المسال حتى الحراس وأرباب الضوء<sup>(٢)</sup> فاعتمد ذلك كله. وكتب إلى الديار المصرية بتعطيل المزر، وأن تعفى آثاره وتخرب بيوته وتكسر مواعينه، و[أن] يسقط ارتفاعه من الديوان، "ومن كان له على هذه الجهة شيء، نعوضه من مال الله الحلال" فاعتمد ذلك، وعوض المقطعون بدل ما كان لهم على جهة المزر.

ثم ركب [السلطان] من العوجاء بعد ركوب الأطلاب للتصيد في غابة أرسوف، ورسم للأمراء من أراد منهم الصيد فليحضر، فإن الغابة كثيرة السباع. وساق إلى أرسوف

(١) القطاعة هي المطرقة، تستعمل لقطع الصخر أو هدم البناء، وجمعها قطاطيع. (محيط المحيط؛

. (Dozy : Supp. Dict. Ar.)

(٢) في من "أرباب الضو"، وقد زبدت الهزة على النقط الثاني بعد مراجعة (Quatremère : Op.

Cit. I. 2. P. 4. N. 5) حيث ترجمت العبارة إلى الآتي : (les hommes préposés à l'éclairage)،

أي الأشخاص المكلفون بعمل الإضاءة، ويُدعى لهم الصووية والمناسبة أيضا. (Dozy : Supp. Dict. Ar.)



وقيسارية ، فشاهدتهما وعاد إلى الدهليز ، فوجد أخشاب المنجنيفات قد أحضرت صحبة  
 زردخاياه ، فأمر بنصب عدة مجانيق وعملها . وجلس [السلطان] مع الصناع يستحثهم ،  
 فعمل في يوم واحد أربع منجنيفات كبار سوى الصغار . وكتب إلى القلاع بطلب المجانيق  
 والصناع والمجارين ، ورسم للعسكر بعمل سلام . ورحل [السلطان] إلى قريب عيون الأساور<sup>(١)</sup>  
 من وادي عارة وعرة<sup>(٢)</sup> ، فلما كان بعد عشاء الآخرة أمر العسكر كله فلبسوا آلة  
 الحرب ، وركب آخر الليل وساق إلى قيسارية ، فوافاها بكرة نهار الخميس تاسع جمادى الأولى  
 على حين غفلة من أهلها ، وضرب عليها بعساكره . ولوقت ألقى الناس أنفسهم في خندقها ،  
 وأخذوا السكك الحديد التي برسم الخيول — مع المقاريد والشبح<sup>(٣)</sup> ، وتمتقوا فيها من كل جانب  
 حتى صعدوا ، وقد نُصبت المجانيق ورمى بها . فخرقوا أبواب المدينة واقتحموها ، ففر أهلها  
 إلى قلعتها ، وكانت من أحصن القلاع وأحسنها وتعرف بالخضراء . وكان قد حمل عليها  
 الفرنج العمدة الصوان ، وأتقنوها بتصليب العمدة في بنائها ، حتى لا تعمل فيها القنوب  
 ولا تقع إذا علقت . فاستمر الزحف والقتال عليها بالمجانيق والدبابات والزحافات ورمى<sup>(٥)</sup>

(١) بنير ضبط في س ، وهي منزلة قرب فيمون والرمة من أعمال فلسطين . (ابن شداد : النوادر السلطانية ،  
 ص ٤٧ ، حاشية ٢٠١ ، في Rec. Hist. Or. III ، باقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٢١٨) .

(٢) ضبط هذين اليمين على منطوقهما في (Quatremère : Op. Cit. I. 2. p. 6) ، حيث ترجع إلى  
 (Arah et Ararah) .

(٣) السكك جمع سكة ، وهي الوند الذي يربط به مقود الحصان . (محيط المحيط : Dozy : Supp. Diet. Ar.) .

(٤) هذا اللفظ مضبوط بضم الشين فقط في س ، وهو جمع شبة ، وهي السلسلة التي يربط بها قدم الحصان ، في أحد  
 طرفيها عمود ترز في القدم ، وفي طرفها الآخر رزة تدق في الأرض . (محيط المحيط : Dozy : Supp. Diet. Ar.) .

(٥) في س " الزحافات " ، والصيغة المثبوتة هنا من ب (١٥٩ ب) ، والزحافات مشروحة ضمناً في  
 (Dozy : Supp. Diet. Ar.) في العبارة التالية : " ... برج الزحف ou آلة الزحف est une sorte de  
 tour dans laquelle se trouvent des soldats munis d'arbalète et de machines de  
 guerre, et qui est placée sur un chariot que l'on pousse contre les murailles d'une  
 place forte, que l'on assiege. " هذا وليس في التلغشتدي (صبح الأعشى ، ج ٢ ، ص ١٢٦ ، وما بعدها)  
 في باب آلات الحصار ذكر الزحافات ، على أنه أورد المجانيق ومكاحل البارود وفوارير الفط والسائر .



النشاب . وخرجت تجريدة من عسكر السلطان إلى بيسان مع الأمير شهاب الدين القيمرى ،  
فسير جماعة من التركمان والعربان (١١٣٥) إلى أبواب عكا ، فأسروا جماعة من الفرنج .

[هذا] والقتال مُلحَّ على قلعة قيسارية ، والسلطان مقيم بأعلى كنيسة تجاه القلعة يمنع الفرنج  
من الصعود إلى علو القلعة ، وتارة يركب في بعض الدبابات ذوات العجل التي تجرى حتى  
يصل إلى السور ليرى النقوب بنفسه . وأخذ [السلطان] في يده يوما من الأيام ترسا وقاتل ،  
فلم يرجع إلا وفي ترسه عدة سهام .

فلما كان في ليلة الخميس النصف من جمادى الأولى سلم الفرنج القلعة بما فيها ، فسلق  
المسلمون من الأسوار ، وحرقوا الأبواب ودخلوها من أعلاها وأسفلها ، وأذن بالصبح عليها .  
وطلع السلطان ومعه الأمراء إليها ، وقسم المدينة على الأمراء والممالك والحفنة ، وشرع  
في الهدم ونزل وأخذ بيده قطعة وهدم بنفسه . فلما قارب الفراغ من هدم قيسارية  
بعث [السلطان] الأمير سنقر الرومى والأمير سيف الدين المستعرب في جماعة ، فهدموا قلعة  
كانت للفرنج عند الملوحة قريب دمشق (٢) وكانت عاتية (٣) — حتى دكوها دكا .

وفي سادس عشرية سار السلطان بجريدة إلى عثليث ، وسير الأمير سنقر السلاح دار ،  
والأمير عز الدين الحموى ، والأمير سنقر الألفى ، إلى حيفا . فوصلوا إليها ، ففر الفرنج إلى  
المراكب وتركوا قلعتها ، فدخلها الأمراء بعد ما قتلوا عدة من الفرنج وبعد ما أسروا كثيرا ،  
ونهبوا المدينة والقلعة وأحرقوا أبوابها في يوم واحد ، وعادوا بالأسرى والرؤوس والغنائم

(١) توجد بين الصفحتين ١٣٤ ب ، ١٣٥ ا في م ، ورقة منفصلة بها وفات قامة لسنة ٦٦٤ هـ ،  
وستورد في موضعها .

(٢) غير ضبط في م ، وهي حسبما ورد في ياقوت (معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٣٦٨) قرية كبيرة من قرى  
حلب ، وتقع في الجنوب الشرقى منها ، على مسافة ثمانية عشر ميلا تقريبا . انظر (Rec. Hist. Or. I. Index) .

(٣) في م "عاتية" ، وهي في ب (١١٦١) "عالية" ، وقد غيرها (Quatremère : Op. Cit. I.2. p. 8. N.9)  
إلى "هامة" ، وترجمها على هذا المعنى . على أنه يحتمل أن تكون الصيغة الواردة في م هي المقصودة بالذات ،  
إذ يوجد في (Dozy : Suppl. Diet. Ar.) في مادة عتب ما يفيد أن التعيب هو التسقيف (toiture) ، ولعل  
المراد بلفظ عاتية هنا مأخوذ من هذا المعنى .



سالمين . ووصل السلطان إلى عثيث فأمر بتشيئها وقطع أشجارها ، فقطعت كلها ونحرت  
أبنيتها في يوم واحد . وعاد إلى الدهليز بقيسارية . وكلّ هدمها حتى لم يدع لها أثرا .  
وقدمت منجنيقات من الصببية وزرد خاناه من دمشق . وورد عدة من الفرنج للخدمة ،  
فاكرمهم السلطان وأقطعهم الإقطاعات .

وفي تاسع عشره رحل السلطان من قيسارية ، وسار من غير أن يعرف أحد قصده . فتل على  
أرسوف مستهل جمادى الآخرة ، ونقل إليها من الأحطاب ما صارت حول المدينة كالجبال  
الشاهقة وعمل منها ستائر ، وحفر سريين من خندق المدينة إلى خندق القلعة وسقفه بالأخشاب .  
وسلم أحدهما للأمير سنقر الرومي ، والأمير بدر الدين بيسرى ، والأمير بدر الدين الخازندار ،  
والأمير شمس الدين الذكر الكركي (١٣٥ ب) ، وجماعة [غيرهم] . وسلم الآخر للأمير سيف الدين  
قلاون ، والأمير علم الدين الحلبي الكبير ، والأمير سيف الدين كرمون ، وجماعة [غيرهم] . وعمل  
[السلطان] طريقا من الخندقين إلى القلعة ، وردمت الأحطاب في الخندق ، فتجبل الفرنج  
وأحرقوها كلها . فأمر السلطان بالحفر من باب السريين إلى البحر ، وعمل سروبا تحت  
الأرض يكون حائط خندق العدو ساترا لها ، وعمل في الحائط أبوابا يرمى التراب منها وينزل  
في السروب حتى تساوى أرضها أرض الخندق . وأحضر المهندسين حتى تقرر ذلك ، وولى  
أمره للأمير عز الدين أيك الفخري . فاستمر العمل ، والسلطان بنفسه ملازم العمل بيده  
في الحفر وفي جتر المنجنيقات ورمى التراب ونقل الأحجار ، أسوة غيره من الناس . و[كان]  
يمشي بمفرده وفي يده ترس ، تارة في السرب وتارة في الأبواب التي تفتح ، وتارة على حافة

(١) يوجد في محيط المحيط في مادة ذنب ، وصف لنوع من أنواع الأسربة التي تحتفر في حصار المدن ، واسمها  
طريق ذنب القار ، وهو "سرب كثير التعارج تحتفر في حصار المدن والحصون ، ليتوصل به إليها من غير أن يصيب  
السالكين فيه ما يرشقهم به أهلها" .

(٢) في مس "الذكر" ، انظر . (Zettersteen : Op. Cit. p. 141) . هذا وقد ترجم : (Quatremère)  
Op. Cit. I. 2. p. 8 هذا الاسم إلى (Aldekiz) ، ونحا (Blochet) هذا التعريف ابن أبي الفضائل (كتاب  
النهج الجديد ، ص ١٢٩) .



البحر يرمى مراكب الفرنج . و [ كان ] يجترى المجانيق ، و يطلع فوق السائر يرمى من فوقها ، ورمى في يوم واحد ثلاثمائة سهم بيده . وحضر في يوم إلى السرب وقعد في رأسه خلف طاقة يرمى منها ، نخرج الفرنج بالزماح وفيها خطاطيف ليجبذوه <sup>(١)</sup> ، فقام وقاتلهم يدا بيد — وكان معه الأمير سنقر الرومي ، والأمير بيسرى ، والأمير بدر الدين الخازندار ، فكان سنقر يناوله الحجارة — حتى قتل فارسين من الفرنج . ورجعوا على أسوأ حال . وكان يطوف بين العساكر في الحصار بمفرده ، ولا يحسر أحد ينظر إليه ولا يشير إليه بأصبعه .

وحضر في هذه الغزاة جمع كبير من العباد والزهاد والفقهاء وأصناف الناس ، ولم يعهد فيها نحر ولا شيء من الفواحش ، بل كانت النساء الصالحات يسقين الماء في وسط القتال ، ويعملن في جرّ المجانيق . وأطلق السلطان الرواتب من الأغنام وغيرها لجماعة من الصالحاء ، وأعطى الشيخ <sup>(٢)</sup> على البكا جملة مال . ولا سُمِعَ عن أحد من خواص السلطان أنه اشتغل عن الجهاد في نوبته بشغل ، ولا سَيرَ أمير غلمانه في نوبته واستراح . بل كان الناس فيها سواء في العمل ، حتى أثرت <sup>(٣)</sup> المجانيق في هدم الأسوار ، وفرغ من عمل الأسربة التي يجاني الخندق ، وفتحت فيها أبواب متسعة .

فلما نها ذلك وقع الزحف على أرسوف في يوم الخميس ثامن رجب ، ففتحها الله في ذلك اليوم عند ما وقعت الباشورة . فلم يشعر الفرنج إلا بالمسلمين قد تسلقوا وطلعوا إلى <sup>(٤)</sup> (١١٣٦) القلعة ، ورُفعت الأعلام الإسلامية على الباشورة ، وحفّت بها المقاتلة وطرحت النيران في أبوابها . وهذا والفرنج تقاتل ، فدفع السلطان سنجقه للأمير سنقر الرومي وأمره أن يؤمن الفرنج من القتل ، فلما رآه الفرنج تركوا القتال . وسلم السنجق للأمير علم الدين

(١) في س " ليجبذوه " ، والجذب في اللغة الجذب لم ، وفعل جذب مرادف لفعل جذب . (محيط المحيط) .

(٢) كذا في س ، وهو مترجم إلى (Bakka) في (Quatremère : Op. Cit. I. 2. p. 9) .

(٣) في س " ارت " . انظر (Ilid : Op. Cit. I. 2. p. 10. n. 10) .

(٤) تقدم شرح هذا اللفظ في ص ١٥٠ ، حاشية ٤ .

(٥) المعنى أن المقاتلة من المسلمين أطافوا بالقلعة وأحرقوا بها . (محيط المحيط) .



سنجر المسرورى المعروف بالحياط الحاجب ، ودأبت له الحبال من القلعة فربطها فى وسطه  
والسنجق معه ، ورفع إليها فدخلها وأخذ جميع سيوف الفرنج وربطهم بالحبال وساقهم إلى  
السلطان ، والأمراء صفوف وهم ألوف .

وأباح السلطان القلعة للناس ، وكان بها من الغلال والذخائر والمال شئ كثير ، وكان  
فيها جملة من الخيول والبغال لم يتعرض [السلطان] لشئ منه ، إلا ما اشتراه ممن أخذه بالمال .  
ووجد فيها عذبة من أسرى المسلمين فى القيود فأطلقوا ، وقيد الفرنج بقيودهم . وعين [السلطان]  
جماعة مع الأسرى من الفرنج ليسيروا بهم ، وقسم أبراج أرسوف على الأمراء ، وأمر أن  
يكون أسرى الفرنج يتولون هدم السور ، فهدمت بأيديهم .

وأمر [السلطان] بكشف بلاد قيسارية وعملى متحصلها ، فعملت بذلك أوراق  
وطالب قاضى دمشق وعدوله ووكيل بيت المال بها ، وتقدم بأن يملك الأمراء المجاهدون  
من البلاد التى فتحها الله عليه ما يأتى ذكره . وكتبت توافيق كل منهم من غير أن يطلعوا  
على ذلك ، فلما فرغت التوافيق قُرئت على أربابها ، وكتب بذلك مكتوب جامع بالتعليك ،  
ونسخته : ” أما بعد حمد الله على نصرته المتناسقة العتود ، وتمكينه الذى رقت به الملة  
الإسلامية فى أصفى البرود ، وفتح الله الذى إذا شاهدت العيون مواقع نفعه وعظيم وقعه علمت  
لأمرى ما يسود من يسود . والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى جاهد الكفار بالسيف  
البنار ، وأعلمهم لمن عقبى الدار ، وعلى آله وصحبه صلاة تتواصل بالعمى والإبكار . فإن خير  
النعمة نعمة وردت بعد اليأس ، وأقبلت على فترة من تغافل الملوك وتهاون الناس ، فأكرم بها  
نعمة وصلت للأمة المحمدية أسبابا ، وفتحت للفتوحات الإسلامية أبوابا ، وهزمت من النار  
والفرنج العدوين ، ورابطت من الملح الأجاج والعذب الفرات بالبرين والبحرين ، وجعلت  
عساكر الإسلام تذلل الفرنج بغزوحهم فى (١٣٦١ هـ) عقر الدار ، وتجووس من حصونهم المانعة  
خلال الديار والأمصار . وتقود من فصل عن شبع السيف الساغب إلى حلقات الإمار .



- فرقة منها تقنع للفرنج قلاعاً وتهدم حصوناً، وفرقة تبني ما هدم التتار بالمشرق وتعليه تحصيناً، وفرقة تسلم بالمجاز قلاعاً شاهقة وتتسم هضاباً سامقة . فهي بحمد الله البانية الهادمة، والقاسمة الراحمة . كل ذلك بمن أقامه الله وجرده سيقاً فقراً ، وحملت رياح النصره ركابه تسخيراً فسار إلى مواطن الظفر وسرى ، وكوئنته السعادة ملكاً إذا رآته في دستها قالت تعظياله ما هذا بَشْراً . وهو السلطان الملك الظاهر ركن الدنيا والدين أبو الفتح بيبرس ، جعل الله سيوفه مفاتيحاً للبلاد، وأعلامه أعلاماً من الأستة على رأسها نار بهداية العباد ، فإنه أخذ البلاد ومعطيها، وواهبها بما فيها . وإذا عامله الله بلطفه شكر ، وإذا قدر عفى وأصلح فوافقه القدر ، وإذا أهدت إليه النصره فتوحات قسمها في حاضريها لديه متكرماً وقال الهدية لمن حضر ، وإذا خَوَّله الله تخويلاً وفتح على يديه قلاعاً جعل المدم للأسوار، والدماء للبشار ، والرقاب للإسار، والبلاد المزروعة للأولياء والأنصار . ولم يعمل لنفسه إلا ما تسطره الملائكة في الصحف
- ١٠ لِيَصْفَاحِهِ مِنَ الْأَجُورِ، وَ [مَا] تَطْوِي عَلَيْهِ طَوِيَّاتِ السَّيْرِ الَّتِي غَدَتْ بِمَا فَتَحَهُ اللَّهُ مِنَ الْغُفُورِ بِاسْمِهِ بِاسْمَةِ الْغُفُورِ .

- فَقِي جَعَلَ الْبِلَادَ مِنَ الْعَطَايَا • فَاعْطَى الْمُدْنَ وَاحْتَقَرِ الضِّيَاعَا  
سَمِعْنَا بِالْكَرَامِ وَقَدْ أَرَانَا • عَيَانَا ضَعْفَ مَا فَعَلُوا سَمَاعَا  
إِذَا فَعَلَ الْكَرَامِ عَلَى قِيَاسِ • جَمِيلًا كَانَ مَا فَعَلَ ابْتِدَاعَا
- ١٥

- ”ولما كان بهذه المنابة ، وقد فتح الفتوحات التي أبجل الله بها أجره وضاعف ثوابه ، وله أولياء كالنجوم ضياء ، وكالأقمار مضاء ، وكالعقود تاسقا ، وكالزُّبُل تلاحقا إلى الطاعة وتسابقا، رأى ألا ينفرد عنهم بنعمة ، ولا يتخصص ولا يستأثر بمنحة غدت بسيوفهم تستنقذ ، وبمزاممهم تستخلص ، وأن يؤثرهم على نفسه ، ويُقسم عليهم الأشعة من أنوار شمس ، ويبقى للولد منهم وولد الولد ، ما يدوم إلى آخر الدهر ويبقى على الأبد ، ويعيش الأبناء في نعمته
- ٢٠

(١) الصفاح جمع صفح ، وهو عرض السيف ، وربما أريد هنا به السيف كله . هذا ويقال للسيف أيضا الصفحة وهي السيف العريض ، وكذلك المصفحة وجمع مل مصفحات . (محيط المحيط) .



كما عاش الآباء، وخير الإحسان ما شمل وأحسنه ما خلد . فخرج الأمر (١٣٧) العالى  
لا زال يشمل الأعقاب والذراري، وينير إبرة الأنجم لدرارى . أن يملك أمراؤه وخواصه  
الذين يذكرون، وفي هذا المكتوب يُسطرون، ما يُعين من البلاد والخصبا<sup>(١)</sup>، على ما يُشرح  
ويبين من الأوضاع : وهو الأتابك فارس الدين أقطاي الصالحى عتيل بكالمها ، الأمير  
جمال الدين أيدغدى العزيزى النصف من زيتا<sup>(٢)</sup> ، الأمير بدر الدين بيسرى الشمسى الصالحى  
نصف طور كرم<sup>(٣)</sup> ، [ الأمير بدر الدين بيليك الخازندار نصف طور كرم ] ، الأمير شمس الدين  
الذكر الكركى ربع زيتا ، الأمير سيف الدين قلعج البغدادى ربع زيتا ، الأمير ركن الدين  
بيبرس خاص ترك الكبير الصالحى أفراسين بكالمها ، الأمير علاء الدين أيدكين البندقدار  
الصالحى باقة [ الشرقية ] بكالمها ، الأمير عز الدين أيدمر الحلبي الصالحى نصف قلنسوة<sup>(٤)</sup> ،  
[ الأمير شمس الدين سنقر الرومى نصف قلنسوة ] ، الأمير سيف الدين قلاون الألفى الصالحى  
نصف طيبة الاسم ، الأمير عز الدين إيفان سم الموت نصف طيبة الاسم ، الأمير جمال الدين  
[ أقوش ] النجيبى نائب سلطنة الشام أم الفحم بكالمها من قيسارية ، الأمير علم الدين مسنجر  
الحلبى الصالحى بتان بكالمها ، الأمير جمال الدين أقوش المحمدى الصالحى نصف بورين ،  
الأمير نحر الدين الطنبا الحمصى نصف بورين ، الأمير جمال الدين أيدغدى الحاجبى الناصرى  
نصف بيزين ، الأمير بدر الدين بيليك الأيدمرى الصالحى نصف بيزين ، الأمير نحر الدين عثمان

(١) ضبط هذا الاسم من ابن أبي الفضائل (كتاب النجديد ، ص ١٣٩) . ومن هنا جملة أسماء الجهات  
التي أقطعها السلطان بيبرس لأمرائه ، وهي قرى وضباع حول قيسارية وأرسوف ، وليس لأحدها تعريف في معجم  
البلدان لياقوت ، وقد قوبلت جميعها وضبطت حسبها جاء في ابن أبي الفضائل (نفس المرجع ، ص ١٣٩ ، وما بعدها) ، كما  
صححت منه أيضا أسماء الأشخاص الواردة معها . انظر أيضا : (Quatremère: Op. Cit. I. 2. p. 13 et seq. :  
Smith : The Historical Geography Of The Holy Land. Index).

(٢) في س "زيتا" .

(٣) أضيف ما بين الأقواس في سائر هذه الفقرة من ابن أبي الفضائل (نفس المرجع ، ص ١٣٩ ، وما بعدها) .

(٤) كذا في س . انظر ص ٥٢٨ ، حاشية ٢ . (٥) في س "بامه" . (٦) في س "تان" .

(٧) في س "بيرين" .



- ابن الملك المغيث ثلث حلبة<sup>(١)</sup>، [الأمير شمس الدين سلار البغدادي ثلث حلبة]، الأمير صارم الدين  
 صراخان ثلث حلبة، الأمير ناصر الدين القيمري نصف البرج الأحمر، الأمير سيف الدين  
 بلبان الزيني الصالحى نصف البرج الأحمر، الأمير سيف الدين إيتامش السعدى نصف  
 يما، الأمير شمس الدين آقسنقر السلاح دار نصف يما، الملك المجاهد سيف الدين إيتحاق  
 صاحب الجزيرة نصف دنابة<sup>(٢)</sup>، الملك المظفر صاحب سنجان نصف دنابة، الأمير بدر الدين  
 محمد بن ولد الأمير حسام الدين برکه خان دير القُصُون بكلمها، الأمير عز الدين أيبك الأفرم  
 أمير جاندار نصف الشوبكة، الأمير سيف الدين كرمون أغا التتري نصف الشوبكة،  
 الأمير بدر الدين الوزيرى نصف طبرس، الأمير ركن الدين منكورس الدويدارى نصف  
 طبرس، الأمير سيف الدين قشتمر العجمى عَلاَر بكلمها، الأمير علاء الدين أخو الدويدار  
 نصف عَرَعَرَا، الأمير سيف الدين قَفَجَق البغدادي نصف عرعرأ، الأمير سيف الدين دجكل  
 البغدادي نصف قَرَعُون، الأمير علم الدين (١٣٧ ب) سنجر الأزكشى نصف قَرَعُون، الأمير  
 علم الدين طرطج الأسدى أَقْبَابَة بكلمها، الأمير حسام الدين إيتامش بن أطلس خان سَيدا بكلمها،  
 الأمير علاء الدين كندغدى الظاهرى أمير مجلس الصُفُرا [بكلمها]، الأمير عز الدين أيبك الخوى  
 الظاهرى نصف أرتاح، الأمير شمس الدين سنقر الأتقى نصف أرتاح، الأمير علم الدين  
 طبرس الظاهرى نصف باقة الغربية، [الأمير علاء الدين التنكرى نصف باقة الغربية]، الأمير  
 عز الدين الأتابك الفخرى القصير بكلمها، الأمير علم الدين سنجر الصيرفى الظاهرى أخصاص  
 بكلمها، الأمير ركن الدين بيرس المغربى نصف قَتِين، الأمير شجاع الدين طغريل الشبلى  
 أمير مهمندار نصف كفر راعى، الأمير علاء الدين كندغدى الحُبُشى مقدم الأمراء البحرية

(١ و ٢) فى "حلبة". (٣) فى "يما". (٤ و ٥) فى "دنايه"، بضم الذا  
 فقط. (٦) كذا فى س، وقد أغفل (Quatremère : Op. Cit. I. 2. p. 14) هذا اللفظ فى ترجمته،  
 وأورد ابن أبى الفضايل (كتاب التيج السديد، ١٤١) الاسم كذا كالتى : "الأمير ناصر الدين بن بركتخان".  
 (٧) فى س "المصفور". (٨) فى س "طرس". (٩) كذا فى س. (١٠) كذا فى س.  
 (١١) فى س "نخيق". (١٢) فى س "بكل". (١٣) فى س "طرودج الامدى".  
 (١٤) فى س "سباها". (١٥) فى س "الصرا الفوة".



نصف كفر راعي، الأمير شرف الدين بن أبي القاسم نصف كستا<sup>(١)</sup>، الأمير بهاء الدين يعقوب الشهرزوري نصف كستا، الأمير جمال الدين موسى بن يغمور أستاذار العالية نصف برنيكية<sup>(٢)</sup>، الأمير علم الدين سنجر الحلبي الغزاوي نصف برنيكية<sup>(٣)</sup>، الأمير علم الدين سنجر نائب أمير جاندار نصف حانوتا من أرسوف، الأمير سيف الدين بيدغان الركني فرديسيا<sup>(٤)</sup> بكالها من قيسارية، الأمير عز الدين أيدير الظاهري نائب الكرك ثلث حبلّة من أرسوف، الأمير جمال الدين أفوشن السلاح دار الرومي ثلث حبلّة، الأمير شمس الدين سنقر جاه الظاهري ثلث حبلّة، الأمير بدر الدين بككاش الفخري أمير سلاح ثلث جلجولية<sup>(٥)</sup>، الأمير علاء الدين كشنغدي الشمسي ثلث جلجولية، الأمير بدر الدين بكتوت بجكا الرومي ثلث جلجولية.

وكتب من كتاب التملك الشرعي الجامع نسخ، وفُرقت على كل أمير نسخة، وخُلع على قاضي دمشق وعاد إلى بلده. ونُقلت المنجنيقات إلى الفلاح، وهي الكرك ومجلون ونحوهما.

ورحل السلطان من أرسوف بعد استكمال هدمها في يوم الثلاثاء ثالث عشر شهر رجب إلى غزة. وسار منها إلى مصر، فخرج الملك السعيد والأتابك عز الدين الحلبي نائب السلطنة إلى لقائه ببركة الحجاج، فلقوه [هناك]. ودخل [السلطان] من القاهرة في يوم الخميس حادي عشر شعبان والأسرى بين يديه حتى خرج من باب زويلة، وصعد إلى قلعة الجبل فاستراح. وعرض ما حصله الأمير عز الدين الحلبي، والصاحب بهاء الدين بن حنا، من الخزائن. ولم يترك أحدا من أمير ولا وزير ولا مقدم ولا مفردى، ولا [أحدا من] خواصه ولا بَرْدَارِيَّتِهِ<sup>(٦)</sup>، و بَرْدَارِيَّتِهِ<sup>(٥)</sup> وسائر حواشيه، (١١٣٨) حتى عمّ الجميع بالخلع. وأحسن إلى رسل

(١) في مس "كفا"، في الحائين. (٢ و ٣) في مس "برديكة".

(٤) في مس "افرادنسفا".

(٥) في مس "بردارسه". انظر ص ٤٩٤، حاشية ٣.

(٦) جاء في الفلقشتدي (صبح الأعشى، ج ٥، ص ٦٨) وما بعدها، في باب ألقاب أرباب الوظائف من الأتباع والحواشي والخدم، أن البرددار "هو الذي يكون في خدمة مباشرة الديوان في الجلة، متحدثا على أعوانه والمتصرفين فيه ... وأصله (٤٦٩) فردادار ... وهو مركب من لفظين فارسيين، أحدهما فردا ومعناه السارة، والثاني دار ومعناه ممسك، والمراد بمسك السار؛ وكأنه في أول الوضع كان يقف بباب السارة، ثم نقل إلى الديوان".



الملك بركه ، وكتب إلى اليمن وإلى الأنبرور بلبشارة ، وأخرج جملة من الدراهم والغلة والكساوى تصدق بها على الفقراء .

وكان قد كثرت الحريق بالقاهرة ومصر في مدة سفر السلطان ، وأصبح أن ذلك من النصارى . ونزل بالناس من الحريق في كل مكان شدة عظيمة ، ووجد في بعض المواضع التي احترقت نפט وكبريت . فأمر السلطان بجمع النصارى واليهود ، وأنكر عليهم هذه الأمور التي تفسخ عهدهم وأمر بإحراقهم . فجتمع منهم عالم عظيم في القلعة ، وأحضرت الأحطاب والخلفاء ، وأمر بالتأثم في النار ، فلاذوا بعفوه وسألوا المن عليهم . وتقدم الأمير فارس الدين أقطاي أنابك العساكر فشفع فيهم ، على أن يلتزموا بالأموال التي احترقت ، وأن يعملوا إلى بيت المال خمسين ألف دينار . فأفرج عنهم [السلطان] ، وتولى البطرك توزيع المال ، والتموا أن لا يعودوا إلى شيء من المنكرات ، ولا يخرجوا عما هو مرتب على أهل الذمة ، وأطلقوا .

وكان الأمير زامل بن علي لا تزال الفتنة بينه وبين الأمير عيسى بن مهنا بن مانع بن حديثة بن غضبة بن فضل بن ربيعة . فلما طلعت العساكر إلى الشام مع الأمير طبرس قبضوا على زامل بالبلاد الحلبية ، وحمل إلى قلعة عجلون . ثم نُقل إلى القاهرة واعتقل ، ثم أفرج عنه وصار يلعب مع السلطان في الميدان . وحضر الأمير شرف الدين عيسى بن مهنا وأحمد بن حمى والأمير هارون ، وأصلح السلطان بينهم وبين زامل ، ورد على زامل إقطاعه وإمرته ، وأذن لهم في السفر . فساروا حتى دخلوا إلى الرمل ، فساق زامل وحجم على بيوت عيسى وأفسد ، وقبض على قصاد السلطان المتوجهين إلى شيراز ، وأخذ منهم الكتب وصار بها إلى هولاءكو وأطعمه في البلاد ، فأعطاه [هولاءكو] إقطاعاً بالعراق . وسافر [زامل]

(١) اسم بطرك الأقباط تلك السنة ، حسبما جاء في (Butcher : The Story Of The Church Of Egypt. I. p. XIV, II. p. 165 et seq.)

(٢) أخبار هذه الحرائق واردة بتفصيل أكثر مما هنا في ابن أبي الفضايل (كتاب التهج السديد ، ص ١٣٢ ، وما بعدها) .

(٣) في س "ساق" .



إلى الخجاز فنهب وقتل، وعاد إلى الشام . وكان السلطان قد أعطى إقطاعه لأخيه أبي بكر، فضاقت عليه الأرض، وكتب يطلب من السلطان العفو . فقرر [السلطان] معه الحضور إلى مدة عينها له، وأنه متى تأخر عنها فلا عهد له ولا أيمان، فلما تأخر عن المدة المعينة وحضر بعدها قبض عليه، واعتقل بقلعة الجبل .

وفي خامس عشرية جلس السلطان بدار العدل، وطلب تاج الدين بن القرطبي . فلما حضر قال [السلطان له] : " أصحرتني مما تقول . عندي مصالح لبيت مال المسلمين، فتحدث الآن بما عندك " . فتكلم [القرطبي] في حق (١٢٨ ب) قاضي القضاة، وفي حق صاحب سواكن، و[قال] إن الأمراء الذين ماتوا أخذ وراثتهم أكثر من حقوقهم . فأمر السلطان بإحضار زيار<sup>(٢)</sup>، وأراه لمن حضر وقال : " من يصبر على هذا الزيار<sup>(٢)</sup> يستكثر عليه إقطاع، أو يستكثر على وراثته موجود يخلفه لهم " ، وأنكر عليه وأمر به حبس . وتحدث [السلطان] في أمر الجند، وأنهم إذا كانوا في البيكار وفي مواطن الجهاد لا يصل إليهم شاهد، فيشهد أحدهم أصحابه [عند موته<sup>(٣)</sup>] ، فإذا حضروا لا تقبل شهادتهم، وتضيع أموال الناس بهذا السبب . وقال : " الرأي أن كل أمير يعين من جماعته من فيه دين وخير لسمع قوله، وكل<sup>(٤)</sup> مقدم وكل جماعة من الجند يعين من فيها ممن هو من أهل الخير والصلاح، تسمع أقوالهم، حتى تحفظ أموال الناس " . فسر الأمراء بذلك، وشرع قاضي القضاة في اختيار الناس الجياد من الجند لذلك .

وجلس [السلطان] في تاسع عشرية بدار العدل، فوقف شخص وشكا أن من سكن

(١) كذا في م، وهو في ب (١٦٤) "تاج الدين القرطبي"، وقد ترجمه (Quatremère: Op. Cit. I. 2. p. 17) على هذه الصيغة .

(٢) الزيار — أو الزيارة — وجمع زيارات، آلة حربية كالقوس الذي يرمى به البندق، وهو مترجم إلى (arbalète) في (Quatremère: Op. Cit. I. 2. P. 17) . انظر أيضا (Dozy : Suppl. Diet. Ar.) .

(٣) تقدم شرح هذا اللفظ في ص ١٠٥، حاشية ١ .

(٤) أضف ما بين القوسين من ترجمة (Quatremère: Op. Cit. I. 2. P. 18) .

(٥) هذا اللفظ مكرر في م .



في شيء من الأملاك الديوانية لا يُمكن من الخلو ، فانكر [السلطان] ذلك وأمر بتمكن الساكن من الخلو عند انقضاء الإجارة . ووردت رسل الأنبرور، ورسل الملك الأشكري، بالهدايا .

وفي سابع شهر رمضان قدمت العساكر من البيرة<sup>(١)</sup>، مع الأمير جمال الدين المحمدي، والأمير عز الدين إيفان . وقدمت هدية ملك الكرج . وورد الخبر باستيلاء عز الدين السكندري نائب الرحبة على قرفيسيا<sup>(٢)</sup>، وقتلوا من كان فيها من الترو والكرج، وأسروا نيفا وثمانين رجلا في نصف شهر رمضان .

وفيه رسم بتحصيل المراكب لتفرق في بحر أشموم ، فلما كان ثاني شوال سار السلطان إلى أشموم بنفسه، وقسم عمل البحر على الأمراء ، وعمل بنفسه وحمل القفة مملوءة بالتراب على كتفه، والناس تشاهده . فوقع الاجتهاد في الحفر، واستمر السلطان على العمل بنفسه في كل يوم ، و [صار] يركب في المراكب وتفرق المراكب قدامه . فتنجز العمل في ممانية أيام، وتكامل الحفر في بحر أشموم . وفي الجهة التي من ناحية جوجر<sup>(٣)</sup> . وسار [السلطان] إلى منزلة ابن حسون ، وعاد إلى قلعة الجبل في حادي عشره . ورسم بإبطال حراسة

(١) كانت مملكة الكرج قد انضوت تحت حكم المغول منذ سنة ٦٢٤ هـ (١٢٣٦ م)، وكان ملكها صاحب الهدية لواقعة ان قاهرة هذه السنة داود أولو (David Ulu)، أي داود الضخم . وقد اشترك داود هذا وجنوده الكرجية في وقعة هولوكو على بغداد ، ووقعة نهزام . فسفر في عين جالوت على يد السلطان قنر . ثم حدث أن تار داود ضد الحكم التتاري سنة ٦٥٩ هـ (١٢٦٠ م)، فقتل مع معظم أمرائه وصالحوا التتر، وهرب هو بعد هزيمته إلى بلدة (Kutais) ، حيث كان ابن عمه داود نارين (David Narin) ، أي داود المسامر . وحوال ذلك الوقت نشبت الحرب بين هولوكو وبركة خان ، فزاد هولوكو ترسية داود الضخم . وعادته إلى مملكته وتبعه ليعول . وقد ظل داود حتى وفاته سنة ١٢٦٩ م واضيا بتلك التبعية في القاهرة، غير أنه كان في نفس الوقت يكبد هولوكو عند كل من الملك بركة خان والسلطان يسيرس ، على النحو المشار إليه بالمتن . (Allen: A Hist. Of The Georgian People. pp. 109 et seq).

(٢) في س "قرفيسيا" بغير ضبط ، وكثيرا ما ترد هذه العبارة المقصورة في الشعر، وتسمى أيضا قرفيساء، وتقع عند ملتق نهر الخابور بالفرات . (ياقوت : معجم البلدان ج ٤، ص ٦٦) . هذا و يوجد بهامش الصفحة في س العبارة الآتية : "قرفيسيا هي حصن الزبا التي اخذت جديده الأبرش" .

(٣) انظر ص ٤٠٣، حاشية ١ .



(١) النهار بالقاهرة ومصر وكانت جملة كبيرة. وكتب توقيع بإبطالها، وكتب أيضا بمساحة الأعمال الدفيلية والمرتاجية أربعة وعشرين ألف درهم نقرة عن رسوم الولاية والمسال المستخرج برسم النقيدي. وتوجه شجاع الدين بن (١١٣٩) الداية الحاجب إلى الملك بركة رسولا، ومعه ثلاث عُمر اعتمر بها عنه بمكة، عُملت في أوراق مذهبة، وشيء من ماء زمزم ودهن بلسان وغيره.

وفي آخره نزل بالسلطان وعك، فتداوى بالصدقة وأعطى الفقراء مالا جزيلًا.

وفي ذي القعدة قدم الراهب كرنانوس بكتاب الملك الأشكري. وكان الأمير جمال الدين أيدغدي العزيزي بكرة قاضي القضاة تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الأعز، ويضع من قدره ويحط عليه عند السلطان، بسبب تشدده في الأحكام وتوقفه في القضايا التي لا توافق مذهبه. فاتفق جلوس السلطان بدار العدل في يوم الاثنين ثاني عشر ذي الحجة، فرفع إليه بنات الملك الناصر قصة فيها أن ورثة الناصر اشتروا دار قاضي القضاة بدر الدين السنجاري في حياته، فلما مات ذكر ورثته أنها وقف. فعند ما قرئت أخذ الأمير أيدغدي يحط على الفقهاء وينقصهم، فقال السلطان للقاضي تاج الدين: "يا قاضي! هكذا تكون القضاة؟". فقال [تاج الدين]: "يا مولانا! كل شاة معلقة بعرقوبها". قال "فكيف الحال في هذا؟"

(١) أشار المقرئ (المواعظ والاعتبار، ج ١، ص ١٠٦) إلى "حراسة النهار" بما لا يزيد عما هو وارد هنا، وقد ترجم (Quatremère: Op. Cit. I. 2. P. 19) مذهب الفقهاء إلى (La garde du jour).

(٢) في ص "المرأة"، وبقيّة اللفظ مطبوس تماما في ص، لكنه وارد في ب (١٦٤ ب).

(٣) معظم هذه الكلمة ضائع في ص، وهي تامة في ب (١٦٤ ب).

(٤) عرّف المقرئ (المواعظ والاعتبار، ج ١، ص ٨٩) رسوم الولاية المذكورة هنا، بأنها "كانت جهة تتعلق بالولاية والمقدمين، فيجيبها المذكورون من عرفاء الأسواق وبيوت الفواحي. وهذه الجهة ضامن، وتحت يده عدة صبيان، وعلها جنود مستقطنون وأمرأء وغيرهم، وكانت تشتمل على ظلم شنيع وفساد قبيح وهناك قوم مستورين وحجم بيوت أكثر الناس".

(٥) كذا في ص، وبهم بما يلى ص ٥٤٣، سطر ١٤، أن النقيدي اسم موضع قرب فم خليج الإسكندرية.

(٦) في ص "كرنانوس"، وقد صحح على منطوقه في (Quatremère: Op. Cit. I. 2. P. 19)، حيث

يوجد رسم آخر لهذا الاسم وهو (Germanos)، وقد تقدمت الإشارة إلى هذا الراهب في ص ٥١٤، سطر ٧.



- قال : " إذا ثبت الوقف يعاد الثمن من الورثة " . فقال السلطان : " فإذا لم يكن مع الورثة شيء ؟ " قال [القاضي] : " يرجع الوقف إلى أصله ، ولا يستعاد الثمن " . فغضب السلطان من ذلك ، وما تم الكلام حتى تقدم رسول أمير المدينة النبوية وقال : " يا مولانا السلطان ! سألت هذا القاضي أن يسلم إلى مبلغ ريع الوقف الذي تحت يده ، لينفقه صاحب المدينة في فقراء أهلها ، فلم يفعل " . فسأل السلطان القاضي عما قاله ، فقال : " نعم " . قال السلطان : " أنا أمرته بذلك ، فكيف رددت أمري ؟ " قال : " يا مولانا ! هذا المال أنا متسلمه ، وهذا الرجل لا أعرفه ، ولا يمكنني أن أسلمه لمن لا أعرفه ، ولا يتسلمه إلا من أعرف أنه موثوق بدينه وأمانته ، فإن كان السلطان يتسلمه مني أحضرته إليه " . فقال السلطان : " نزع من عنقك وتجمعه في عنقي ؟ " قال : " نعم " . قال [السلطان] : " لا تدفعه إلا لمن تختاره " . ثم تقدم بعض الأمراء وقال : " شهدت عند القاضي فلم تسمع شهادتي في ثبوت الملك وصحته " ، فسأل السلطان القاضي عن ذلك فقال : " ما شهد أحد عندي حتى أثبتته " ، فقال الأمير : " إذا لم تسمع قولي فمن تريد ؟ " قال السلطان : " لم لا سمعت قوله ؟ " فقال : " لا حاجة في ذكر ذلك " . فقال الأمير أيدغدي : " يا قاضي ! مذهب الشافعي لك ، ونولي من كل مذهب قاضياً " . فصغى السلطان لقول أيدغدي (١٣٩ ب) وانقضى المجلس ، إلى أن كان يوم الاثنين تاسع عشره ، ولّى السلطان القاضي صدر الدين سليمان بن أبي العز ابن وهيب الأذرعى الحنفى مدرس المدرسة الصالحية ، والقاضي شرف الدين عمر بن عبد الله ابن صالح بن عيسى بن عبد الملك بن موسى بن خالد بن علي بن عمر بن عبد الله بن إدريس بن إدريس بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب السبكي المالكي ، والقاضي شمس الدين محمد بن إبراهيم الحنبلي ، [ليكونوا] قضاة القضاة بديار مصر . وجعل [السلطان] لهم أن يولوا في سائر الأعمال المصرية ، مضافاً للقاضي القضاة تاج الدين ابن بنت الأعز ، وأبقى على

(١) في م "محاره" .

(٢) بعض ألفاظ عبارات الواردة هاهنا من شذوذهات المقلوبة زائل أو مضموس تماماً في م ، ولكنها كلها واضحة

في ب (١١٦٥) . (٣) في م "قاضي" . (٤) مضبوط هكذا في م .



ابن بنت الأعز النظر في مال الأيتام والمحاکات المختصة ببيت المال ، وكتب لكل منهم تقليدا وخلع عليهم . فصار بديار مصر قضاة القضاة من حينئذ أربعة ، يحكم كل منهم بمذهبه ، ويلبس كل منهم الطرحات<sup>(١)</sup> في أيام الخدمة السلطانية . ورسم [السلطان] أيضا لمجد الدين عبد الرحمن بن الصاحب كمال الدين عمر بن العديم بخطابة القاهرة .

وفي رابع عشرى ذى الحجة قبض [السلطان] على الأمير شمس الدين منقر الرومى واعتقل ، وتقدم إلى الخليفة الحاكم بأمر الله ألا يجتمع بأحد ، فاحتجب عن الاجتماع بالناس . وفيها تولى الأمير نور الدين على بن مجلى الهكاري نيابة حلب . عوضا عن أيديكين الشهابي .

وفيها نزل السلطان من قلعة الجبل بالليل متكررا ، وطاف بالقاهرة ليعرف أحوال الناس ، فرأى بعض المقدمين وقد أمسك امرأة وعمرها سرواها بيده ، ولم يحمر أحد ينكر عليه . فلما أصبح [السلطان] قطع أيدي جماعة من نواب الولاة والمقدمين ، والخفراء وأصحاب الرباع بالقاهرة .

(١) الطرحات جمع طرحة ، وهى من مميزات لباس قضاة القضاة في عصر المماليك بمصر ، وقد وصفها الفلشندي (صبح الأمل ، ج ٤ ، ص ٤٢) فقال : "ويتميز قضاة القضاة الشافعي والحنفي بلبس طرحة ، تستر عمامته وتسدل على ظهره" . انظر أيضا (Quatremère : Op. Cit. I. 2. P. 21. N. 23) ، حيث يفهم أن تلك الطرحة التى ارتزبها قضاة القضاة في مصر ، وكذلك العمامة والشاش ، كانت كهما من قماش أسود . هذا ويوجد بالفلشندي (مقس المرجع والجزء ، ص ٤١ — ٤٢) وصف دقيق لأزياء أرباب الوظائف الدينية من القضاة وسائر العلماء في تلك الأزمنة ، ونصه : "ويختلف ذلك (أى ملبوس رجال الدين) باختلاف مراتبهم ، فلقضاة والعلماء (ص ٤٢) منهم يلبسون العمام من الشاشات الكبار لتعاية . ثم منهم من يرسل بين كنفه ذؤابة تلحق فربوس مريحه إذا ركب ، ومنهم من يجعل عوض الذؤابة القبلان النائق ، ويلبس فوق ثيابه دلقا منسج الأكام طويلا ، مفتوحا فوق كنفه بنير تفريج ، سابلا على قدميه . ويتميز قضاة القضاة الشافعي والحنفي بلبس طرحة ، تستر عمامته وتسدل على ظهره ، وكان قبل ذلك مختصا بالشافعي . ومن دون هذه منهم تكون عمامته الطف ، ويلبس بدل الدلق فريجة مفرجة من قدامه ، من أعلاها إلى أسفلها مززرة بالأزوار . وليس فيهم من يلبس الحرير ، ولما غلب فيه الحرير ، وإن كان شتاء كان القوة في من ملبوسهم من الصوف الأبيض المنقى ، ولا يلبسون المتون إلا في بيوتهم ، وربما لبسه بعضهم من الصوف في الطرقات ، ويلبسون الخفاف الأديم الطائفي بنير مهايز" .



وفيهما ولي السلطان إمرة عرب آل فضل لعبسى بن مهنا ، فسار وطرده التار عن البيرة وحران . وفيها هلك الثان هولاكو بن طولوخان بن جنكخان — في تاسع عشر شهر ربيع الأول ، بالقرب من كورة مراغة — بالصرع ، عن نيف وستين سنة ، منها مدة سلطته عشرين سنة . وقام من بعده ابنه أباجا ، وجهز جيشا لحرب الملك بركه خان ، فانهزم هزيمة قبيحة .

ومات في هذه السنة من الأعيان الأمير جمال الدين موسى بن بغمور الياروي ، نائب السلطنة بديار مصر ودمشق ، وهو معزول ، بالتصير من عمل مصر ، عن أربع وستين سنة . وتوفي قاضي القضاة بدر الدين أبو المحاسن يوسف بن الحسن بن علي السنجاري الشافعي ، وهو مصروف ،

(١) تقدمت الإشارة الى لفظ القان (ص ٣٠٧ ، حاشية ٤) ، غير أن الصيغة لهذا القنب ، فيما يخص هولاكو وحلفاءه على المملكة الموالية بدرس ، أن يكتب بـ *Ilkhan* أي الخان الياوي . وكان هولاكو قد اتخذ هذا القنب تعييا لمركزه من مقام أخيه قوبلاي خان الخان الأعظم على جميع الممالك الموالية بآسيا ، ولحق هذا القنب بسلالة هولاكو ، وأصبح اسم دولة الإلخانات على البلاد التي حكموها . (Lane - Poole : Muls. Dyns. P. 217 et seq.)

(٢) يوجد بين المراجع المتداولة خلاف ضئيل على تاريخ موت هولاكو ، ففي ابن أبي الغضائير (كتاب النجديد ، ص ١٤٥) أنه مات في ربيع الآخر ، وفي أبي الفداء (المختصر في أخبار البشر ، ص ١٥٠ ، في Rec. Hist. Or. I.) ربيع الآخر ، وفي (Enc. Isl. Art. Hulagu) يوم الأحد تاسع عشر ربيع الآخر . (٣) يوجد بهامش الصفحة في ص وصف لمملكة هولاكو ، وفيه مصححا : " كان بيد هولاكو إقليم خراسان وكرسيه نيسابور ، وعراق العجم — ويعرف ببلاد الجبل — وكرسيه أصفهان ، وعراق العرب وكرسيه بغداد ، وآذربيجان وكرسيه تبريز ، وخوزستان وكرسيه تسر — ويسمى العامة شتر ، وقارس وكرسيه شيراز ، وديار بكر وكرسيها الموصل ، والروم وكرسيه قونية " . ويظهر أن المقرئ قد قل هذه العبارة من أبي الفداء (المختصر في أخبار البشر ، ص ١٥١ ، في Rec. Hist. Or. I.) أو من مرجع آخر مشابه له في العبارة .

(٤) الصيغة المتواترة لهذا الاسم في الكتب العربية هي الواردة بالفتح هـ ، غير أنه وارد في المراجع الفرنجية مثل (Enc. Isl. Art. Alaka) بما يقرب من حذف بدل الفين ، وهذا في ابن أبي الغضائير (كتاب النجديد ، ص ١٤٧) أنه كان هولاكو عبدا أباجا هذا سنة عشر وثمان مائة .

(٥) الوفيات التالية إلى آخر السنة راردة بورقة مفصلة بين الصفحتين ١٣٩ ب ، ١٤٠ أ في ص ، غير إشارة إلى موضعها المناسب ، على أنه لا شك في وقوعها هنا . انظر (ابن العباد : شذرات الذهب ، ج ٥ ، ص ٣١٣ ؛ التويري : نهاية الأرب ، ج ٢٨ ، ص ٢٧ — ٢٨) .



بالقاهرة عن نيف وستين سنة . وتوفي نجم الدين أبو المظفر فتح بن موسى بن حماد القصرى  
المغربى ، قاضى سيوط بها .

♦ ♦ ♦

سنة أربع وستين وثمانئة . فى المحرم عقد الأمير سيف الدين قلاون عقده على ابنة  
الأمير سيف الدين كرمون التترى الوافد . فترسل السلطان من قلعة الجبل ، وضرب الدهليز  
بسوق الخيل ، عند ما دخل الأمير قلاون عليها . وقام [السلطان] بكل ما يتعلق بالأسمطة ،  
وجلس على الخوان ، ولم يبق أحد من الأمراء حتى بعث إلى قلاون الخيل وبقع الثياب .  
وأرسل إليه السلطان تعابى قماش وخيلا وعشرة ممالك ، فقبل [قلاون] التقدمة واستغنى  
من الممالك ، وقال : "هؤلاء خوشداشيتى فى خدمة السلطان" ، فأعفى .

وفيه كتب إلى دمشق بثلاثة<sup>(٢)</sup> تقاليد : أحدها بتقليد شمس الدين عبد الله محمد بن عطا  
الحنفى قاضى القضاة ، والآخر بتقليد زين الدين أبى محمد عبد السلام بن على بن عمر الزواوى  
المالكي قاضى القضاة المالكية ، والثالث بتقليد شمس الدين عبد الرحمن بن الشيخ أبى عمر  
محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة الحنبلى قاضى القضاة الحنابلة . فصار بدمشق أربعة<sup>(٣)</sup> قضاة ،  
وكان قاضى القضاة الشافعى شمس الدين أحمد بن خلكان ، فصار الحال كما هو بديار مصر ،  
واستمر ذلك . وانفق أنه لما قدمت عهود القضاة الثلاثة لم يقبل المالكي ولا الحنبلى ،  
وقبل الحنفى . فورد مرسوم السلطان بإلزامهما بذلك ، وأخذ ما بأيديهما من الوظائف إن  
لم يفعلوا ، فأجابا . ثم أصبح المالكي وعزل نفسه عن القضاء والوظائف ، فورد المرسوم  
بإلزامه فأجاب ، وامتنع هو والحنبلى من تناول جامكية على القضاء . وقال بعض أدباء دمشق  
لما رأى اجتماع قضاة كل واحد منهم لقبه شمس الدين :

(١) التعابى جمع تعبة ، وقد ترجم (Quatremère : Op. Cit. I. 2. p. 23) تعابى قماش إلى (des robes)  
أى ثياب ، وترجمها (Dozy : Supp. Dict. Ar.) إلى (pièces d'étoffe) أى قطع من قماش .  
(٢) فى مس "ثلاث" . (٣) فى مس "مليد" . (٤) فى مس "أربع" .  
(٥) العبارة الآتية ، إلى آخر سطر ٦ بالصفحة التالية ، واردة على ورقة منفصلة بين صفحتى ١٣٧ ب ١٣٨ أ  
فى مس ، وليس من سبب إلى ذكر هذا سوى أن تلك الورقة موضوعة هناك خطأ . (٦) فى مس "الثلاث" .



أهل دمشق استرابوا • من كثرة الحكم

إذ هم جميعا شמוש • وحالم في ظلام

وقال آخر :

بدمشق آية قد ظهرت • للناس عاما

كلما ولى شمس قاضيا • زادت ظلما

وكان استقلالهم بالقضاء في سادس جمادى الأولى .

وفيه وردت رسل الأنبرور، ورسل الفنش<sup>(١)</sup>، [ورسل ملوك الفرنج<sup>(٢)</sup>]، ورسل ملك اليمن<sup>(٣)</sup>،

ومعهم (١١٤٠) هدايا إلى صاحب قلاع الإسماعيلية . فأخذت منهم الحقوق [الديوانية]

عن الهدية، [إفسادا لنواميس الإسماعيلية، وتعجيزا لمن اكتفى شرهم بالهدية] .

وفي ثامن صفر كانت وقعة بين الأمير علم الدين منجر الباشقردى نائب حمص ، وبين

البرنس [يمنى بن يمن<sup>(٤)</sup>] ملك الفرنج بطرابلس ، انهزم فيها الفرنج . وفيه كتب إلى دمشق

بعمل مراكب ، فعملت وحات إلى البيرة . وفيه توجه السلطان إلى الإسكندرية ، واهتم

بحفز خليجها وبأشر الحفر بنفسه ، فعمل فيه الأمراء وسائر الناس ، حتى زالت الرمال التي

كانت على الساحل بين النقيدي وفم الخليج . ثم عدى [السلطان<sup>(٥)</sup>] إلى بر أبيار ، وغرق هناك

(١) كذا في س ، ولعل المقصود بهذا الاسم هو (Alphonse of Seville) ، الذى عقد مع بيبرس معاهدة

تجارية سنة ٥٦٦٩ هـ ، (١٢٧٠ م) . انظر (Lane - Poole : A Hist. Of Egypt, p. 266) . هذا

وفي (Rec. Hist. Or. II. 1. p. 223. N. 1) أن لفظ الفنش خطأ قلى ، وأن المقصود هو "البرنس" صاحب

طرابلس . انظر حاشية ٤ .

(٢) أضف ما بين الأقواس بهذه الفقرة من العيني (عقد الجمان ، ص ٢٢٣ ، في Rec. Hist. Or. II. 1) .

(٣) كان ملك اليمن في تلك السنة السلطان المظفر شمس الدين يوسف بن عمر بن علي بن رسول ، وقد امتد حكمه سنين

كثيرة ، (٦٤٧ — ٥٦٩٩ هـ ، ١٢٥٠ — ١٢٩٥ م) . انظر الخزرجي (المقود التوثيقية ، ج ١ ، ص ٨٨ ، ٢٧٥) .

(٤) أضف ما بين القوسين من العيني (عقد الجمان ، ص ٢٢٣ ، في Rec. Hist. Or. II. 1) ، حيث توجد

في هذا العدد معلومات أكثر تفصيلا . أما ملك الفرنج المقصود فهو (Bohemond, Seigneur de Tripoli) .

(٥) بنير ضبط في س ، وهى بلدة من مديرية الغربية بقسم محلة منوف ، وتقع على بحر صيف شرق كفر الزيات .

(مبارك : المخطط التوفيقية ، ج ٨ ، ص ٢٨ ، وما بعدها) . وكانت أبيار في زمن ياقوت (معجم البلدان ، ج ١ ،

ص ١٠٨) قرية بجزيرة اسمها بنو نصر . (انظر ص ٥١٠ ، سطر ٨) .



عذة مراكب ، وألقى فوقها الحجارة . ثم عاد إلى قلعة الجبل ، وحفر بجر مصر بنفسه وعسكره ، ما بين الروضة والمنشأة بجوار حرف الروضة ؛ وجهاز الحمل وخلع على المتوجه به إلى الحجاز ، وهو الأمير جمال الدين ... (١) ... نائب دار العدل ، وسير معه مبلغ عشرة آلاف درهم لعمارة حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسيرت الغلال لجرايات الصنائع .

٥ وفي جمادى الأولى قدم نحر الدين بن جلبان<sup>(٢)</sup> من بلاد الفرنج بعدة من الأسرى ، قد أفتكهم بمال الوقف المسير من جهة الأمير جمال الدين النجيبى نائب دمشق . فحضر عذة من النساء والأطفال ، فسيرت النساء<sup>(٣)</sup> إلى دمشق ليزوجهن القاضى من أكتافهن . وفيه سافر الأمير جمال الدين بن نهار المهندار الصالحى لبناء جسر على [نهر] الشريعة<sup>(٤)</sup> ، ورسم لنائب دمشق بحمل كل ما يحتاج إليه من الأصناف . وفيه كل بناء الدار الحديدية عند باب السر المطل على سوق الخليل من قلعة الجبل ، فعمل بها دعوة للامراء .

١٠ وفي جمادى الآخرة سار الأمير أقوش السفيرى ، ومعه أربعون ديوانا لاستخراج زكاة عرب بلاد المغرب ، فوصل إليهم وأخذ منهم الزكاة التى فرضها الله ، وأخذ منهم الحقوق . وفي ثالث رجب اهتم السلطان بأمر الغزو ، وسير إلى أعمال مصر بإحضار الجند من إقطاعاتهم ، فتأخروا . فأرسل سلاح داريته إلى سائر الأعمال ، فعلقوا الولاة بأيديهم ثلاثة أيام تاديبا ، لكونهم ما سارعوا إلى إحضار الأجناد ، فحضرهم بأجمعهم .

ونخرج السلطان فى مستهل شعبان ، ورحل فى ثالثه وسار إلى غزة . وقدم الأمير أيدغدى العزيزى . والأمير قلاون ، فى عذة من العسكر إلى العوجاء . ومضى السلطان إلى الخليل ثم إلى القدس ، ومنع أهل الذمة من دخول مقام الخليل ، وكانوا قبل ذلك يدخلون ويؤخذ منهم مال على ذلك ، فأبطله واستمر منعهم . وسار [السلطان] إلى عين جالوت .

(١) ياض فى ص .

(٢) فى ص " جلبان " ، والرسم المثبت هنا من (Quatremère : Op. Cit. I. 2. p. 25) .

(٣) فى ص " سير " .

(٤) انظر ص ٣٨١ ، حاشية ٤ .



ووصل العسكر إلى حمص ، وأغاروا على الفرنج ونزلوا على حصن الأكراد ، وأخذوا قلعة  
 عَرَقة<sup>(١)</sup> [وحلباء<sup>(٢)</sup>] والقليعات<sup>(٣)</sup> وهدموها . (١٤٠ ب) فلما ورد الخبر بذلك جرد السلطان الأمير  
 علاء الدين البندقدار ، والأمير عز الدين أوغان<sup>(٤)</sup> ، في عدة من العسكر إلى صور . فأغاروا على  
 الفرنج ، وغنموا وأسروا كثيرا . وتوجه الأمير إيتامش إلى صيدا ، وسار السلطان إلى مدينة  
 عكا ، وبعث الأمير بدر الدين الأيدمرى ، والأمير بدر الدين بيسرى ، إلى جهة القرون<sup>(٥)</sup> ؛  
 و[أرسل] الأمير نجر الدين الحمصي إلى جبل عامل . فأغار العساكر على الفرنج من كل  
 جهة ، وكثرت المغانم بأيديهم حتى لم يوجد من يشتري البقر والجاموس . وصارت الغارات  
 من بلاد طرابلس إلى أرسوف . ونزل عسكر السلطان على صور ، وأقام السلطان في جهة  
 عكا ، والأمير ناصر الدين القيمرى في عثليت ؛ فطلب أهل عكا من الأتابك التحدث  
 في الصلح . فاهتم السلطان بأمر صفد ، وأحضر العساكر المجردة ؛ ورحل الأمير بككاش  
 الفخرى أمير سلاح بالدهليز السلطاني ونزل على صفد ، وتبعه الأمير البندقدار والأمير  
 عز الدين أوغان في جماعة ، وحاصروها .

[هذا] والسلطان مقيم على عكا حتى وافته العساكر ، وعمل عدة مجانيق . ثم رحل  
 والعساكر لابسـة ، وساق إلى قرب باب عكا ، ووقف على تل التضول . ثم سار إلى عين  
 جالوت ، ونزل على صفد<sup>(٦)</sup> يوم الاثنين ثامن شهر رمضان وحاصرها . فقدم عليه رسول ممتلك صور ،

(١) في م "عرقا" ، وهي في باغوت (معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٦٥٣) بكسر العين ، وموقعها شرق طرابلس  
 على مسافة أربعة فرائح ، وتسمى في الحوليات المحلية بأسماء مختلفة مثل (Area, Arcados, Archis) . انظر  
 (Le Strange : Palest. Under Moslems, p. 397 et seq.)

(٢) أضيف ما بين القوسين من أبي القداء (المختصر في أخبار البشر ، ص ١٥١ ، في Rec. Hist. Or. I.)

(٣) بغير ضبط في م ، وهي اسم حصن قرب طرابلس . (Rec. Hist. Or. I. Index)

(٤) كذا في م ، انظر (Quatremère ! Op. Cit. I. 2. p. 27) ، حيث ترجم هذا الاسم إلى (Ighan) .

(٥) بغير ضبط في م ، ولعلها قرن الحامرة إحدى قرى دمشق . (Le Strange : Palest. Under Moslems, p. 481)

(٦) كانت صفد إحدى معاقل هيئة الفرسان الدارية . (King : The Knights Hospitallers In

The Holy Land . p. 260 et seq)



ورسول القداوية<sup>(١)</sup>، ورسول صاحب بيروت، ورسول صاحب يافا، ورسول صاحب صهيون. وصار [السلطان] يباشر الحصار بنفسه، وقدمت المجانيق<sup>(٢)</sup> من دمشق إلى جسر يعقوب - وهو منزلة من صفد - وقد عجزت الجمال عن حملها، فصار إليها الرجال من الأجناد والأمراء لحملها على الرقاب من جسر يعقوب. ومار السلطان بنفسه وخواصه، وجرا الأخشاب مع البقر هو وخواصه، فكان غيره من الناس إذا تعب استراح ثم يعود إلى الجز، وهو لا يسأم من الجز ولا يبطله، إلى أن نصبت [المجانيق] ورُمى بها في سادس عشرية، وصار [السلطان] يلزم الوقوف عندها وهي ترمى.

وأنت العساكر من مصر والشام، فزلوا على منازلهم إلى أن كانت ليلة عيد الفطر. <sup>(٣)</sup>خرج الأمير بدر الدين الأيدمرى للتهنئة بالعيد، فوقع حجر على رأسه، فرسم السلطان ألا يجتمع أحد لسلام العيد، ولا يبرح [أحد] من مكانه خشية انتهاز العدو غرة العسكر. ونودي يوم عيد الفطر في الناس: "من شرب نمرأ أو جلبها شق".

وفي ثانيه وقع الزحف على (١١:١) صفد، ودفع الزرقون النفط. ووعده السلطان انجبارين أنه من أخذ أول حجر كان له مائة دينار، وكذلك الثاني والثالث إلى العشرة. وأمر حاشيته ألا يشتغلوا بخدمته. فكان بين الفريقين قتال عظيم امتشهد فيه جماعة، وكان الواحد من المسلمين إذا قُتل جُزه رفيقه ووقف موضعه. وتكاثر القنوب ودخل القبايون إليها، ودخل السلطان معهم. وبذل [السلطان] في هذا اليوم من المال والخلع كثيرا، ونصب خيمة فيها حكا، وجرائحية وأشربة وما كل، فصار من يُخرج من العربان والفقهاء والفقراء وغيرهم يحضر إليها.

(١) كذا في م، ولعل المقصود "الداوية"، على أن (Quatremère : Op. Cit. I. 2. p. 28) اعتبر أن المقصود بهذه التسمية فرقة الإسماعيلية بالشام.

(٢) في م "المجانيق".

(٣) الضمير مائد على السلطان.

(٤) في م "تخرج". (٥) في م "لا اكل".



وفي ثامنه كانت بين <sup>(١)</sup> [الفريقين] أيضا مَقَاتِل <sup>(٢)</sup> . وفي ليلة رابع عشره اشتد الزحف من الليل إلى وقت القائلة ، ففترق الناس من شدة التعب . فغضب السلطان من ذلك ، وأمر خواصه بالسوق إلى الصواوين وإقامة الأمراء والأجناد بالدبابيس ، وقال : " المسلمون على هذه الصورة ، وأتم تستريحون ؟ " ، فأقيموا . وقبض [السلطان] على نيف وأربعين أميراً ، وقيدهم وسجنهم بالزردخاناه ، ثم شفع فيهم فأطلقهم وأمرهم بملازمة مواضعهم . وضربت <sup>(٣)</sup> الطبلخاناه واشتد الأمر إلى أن طلب الفرنج الأمان . فقتلهم [السلطان] على ألا يخرجوا بسلاح ولا لامة حرب ولا شيء من الفضيّات <sup>(٤)</sup> ، ولا يتلفوا شيئاً من ذخائر القلعة بنار ولا هدم ، [وأن يفتشوا عند خروجهم ، فإن وجد مع أحد منهم شيء من ذلك انتقض العهد] .

ولم تزل الرسل تتردد بينهم إلى يوم الجمعة ثامن عشره ، [ثم] طلعت السناجق الإسلامية ، وكان لطلوعها ساعة مشهودة . [هذا] والسلطان راكب على باب صفد حتى نزل الفرنج كلهم ، ووقفوا بين يديه فرسم بتفتيشهم : فوجد معهم ما يناقض الأمان من السلاح والفضيات ، ووجد معهم عدة من أسرى مسلمين أخرجوهم على أنهم نصارى . فأخذ ما وجد معهم وأنزلوا عن خيولهم ، وجعلوا في خيمة ومعهم من يحفظهم . وتسلم المسلمون صفد ، وولى السلطان قلعتها الأمير مجد الدين الطوري ، وجعل الأمير عز الدين العلاني نائب صفد . فلما أصبح حضر إليه الناس . فشكر اجتهدهم واعتذر إليهم مما كان منه إلى بعضهم ، وأنه ما قصد إلا حثهم على هذا الفتح العظيم ، وقال : " من هذا الوقت تتعال " . وأمرهم فركبوا . وأحضرت خيالة الفرنج وجميع من أخرج من صفد ، فضربت أعناقهم على تل قرب صفد حتى لم يبق منهم سوى نفرين : أحدهما الرسول ، فإنه اختار أن يقيم عند السلطان ويسلم ،

(١) في س "بهما" . (٢) في س "مقاتل" .

(٣) في س "الفضيات" ، وقد ترجم (Quatremère : Op. Cit. I. 2. p. 30) هذا اللفظ إلى (usten-sile d'argent) ، غير أنه يفهم من عبارة ابن أبي الفضايل (كتاب التهجديد ، ص ١٤٩) في هذا الصدد أن المال هو المقصود بالفضيات هنا .

(٤) أضيف ما بين القوسين من ابن أبي الفضايل (كتاب التهجديد ، ص ١٤٩) .



فأسلم وأقطع السلطان إقطاعا وقربه ؛ والآخ (١٤١ ب) ترك حتى يغبر الفرنج بما شاهده .  
 وصعد السلطان إلى قاعة صفد ، وفترق على الأمراء العدد الفرنجية والحوارى والماليك ، ونقل  
 إليها زردخاناه من عنده . وحمل [السلطان] على كتفه من السلاح إلى داخل القلعة ، فتشبه به  
 الناس ونقلوا الزردخاناه في ساعة واحدة . واستدعى [السلطان] الرجال من دمشق للإقامة  
 بصفد ، وقدر نفقة رجال القلعة في الشهر مبلغ ثمانين ألف درهم نقرة . واستخدم على سائر بلاد  
 صفد ، وعمل بها جامعا في القلعة وجامعا بالربض ؛ ووقف على الشيخ على المجنون نصف وربع  
 الحجاب<sup>(٢)</sup> ، والربع الآخر على الشيخ إلياس . ووقف قرية منها على قبر خالد بن الوليد بمحصى .

(١) كان لشخص الذي أسلم فارسا من الداوية ، وكان الثاني من فرمان الإستانار . (King : The Knights Hospitallers In The Holy Land, p. 261) وفي نفس المرجع والصفحة أنه لم يكن هناك إخلال بشروط التسليم من جانب جنود حامية صفد ، وإنما السلطان بيبرس هو الذي نكث بعهده ، وأنه فعل ذلك طبقا للبدأ الصليبي القاتل بأنه لا أمن لكافر . ويوجد في ابن أبي الفضائل (كتاب النهج السديد ، ص ١٤٨ ، وما بعدها) في هذا العدد روايتان ، تدل إحداهما على أن جنود حامية صفد الصليبيين لم تغل بالشروط ، وأن السلطان لم يكن مرتبطا معهم شخصيا بعهده أمان ، ونصه : "ثم نزل المعسكر على صفد في ثامن رمضان ... ، وقبضها يوم الثلاثاء خامس عشر شوال ، بعد أن طلبوا الأمان . وشرط عليهم ألا يستصحبوا (١٤٩) معهم مالا ولا سلاحا ، وأن يقتلوا عند خروجهم ، وإن وجد مع أحد منهم شيء من ذلك انتقض العهد ... ، ووقف السلطان على بابها فأخرج من كان بها من الداوية والإستانار وغيرهم ... . ثم قبل أن حانة من المخرج فتشوا ، فوجد معهم أشياء من الأموال ، فأمر السلطان بضرب رقابهم ... (١٥٠) ... وحكى الأمير ركن الدين بيبرس لعلاق أن السلطان لم يحلف لأهل صفد ، وإنما أجلس مكانه كرمون أما شترى ، وأوقف الأمراء في خدمته . لحلف لهم كرمون ، وعمل عليهم الوزير الذي كان لهم (كذا) وكان نصرانيا ، فزولوا عن يمين كرمون . فلما زولوا جعلوا عليهم الحقة أنهم أخذوا معهم ما لم يقع عليه الدين ، فصربت رقابهم عن آخرهم ، وكأوا انحوا من ألف فارس . فلما قتلوا سير (في الأصل سيروا) أهل عكا رسولا يقول للسلطان تصدق علينا بنقل أجساد هؤلاء الشهداء إلى عكا لأجل البركة ؛ فزول السلطان الرسول عنه ، ثم إنه أخذ (١٥١) جماعة من المعسكر وساق من أول الليل ، ف أصبح الصبح ، لا وهو على باب عكا . فلب فتحووا باب عكا وخرجوا لنقضاء حوائجهم ، ساق [السلطان] لهم قتل منهم خلقا كثيرا ، وعاد في فوره . فلما وصل [السلطان] إلى المدية طلب الرسول وقال له [ما تريد ، فأعاد الرسالة . فقال له] عد إليهم فقد عملنا عنهم شهاده ، وكفيناكم مؤونة النقل وكلمته .

(٢) بغير ضبط في س ، أو باقوت (معهم البلدان ، ج ٤ ، ص ٨١) . وهي إحدى بلاد وادي تيمري ، بين دمشق والمدية ، ويمر بها حاج الشام . وقد ورد هذا اللفظ في ب (١٦٧ ب) "الحساب" ، وترجمه (Quatremère : Op. Cit. I. 2. p. 31) إلى (revenus) أى الدخل . وهذا يوجد في س فوق لفظ الحجاب حرفا "وا" ، ولعل المقرئ كان يقصد أن يصف بعض أسماء بلاد أخرى قريبة من الحجاب مثل وادي تيمري والحجر (باقوت : نفس المرجع والصفحة) ، ثم أعمل ذلك أو نسيه ، ويقوى هذا المرض الجملة التالية .



وفي سابع عشره رحل [السلطان] من صفد إلى دمشق، فقتل الجسورة<sup>(١)</sup> وأمر ألا يدخل أحد من العسكر إلى دمشق، بل يبقى العسكر على حاله حتى يسير إلى سبيس<sup>(٢)</sup>. ودخل [السلطان] إلى دمشق جريدة، فبلغه أن جماعة من العسكر قد دخلوا إلى دمشق، فانخرجهم مكثفين بالحبال. وأقام الملك المنصور صاحب حماة مقدما على العساكر وسيرهم معه، وفيهم الأمير عز الدين أوزان، و[الأمير] قلاوون، فساروا في خامس ذي القعدة إلى سبيس.

وفي ثالث ذي القعدة مات كرمون أغا. وفي ثامنه أنعم السلطان على أمراء دمشق وقضاتها وأرباب مناصبها بالتشريف، ونظر في أمر جامع دمشق، ومنع الفقراء من المبيت فيه، وأخرج ما كان به من الصناديق التي كانت للناس.

وفي عاشره جلس الأتابك — هو والأمير جمال الدين التجيبي نائب دمشق — لكشف ظلمات الناس والتوقيع على القصص، بدار السعادة. ونخرج السلطان للصيد فضرب عدة حلق، وسار إلى جرود ثم إلى أفامية<sup>(٣)</sup>. وجهز [السلطان] إلى مصر شخصا كان [قد] حضر إلى دمشق [و] ادعى أنه مبارك بن الإمام المستعصم [وصحبه جماعة من أمراء العربان]، فلم يعرفه جلال الدين بن الدوادار ولا الطواشي مختار، وتبين كذبه [فسير إلى مصر تحت الاحتياط]. وجهز [السلطان] بعده شخصا آخر أسود إلى مصر، ذكر أنه من أولاد الخلفاء، [فسير إلى مصر أيضا، وكان قد وصل إلى دمشق في ذي القعدة].

(١) في س "الجسورة"، وقد صححت إلى الرسم الوارد بالنسبة من (James-Poole: A Hist. Of Egypt. p. 278; Quatremère. Op. Cit. I. 2. p. 13)

(٢) بغير ضبط في س، وصحة هذا الاسم حسيبة، غير أن عامة أهلها يقولون سبيس، وهي عاصمة أرمينية الصغرى (فليقية)، وموقعها بين أنطاكية وطرسوس. (ياقوت: معجم البلدان، ج ٣، ص ٢١٧).

(٣) في س "جرود" بغير ضبط، وهي من إقليم معلولا من أعمال سوسة دمشق. (ياقوت: معجم البلدان، ج ٢، ص ٦٥).

(٤) بغير ضبط في س، وهي إحدى بلاد حمص، وتسمى أيضا قامية. (ياقوت: معجم البلدان، ج ١، ص ٣٢٣).

(٥) أضيف ما بين الأقواس بهذه الفقرة كلها من التويري (نهاية الأرب، ج ٢٨، ص ٣٨—٣٩).

(٦) في س "جلا الدين". (٧) ينضح من العبارة كلها أن مسألة الخلافة العباسية لم تكن قد انتهت تماما بإقامة الحاكم بأمر الله في الخلافة بالقاهرة سنة ٦٦١ هـ. (انظر ص ٤٧٧، سطر ١، وما يليه).



وفيه استولى السلطان على هونين وتبينين وعلى مدينة الرملة . فعمرها وصير لها عملا وولى فيها . وفيه أبطل السلطان ضمان الحشيشة الخبيثة ، وأمر بتأديب من أكلها . وقدم رسول الاستار ملك الفرنج ، يسأل استقرار الصلح على بلادهم من جهة حمص وبلاد الدعوة . فقال السلطان : " لا أجيب إلا بشرط إبطال ما لكم من القطائع على مملكة حماة وهي أربعة آلاف دينار ، وما لكم من القطيع على بلاد أبي قبيس وهي ثمانمائة دينار ، وقطيعكم على بلاد الدعوة وهي ألف ومائتا دينار ومائة مئة حنطة وشعير نصفين " . فأجابوا إلى إبطال ذلك ، وكُتبت الهدنة وشُروط فيها الفسخ للسلطان متى أراد ، ويعلمهم قبل بمدة . وورد الخبر بأن فرنج عكا وجدوا أربعة من المسلمين في ( ١١٤٢ ) طين شيحا فشتقوهم ، فرسم السلطان بالإغارة على بلاد الفرنج . فقتلت العساكر منهم فوق المائتين ، وساقوا جملة من الأبقار والجواميس وعادوا . وورد كتاب والى قوص أنه وصل إلى عذاب ، وبعث عسكريا إلى سواكن ، ففر صاحب سواكن . وعادوا إلى قوص وقد تمهدت البلاد ، وصارت رجال السلطان بسواكن .

وفي يوم الاثنين النصف من ذى الحجة جلس الأمير عز الدين الحلبي نائب السلطنة بديار مصر ، ومعه صاحب بهاء الدين والتضاضة ، بدار العدل على العادة . وإذا بإنسان يحرق

(١) بغير ضبط في س ، وهو بلد في جبال عاملة قرب بانياس (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٩٩٦ ؛ Le Strange : Palest. Under Moslems. p. 456) ، وهو المسمى (Chateaufort) في المراجع الفرنجية . (King : The Knights Hospitallers In The Holy Land. p. 261) .

(٢) المقصود بهذا بلاد فرقة الإسماعيلية بالشام . انظر (Quatremère : Op. Cit. I. 2. p. 32) .

(٣) في س "بوقيس" بغير ضبط ، وهذه الصيغة المختصرة كثيرة الورد في الحوليات الصليبية ، وأبو قبيس حصن في مقابلة شيزر . (Le Strange : Palest. Under Moslems. p. 352) ؛ ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ١٠٣ .

(٤) لعل المقصود هنا الأرض الزراعية الواقعة قرب جبل شبعان ، وهو جبل مشرف على جميع المرتفعات التي حول بيت المقدس . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٣٤٩) . انظر أيضا (Quatremère : Op Cit. I. 2. p. 32. N. 36) .

(٥) في س "عادت" .



الصفوف — وبیده قصه — حتى وقف قدام الأمير، ووثب عليه بسكين أخرجهما من تحت ثيابه، وطعنه في حلقه. فأمسك الأمير بيده بفرجحها، ورفسه برجله ونام على ظهره. فوقع [المجرم] وقصد أن يضرب الأمير ضربة أخرى، أو يضرب الصاحب، فرجعت السكين في فؤاد الأمير صارم الدين المسعودي، فمات من ساعته. فقام الأمير نخر الدين وإلى الجيزة وقبض عليه ورماه، فوقع على قاضي القضاة، وأخذته السيوف حتى هلك. وحمل الأمير عز الدين الحلبي إلى داره بالقلعة. وحضر المزينون إليه فوجدوا الجرح بين البلعوم والمنحرج. وكان الذي ضربه جندار به شعبة من جنون، وتعاطى أكل الحشيشة فقوى جثته. وكتب بهذا الحادث إلى السلطان، فوافاه الخبر وهو راجع من أفامية، فشق عليه ذلك وقال: "وانه يهون على موت ولدي بركة، ولا يموت الحلبي". فقال له الأتابك: "ياخوند! والله طيب قلبونا إذا كنت تشتهي لو قديت غلاما من غلمانك بولدك وولي عهدك". ثم ورد الخبر بعافية الحلبي مع مملوكه، فخلع عليه السلطان وأعطاه ألف دينار، وأعطى رفيقه ثلاثة آلاف درهم نقرة، وأحسن إلى ورثة الصارم المسعودي.

وأما الملك المنصور ومن معه، فلما ساروا إلى [حصن] ديربساك<sup>(١)</sup> ودخلوا الدر بند<sup>(٢)</sup>، وقد بنى التكنفور هيتوم<sup>(٣)</sup> بن قنسطنطين<sup>(٤)</sup> بن باساک ملك الأرمن على رؤوس الجبال أبراجا —

(١) في س "درب ساك" بغير ضبط، وهو وارد برسم "دربساك" في أبي الفداء (المختصر في أخبار البشر، ص ١٢١، في Rec. Hist. Or. I)، وموقعه قرب أنطاكية. (ياقوت: معجم البلدان، ج ٢، ص ٦٤٦).  
(٢) الدر بند — والجمع در بندات — لفظ فارسي، ومن معانيه المضائق والطرفات والمعار الضيقة، وقد تقدمت الإشارة إليه في ص ٢٤٨، حاشية ٣، والمراد هنا طرفات الدولة الأرمنية بحدودها، وقد وصفه ابن أبي المصائت (كتاب النج السديد، ص ٢٣١ — ٢٣٢) بالآق: "وكان الدر بند الذي يسمى يعرف بالدروب، ويصرف (٢٣٢) بالعواصم ...".

(٣) التكنفور لفظ أرمني معناه الملك المتوج (roi, celui qui porte la couronne)، وقد وصفه الأرمن من ملوكهم. كما أنه يطلق أحيانا على ملوك الدولة البيزنطية. (ابن أبي المصائت: كتاب النج السديد، ص ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٢، Quatremère: Op. Cit. I. 2. p. 124. n. 153).

(٤) كذا في س، وهو في أبي الفداء (المختصر في أخبار البشر، ص ١٥١، في Rec. Hist. Or. I) "هيتوم ابن قنسطنطين بن باسيل". هذا ويوجد في المعنى (عقد الجمان، ص ٢٣٦، في Rec. Hist. Or. II. I). لهذا الملك اسمه فاساك (Vasak)، ولعل هذه الصيغة الأخيرة هي الأقرب للصحيح.



(١١) وهو الذي تزهد فيما بعد، وترك الملك لولده ليفون<sup>(٢)</sup> — فاستعد ووقف في عسكره . فعند ما التقى الفريقان أسير ليفون<sup>(٣)</sup> [ابن] ملك سبيس ، وقتل أخوه وعمه ، وانهزم عمه الآخر، وقتل ابنه<sup>(٤)</sup> [الآخر]، وتمزق الباقي من الملوك — وكانوا اثني عشر ملكا — ، وقتلت أبطالهم وجنودهم . وركب العسكر أفقيتهم وهو يقتل ويأسر ويحرق، وأخذ العسكر قلعة حصينة للديوية، فقتلت الرجال ومُبيت النساء وفزقت على العسكر، وحُرقت القلعة بما فيها من الحواصل . ودخلوا سبيس (١٤٢ ب) فأخربوها وجعلوها عليها سافلها ، وأقاموا أياما يحرقون ويقتلون ويأسرون . وسار الأمير أوغان إلى جهة الروم ، والأمير قلاون إلى المصبصة وأذنة وأياس وطرموس ، فقتلوا وأسروا وهدموا عدة قلاع وحرقوا [هَذَا] وصاحب حماة مقيم بسبيس . ثم عادوا إليه و[قد] اجتمع معهم من الغنائم ما لا يعد ولا يحصى، حتى أبيع الرأس البقر بدرهمين ولم يوجد من يشتريه .

(٦) فورد الخبر بذلك والسلطان في الصيد بجروود، فأعطى المبشر ألف دينار وإمرة طبلخاناه . ودخل السلطان إلى دمشق، وتجهز وخرج للقاء العسكر في ثالث عشر ذي الحجة . فشكى إليه

(١) عبارة من كالاتي : "وكان قد تزهد وترك الملك لولده ليفون فاستعد ووقف في عسكره ... " ، وبهم من يراد العبارة بهذا الوضع الزمني أن هينوم ملك الأرمن كان قد تزهد وترك الحكم لولده قبل محي جيوخ بيرس إلى بلاده مدة سبعين ، مع أن المعروف أن هينوم هو الذي وقف لجيوخ اماليك ، وقد وقع ابنه ليفون المذكور لها أسيرا في الموقعة التي وقعت بسبيس . (انظر سطر ٢) . وقد ظل هينوم ملكا عن أرمينية الصغرى حتى سنة ١٢٧٠م (٦٦٩هـ) ، وصالح السلطان بيرس ١٢٦٨م (٦٦٦هـ) ، على شروط منها أن يسلم إلى السلطان بلاد "بهنسا ودر بساك ومرزبان وربعان وشيخ الحديد" ، وفي مقابلها يطلق السلطان سراح ليفون . وقد سلم هينوم الحكم إلى ولده العائد بعد ذلك ، وأزوى في دير حيث عاش حتى سنة ١٢٧٥م (٦٧٤هـ) . (انظر أبا الفداء : المختصر في أخبار البشر، ص ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، في Rec. Hist. Or. I. ، p. 175 ؛ Camb. Med. Hist. IV. )

(٢) اسم هذا الابن لما ملك ليون الثالث (Leon III) ، وقد امتد حكمه من ١٢٧٠ إلى ١٢٨٩م (٦٦٩ — ٦٨٨هـ) . انظر المراجع المذكورة بالحاوية السابقة .

(٣) أضيف ما بين القوسين من ابن أبي الفاضل (كتاب النج السديد، ص ١٥٢) .

(٤) في ص "امر" ، انظر أبا الفداء (المختصر في أخبار البشر، ص ١٥١ ، في Rec. Hist. Or. I. ) .

(٥) لعلها قلعة العامدين المذكورة في أبي الفداء (المختصر في أخبار البشر، ص ١٥١ ، في Rec. Hist. Or. I. ) ، وهي حصن بأرمينية الصغرى . (Ibid : Op. Cit. Index) .

(٦) في ص "بجروود"



(١) وهو بقاراً من أهلها [وهم نصارى] : أنهم يتعدون على أهل الضياع ، ويبيعون من يقع إليهم إلى الفرنج بحصن عكا ، فأمر العسكر بنهبهم فنبهوا ، وقتل كبارهم وسبي النساء والأولاد . وقدم عليه العسكر المجهز إلى سيس ، وقدموا له نصيبه من الغنائم ففرق الجميع على عساكره ، وأحسن إلى ممتلك سيس ومن معه من الأسرى . وعاد [السلطان] إلى دمشق في رابع عشرية — وممتلك سيس بين يديه — ، وخلع على الأمراء والملوك والأجناد ، فامتلات دمشق بالمكاسب ، وأبيع من الجواهر والحلى والدقيق والحريز ما لا يحصى كثرة ، ولم يتعرض السلطان لشيء من ذلك . وعاد صاحب حماة إلى مملكته ، بعدما أنعم عليه السلطان بكثير من الخيول والأموال والخلع .

و [فيها] قدمت رسل الملك أبغا بن هولاء كو بهدايا وطلب الصلح . وفيها أمر [السلطان] بجمع أصحاب العاهات ، فجمعوا بخان السبيل ظاهر باب الفتوح من القاهرة ، ونقلوا إلى مدينة الفيوم وأقروا لهم بلدة تغل عليهم ما يكفيهم ، فلم يستقروا بها وتفرقوا ورجع كثير منهم إلى القاهرة . وفيها اشتد إنكار السلطان للنكر ، وأراق الخمر وعفى آثار المنكرات ، ومنع الخانات والخواطى بجميع أقطار مملكته بمصر والشام ، فظهرت البقاع من ذلك . وقال القاضي ناصر الدين أحمد بن محمد بن منصور بن أبي بكر بن قاسم بن مختار بن المنيرة قاضي الإسكندرية ، لما وردت إليه المراسيم بالإسكندرية وعفى متوليها أثر المحرمات :

(١) تقع هذه البلدة ، وهي قارة المذكورة في ياقوت (معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ١٢ — ١٣) ، على الطريق من دمشق إلى حمص .

(٢) أضف ما بين القوسين من أبي الفداء (المختصر في أخبار البشر ، ص ١٥١ ، في Rec. Hist. Or. I) . انظر (النوري : نهاية الأرب ، ج ٢٨ ، ص ٩٠ ، ابن أبي الفاضل : كتاب نهج السديد ، ص ١٥٢ ، وما بعدها) حيث توجد تفاصيل كثيرة في هذا العدد .

(٣) المقصود بممتلك سيس هنا ليفون (Leon III) ، المذكور في ص ٢٥٢ ، سطر ١

(٤) فوق هذا اللفظ في ص إشارة إلى عبارة أراد المقرئ استدراكها هنا ، غير أنه لا يوجد بين العبارات الواردة بها من الصفحة ما يصح أن ينت بعد اللفظ المنار إليه ، هذا فضلاً عن أن كل العبارات المذكورة قد أدرجت في مواضعها المناسبة .

(٥) الخانات — والمفرد خانة — أما كن العبث والاستهتار (Dozy : Supp. Dict. Ar.) ، وقد ترجعها (Quatremère : Op. Cit. I. 2. p. 36) إلى (les cabarets, les lieux de débauche) .



ليس لإبليس عندنا أرب • غير بلاد الأمير ماواه  
حرمة الخمر والحشيش معا • حرمة ماء ومرعاه

وقال أبو الحسين الجزار :

قد عطل الكوب من حبابه • وأخلى الثغر من رضابه  
وأصبح الشيخ وهويكي • على الذي فات من شبابه<sup>(١)</sup>  
وفيها قدم على بن الخليفة المستعصم من الأمر عند التار<sup>(٢)</sup> .

ومات في هذه السنة من الأعيان الأمير جمال الدين أيدغدي العزيزي ، بعد فتح صفد .  
وتوفي صاحب شرف الدين أبو محمد عبد الرحمن بن أمين الدين أبي الغنائم سالم بن الحسن<sup>(٣)</sup>  
ابن هبة الله بن محفوظ بن مصري التغلبي الدمشقي ، ناظر الدواوين بها ، عن تسع وستين سنة .  
وتوفي جمال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الجليل بن عبد الكريم الموقاني المقدسي الشافعي ،  
المحدث الأديب .

\*\*\*

سنة خمس وستين وستمائة • في المحرم بعث السلطان الأمير سيف الدين بكتمر الساق ،  
والأمير شهاب الدين بوزباء ، في عدة من العسكر ورجال جبليّة • فقطعوا أفضاب القرنج ،  
وعادوا إلى صفد • وفيه قدمت نجدة للقرنج من قبرص ، [وعدتها] نحو ألف (١١٤٣) ومائة<sup>(٤)</sup>

(١) توجد قبالة هذا اللفظ بهامش الصفحة في من العبارة الآتية ، ونصها مصححا : " وفيها نزل السلطان الملك  
نظامي إلى القاهرة في القبل متكررا ، فرأى بعض الشرط وقد عرى امرأة سراويلها ولم يندر أحد بنها ، فلما أصبح  
قبض جماعة من المتقدمين والولاة وأصحاب الأرباع والخفراء ، وقطع أيدى الجميع " ، وقد تقدم هذا كله بالمتن وترتيب  
عبارة في هامش ص ١٣٩ ب من من ، وأثبت بالمتن في موضعه (انظر ص ٥٤٠ ، سطر ٤٩ ، وما يليه) .

(٢) انظر ص ٥٤٩ ، حاشية ٧ .

(٣) الوفيات التالية واردة على ورقة منفصلة في من بين الصفحتين ١٣٤ ب ، ١٣٥ أ ، وقد وضعت هناك خطأ .  
انظر (النويري : نهاية الأرب ، ج ٢٨ ، ص ٢٩٩ ابن العباد : شذرات الذهب ، ج ٥ ، ص ٣١٤ ، وما بعدها) .

(٤) في من " الغنائم " . (٥) المقصود بهذا الوصف أهل البلاد الجبلية بالشام ، مثل جبل القدس  
وجبل الخليل وجبل نابلس . (Quatremère : Op. Cit. I. 2. p. 38. n. 43) .

(٦) أرسل هذه النجدة تلك السنة (Hugh of Antioch, Regent of Cyprus) . انظر  
(King. The Knights Hospitallers In The Holy Land. p. 261) .



فارس ، وأغاروا على بلد طبرية . فخرج العسكر إلى عكا ، وواقع الفرنج فقتلوا منهم كثيرا ،  
وانهزم الباقي إلى عكا وعمل فيها عزاء من قتل<sup>(١)</sup> .

وفي ثانيه خرج السلطان من دمشق بعساكره إلى القوار<sup>(٢)</sup> [يريد الديار المصرية] ، وسار  
منه جريدة إلى [الكرك ونزل ببركة] زيزاء ، [وركب ليتصيد] فتفطر عن فرسه في ثامنه ، وتأخر  
هناك أياما حتى صلح مزاجه ، وأكثر من الإنعام على جميع عساكره وأمرائه بجميع كلهم  
من غلات الكرك ، وعم بذلك الخواص والكتاب ، وفزق فيهم جملا كثيرة من المال . واستدعى  
[السلطان] أمراء غزاة وأحسن إليهم ، وطلب الأمير عز الدين أيدمر نائب الكرك وأعطاه  
ألف دينار وخلع عليه ، وسير الخلع إلى أهل الكرك . ثم سار في محفة على أعناق الأمراء  
والخواص إلى غزاة ، وسار منها إلى بليس ، فتلقاه ابنه بركة في ثالث صفرو معه الأمير  
عز الدين الحلبي ، وزينت القاهرة . فلم يزل [السلطان موعوكا] إلى غزاة شهر ربيع الأول ،  
فركب الفرس وضربت البشائر لعاقبته ، وسار إلى باب النصر فقام هناك إلى خامسه . وصعد  
[السلطان إلى] القلعة ، وقدم عليه رسول التكفور هيتوم صاحب سبس يشفع في ولده<sup>(٣)</sup>  
للسلطان ، فنك قيده في ثاني عشرية وكتب له موادة على بلاده إلى سنة ، وركب مع السلطان  
لرماية البندق في بركة الحب<sup>(٤)</sup> .

(١) بلغت خسارة الإسماعيلية وحدم في تلك الوقعة ثلاثة وأربعين . انظر (King : Op. Cit. p. 262) .

(٢) أضيف ما بين الأقواس بهذه الفقرة كلها من ابن أبي القضايل (كتاب النهج الجديد ، ص ١٥٦ ، وما بعدها) .

(٣) اسم رسول هيتوم إلى السلطان يبرس هذه السنة فاساك (Vassak) ، وهو أخو هيتوم المذكور . (المعنى :  
عقد الجمان ، ص ٢٣٥ — ٢٣٦ ، في 1. Rec. Hist. Or. II.) .

(٤) المقصود بالموادة المسالة والمصالحة والمهادنة . (محيط المحيط) .

(٥) توجد قبالة هذه العبارة في ص ورقة ملصقة بين الصفحتين ١٤٢ ب ، ١٤٣ ، وبها فذلكة تفسيرية  
لتاريخ مملكة هيتوم المذكور ، ونصها مصححا : "اتراهور (كذا) وناهور أخو إبراهيم الخليل عليه السلام ،  
دعوا في دين الصراية قبل ظهور الملة الإسلامية . وكانت مسكنهم بأرمينية ، وقاعدتهم حلاط كرمي المملكة ، وبذل  
لملكهم تانمور . فلما ملك المسلمون أرمينية وضربوا عليهم الجزية ، ثم خربت حلاط ، انتقلوا إلى سبس وأدوا الجزية .  
وأول من أسسه من ملوكهم متيح بن ليون في زمن نور الدين الشهيد . وقد [فقد] تلك أذنة والمنصب وطرسوس من الروم .  
ثم قام بعده جماعة إلى أن ملك هيتوم هذا ، وترهب ونصب ابنه ليون عوضه ، فكان من أمره ما ذكر ، وأسر  
وضربت سبس" . انظر ابن أبي القضايل (كتاب النهج الجديد ، ص ٢٣٠ ، وما بعدها) .



وفي آخر ربيع الأول بعث السلطان الأتابك [فارس الدين أقطاي المستعرب<sup>(١)</sup>]، والصاحب  
نغر الدين محمد بن الصاحب بهاء الدين بن حنا، لكشف مكان عمله جامعاً بالحسينية .  
فسارا وانتقيا على مناخ الجمال السلطانية . فلما عادا قال السلطان : ” [ لا والله ! لا جعلت  
الجامع مكان الجمال ، و ] أولى ما جعلت ميداني الذي [ ألعب فيه الكرة ، — و ] هو نزمي —  
جامعا“ . وركب [السلطان] في ثامن ربيع الآخر ومعه الصاحب بهاء الدين والقضاة إلى ميدان  
قراقوش ، ورتب بناءه جامعاً ، وأن يكون بقية الميدان وقفاً عليه . وعاد إلى المدرسة التي  
أنشأها بين القصرين ، وقد اجتمع بها الفقهاء والقراء ، فقال : ” هذا مكان جعلته لله تعالى ،  
فإذا ميت لا تدفنوني هنا ، ولا تغيروا معالم هذا المكان “ ، وصعد إلى القلعة .

وفيه وردت مكتبة المنصور صاحب حماة ، يستأذن في الحضور إلى مصر ليشاهد عافية  
السلطان ، فأجيب إلى ذلك وقدم في سابع عشره . فخرج السلطان إلى لقائه بالعباسة ،  
وبعث إليه وإلى من معه التشاريف ، وعاد إلى القلعة . فسأل المنصور الإذن بالمسير إلى  
الإسكندرية فأذن له ، وسار معه الأمير سنقرجاه الظاهري ، وحملت له الإقامة حتى عاد .

(١٤٣ ب) وفي يوم الجمعة ثامن عشر ربيع الآخر أقيمت الجمعة بالجامع الأزهر من  
القاهرة ، وكانت قد بطلت منه منذ ولي قضاء مصر صدر الدين عبد الملك بن درباس ، عن  
السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب<sup>(٢)</sup> . [ وقد ظل كذلك ] إلى أن سكن الأمير عز الدين  
أيدمر الحلبي بجواره ، فانتزع كثيراً من أوقاف الجامع كانت مفضولة بيد جماعة ، وتبرع له  
بمال جزيل ، واستطلق له من السلطان مالا ، وعمر الواهي من أركانه وجدرانها وبيضه وبنطه  
ورم سقفه ، وفرشه واستجد به مقصورة وعمل فيه منبراً . فتنازع الناس فيه هل تصح

(١) أضيف ما بين الأقواس بهذه الفقرة كلها من المقرري (المواعظ والاعتبار، ج ٢، ص ٢٩٩ — ٣٠٠) .  
(٢) الجامع المقصود هنا هو الجامع الظاهري ، ويوجد بالمقرري (نفس المراجع والجزء، ص ٢٩٩ — ٣٠٠) ،  
وكذلك ابن أبي الفضايل (كتاب النهج السديد، ص ١٦٠ — ١٦١) تفصيلات بصدده أكثر مما هنا .

(٣) يرجع ابن أبي الفضايل (كتاب النهج السديد، ص ١٥٦، وما بعده) بتاريخ إبطال الجمعة من الجامع الأزهر  
إلى سنة ٤٠٣هـ (١٠١٢ م) ، أي في عهد الخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمي .



إقامة الجمعة فيه أم لا . فأجاز ذلك جماعة من الفقهاء ، ومنع منه قاضي القضاة  
 تاج الدين ابن بنت الأعرز وغيره . فشكى الحلّ ذلك إلى السلطان ، فكلم فيه قاضي القضاة  
 فصمّ على المنع ، فعمل الحلّ بفتوى من أجاز ذلك وأقام فيه الجمعة . وسأل السلطان أن  
 يحضر فامتنع من الحضور ما لم يحضر قاضي القضاة ، فحضر الأتابك والصاحب بهاء الدين  
 وعدة من الأمراء والفقهاء ، ولم يحضر السلطان ولا قاضي القضاة تاج الدين . وعمل الأمير  
 بدر الدين بيليك الخازندار بالجامع مقصورة ، ورتب فيها مدرسا وجماعة من الفقهاء على  
 مذهب الشافعي ، ورتب محمدا يسمع الحديث النبوي والرفائق<sup>(١)</sup> ، ورتب سبعة لقراءة القرآن<sup>(٢)</sup>  
 العظيم ، وعمل على ذلك أوقافا تكفيه .

وفي جمادى الآخرة وصلت رسل الدعوة بجملة من الذهب ، وقالوا : "هذا المال الذي  
 كنا نحمله قطيعة للفرنج قد حملناه ليت مال المسلمين ، لينفق في المجاهدين" . وقد كان  
 أصحاب بيت الدعوة فيما مضى من الزمان يقطعون مصانعات الملوك ، ويعجبون القطيعة من  
 الخلفاء ، ويأخذون من مملكة مصر القطيعة في كل سنة ، فصاروا يحملون القطيعة لذلك  
 الظاهر لقيامه بالجهاد في سبيل الله .

وفيه عمرت قلعة قاقون<sup>(٣)</sup> عوضا عن قيسارية وأرسوف ، وعمرت الكنيسة التي كانت  
 للنصارى هناك جامعا ، وسكن هناك جماعة فصارت بلدة عامرة بالأسواق . وفيه اهتم

(١) الرفائق — والمفرد رفيقة ، ويقال الرفاق أيضا ومفرده رفيق — فقط اصطلاح يطلق في كتب الحديث  
 الكبرى على باب خاص من أبواب الحديث النبوي ، وسُميت أحاديث ذلك الباب بهذا الاسم لأن فيها من الوعظ والرحمة  
 والتنبه ما يجعل القلب رفيقا رحيما ؛ فيقال باب الرفائق ، وباب الرقاق ، والتسمية الثانية أكثر شيوعا . (أحمد أمين) .  
 (٢) في من "سا" .

(٣) الزاجح أن المقصود بالمصانعات هنا أموال الرشوة والمداواة ، ففي محيط المحيط "صانعه مصانعة رشاء  
 وداراه وداهه" . انظر أيضا (Doze: Suppl. Diet. Ar.) ، حيث توجد عدة أمثلة لاستعمال فعل "صانع"  
 بهذا المعنى ، ومنها : "صانعهم أهلها بعشرين ألف دينار" .

(٤) بنير ضبط في س ، وهي حصن بفلسطين قرب الرملة (بافوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ١٨) ، واسمها  
 في الحوليات الصليبية (Caco, Chaco, Quaquo) . انظر (Le Strange: Palest. Under Moslems. p. 175)



السلطان باستخراج الزكاة من سائر الجهات : فاستخرج من بلاد المغرب زكاة مواشيهم وزكاة زروعهم ، واستخرج من جهات سواكن وجزائرها الزكاة . وبعث [السلطان] إلى الحجاز الأمير شكل بن محمد ، فطلب العياد من الأمير حماز أمير المدينة النبوية ، فدافعه فمضى إلى بني خالد يستعين بهم على عرب حماز ، ثم (١١٤٤) خاف وبعث إلى السلطان يطلب إرسال من يستخلفه على استخراج حقوق الله .

وفي سابع عشر<sup>(١)</sup> توجه السلطان في جماعة من أمرائه إلى الشام ، وترك أكثر العساكر [بالديار المصرية] . و [كان] معه المنصور صاحب حماة ، فنزل [السلطان] غزة ، ومضى صاحب حماة إلى مملكته بعد زيارة القدس . فقدمت رسل الفرنج على السلطان بغزة ، ومعهم الهدايا وعدة من أسرى المسلمين ، فكسا الأسرى وأطلقهم . ورحل [السلطان] إلى صفد ، فورد الخبر [عليه هناك] بتوجه التتار إلى الرحبة ، فسار إلى دمشق [مسرعا] فدخلها في رابع عشر رجب . وجاء الخبر بقدم التتار إلى الرحبة ، وأن أهلها قتلوا وأسروا منهم كثيرا وهزموهم ، فأقام بدمشق خمسة أيام ، وعاد إلى صفد في رابع عشر<sup>(٢)</sup> . [ورتب السلطان أمر عمارة صفد] ، وقسم خندقها على الأمراء ، وأخذ لنفسه نصيبا وافرا عمل فيه بنفسه ، فتبعه الأمراء والناس في العمل وتقل الحجارة ورمى التراب وصاروا يتسابقون . فوردت عليه رسل الفرنج يطلبون الصلح ، فأروا الاهتمام في العمارة .

ثم إنه [بلغه في بعض تلك الأيام أن جماعة من الفرنج<sup>(٣)</sup> بعكا تخرج منها غدوة وتبقى ظاهرها إلى ضحوة ، فسرى ليلة ببعض عسكره ، و [أمر بالركوب خفية فركب وقد اطمأن الفرنج ، فلم يشعروا به إلا وهو على باب عكا] ، ووضع السيف في الفرنج ، وصارت الرؤوس

(١) أضف ما بين الأقواس بهذه الفقرة والتي تليها من العيني (عقد الجمان ، ص ٢٢٤ ، في Rec. Hist.)

Or. II. 1.

(٢) كان مما فعله السلطان لإخماد هذه السرية ، التي كانت مكونة من مرفقين من الخلبة ، أنه ألبس عسكرا إحداها

ملايس الفرسان الاسبتاري ، والثانية ملايس فرسان الداوية (King : The Knights Hospitallers In The

Holy Land, p. 262).



تحمّل إليه من كل جهة . وكان الحز ، فعملت عبادة على رمح ليستظل بها ، وبات تلك الليلة وأصبح على حاله ، ثم عاد إلى صفد . وقدمت رسل ميس بالهدية ، فأرأوا رسل الفرنج ورأوا رموس القتلى على الرماح . وقدمت الأسرى من هذه الغارة فضربت أعناقهم ، وطلب [السلطان] رسل الفرنج وقال لهم : "هذه الغارة في مقابلة غارتكم على بلاد الشقيف" ، ورددّهم من غير إجابتهم إلى الصلح .

ثم ركب [السلطان] في حادى عشرى شعبان وساق من صفد إلى عكا ، فما علم به الفرنج حتى وقف على أبوابها : فقسّم البنائين والنجارين والناس على البساتين والأبنية والآبار لهدمها ، فاقسموا ذلك وشرعوا في الهدم وقطع الأشجار . وعمل [السلطان] اليك بنفسه على باب عكا ، وصار واقفا على فرسه ويده رمح مدة أربعة أيام ، حتى تكامل الإحراق والهدم وقطع الأشجار . ثم رجع إلى صفد ، فوردت رسل ميس ورسل بيروت<sup>(١)</sup> ، فأجيبوا عن مقاصدهم .

وفي شهر رمضان وردت رسل صور<sup>(٢)</sup> يطلبون استمرار الهدنة ، فأجيبوا إلى الصلح ، وكتب هدنة لمدة عشرين ليلاً وبلادها — وهى مائة قرية إلا قرية — ، بعد ما أحضروا دية السابق شاهين الذى قتلوه لأولاده<sup>(٣)</sup> ، وهى خمسة عشر ألف دينار صورية ، قاموا بنصفها وأنهلوا بالباقي — ، وأحضروا [أيضاً] عدة أسرى مغاربة . وقدمت (١٤٤ ب) رسل بيت

(١) أنى رسل بيروت تلك السنة من قبل صاحبها الأميرة (Isabel d'Ibelin) ، وكان سبب مجيئهم حياء جاء فى المبنى (مقد الجمان ، ص ٢٢٥ ، فى ١. Rec. Hist. Or. II.) ، أن أخا هذه الأميرة كان "قد قدر بمركب ثلاثين ، فيه جماعة من التجار كانوا متوجهين إلى قبرص ، فطلبهم السلطان عمال التجار ، فالتزموا به والتزموا بإطلاق التجار ، وتمقرر الصلح" . انظر (King : The Knights Hospitallers In The Holy Land. p. 262) .  
النويرى : نهاية الأرب ، ج ٢٨ ، ص ٩١ .

(٢) كان صاحب صور تلك السنة (Philip de Montfort) . انظر (King : Op. Cit. p. 262) .

(٣) كان السابق شاهين المذكور علامة السلطان بيمس ، وكان قد قتل فى صور ، فاشتراط السلطان لأجل استمرار الهدنة أن تدفع صورية لأولاد القتل ، كما ورد بالمتن . انظر النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٨ ، ص ٩١) .

(٤) فى ص "مغاربة" ، والصيغة المثبتة هنا من (Quatremère : Op. Cit. I. 2. p. 42) . انظر النويرى

(نهاية الأرب ، ج ٢٨ ، ص ٩١) ، حيث ورد هذا اللفظ برسم "المغاربة" .



الإسبتار من الفرنج يطلبون الصباح على حصن الأكراد والمرقب ، فأجيبوا وتقررت المدينة لعشر سنين وعشرة أشهر [وعشرة أيام] وعشر ساعات ، وبطت القطائع عن بلاد الدعوة وعن حماة وشيزر وأفامية وعن أبي قبيس ، وقد تقدم ذلك ، وبطل أيضا ما كان على عيذاب ، وهو خمسمائة دينار صورية وعن كل فدان مكوكان غلة وستة دراهم .

وقدم الشريف بدر الدين مالك بن منيف بن شيعة من المدينة النبوية يشكو من الشريف جحاز أمير المدينة ، وأن الإمرة كانت نصفين بين أبيه ووالد جحاز . فكتب لجحاز أن يسلمه نصف الإمرة ، وكتب له تقييد بذلك ونصف أوقاف المدينة النبوية التي بالشام ومصر وسُلمت إليه ، فامتل جحاز ما رُسم به .

وفي ذي الحجة تزحّت بئر السقاية التي بالقدس حتى اشتد عطش الناس بها ، فترّل شخص إلى البئر فإذا قناة مسدودة ، فأعلم الأمير علاء الدين الحاج الركني نائب القدس . فأحضر [الأمير] بنائين وكشف البناء ، فأفضى بهم في قناة إلى تحت الصخرة ، فوجدوا هناك بابا مقنطرا قد سُدّ ، ففتحوه فخرج منه ماء كاد يفرقهم . فكتب بذلك إلى السلطان ، وأنه لما نقص ماء السقاية دخل الصناع فوجدوا سداً ثقب فيه الحجارون قدر عشرين يوماً ، ووجد سقف مقلّط فثقب فيه قدر مائة وعشرين ذراعاً بالعمل ، فخرج الماء وملا القناة .

(١) ليس لما بين القوسين وجود في م ، ولكنه في ب (١٧١) ، وفي النويري (نهاية الأرب ، ج ٢٨ ، ص ٩١) .

(٢) في م "بوقيس" .

(٣) كذا في م بهذا الضبط واللفظ ، وفي النويري (نهاية الأرب ، ج ٢٨ ، ص ٩١) "هاب" ، ولعلها عيذاب المعروفة ، وقد ترجمها (Quatremère : Op. Cit. I. 2. p. 42) إلى ذلك .

(٤) هذا اللفظ اسم مفعول من قَلَطَ ، وهو تحريف فعل جَلَطَ ، ومعناه سدّ دروز ألواح السقاية بالخبط أو بالحرق والتير ، وتسمى المواد المنمطة هذا الغرض باسم الجَلَطَات أو الجَلَطَات . (محيط المحيط) . ومن فعل قَلَطَ — أو جَلَطَ — أخذ الفعل الفرنسي (calafter) ، ومعناه سدّ . (Quatremère : Op. Cit. I. 2. p. 43. n. 51) .

(٥) المقصود بذلك الترع المعاري ، التي تناس به أرض البنيان من الدور وغيرها ، وقياسه ثلاثة أشبار بشبر الرجل المعتدل . (القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٤٤٦) .



وفي هذه السنة أنشأ السلطان قنطرة على بحر أبي المنجا بناحية بيسوس<sup>(١)</sup>، وتولى عملها الأمير عز الدين أيبك الأفرم، بغضت من أعظم الغناطر. وفيها أنشأ السلطان القصر الأبلق بدمشق بالميدان الأخضر<sup>(٢)</sup> [على نهر بردى]، فتولى عمل ذلك الأمير أقوش النجيبى نائب دمشق، فعمره بالرخام الأبيض والأسود، و[جعل] جانباً عظيماً [منه] تحف به البساتين والأنهار من كل ناحية، ولم يعمل بدمشق قبله مثله. وما زال عامراً تنزه الملوك، إلى أن هدمه تيمورلنك في سنة ثلاث وثمانمائة، عند حريق دمشق وخرابها.

وفيها جلس منكوتمر بن طغان بن باتوقان بن دوشى خان بن جنكزخان على كرسى مملكة القفجاق بمدينة صراى، عوضاً عن الملك بركة خان بن دوشى خان بن جنكزخان، بعد وفاته [هذه السنة]. وكان بركة خان قد مال إلى دين الإسلام، وهو أعظم ملوك الططرا، وكرسى مملكته مدينة صراى.

وفيها مات قاضى القضاة تاج الدين [أبو محمد] عبد الوهاب بن خلف [بن أبي القاسم] العلامى [الشافعى]، المعروف بابن بنت الأعز، فى سابع عشر شهر رجب، [عن إحدى

(١) كذا فى ص، وهى قرية صغيرة بمديرية القلبيوية الحالية، وموقعها على الشاطئ الشرقى لقرع ديباط، وكانت من مراكز الطبر المرتبة من القاهرة إلى ديباط، واسمها الحالى باسوس. (مبارك: الخطط التوفيقية، ج ١٠، ص ٢٥).

(٢) فى نس "والميدان"، وقد عدل هذا اللفظ بحرف الجر، وأضيف ما بين الأقواس بعد مراجعة (Enc. Isl. Art. Damascus؛ التويرى: نهاية الأرب، ج ٢٨، ص ٤٠).

(٣) انظر الحاشية التالية.

(٤) فى ص، وفى أبي القداء (المختصر فى أخبار البشر، ص ١٥٢، فى Rec. Hist. Or. I)، "بركة خان ابن ساين خان بن دوشى خان...". انظر (Enc. Isl. Art. Berke)، حيث جاء أيضاً أن بركة خان توفى ولم يترك ولداً، فالملك إلى منكوتمر (Mongke-Timur) المذكور هنا، وهو ابن ابن أخيه باطوخان.

(٥) أضيف ما بين القوسين بعد مراجعة (Enc. Isl. Art. Berke).

(٦) هذه الرواة مكررة فيما يلى، (انظر الصفحة التالية، حاشية ٣)، وقد أضيف ما بين الأقواس مما جاء بالرواية الثانية من الزيادات.



ونحسين سنة<sup>(١)</sup> . فولى قضاء القاهرة والوجه البحرى تقي الدين محمد بن الحسين بن رزين الشافعى ، وولى قضاء مصر محيى الدين عبد الله بن شرف الدين محمد بن عبد الله بن الحسن بن عبد الله بن على بن صدقة بن حفص ، المعروف بابن عين الدولة ، فى يوم الخميس تاسع شعبان ، بمرسوم ورد عليه عقيب وفاة تاج الدين ابن بنت الأعز ، بأن يتولى قضاء مصر والوجه القبلى . وفيها حج الأمير الحلى ، وتصدق بمال بعثه به السلطان الملك الظاهر ، وحج صاحب محيى الدين بن الصاحب بهاء الدين بن حنا .

ومات فى هذه السنة الأمير ناصر الدين حسين بن عزيز القيمرى ، نائب السلطنة بالساحل<sup>(٢)</sup> . وتوفى شهاب الدين أبو القاسم عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم بن عثمان — المعروف بأبى شامة — المقدسى الشافعى ، بدمشق عن ست وستين سنة<sup>(٣)</sup> .

\*\*\*

(١٤٥) سنة ست وستين وثمانمائة . فى صفر وردت الزكاة والعشر من المدينة النبوية ، وعدتها مائة وثمانون جملا ومبلغ عشرة آلاف درهم ، فاستقل السلطان ذلك وأمر برده . فورد

(١) توجد بالنويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٨ ، ص ٦٢ ، وما بعدها) ترجمة وافية للقاضى ابن بنت الأعز ، ومنها أن "العلامى" نسبة الى قبيلة بنى هلامة وهى بطن من تلم ، وأنه اشتهر باسم "ابن بنت الأعز" نسبة الى جده لأنه ، وهو صاحب الأعز نجر الدين أبو الفوارس مقدم بن القاضى كمال الدين أبى العادات أحمد بن شكر ، أحد وزراء السلطان الملك العادل أبى بكر محمد بن أيوب .

(٢) الوفيات التالية واردة على ورقة منفصلة بين الصفحتين ١٤٤ ب ، ١٤٥ ا ، وليس تمت شك فى مناسبتها هنا . انظر النويرى : نهاية الأرب ، ج ٢٨ ، ص ٦٢ ، وما بعدها ؛ ابن العاد : شذرات الذهب ، ج ٥ ، ص ٣١٧ ، وما بعدها .

(٣) على هذا فى م ذكر وفاة قاضى القضاء ابن بنت الأعز ، التى سبق ذكرها أول وفيات هذه السنة ، (انظر ص ٥٦١ ، مطرا ١١) ، ونص هذه الرواية الثانية مصححا كالآتى : "وتوفى قاضى القضاء تاج الدين أبو محمد عبد الوهاب ابن خلف بن أبى القاسم ابن بنت الأعز العلامى الشافعى فى ليلة الأحد ثامن عشرى رجب عن إحدى ونحسين سنة" .

(٤) توجد فى آخر (Rec Hist. Or. V. p. 207 et seq.) ترجمة طويلة لشهاب الدين أبى شامة ، وهو مؤلف كتاب الروضتين فى أخبار الدولتين النورية والصلاحية المتداول هنا بالحواشى ، وقد عرف بأبى شامة لأنه كان فوق حاجبه الأيسر شامة كبيرة .



بنو صفرو وبنو لام وبنو عترة من عرب الحجاز ، والتزموا بزكاة الغنم والإبل ، فبعث السلطان معهم شادين لاستخراج ذلك . وفيه قُسمت عمارة صفد على الأمراء ، وأخذ السلطان لنفسه نصيبا وافرا ، وأقيم في عمارة القلعة وأبراجها الأمير سيف الدين الزينى . وعُمل لها أبواب سر إلى الخندق ، فلما كُتبت على أسوارها : وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرْثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ، أَوَّلَيْكَ حِزْبُ اللَّهِ ، إِلَّا إِنْ حِزَبَ اللَّهُ هُمُ الْمُفْلِحُونَ . أمر بتجديد هذه القلعة وتحصينها ، وتكميل عمارتها وتحسينها ، بعد ما خلصها من أسر الفرنج الملاحين ، وردّها إلى يد المسلمين ، ونقلها من حوزة الديوية إلى حوزة المؤمنين ، وأعادها إلى الإيمان كما بدأ بها أول مرة ، وجعلها للكفار خسارة وحسرة ، واجتهد وجاهد حتى بذل الكفر بالإيمان والناقوس بالأذان والإنجيل بالقرآن ، ووقف بنفسه حتى حمل تراب خنادقها وحجارتها منه بنفسه وبخواصه على الرؤوس ، السلطان الملك الظاهر أبو الفتح بيبرس . فمن صارت إليه هذه القلعة من ملوك الإسلام ، ومن سكنها من المجاهدين ، فليجعل له نصيبا من أجره ، ولا يُخلِّله من الترحم في سرّه وجهره . فقد صار يقال عمر الله صرحها ، بعد ما كان يقال عجل الله فتحها ، والعاقبة للمتقين إلى يوم الدين .

وفيه كتب [ السلطان ] إلى الملك منكوتر القائم مقام الملك بركة ، بالنعزية والإغراء بولد هولاكو . وفيه رسم [ السلطان ] بعمارة مسجد الخليل عليه السلام ، فتوجه الأمير جمال الدين ابن نهار لعمل ذلك ، حتى أنهى عمارته . وفيه سار السلطان من صفد إلى القاهرة ، فدخل قعة الجبل سالما في ... (٢) . وقدمت رسل [ السلطان المظفر شمس الدين يوسف بن عمر بن رسول ملك ] اليمن ، بعشرين فرسا عليها لامة الحرب ، وفيلة وحمارة وحش عتابية اللون وعدة تحف وطرف . فجُهِزَتْ له خلعة ومنجق ، وهدية فيها قبص من ملابس السلطان كان قد سأل فيه ليكون له أمانا ، وسُيِّرَ [ إليه ] أبضا جوشن وغيره من آلة الحرب ، وقيل

(١) في س "بنوا" ، في الأحوال الثلاث . (٢) ياض في س . (٣) انظر ص ٥٤٣ ، حاشية ٣ .

(٤) الجوشن ها الذرع (محبط المحبوط) ، وبقائه في الفرنسية لفظ (enirasse) . انظر (Quatremère : Op.



له : "قد سيرنا إليك آلة السلم وآلة الحرب مما لاصق جسدنا في مواطن الجهاد"، وكتب له : "المقام العالى المولوى السلطاني"، وكتب له السلطان بخطه "الملوك"<sup>(٢)</sup>.

وفيه اجتاز السلطان (١٤٥ ب) على السدير قرب العباسية ، فأعجبه فاختر منه مكانا بنى فيه قرية سماها الظاهرية ، وعمرها جامعا . وبينما هو في الصيد [هناك] إذ بلغه حركة التار على حلب ، فعاد إلى القلعة وأمر بخروج الخيام ، فلم يعجبه خيام جماعة فذهبهم وجرسهم . وخرج البريد إلى الشام بتجهيز العساكر ، فلما خرجوا وساروا إلى بانياس أخرج البريد كتبنا مخنومة باسم الأمير علم الدين الحصنى والأمير بدر الدين الأتابكى ، وفيها منازلتهم للشقيف ؛ فلم يشعر الفرنج إلا بالعساكر على قلعة الشقيف .

وسار السلطان من مخيمه بباب النصر في ثالث جمادى الآخرة إلى غزوة ، فبلغه عن جماعة من الجمالين أنهم تعرضوا إلى زرع فقطع أنوفهم ، وبلغه عن الأمير علم الدين سنجر الحموى أنه ساق في زرع ، فأنزله عن فرسه وأعطاه بما عليه من السرج والجمال لصاحب الزرع . ثم رحل<sup>(٤)</sup> [السلطان] إلى العوجاء .

فلما كان يوم العشرين منه ساق السلطان من العوجاء إلى بافا ، وحاصرها حتى ملكها من يومه ، وأخذ قلعتها وأخرج من كان فيها ، وهدمها كلها وجمع أخشابها ورخامها

(١) يوجد بالقلقشندى (صبح الأعشى، ج ٧، ص ٣٤٥ — ٣٧٠) خمس صيغ لافتاح المكاتبات الصادرة من سلاطين المماليك بمصر إلى ملوك بني رسول بآمين ، ومنها الصيغة الواردة هنا بالمتن ، وكلها تدل بوجه عام على أن ملوك بني رسول كانوا غالبا في المرتبة الثالثة من كبار ملوك الدول الإسلامية . ويوضح ذلك ما جاء في القلقشندى (قسم المربع، ج ٦، ص ١٢٦) في باب ألقاب المكتوب اليهم من الملوك عن الأبواب السلطانية ، ونصه : "الطبقة الأولى ما يصدر بالمقام ، وأعلىها المقام الأشرف ... .. ودونه المقام الشريف ... .. ودونه المقام العالى .. .." . انظر أيضا ص ٤٥٣ ، حاشية ١ .

(٢) جرى المصطلح في دولة المماليك أن يفت السلطان نفسه بهذا اللفظ في المكاتبات الصادرة من الملوك الجبار . انظر (القلقشندى : قسم المربع، ج ٧، ص ٣٥٤ ؛ ٣٥٨ ؛ ٣٥٩ ؛ ٣٦٠ ؛ ٣٦١ ؛ ٣٦٢ ؛ ٣٦٣ ؛ ٣٦٤ ؛ ٣٦٥ ؛ ٣٦٦ ؛ ٣٦٧ ؛ ٣٦٨ ؛ ٣٦٩ ؛ ٣٧٠ ؛ ٣٧١ ؛ ٣٧٢ ؛ ٣٧٣ ؛ ٣٧٤ ؛ ٣٧٥ ؛ ٣٧٦ ؛ ٣٧٧ ؛ ٣٧٨ ؛ ٣٧٩ ؛ ٣٨٠ ؛ ٣٨١ ؛ ٣٨٢ ؛ ٣٨٣ ؛ ٣٨٤ ؛ ٣٨٥ ؛ ٣٨٦ ؛ ٣٨٧ ؛ ٣٨٨ ؛ ٣٨٩ ؛ ٣٩٠ ؛ ٣٩١ ؛ ٣٩٢ ؛ ٣٩٣ ؛ ٣٩٤ ؛ ٣٩٥ ؛ ٣٩٦ ؛ ٣٩٧ ؛ ٣٩٨ ؛ ٣٩٩ ؛ ٤٠٠ ؛ ٤٠١ ؛ ٤٠٢ ؛ ٤٠٣ ؛ ٤٠٤ ؛ ٤٠٥ ؛ ٤٠٦ ؛ ٤٠٧ ؛ ٤٠٨ ؛ ٤٠٩ ؛ ٤١٠ ؛ ٤١١ ؛ ٤١٢ ؛ ٤١٣ ؛ ٤١٤ ؛ ٤١٥ ؛ ٤١٦ ؛ ٤١٧ ؛ ٤١٨ ؛ ٤١٩ ؛ ٤٢٠ ؛ ٤٢١ ؛ ٤٢٢ ؛ ٤٢٣ ؛ ٤٢٤ ؛ ٤٢٥ ؛ ٤٢٦ ؛ ٤٢٧ ؛ ٤٢٨ ؛ ٤٢٩ ؛ ٤٣٠ ؛ ٤٣١ ؛ ٤٣٢ ؛ ٤٣٣ ؛ ٤٣٤ ؛ ٤٣٥ ؛ ٤٣٦ ؛ ٤٣٧ ؛ ٤٣٨ ؛ ٤٣٩ ؛ ٤٤٠ ؛ ٤٤١ ؛ ٤٤٢ ؛ ٤٤٣ ؛ ٤٤٤ ؛ ٤٤٥ ؛ ٤٤٦ ؛ ٤٤٧ ؛ ٤٤٨ ؛ ٤٤٩ ؛ ٤٥٠ ؛ ٤٥١ ؛ ٤٥٢ ؛ ٤٥٣ ؛ ٤٥٤ ؛ ٤٥٥ ؛ ٤٥٦ ؛ ٤٥٧ ؛ ٤٥٨ ؛ ٤٥٩ ؛ ٤٦٠ ؛ ٤٦١ ؛ ٤٦٢ ؛ ٤٦٣ ؛ ٤٦٤ ؛ ٤٦٥ ؛ ٤٦٦ ؛ ٤٦٧ ؛ ٤٦٨ ؛ ٤٦٩ ؛ ٤٧٠ ؛ ٤٧١ ؛ ٤٧٢ ؛ ٤٧٣ ؛ ٤٧٤ ؛ ٤٧٥ ؛ ٤٧٦ ؛ ٤٧٧ ؛ ٤٧٨ ؛ ٤٧٩ ؛ ٤٨٠ ؛ ٤٨١ ؛ ٤٨٢ ؛ ٤٨٣ ؛ ٤٨٤ ؛ ٤٨٥ ؛ ٤٨٦ ؛ ٤٨٧ ؛ ٤٨٨ ؛ ٤٨٩ ؛ ٤٩٠ ؛ ٤٩١ ؛ ٤٩٢ ؛ ٤٩٣ ؛ ٤٩٤ ؛ ٤٩٥ ؛ ٤٩٦ ؛ ٤٩٧ ؛ ٤٩٨ ؛ ٤٩٩ ؛ ٥٠٠ ؛ ٥٠١ ؛ ٥٠٢ ؛ ٥٠٣ ؛ ٥٠٤ ؛ ٥٠٥ ؛ ٥٠٦ ؛ ٥٠٧ ؛ ٥٠٨ ؛ ٥٠٩ ؛ ٥١٠ ؛ ٥١١ ؛ ٥١٢ ؛ ٥١٣ ؛ ٥١٤ ؛ ٥١٥ ؛ ٥١٦ ؛ ٥١٧ ؛ ٥١٨ ؛ ٥١٩ ؛ ٥٢٠ ؛ ٥٢١ ؛ ٥٢٢ ؛ ٥٢٣ ؛ ٥٢٤ ؛ ٥٢٥ ؛ ٥٢٦ ؛ ٥٢٧ ؛ ٥٢٨ ؛ ٥٢٩ ؛ ٥٣٠ ؛ ٥٣١ ؛ ٥٣٢ ؛ ٥٣٣ ؛ ٥٣٤ ؛ ٥٣٥ ؛ ٥٣٦ ؛ ٥٣٧ ؛ ٥٣٨ ؛ ٥٣٩ ؛ ٥٤٠ ؛ ٥٤١ ؛ ٥٤٢ ؛ ٥٤٣ ؛ ٥٤٤ ؛ ٥٤٥ ؛ ٥٤٦ ؛ ٥٤٧ ؛ ٥٤٨ ؛ ٥٤٩ ؛ ٥٥٠ ؛ ٥٥١ ؛ ٥٥٢ ؛ ٥٥٣ ؛ ٥٥٤ ؛ ٥٥٥ ؛ ٥٥٦ ؛ ٥٥٧ ؛ ٥٥٨ ؛ ٥٥٩ ؛ ٥٦٠ ؛ ٥٦١ ؛ ٥٦٢ ؛ ٥٦٣ ؛ ٥٦٤ ؛ ٥٦٥ ؛ ٥٦٦ ؛ ٥٦٧ ؛ ٥٦٨ ؛ ٥٦٩ ؛ ٥٧٠ ؛ ٥٧١ ؛ ٥٧٢ ؛ ٥٧٣ ؛ ٥٧٤ ؛ ٥٧٥ ؛ ٥٧٦ ؛ ٥٧٧ ؛ ٥٧٨ ؛ ٥٧٩ ؛ ٥٨٠ ؛ ٥٨١ ؛ ٥٨٢ ؛ ٥٨٣ ؛ ٥٨٤ ؛ ٥٨٥ ؛ ٥٨٦ ؛ ٥٨٧ ؛ ٥٨٨ ؛ ٥٨٩ ؛ ٥٩٠ ؛ ٥٩١ ؛ ٥٩٢ ؛ ٥٩٣ ؛ ٥٩٤ ؛ ٥٩٥ ؛ ٥٩٦ ؛ ٥٩٧ ؛ ٥٩٨ ؛ ٥٩٩ ؛ ٦٠٠ ؛ ٦٠١ ؛ ٦٠٢ ؛ ٦٠٣ ؛ ٦٠٤ ؛ ٦٠٥ ؛ ٦٠٦ ؛ ٦٠٧ ؛ ٦٠٨ ؛ ٦٠٩ ؛ ٦١٠ ؛ ٦١١ ؛ ٦١٢ ؛ ٦١٣ ؛ ٦١٤ ؛ ٦١٥ ؛ ٦١٦ ؛ ٦١٧ ؛ ٦١٨ ؛ ٦١٩ ؛ ٦٢٠ ؛ ٦٢١ ؛ ٦٢٢ ؛ ٦٢٣ ؛ ٦٢٤ ؛ ٦٢٥ ؛ ٦٢٦ ؛ ٦٢٧ ؛ ٦٢٨ ؛ ٦٢٩ ؛ ٦٣٠ ؛ ٦٣١ ؛ ٦٣٢ ؛ ٦٣٣ ؛ ٦٣٤ ؛ ٦٣٥ ؛ ٦٣٦ ؛ ٦٣٧ ؛ ٦٣٨ ؛ ٦٣٩ ؛ ٦٤٠ ؛ ٦٤١ ؛ ٦٤٢ ؛ ٦٤٣ ؛ ٦٤٤ ؛ ٦٤٥ ؛ ٦٤٦ ؛ ٦٤٧ ؛ ٦٤٨ ؛ ٦٤٩ ؛ ٦٥٠ ؛ ٦٥١ ؛ ٦٥٢ ؛ ٦٥٣ ؛ ٦٥٤ ؛ ٦٥٥ ؛ ٦٥٦ ؛ ٦٥٧ ؛ ٦٥٨ ؛ ٦٥٩ ؛ ٦٦٠ ؛ ٦٦١ ؛ ٦٦٢ ؛ ٦٦٣ ؛ ٦٦٤ ؛ ٦٦٥ ؛ ٦٦٦ ؛ ٦٦٧ ؛ ٦٦٨ ؛ ٦٦٩ ؛ ٦٧٠ ؛ ٦٧١ ؛ ٦٧٢ ؛ ٦٧٣ ؛ ٦٧٤ ؛ ٦٧٥ ؛ ٦٧٦ ؛ ٦٧٧ ؛ ٦٧٨ ؛ ٦٧٩ ؛ ٦٨٠ ؛ ٦٨١ ؛ ٦٨٢ ؛ ٦٨٣ ؛ ٦٨٤ ؛ ٦٨٥ ؛ ٦٨٦ ؛ ٦٨٧ ؛ ٦٨٨ ؛ ٦٨٩ ؛ ٦٩٠ ؛ ٦٩١ ؛ ٦٩٢ ؛ ٦٩٣ ؛ ٦٩٤ ؛ ٦٩٥ ؛ ٦٩٦ ؛ ٦٩٧ ؛ ٦٩٨ ؛ ٦٩٩ ؛ ٧٠٠ ؛ ٧٠١ ؛ ٧٠٢ ؛ ٧٠٣ ؛ ٧٠٤ ؛ ٧٠٥ ؛ ٧٠٦ ؛ ٧٠٧ ؛ ٧٠٨ ؛ ٧٠٩ ؛ ٧١٠ ؛ ٧١١ ؛ ٧١٢ ؛ ٧١٣ ؛ ٧١٤ ؛ ٧١٥ ؛ ٧١٦ ؛ ٧١٧ ؛ ٧١٨ ؛ ٧١٩ ؛ ٧٢٠ ؛ ٧٢١ ؛ ٧٢٢ ؛ ٧٢٣ ؛ ٧٢٤ ؛ ٧٢٥ ؛ ٧٢٦ ؛ ٧٢٧ ؛ ٧٢٨ ؛ ٧٢٩ ؛ ٧٣٠ ؛ ٧٣١ ؛ ٧٣٢ ؛ ٧٣٣ ؛ ٧٣٤ ؛ ٧٣٥ ؛ ٧٣٦ ؛ ٧٣٧ ؛ ٧٣٨ ؛ ٧٣٩ ؛ ٧٤٠ ؛ ٧٤١ ؛ ٧٤٢ ؛ ٧٤٣ ؛ ٧٤٤ ؛ ٧٤٥ ؛ ٧٤٦ ؛ ٧٤٧ ؛ ٧٤٨ ؛ ٧٤٩ ؛ ٧٥٠ ؛ ٧٥١ ؛ ٧٥٢ ؛ ٧٥٣ ؛ ٧٥٤ ؛ ٧٥٥ ؛ ٧٥٦ ؛ ٧٥٧ ؛ ٧٥٨ ؛ ٧٥٩ ؛ ٧٦٠ ؛ ٧٦١ ؛ ٧٦٢ ؛ ٧٦٣ ؛ ٧٦٤ ؛ ٧٦٥ ؛ ٧٦٦ ؛ ٧٦٧ ؛ ٧٦٨ ؛ ٧٦٩ ؛ ٧٧٠ ؛ ٧٧١ ؛ ٧٧٢ ؛ ٧٧٣ ؛ ٧٧٤ ؛ ٧٧٥ ؛ ٧٧٦ ؛ ٧٧٧ ؛ ٧٧٨ ؛ ٧٧٩ ؛ ٧٨٠ ؛ ٧٨١ ؛ ٧٨٢ ؛ ٧٨٣ ؛ ٧٨٤ ؛ ٧٨٥ ؛ ٧٨٦ ؛ ٧٨٧ ؛ ٧٨٨ ؛ ٧٨٩ ؛ ٧٩٠ ؛ ٧٩١ ؛ ٧٩٢ ؛ ٧٩٣ ؛ ٧٩٤ ؛ ٧٩٥ ؛ ٧٩٦ ؛ ٧٩٧ ؛ ٧٩٨ ؛ ٧٩٩ ؛ ٨٠٠ ؛ ٨٠١ ؛ ٨٠٢ ؛ ٨٠٣ ؛ ٨٠٤ ؛ ٨٠٥ ؛ ٨٠٦ ؛ ٨٠٧ ؛ ٨٠٨ ؛ ٨٠٩ ؛ ٨١٠ ؛ ٨١١ ؛ ٨١٢ ؛ ٨١٣ ؛ ٨١٤ ؛ ٨١٥ ؛ ٨١٦ ؛ ٨١٧ ؛ ٨١٨ ؛ ٨١٩ ؛ ٨٢٠ ؛ ٨٢١ ؛ ٨٢٢ ؛ ٨٢٣ ؛ ٨٢٤ ؛ ٨٢٥ ؛ ٨٢٦ ؛ ٨٢٧ ؛ ٨٢٨ ؛ ٨٢٩ ؛ ٨٣٠ ؛ ٨٣١ ؛ ٨٣٢ ؛ ٨٣٣ ؛ ٨٣٤ ؛ ٨٣٥ ؛ ٨٣٦ ؛ ٨٣٧ ؛ ٨٣٨ ؛ ٨٣٩ ؛ ٨٤٠ ؛ ٨٤١ ؛ ٨٤٢ ؛ ٨٤٣ ؛ ٨٤٤ ؛ ٨٤٥ ؛ ٨٤٦ ؛ ٨٤٧ ؛ ٨٤٨ ؛ ٨٤٩ ؛ ٨٥٠ ؛ ٨٥١ ؛ ٨٥٢ ؛ ٨٥٣ ؛ ٨٥٤ ؛ ٨٥٥ ؛ ٨٥٦ ؛ ٨٥٧ ؛ ٨٥٨ ؛ ٨٥٩ ؛ ٨٦٠ ؛ ٨٦١ ؛ ٨٦٢ ؛ ٨٦٣ ؛ ٨٦٤ ؛ ٨٦٥ ؛ ٨٦٦ ؛ ٨٦٧ ؛ ٨٦٨ ؛ ٨٦٩ ؛ ٨٧٠ ؛ ٨٧١ ؛ ٨٧٢ ؛ ٨٧٣ ؛ ٨٧٤ ؛ ٨٧٥ ؛ ٨٧٦ ؛ ٨٧٧ ؛ ٨٧٨ ؛ ٨٧٩ ؛ ٨٨٠ ؛ ٨٨١ ؛ ٨٨٢ ؛ ٨٨٣ ؛ ٨٨٤ ؛ ٨٨٥ ؛ ٨٨٦ ؛ ٨٨٧ ؛ ٨٨٨ ؛ ٨٨٩ ؛ ٨٩٠ ؛ ٨٩١ ؛ ٨٩٢ ؛ ٨٩٣ ؛ ٨٩٤ ؛ ٨٩٥ ؛ ٨٩٦ ؛ ٨٩٧ ؛ ٨٩٨ ؛ ٨٩٩ ؛ ٩٠٠ ؛ ٩٠١ ؛ ٩٠٢ ؛ ٩٠٣ ؛ ٩٠٤ ؛ ٩٠٥ ؛ ٩٠٦ ؛ ٩٠٧ ؛ ٩٠٨ ؛ ٩٠٩ ؛ ٩١٠ ؛ ٩١١ ؛ ٩١٢ ؛ ٩١٣ ؛ ٩١٤ ؛ ٩١٥ ؛ ٩١٦ ؛ ٩١٧ ؛ ٩١٨ ؛ ٩١٩ ؛ ٩٢٠ ؛ ٩٢١ ؛ ٩٢٢ ؛ ٩٢٣ ؛ ٩٢٤ ؛ ٩٢٥ ؛ ٩٢٦ ؛ ٩٢٧ ؛ ٩٢٨ ؛ ٩٢٩ ؛ ٩٣٠ ؛ ٩٣١ ؛ ٩٣٢ ؛ ٩٣٣ ؛ ٩٣٤ ؛ ٩٣٥ ؛ ٩٣٦ ؛ ٩٣٧ ؛ ٩٣٨ ؛ ٩٣٩ ؛ ٩٤٠ ؛ ٩٤١ ؛ ٩٤٢ ؛ ٩٤٣ ؛ ٩٤٤ ؛ ٩٤٥ ؛ ٩٤٦ ؛ ٩٤٧ ؛ ٩٤٨ ؛ ٩٤٩ ؛ ٩٥٠ ؛ ٩٥١ ؛ ٩٥٢ ؛ ٩٥٣ ؛ ٩٥٤ ؛ ٩٥٥ ؛ ٩٥٦ ؛ ٩٥٧ ؛ ٩٥٨ ؛ ٩٥٩ ؛ ٩٦٠ ؛ ٩٦١ ؛ ٩٦٢ ؛ ٩٦٣ ؛ ٩٦٤ ؛ ٩٦٥ ؛ ٩٦٦ ؛ ٩٦٧ ؛ ٩٦٨ ؛ ٩٦٩ ؛ ٩٧٠ ؛ ٩٧١ ؛ ٩٧٢ ؛ ٩٧٣ ؛ ٩٧٤ ؛ ٩٧٥ ؛ ٩٧٦ ؛ ٩٧٧ ؛ ٩٧٨ ؛ ٩٧٩ ؛ ٩٨٠ ؛ ٩٨١ ؛ ٩٨٢ ؛ ٩٨٣ ؛ ٩٨٤ ؛ ٩٨٥ ؛ ٩٨٦ ؛ ٩٨٧ ؛ ٩٨٨ ؛ ٩٨٩ ؛ ٩٩٠ ؛ ٩٩١ ؛ ٩٩٢ ؛ ٩٩٣ ؛ ٩٩٤ ؛ ٩٩٥ ؛ ٩٩٦ ؛ ٩٩٧ ؛ ٩٩٨ ؛ ٩٩٩ ؛ ١٠٠٠ ؛ ١٠٠١ ؛ ١٠٠٢ ؛ ١٠٠٣ ؛ ١٠٠٤ ؛ ١٠٠٥ ؛ ١٠٠٦ ؛ ١٠٠٧ ؛ ١٠٠٨ ؛ ١٠٠٩ ؛ ١٠١٠ ؛ ١٠١١ ؛ ١٠١٢ ؛ ١٠١٣ ؛ ١٠١٤ ؛ ١٠١٥ ؛ ١٠١٦ ؛ ١٠١٧ ؛ ١٠١٨ ؛ ١٠١٩ ؛ ١٠٢٠ ؛ ١٠٢١ ؛ ١٠٢٢ ؛ ١٠٢٣ ؛ ١٠٢٤ ؛ ١٠٢٥ ؛ ١٠٢٦ ؛ ١٠٢٧ ؛ ١٠٢٨ ؛ ١٠٢٩ ؛ ١٠٣٠ ؛ ١٠٣١ ؛ ١٠٣٢ ؛ ١٠٣٣ ؛ ١٠٣٤ ؛ ١٠٣٥ ؛ ١٠٣٦ ؛ ١٠٣٧ ؛ ١٠٣٨ ؛ ١٠٣٩ ؛ ١٠٤٠ ؛ ١٠٤١ ؛ ١٠٤٢ ؛ ١٠٤٣ ؛ ١٠٤٤ ؛ ١٠٤٥ ؛ ١٠٤٦ ؛ ١٠٤٧ ؛ ١٠٤٨ ؛ ١٠٤٩ ؛ ١٠٥٠ ؛ ١٠٥١ ؛ ١٠٥٢ ؛ ١٠٥٣ ؛ ١٠٥٤ ؛ ١٠٥٥ ؛ ١٠٥٦ ؛ ١٠٥٧ ؛ ١٠٥٨ ؛ ١٠٥٩ ؛ ١٠٦٠ ؛ ١٠٦١ ؛ ١٠٦٢ ؛ ١٠٦٣ ؛ ١٠٦٤ ؛ ١٠٦٥ ؛ ١٠٦٦ ؛ ١٠٦٧ ؛ ١٠٦٨ ؛ ١٠٦٩ ؛ ١٠٧٠ ؛ ١٠٧١ ؛ ١٠٧٢ ؛ ١٠٧٣ ؛ ١٠٧٤ ؛ ١٠٧٥ ؛ ١٠٧٦ ؛ ١٠٧٧ ؛ ١٠٧٨ ؛ ١٠٧٩ ؛ ١٠٨٠ ؛ ١٠٨١ ؛ ١٠٨٢ ؛ ١٠٨٣ ؛ ١٠٨٤ ؛ ١٠٨٥ ؛ ١٠٨٦ ؛ ١٠٨٧ ؛ ١٠٨٨ ؛ ١٠٨٩ ؛ ١٠٩٠ ؛ ١٠٩١ ؛ ١٠٩٢ ؛ ١٠٩٣ ؛ ١٠٩٤ ؛ ١٠٩٥ ؛ ١٠٩٦ ؛ ١٠٩٧ ؛ ١٠٩٨ ؛ ١٠٩٩ ؛ ١١٠٠ ؛ ١١٠١ ؛ ١١٠٢ ؛ ١١٠٣ ؛ ١١٠٤ ؛ ١١٠٥ ؛ ١١٠٦ ؛ ١١٠٧ ؛ ١١٠٨ ؛ ١١٠٩ ؛ ١١١٠ ؛ ١١١١ ؛ ١١١٢ ؛ ١١١٣ ؛ ١١١٤ ؛ ١١١٥ ؛ ١١١٦ ؛ ١١١٧ ؛ ١١١٨ ؛ ١١١٩ ؛ ١١٢٠ ؛ ١١٢١ ؛ ١١٢٢ ؛ ١١٢٣ ؛ ١١٢٤ ؛ ١١٢٥ ؛ ١١٢٦ ؛ ١١٢٧ ؛ ١١٢٨ ؛ ١١٢٩ ؛ ١١٣٠ ؛ ١١٣١ ؛ ١١٣٢ ؛ ١١٣٣ ؛ ١١٣٤ ؛ ١١٣٥ ؛ ١١٣٦ ؛ ١١٣٧ ؛ ١١٣٨ ؛ ١١٣٩ ؛ ١١٤٠ ؛ ١١٤١ ؛ ١١٤٢ ؛ ١١٤٣ ؛ ١١٤٤ ؛ ١١٤٥ ؛ ١١٤٦ ؛ ١١٤٧ ؛ ١١٤٨ ؛ ١١٤٩ ؛ ١١٥٠ ؛ ١١٥١ ؛ ١١٥٢ ؛ ١١٥٣ ؛ ١١٥٤ ؛ ١١٥٥ ؛ ١١٥٦ ؛ ١١٥٧ ؛ ١١٥٨ ؛ ١١٥٩ ؛ ١١٦٠ ؛ ١١٦١ ؛ ١١٦٢ ؛ ١١٦٣ ؛ ١١٦٤ ؛ ١١٦٥ ؛ ١١٦٦ ؛ ١١٦٧ ؛ ١١٦٨ ؛ ١١٦٩ ؛ ١١٧٠ ؛ ١١٧١ ؛ ١١٧٢ ؛ ١١٧٣ ؛ ١١٧٤ ؛ ١١٧٥ ؛ ١١٧٦ ؛ ١١٧٧ ؛ ١١٧٨ ؛ ١١٧٩ ؛ ١١٨٠ ؛ ١١٨١ ؛ ١١٨٢ ؛ ١١٨٣ ؛ ١١٨٤ ؛ ١١٨٥ ؛ ١١٨٦ ؛ ١١٨٧ ؛ ١١٨٨ ؛ ١١٨٩ ؛ ١١٩٠ ؛ ١١٩١ ؛ ١١٩٢ ؛ ١١٩٣ ؛ ١١٩٤ ؛ ١١٩٥ ؛ ١١٩٦ ؛ ١١٩٧ ؛ ١١٩٨ ؛ ١١٩٩ ؛ ١٢٠٠ ؛ ١٢٠١ ؛ ١٢٠٢ ؛ ١٢٠٣ ؛ ١٢٠٤ ؛ ١٢٠٥ ؛ ١٢٠٦ ؛ ١٢٠٧ ؛ ١٢٠٨ ؛ ١٢٠٩ ؛ ١٢١٠ ؛ ١٢١١ ؛ ١٢١٢ ؛ ١٢١٣ ؛ ١٢١٤ ؛ ١٢١٥ ؛ ١٢١٦ ؛ ١٢١٧ ؛ ١٢١٨ ؛ ١٢١٩ ؛ ١٢٢٠ ؛ ١٢٢١ ؛ ١٢٢٢ ؛ ١٢٢٣ ؛ ١٢٢٤ ؛ ١٢٢٥ ؛ ١٢٢٦ ؛ ١٢٢٧ ؛ ١٢٢٨ ؛ ١٢٢٩ ؛ ١٢٣٠ ؛ ١٢٣١ ؛ ١٢٣٢ ؛ ١٢٣٣ ؛ ١٢٣٤ ؛ ١٢٣٥ ؛ ١٢٣٦ ؛ ١٢٣٧ ؛ ١٢٣٨ ؛ ١٢٣٩ ؛ ١٢٤٠ ؛ ١٢٤١ ؛ ١٢٤٢ ؛ ١٢٤٣ ؛ ١٢٤٤ ؛ ١٢٤٥ ؛ ١٢٤٦ ؛ ١٢٤٧ ؛ ١٢٤٨ ؛ ١٢٤٩ ؛ ١٢٥٠ ؛ ١٢٥١ ؛ ١٢٥٢ ؛ ١٢٥٣ ؛ ١٢٥٤ ؛ ١٢٥٥ ؛ ١٢٥٦ ؛ ١٢٥٧ ؛ ١٢٥٨ ؛ ١٢٥٩ ؛ ١٢٦٠ ؛ ١٢٦١ ؛ ١٢٦٢ ؛ ١٢٦٣ ؛ ١٢٦٤ ؛ ١٢٦٥ ؛ ١٢٦٦ ؛ ١٢٦٧ ؛ ١٢٦٨ ؛ ١٢٦٩ ؛ ١٢٧٠ ؛ ١٢٧١ ؛ ١٢٧٢ ؛ ١٢٧٣ ؛ ١٢٧٤ ؛ ١٢٧٥ ؛ ١٢٧٦ ؛ ١٢٧٧ ؛ ١٢٧٨ ؛ ١٢٧٩ ؛ ١٢٨٠ ؛ ١٢٨١ ؛ ١٢٨٢ ؛ ١٢٨٣ ؛ ١٢٨٤ ؛ ١٢٨٥ ؛ ١٢٨٦ ؛ ١٢٨٧ ؛ ١٢٨٨ ؛ ١٢٨٩ ؛ ١٢٩٠ ؛ ١٢٩١ ؛ ١٢٩٢ ؛ ١٢٩٣ ؛ ١٢٩٤ ؛ ١٢٩٥ ؛ ١٢٩٦ ؛ ١٢٩٧ ؛ ١٢٩٨ ؛ ١٢٩٩ ؛ ١٣٠٠ ؛ ١٣٠١ ؛ ١٣٠٢ ؛ ١٣٠٣ ؛ ١٣٠٤ ؛ ١٣٠٥ ؛ ١٣٠٦ ؛ ١٣٠٧ ؛ ١٣٠٨ ؛ ١٣٠٩ ؛ ١٣١٠ ؛ ١٣١١ ؛ ١٣١٢ ؛ ١٣١٣ ؛ ١٣١٤ ؛ ١٣١٥ ؛ ١٣١٦ ؛ ١٣١٧ ؛ ١٣١٨ ؛ ١٣١٩ ؛ ١٣٢٠ ؛ ١٣٢١ ؛ ١٣٢٢ ؛ ١٣٢٣ ؛ ١٣٢٤ ؛ ١٣٢٥ ؛ ١٣٢٦ ؛ ١٣٢٧ ؛ ١٣٢٨ ؛ ١٣٢٩ ؛ ١٣٣٠ ؛ ١٣٣١ ؛ ١٣٣٢ ؛ ١٣٣٣ ؛ ١٣٣٤ ؛ ١٣٣٥ ؛ ١٣٣٦ ؛ ١٣٣٧ ؛ ١٣٣٨ ؛ ١٣٣٩ ؛ ١٣٤٠ ؛ ١٣٤١ ؛ ١٣٤٢ ؛ ١٣٤٣ ؛ ١٣٤٤ ؛ ١٣٤٥ ؛ ١٣٤٦ ؛ ١٣٤٧ ؛ ١٣٤٨ ؛ ١٣٤٩ ؛ ١٣٥٠ ؛ ١٣٥١ ؛ ١٣٥٢ ؛ ١٣٥٣ ؛ ١٣٥٤ ؛ ١٣٥٥ ؛ ١٣٥٦ ؛ ١٣٥٧ ؛ ١٣٥٨ ؛ ١٣٥٩ ؛ ١٣٦٠ ؛ ١٣٦١ ؛ ١٣٦٢ ؛ ١٣٦٣ ؛ ١٣٦٤ ؛ ١٣٦٥ ؛ ١٣٦٦ ؛ ١٣٦٧ ؛ ١٣٦٨ ؛ ١٣٦٩ ؛ ١٣٧٠ ؛ ١٣٧١ ؛ ١٣٧٢ ؛ ١٣٧٣ ؛ ١٣٧٤ ؛ ١٣٧٥ ؛ ١٣٧٦ ؛ ١٣٧٧ ؛ ١٣٧٨ ؛ ١٣٧٩ ؛ ١٣٨٠ ؛ ١٣٨١ ؛ ١٣٨٢ ؛ ١٣٨٣ ؛ ١٣٨٤ ؛ ١٣٨٥ ؛ ١٣٨٦ ؛ ١٣٨٧ ؛ ١٣٨٨ ؛ ١٣٨٩ ؛ ١٣٩٠ ؛ ١٣٩١ ؛ ١٣٩٢ ؛ ١٣٩٣ ؛ ١٣٩٤ ؛ ١٣٩٥ ؛ ١٣٩٦ ؛ ١٣٩٧ ؛ ١٣٩٨ ؛ ١٣٩٩ ؛ ١٤٠٠ ؛ ١٤٠١ ؛ ١٤٠٢ ؛ ١٤٠٣ ؛ ١٤٠٤ ؛ ١٤٠٥ ؛ ١٤٠٦ ؛ ١٤٠٧ ؛ ١٤٠٨ ؛ ١٤٠٩ ؛ ١٤١٠ ؛ ١٤١١ ؛ ١٤١٢ ؛ ١٤١٣ ؛ ١٤١٤ ؛ ١٤١٥ ؛ ١٤١٦ ؛ ١٤١٧ ؛ ١٤١٨ ؛ ١٤١٩ ؛ ١٤٢٠ ؛ ١٤٢١ ؛ ١٤٢٢ ؛ ١٤٢٣ ؛ ١٤٢٤ ؛ ١٤٢٥ ؛ ١٤٢٦ ؛ ١٤٢٧ ؛ ١٤٢٨ ؛ ١٤٢٩ ؛ ١٤٣٠ ؛ ١٤٣١ ؛ ١٤٣٢ ؛ ١٤٣٣ ؛ ١٤٣٤ ؛ ١٤٣٥ ؛ ١٤٣٦ ؛ ١٤٣٧ ؛ ١٤٣٨ ؛ ١٤٣٩ ؛ ١٤٤٠ ؛ ١٤٤١ ؛ ١٤٤٢ ؛ ١٤٤٣ ؛ ١٤٤٤ ؛ ١٤٤٥ ؛ ١٤٤٦ ؛ ١٤٤٧ ؛ ١٤٤٨ ؛ ١٤٤٩ ؛ ١٤٥٠ ؛ ١٤٥١ ؛ ١٤٥٢ ؛ ١٤٥٣ ؛ ١٤٥٤ ؛ ١٤٥٥ ؛ ١٤٥٦ ؛ ١٤٥٧ ؛ ١٤٥٨ ؛ ١٤٥٩ ؛ ١٤٦٠ ؛ ١٤٦١ ؛ ١٤٦٢ ؛ ١٤٦٣ ؛ ١٤٦٤ ؛ ١٤٦٥ ؛ ١٤٦٦ ؛ ١٤٦٧ ؛ ١٤٦٨ ؛ ١٤٦٩ ؛ ١٤٧٠ ؛ ١٤٧١ ؛ ١٤٧٢ ؛ ١٤٧٣ ؛ ١٤٧٤ ؛ ١٤٧٥ ؛ ١٤٧٦ ؛ ١٤٧٧ ؛ ١٤٧٨ ؛ ١٤٧٩ ؛ ١٤٨٠ ؛ ١٤٨١ ؛ ١٤٨٢ ؛ ١٤٨٣ ؛ ١٤٨٤ ؛ ١٤٨٥ ؛ ١٤٨٦ ؛ ١٤٨٧ ؛ ١٤٨٨ ؛ ١٤٨٩ ؛ ١٤٩٠ ؛ ١٤٩١ ؛ ١٤٩٢ ؛ ١٤٩٣ ؛ ١٤٩٤ ؛ ١٤٩٥ ؛ ١٤٩٦ ؛ ١٤٩٧ ؛ ١٤٩٨ ؛ ١٤٩٩ ؛ ١٥٠٠ ؛ ١٥٠١ ؛ ١٥٠٢ ؛ ١٥٠٣ ؛ ١٥٠٤ ؛ ١٥٠٥ ؛ ١٥٠٦ ؛ ١٥٠٧ ؛ ١٥٠٨ ؛ ١٥٠٩ ؛ ١٥١٠ ؛ ١٥١١ ؛ ١٥١٢ ؛ ١٥١٣ ؛ ١٥١٤ ؛ ١٥١٥ ؛ ١٥١٦ ؛ ١٥١٧ ؛ ١٥١٨ ؛ ١٥١٩ ؛ ١٥٢٠ ؛ ١٥٢١ ؛ ١٥٢٢ ؛ ١٥٢٣ ؛ ١٥٢٤ ؛ ١٥٢٥ ؛ ١٥٢٦ ؛ ١٥٢٧ ؛ ١٥٢٨ ؛ ١٥٢٩ ؛ ١٥٣٠ ؛ ١٥٣١ ؛ ١٥٣٢ ؛ ١٥٣٣ ؛ ١٥٣٤ ؛ ١٥٣٥ ؛ ١٥٣٦ ؛ ١٥٣٧ ؛ ١٥٣٨ ؛ ١٥٣٩ ؛ ١٥٤٠ ؛ ١٥٤١ ؛ ١٥٤٢ ؛ ١٥٤٣ ؛ ١٥٤٤ ؛ ١٥٤٥ ؛ ١٥٤٦ ؛ ١٥٤٧ ؛ ١٥٤٨ ؛ ١٥٤٩ ؛ ١٥٥٠ ؛ ١٥٥١ ؛ ١٥٥٢ ؛ ١٥٥٣ ؛ ١٥٥٤ ؛ ١٥٥٥ ؛ ١٥٥٦ ؛ ١٥٥٧ ؛ ١٥٥٨ ؛ ١٥٥٩ ؛ ١٥٦٠ ؛ ١٥٦١ ؛ ١٥٦٢ ؛ ١٥٦٣ ؛ ١٥٦٤ ؛ ١٥٦٥ ؛ ١٥٦٦ ؛ ١٥٦٧ ؛ ١٥٦٨ ؛ ١٥٦٩ ؛ ١٥٧٠ ؛ ١٥٧١ ؛ ١٥٧٢ ؛ ١٥٧٣ ؛ ١٥٧٤ ؛ ١٥٧٥ ؛ ١٥٧٦ ؛ ١٥٧٧ ؛ ١٥٧٨ ؛ ١٥٧٩ ؛ ١٥٨٠ ؛ ١٥٨١ ؛ ١٥٨٢ ؛ ١٥٨٣ ؛ ١٥٨٤ ؛ ١٥٨٥ ؛ ١٥٨٦ ؛ ١٥٨٧ ؛ ١٥٨٨ ؛ ١٥٨٩ ؛ ١٥٩٠ ؛ ١٥٩١ ؛ ١٥٩٢ ؛ ١٥٩٣ ؛ ١٥٩٤ ؛ ١٥٩٥ ؛ ١٥٩٦ ؛ ١٥٩٧ ؛ ١٥٩٨ ؛ ١٥٩٩ ؛ ١٦٠٠ ؛ ١٦٠١ ؛ ١٦٠٢ ؛ ١٦٠٣ ؛ ١٦٠٤ ؛ ١٦٠٥ ؛ ١٦٠٦ ؛ ١٦٠٧ ؛ ١٦٠٨ ؛ ١٦٠٩ ؛ ١٦١٠ ؛ ١٦١١ ؛ ١٦١٢ ؛ ١٦١٣ ؛ ١٦١٤ ؛ ١٦١٥ ؛ ١٦١٦ ؛ ١٦١٧ ؛ ١٦١٨ ؛ ١٦١٩ ؛ ١٦٢٠ ؛ ١٦٢١ ؛ ١٦٢٢ ؛ ١٦٢٣ ؛ ١٦٢٤ ؛ ١٦٢٥ ؛ ١٦٢٦ ؛ ١٦٢٧ ؛ ١٦٢٨ ؛ ١٦٢٩ ؛



وحمله في البحر إلى القاهرة . فعمل من الخشب مقصورة الجامع الظاهري بالحسينية ،  
ومن رخام محرابه . وأمر [ السلطان ] ببناء الجوامع بتلك البلاد ، وأزال منها ومن  
[ قرية ]<sup>(١)</sup> المنكرات ، ورتب الخفراء على السواحل وألزمهم بدركها . ورسم أن المال  
المتحصل من هذه البلاد لا يخلط بغيره ، وجعله لما كره ومشربه . وأعطى الأمير علاء الدين  
الحاج طبرس منها قرية ، وأعطى الأمير علم الدين سنجر الحموي قرية ، [ و ] ملكهما إياهما .  
وأزل التركمان بالبلاد الساحلية لحايتها ، وقزر عليهم خيلا وعدة ، فتجدد له عسكر بغير كلفة .  
وفيه رسم تجديد عمارة الخليل عليه السلام ، ورسم أن يكون عمل الخوان الذي يمتد ناحية  
عن مسجد الخليل .

وجهز [ السلطان ]<sup>(٢)</sup> عسكرا إلى الشقيف ، ثم سار إليها بنفسه فزل عليها في يوم الأربعاء  
تاسع عشر شهر رجب ، وقدم الفقهاء والفقراء للجهاد . ونصب [ السلطان ] عليها ستة وعشرين  
منجنيقا ، وألح عليها حتى أخذها يوم الأحد سلخ رجب ، وأخرج منها نساء الفرنج وأولادهم

- (١) بغير ضبط في م ، وهي قرية قرب بيت المقدس . (بافوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٢٥٤) .  
(٢) في م "مداحه" ، والمقصود بذلك أن يكون مكان إقامة الخوان ببسدا عن الحرم . انظر النويري  
(نهاية الأرب ، ج ٢٨ ، ص ٩٢) ، حيث العبارة في هذا العدد كالآتي : "وعمل مكان الخوان ناحية عن الحرم" .  
(٣) يوجد في ابن أبي الفصائل (كتاب النجديد ، ص ١٦٤ ، وما بعدها) تفصيل لحيلة توصل بها السلطان  
فلاستيل على الشقيف ، رصه : "رحل [ السلطان ] ..... طالبا للشقيف ، فزل عليها يوم الثلاثاء . ثم من عشر رجب ، فوقع  
على كعب من جهة الفرنج الذين بمكان يتصمن بإعلام العواب . الشقيف [ أن ] المسلمين لا يقدر أن يخذل الحصن .  
احتفتهم به ، فخذوا في أمرهم . فلما اطلع السلطان على ذلك افتتح له باب في أحد ، واستدعى من يكتب بالفرنجى  
وأمره أن يكتب كتابا يذكر فيه أمارات بينهم وبين أهل عكا استعدادهم من الكذب الذي وقع له ، ويحذر المكندور  
(كذا) ، والمتواتر له المكندور ، وهو معرب القبط عن فرنسي *commandeur* ، أى المقدم) انضم بالشقيف من (١٦٥)  
الوزير [ كلام ] انضم عنده ومن جماعة كانت أمتهم في الكذب ، وكتبها آخر الوزير [ كلام ] بعهده من المكندور .  
وبأمره أن احتاج إلى مال [ أن ] بأحد من ملك كان اسمه في الكذب ، وأوصل الكذب إليها بجيلة . فلما وقف أهل  
الشقيف على الكذب وقع الخلف بينهم مع شدة الحصار الذي كانوا فيه ، فأبأهم الخلف بينهم . بل أن سبروا إلى السلطان  
الملك الظاهر وقزر ورا معه تسليم الحصن ، على ألا يقتلوا من فيه . فقدم [ السلطان ] الحصن في تاسع وعشرين [ من ]  
رجب ، وكان قد ملك الباشورة بالسيف . واصطاع المكندور . وكان عدة من بالحصن أربعمائة وثلاثين مقاتلا ، فركبهم  
الجمال إلى صور ، وبعث معهم من يحتفظ بهم" . انظر أيضا النويري (نهاية الأرب ، ج ٢٨ ، ص ٩٢ — ٩٣) .



إلى صور، وقيّد الرجال كلهم وسلمهم للمساكر . وهدم [السلطان] قلعة استجدها الفرنج [هناك] ، واستأب على القلعة الأخرى الأمير صارم الدين قايماز الكافري ، ورتب بها الأجناد والرجال ، وقتر فيها قاضيا وخطيبا ، وولى أمر عمارتها الأمير سيف الدين بلبان الزيني وفيه وردت كتب من (١١٦٤) الكرج .

وفي شعبان وصل رسول صاحب بيروت بهدية وتجار كانوا قد أخذوهم في البحر من مسنين ، فما زال السلطان حتى خلصهم وخلص أموالهم .

وفي عاشره رحل السلطان من الشقيف إلى قرب بانياس ، وبعث الأتقال إلى دمشق . وجهز الأمير عز الدين أوغان بجماعة بلحمة ، وجهز الأمير بدر الدين الأيدمرى في جماعة إلى جهة أخرى ، لحفظت المساكر الطرقات .

ثم سار [السلطان] إلى طرابلس وخيم عليها في النصف منه ، وناول أهلها القتال وأخذ برجا كان هناك ، وضرب أعناق من كان فيه من الفرنج . وأغارت المساكر على من في تلك الجبال ، وغنموا شيئا كثيرا وأخذوا عدة مغاير بالسيف ، وأحضروا المغنم والأسرى إلى السلطان فضرب أعناق الأسرى ، وقطع الأشجار وهدم الكنائس ، وقسم الغنائم في العسكر . ورحل [السلطان عن طرابلس] في رابع عشره ، فلقاه صاحب صافيتا وأنطرموس بالخدمة ، وأحضر ثلاثمائة أسير كانوا عنده ، فشكره السلطان ولم يتعرض لبسلاده . ونزل [السلطان] على حمص ، وأمر بإبطال الخمر والمنكرات . ثم دخل إلى حماة ولا يعرف أحد

(١) في من "قاضي" . (٢) انظر ص ٥٣٧ ، حاشية ١ . (٣) انظر ص ٥٥٩ ، حاشية ١ .  
(٤) اقتضت حركات جيوش السلطان هنا على مهاجمة البلاد المحيطة بطرابلس ، ولم يستطع الأمير بيوند السادس (Bohemond. VI) ، وهو صاحب طرابلس وأطليكية ، أن يوجه أى مقاومة ضد السلطان الظاهر بيبرس .  
راجع (King : The Knights Hospitallers In The Holy Land. p. 263) . انظر أيضا النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٨ ، ص ٩٣ — ٩٤) ، حيث توجد في هذا العدد تفصيلات كثيرة .

(٥) أضيف ما بين القوسين من النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٨ ، ص ٩٤) . ولاحظ أن عبارة السلوك هنا ، وفيما سبق من أخبار إغارات السلطان بيبرس على المدن الصليبية ، مشابه تماما لما يقابلها في نهاية الأرب .



- أى جهة يقصد ، فرتب العسكر ثلاث فرق : فرقة صحبة الأمير بدر الدين الخازندار ، وفرقة مع الأمير عز الدين إيفان ، وفرقة مع السلطان . فتوجه الخازندار الى السَّوَيْدِيَّة<sup>(١)</sup> ، وتوجه إيفان الى درب بساك ، فقتلوا وأسروا . ونزل السلطان أقمية ، ووافاه الجميع على أنطاكية . وأصبح أول شهر رمضان والسلطان مغير على أنطاكية<sup>(٢)</sup> ، وأطافت العساكر بها من كل جانب ، فتكلموا بنحيامهم في ثلثه . وبعث [السلطان] الى الفرنج يدعوهم وينذرهم بالزحف عليهم ، [وفأوضحهم في ذلك] مدة ثلاثة أيام وهم لا يجيبون . فزحف عليها وقتل أهلها قتلا شديدا . وتسور المسلمون الأسوار من جهة الجبل بالقرب من القلعة ، ونزلوا المدينة ففر أهلها الى القلعة ، ووقع النهب والقتل والأسر في المدينة . فلم يرفع السيف عن أحد من الرجال وكان بها فوق المائة ألف . وأحاط الأمراء بأبواب المدينة حتى لا يفر منها أحد ، واجتمع بالقلعة من المقاتلة ثمانية آلاف سوى النساء والأولاد ، فبعثوا يطالبون الأمان فآمنوا . وصعد السلطان اليهم ومعه الحبال ، فكثفوا وفزقوا على الأمراء ، والكُتَّاب بين يدي السلطان ينزلون الأسماء . وكانت أنطاكية للبرنس ييموند بن ييموند ، وله معها طرابلس ، وهو مقيم بطرابلس . وكتبت البشائر بالفتح الى الأفطار [الشامية والمصرية والفرنجية] ، وفي الجملة كُتِبَ الى صاحب أنطاكية — وهو يومئذ مقيم بطرابلس — وهو من إنشاء ابن عبد الظاهر رحمه الله تعالى .

(١) بغير ضبط في س ، وهي حصن وميناء لأنطاكية ، واسمها في الحوليات الصليبية (Port Simon, Lo Soudin) . راجع (Lo Strange : Palest. Under Moslems, p. 510) . (٢) في س "وأصبح أول رمضان مغيرا عليها" ، وقد عدلت الجملة مل النسخ المثبوت هنا من أجل البدء في فقرة جديدة . (٣) أضيف ما بين القوسين من التويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٨ ، ص ٩٤) ، حيث وردت تلك الأخبار بتفصيل . (٤) أضيف ما بين القوسين بمدمراجعة ابن أبي الفضائل : (كتاب النهج الجديد ، ص ١٦٧) . ويوجد بهذا المرجع (ص ١٦٧ ، وما بعدها) ، وكذلك بالعنى (عقد الجمان ، ص ٢٢٩ ، وما بعدها ، في Rec. Hist. Or. II. 1) ، والتويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٨ ، ص ٩٤ ، وما بعدها) ، نص الكتاب المرسل الى صاحب أنطاكية ، ومن هذا المرجع الثالث نقله وترجمه الى الفرنسية (Quatremère : Op. Cit. I. 2. p. 190 et seq) . ولهذا الكتاب ترجمة باللغة الألمانية في (Weil : Geschichte der christlichen IV. pp. 66-67) ، وأخرى بالإنجليزية في (Yule : Marco Polo. I. P. 25) راجع (Lane-Poole : A. Hist of Egypt In The Middle Ages, p. 269, n. 1) ، وانظر النص العربي لهذا الكتاب في ملحق رقم ٢ ، في آخر هذا الجزء .



وسلم السلطان القلعة إلى (١٤٦ ب) الأمير بدر الدين بيلىك الخازندار والأمير [بدر الدين] بيسرى [الشمسى]، وأمر بإحضار المغنم لتقسم، وركب وأبعد عن الخيام وحمل ما غنمه وما غنمته ممالكه وخواصه، وقال: "وانته ما خبات شيئا مما حمل إلى ولا خليت ممالكى يخبثون شيئا، ولقد بلغنى أن غلاما لأحد ممالكى خبا شيئا لا قيمة له فاذبته الأدب البالغ، وينبغى لكل أحد منكم أن يخلص ذمته، وأنا أحلف الأمراء والمقدمين، وهم يحلفون أجنادهم ومضافيهم". فأحضر الناس الأموال والمصاغ والذهب والنقضة حتى صارت تلاً بها، وقسمت في الناس، وطال الوزن فقسمت النقود بالطاسات. وقسمت الغلمان على الناس، فلم يبق غلام إلا وله غلام، وتقاسم النساء والبنات والأطفال، وأبيع الصغير بائنى عشر درهما والجارية بخمسة دراهم. وأقام السلطان يومين وهو يباشر القسمة بنفسه، وقصر الناس في إحضار الغنائم فعاد [السلطان] مفضيا، فلم تزل الأمراء به يلتزمون بالاجتهاد والاحتراز ويعتذرون إليه، حتى وقف على فرسه وماترك شيئا حتى قسمه.

ثم ركب [السلطان] إلى القلعة وأحرقها، وعم بالحريق أنطاكية، فأخذ الناس من حديد أبوابها ورصاص كائناتها ما لا يوصف كثرة. وأقيمت الأسواق خارج المدينة، فقدم التجار من كل جهة. وكان بالترب من أنطاكية عدة حصون، فطلب أهلها الأمان، فتوجه إليهم الأمير بيلىك الأشرفى [و] تسلمها في حادى عشره، وأسر من فيها من الرجال.

وكان التكفور<sup>(٢)</sup> [هينوم] ملك سبىس لم يزل يسأل في إطلاق ولده ليفور، ويعرض في فدائه الأموال والقلاع. وكان التفرقد أسروا الأمير شمس الدين سنقر الأشقر من حلب، لما ملكوها من الملك الناصر، فافترح السلطان على ملك سبىس إحضار سنقر عوضا عن ولده، ورد القلاع التى أخذها من مملكة حلب. [وهى بهسا<sup>(٣)</sup> ودر بساك ومرزبان ورعبان

(١) كل هذا الاسم من التورى (نهاية الأرب، ج ٢٨، ص ٩٦).

(٢) فى س "تكفور ملك سبىس".

(٣) أضف ما بين القوسين من أبى الفداء (المختصر فى أخبار البشر، ص ١٥٢، فى Rec. Hist. Or. I.)،

وضبط من ياقوت (معجم البلدان، ج ١، ص ٧٧٠، ج ٢، ص ٦٤٧، ٦٩١، ج ٣، ص ٩٥).



وشيع الحديد<sup>(١)</sup>؛ فسأل [هيتوم] المهلة سنة إلى أن يبعث إلى الأردو<sup>(٢)</sup>. فلما كان في هذه الأيام، بعث [هيتوم] إلى السلطان بأنه وجد سنقر، و[أنه] أجيب إلى إطلاقه، فكتب إليه بإحضاره. فأحضر [هيتوم] كتاب سنقر إلى السلطان بأمير، إلا أنه غير قوله في تسليم القلاع، فكتب إليه: "إذا كنت تقسو على ولدك وولي عهدك، فإنا أقسو على صديق ما بيني وبينه نسب، ويكون الرجوع منك لا مني. ونحن خلف كتابنا، فهما شئت أفل بسنقر الأشقر". فلما وصلت إليه الكتب من أنطاكية خاف، وتقرر الصلح على تسليم قلعة بهسنا<sup>(٣)</sup> ودر بساك (١١:٧) وكل ما أخذه من بلاد الإسلام، وأن يرّد الجميع بحواصلها كما تسلمها، ويطلق سنقر الأشقر، ويطلق السلطان ولده وابن أخيه وغلمانهما، وأنه يحضر رهينة حتى يتسلم السلطان القلاع؛ فكتبت المدينة بأنطاكية. وتوجه الأمير بلبان الرومي الدوادار، والصدر فتح الدين بن القيسراني كاتب الدرج، لاستحلافه. وتوجه الأمير بدر الدين يحكا الرومي لإحضار الملك ليفون من مصر على البريد في ليلة الثالث عشر من رمضان. فوصل إلى القاهرة وخرج منها ثاني يوم دخوله بالملك ليفون، فوصل إلى دمشق ليلة الاثنين سادس عشره، فكان بين خروجه من أنطاكية وعوده إلى دمشق ثلاثة عشر يوما. وحلف التكفور هيتوم صاحب سبس في سابع عشره، فانتظم الصلح<sup>(٧)</sup>.

(١) سمى العيني (عقد الجمان، ج ٢٣٥، في Rec Hist. Or. II. 1) هذا البلد باسم "شيخ الحديد".

(٢) الأردو لفظ مغولي معناه المعسكر، وقد استعمل في المراجع العربية والفارسية في هذا المعنى للدلالة على معسكر إيلخان الدولة المغولية بخارس. (le campement imperial du souverain des Mongols de l'Iran).

انظر ابن أبي الفضائل (كتاب التيج السديد، ص ١١٦، ١١٧، ٢٤٠، ٢٧٣).

(٣) هذه الجملة ليست واضحة تماما في م، وقد ترجعها (Quatremère: Op. Cit. I. 2 P. 55) إلى العبارة

التالية: (En même temps, Bibars reçut de cette écrite en chiffres).

(٤) في م "حلف".

(٥) في م "سبت".

(٦) بغير ضبط في م، وهي قلعة بين مرعش وسجسط. (بافوت، معجم البلدان، ج ١، ص ٧٧٠).

(٧) انظر ما على ص ٥٧٠، سطر ٥.



ورحل السلطان من أنطاكية إلى شيزر، وسار منها على البرية إلى حمص وهو يتصيد ،  
 فدخل حماة في ثلاثة نهر : وهم الأمير بيسرى ، والأمير بدر الدين الحازندار ، والأمير  
 حسام الدين الدوادار ، ونزل العسكر حماة . ثم سار السلطان من حمص إلى دمشق ، فدخلها  
 في سادس عشره ، والأمري بين يديه و [ ليفون ابن <sup>(١)</sup> ] صاحب سبب في خدمته ، فأحسن  
 إليه . وحلف [ ليفون ] للسلطان في ثالث شوال على النسخة التي حلف عليها أبوه ، وهو  
 قائم مكشوف الرأس ، وسار إلى بلاده في حادى عشره صبحه الأمير بجكا على البريد ، حتى  
 قرره في مملكته . ووصلت الرهائن فأحسن السلطان إليهم وأكرمهم ، وما زالوا إلى أن  
 تسلم نواب السلطان القلاع من أهل سبب ، فأعبدت الرهائن إليهم بما أنعم عليهم . وعند  
 ما وصل ليفون إلى سبب أطلق سنقر الأشقر ، وبعث به إلى السلطان . فتلقاه [ السلطان ]  
 وهو في الصيد من غير أن يعرف أحد بقدمه ، وقدم به وهو مخنف وأزله عنده في الدهليز ،  
 وبات معه . فلما أصبح [ الصباح ] واجتمع الناس في الخدمة . خرج السلطان ومعه  
 سنقر الأشقر ، فبهت الناس لرؤيته . وأخرج له السلطان المال والخلع والحوادث ،  
 والخيل والبغال والجمال والممالك ، وسائر ما يحتاج إليه . وحمل إليه الأمراء التقدام ،  
 وبالغ [ السلطان ] في الإحسان إليه ، وبني له دارا بقلعة الجبل . ولما حضر [ سنقر ]  
 إلى القاهرة أعطاه [ السلطان ] إمرة ، وعمله من خواصه .

وفي ثالث عشره تسلم الأمير شمس الدين آقسنقر الفارقاني أستاذ دار السلطان حصن  
 بغراس من الفرنج [ الداوية <sup>(٢)</sup> ] ، و [ كانوا ] قد فتروا عنها [ وتركوا الحصن خاليا <sup>(٣)</sup> ] حتى لم يبق  
 بها سوى عجوز واحدة ، فوجدها [ الأمير شمس الدين ] إمرة بالحواصل والذخائر .

(١) انظر مايل بالسطر التالى ، وستر ٩ أيضا .

(٢) أضيف ما بين القوسين من العبنى (عقد الجمان ، ص ٢٤٣ ، فى ١. Rec. Hist. Or. II. 1) .

(٣) أضيف ما بين القوسين من أبى الفداء (المختصر فى أخبار البشر ، ص ١٥٢ ، فى ١. Rec. Hist. Or. I. 1) .



وفيه وردت رسل [صاحب<sup>(١)</sup>] عكا بهدية ، فحصل الاتفاق على أن تكون حيفا للفرنج ولها ثلاث ضياع ، وأن تكون (١٤٧ب) مدينة عكا وبقية بلادها مناصفة هي وبلاد الكرمل<sup>(٢)</sup> ، وأن بلاد صيدا الوطاة للفرنج والجلبيات للسلطان ، وأن الهدنة لعشر سنين ، وأن الرهائن تطلق . وبعث السلطان لصاحب عكا هدية فيها عشرون<sup>(٣)</sup> نفسا من أسرى أنطاكية ، وتوجه القاضي محي الدين بن عبد الظاهر والأمير كمال الدين بن شيث<sup>(٤)</sup> لاستعلافه ، فدخلوا عكا في عشرين شوال ، وقد وصاهما السلطان ألا يتواضعا له في جلوس ولا مخاطبة . فلما دخلا كان الملك على كرسي ، فلم يجلسا حتى وضع لهما كرسيين جلسا عليهما قبالة ، ومد الوزير يده لياخذ الكتاب فلم يرضيا حتى مد الملك يده وأخذه ، ولم يوافق على أشياء فتركوه ولم يحلف .

وفي ثامن عشر ذي القعدة خرج السلطان من دمشق وسار إلى القاهرة ، فخرج الملك السعيد إلى أم الباردة وهي السعيدية ، وعيّد مع السلطان بها . وسارا إلى قلعة الجبل في حادي عشر ذي الحجة ، وحمل [السلطان] عن الناس كلفة الزينة .

وفيه مات السلطان ركن الدين قليج أرسلان بن كيخسرو بن قليج أرسلان بن مسعود ابن قليج أرسلان بن سليمان بن قطلومش بن أرسلان بيغو بن ساجوق ، ملك الروم . وقام من بعده ابنه غياث الدين كيخسرو . وعمره أربع سنين ، فقام بأمر المملكة معين الدين سليمان .

(١) كان صاحب عكا تلك السنة ، حسبما جاء في العيني (عقد الجمان ، ص ٢٣٦ ، في ١. 1. Rec. Hist. Or. II. 1. ) ، "أوك بن هري (كذا) ابن أخت صاحب قبرص" (Hugh III of Cyprus) ، وأبوه (Henry, Son of Bohemond IV of Antioch) ، وأمه (Isabella, daughter of Hugh I of Cyprus) . انظر (Stevenson : Crusaders In The East p. 342. n.9; King : The Knights Hospitallers In The Holy Land, pp.261 - 265).

(٢) بنير ضبط في ص ، والكرمل حصن بالجليل المشرق على حيفا بسواحل الشام . (بانوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٢٦٧) .

(٣) في ص "عشرين" . (٤) في ص "ثب" .

(٥) كذا في ص ، انظر ص ٤٠١ ، حاشية ٥ .



البرواناه<sup>(١)</sup> . وكان موت ركن الدين ختقا بالوتر، وذلك أن معين الدين البرواناه اتفق مع الططار<sup>(٢)</sup> المقيمين معه على قتل ركن الدين، فخنقوه .

ومات في هذه السنة من الأعيان كمال الدين أبو العباس أحمد بن عبد العزيز بن محمد بن الشهيد أبي صالح عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن الحسن بن العجمي الحلبي كاتب الإنشاء، ظاهر صور من الساحل . وتوفي صاحب عز الدين أبو محمد عبد العزيز بن منصور بن محمد بن وداعة الحلبي وزير دمشق، بالقاهرة . وتوفي الأديب عفيف الدين أبو الحسن علي ابن عدلان بن حماد بن علي الموصل بدمشق، عن ثلاث وثمانين سنة . ومات الأمير عماد الدين أبو حفص عمر بن هبة الله بن صديق الخلاطى الأديب الفاضل بحماة، عن ثمان وستين سنة . وتوفي الشيخ المعتقد أبو داود مسلم<sup>(٣)</sup> السلمي شيخ الطائفة المسلمية، في يوم الجمعة ثالث شهر ربيع الأول، ودفن بالقرافة، وكان في ابتداء أمره قاطع طريق، وأخذ عن الشيخ مروان أحد أصحاب الشيخ مرزوق، وقدم القاهرة، وعفى به صاحب بهاء الدين محمد بن علي بن حنا .

(١) البرواناه لفظ فارسي معناه في الأصل الخاجب (chambellan)، وقد أطلق في دولة السلاجقة الروم بآسيا الصغرى على الوزير الأكبر (le principal ministre) . راجع (Quatremère : Op. Cit. I. 2. p. 57. n. 69) وكان الوزير معين الدين المذكور هنا متسلطاً في الدولة السلجوقية بآسيا الصغرى منذ سنة ٦٤٢، وعلى يده كان مقتل السلطان ركن الدين قلع أرسلان كما يلي هنا بالمتن . انظر أيضاً ص ٤٠٨، حاشية ٤١، وكذلك (Enc. Isl. Arts. Kilidj Arslân IV; Mu'in al-Din Sulaimân Parwâna) .

(٢) في س "ابن" .

(٣) يل هذا في س عبارة طويلة أولها : "وفيها شكر الخان ... "، وقد كتبها المقرئ هناك خطأ، ثم أدرك غلطه فكتب فوقها "ينقل الى سنة ثمان وسبعين [وسمائة]"، وهذا خطأ أيضاً والصحيح ثمان وستين وسمائة، وقد أدمجت في موضعها تحت تلك السنة . (انظر ص ٥٨٨، حاشية ٢٤١) .

(٤) الوفيات التالية الى آخر السنة واردة على ورقة لصقت خطأ بين الصفحتين ١٤٩ ب، ١٥٠ أ في س، وليس تحت شك في مناسبة هذه الوفيات لهذه السنة . (انظر ابن العماد : شذرات الذهب، ج ٥، ص ٤٣٢٣ ابن شاكر : فوات الوفيات، ج ٢، ص ٥٩) . هذا وليس لهذه الوفيات وجود البتة في ب (١٧٤ ب)، أو في (Quatremère : Op. Cit. I. 2. p. 58) .

(٥) هذان اللفظان مضبوطان هكذا في س .



+ + +

سنة سبع وستين وستمائة . في أول المحرم ركب السلطان حتى شاهد جامعه بظاهر القاهرة، وسار لتفتح بحر أبي المنجا، وعاد إلى القلعة . وفيه احتفل السلطان برمي النشاب وأمور الحرب ، وبني مسطبة بميدان العيد خارج باب النصر من القاهرة، وصار يتزل كل يوم من الظهر ويرمي النشاب، فلا يعود من الميدان إلى عشاء الآخرة . و[أخذ السلطان] يحترق الناس على الرمي والرهان ، فما بقي أمير ولا مملوك إلا وهذا شغله ، وتوفر الناس على لعب الرمح ورمي النشاب . وفيه قدمت الرسل من جميع الأفطار تهني السلطان بما فتحه الله عليه .

وفي يوم الخميس تاسع صفر جلس الملك السعيد بركه في مرتبة الملك، وحضر الأمراء فقباوا الأرض ، وجلس الأمير عز الدين الحلبي و[الأمير فارس الدين] الأتابك بين يديه ، والصاحب بهاء الدين وكتاب الإنشاء والقضاة والشهود . وحلف له الأمراء وسائر العساكر .

وفي ثالث عشره ركب [الملك السعيد] الموكب كما يركب والده، (١١٤٨) وجلس في الإيوان وقرئت عليه القصص . وفي العشرين منه قرى بالإيوان تقليده بتفويض السلطنة إليه، واستمر جلوسه في الإيوان مكان والده لقضاء الأشغال، و[صار] يوقع ويطلق ويركب في الموكب . وأقام السلطان الأمير بدر الدين بيلك الخازندار نائباً عنه، عوضاً عن الأمير عز الدين الحلبي .

وفي ثاني عشر جمادى الآخرة خرج السلطان ، ومعه الأمير عز الدين الحلبي وأكابر الأمراء، في عدة من العسكر يريد بلاد الشام ، وترك أكثر العسكر عند الملك السعيد . فلما وصل إلى غزة أنفق في العسكر ، ونزل أرسوف لكثرة مراعيها . فقدم [عليه] كتاب مملوك سيس بأن رسول أبغا بن هولاكو قدم ليحضر إلى السلطان، فبعث إليه الأمير ناصر الدين

(١) أضيف ما بين القوسين من النويري (نهاية الأرب، ج ٢٨، ص ٦٨) .

(٢) أورد النويري (نهاية الأرب، ج ٢٨، ص ٦٨، وما بعدها) نص هذا التقليد، وذكر أنه كان من

إنشاء المولى نحر الدين بن لقمان . (انظر ملحق رقم ٢، في آخر هذا الجزء) .



ابن صيرم مشد حلب ليتسلمه من سيس، ويخترز عليه بحيث لا يمكنه أن يتحدث مع أحد. فسار به إلى دمشق. ولم يحتفل به عند وصوله إلى دمشق، وأنزل في قلعته. فورد الخبر بذلك، فركب السلطان من أرسوف وترك الأثقال بها، وأخذ معه الأمراء ودخل إلى دمشق. وأحضر الرسول [إليه]، فكان من جملة كتابه: "إن الملك أبقا لما خرج من الشرق تملك جميع العالم وما خالفه أحد، ومن خالفه هلك وقتل. فأنت لو صعدت إلى السماء أو هبطت إلى الأرض ما تخلصت منا، فالمصلحة أن تجعل بيننا صالحا". وكان في المشافهة: "أنت مملوك وأبيعت في سيواس<sup>(١)</sup>، فكيف تشاقق الملوك ملوك الأرض؟" فأجيب وأعيد الرسول.

وفي أول شعبان مات الأمير عز الدين الحلي بدمشق. وفيه خرج السلطان من دمشق، وودع الأمراء كلهم وسيرهم إلى مصر. ولم يتأخر عنده من الأمراء الكبار سوى الأمير الأنابك، والمحمدي، والأيدمرى، وابن أطلس حان، وأقوش الرومي. فسار بهم إلى قلعة الصبيبة ثم إلى الشقيف وصفد، وكتب بحضور الأثقال إلى خربة اللصوص من أرسوف، فأحضرها الأمير آقسنقر الفارقاني الأستاذار، وقدم السلطان إليها فأقام بها أياما.

وخطر للسلطان أن يتوجه إلى ديار مصر [خفية]<sup>(٢)</sup>، فكتب ذلك وكتب إلى النواب بمكاتبة الملك السعيد والاعتماد على أجوبته، ورتب أنه كلما جاء يريد يقرأ عليه وتخرج علامة على بياض تكتب عليها الأجوبة. فلما كان في رابع عشره أظهر [السلطان] أنه تنوش في بدنه، واستدعى الحكماء إلى الخيمة، ووقع احتفال في الظاهر (١: ٨ ب) بتوعكه، وأصبح الأمراء فدخلوا عليه وشاهدوه مجتمعاً على هيئة متالم، وكتب إلى دمشق باستدعاء الأشرية.

(١) يجب أن نلاحظ هذه العبارة فراغا في ترجمة السلطان الظاهر بيبرس، إذ أن كل المعروف من أصله وحدائه لا يبدوا أنه ولد في سنة ٦٢٢ هـ (١٢٢٣ م) بل ولد القبايق، وأنه بيع بدمشق للامير علاء الدين أيديكين البندقدار. (انظر ص ٣٥٠، حاشية ٤٢ ص ٤٤٣٦ Enc. Isl. Art. Baidars I.)

(٢) أضيف ما بين القوسين من أبي الفداء (المختصر في أخبار البشر، ص ١٥٢، في Rec. Hist. Or. I.)، هذا وعبارة المقرئ هنا مشابهة في ترتيبها ولفظها لما يقابلها في التويري (نهاية الأرب، ج ٢٨، ص ٤٩، وما بعدها).



وتقدم [السلطان] إلى الأمير بدر الدين الأيدمرى، والأمير سيف الدين بكنوت جرمك  
الناصرى، بالتوجه إلى حلب على خيل البريد وصحبتهما بريدى، فتوجهوا ليلة السبت سادس عشره؛  
و [كان السلطان قد] أوصاهم أنهم إذا ركبوا يأتوا خلف الدهليز، حتى يتعدت معهم مشافهة.  
وجهز [السلطان] الأمير آقسنقر الساقى على البريد إلى مصر، وأعطاه تركاشه وأمره أن يقف  
خلف خيمة الجندارية من وراء الدهليز، فوقف حيث أمر. ولبس السلطان جوخة مقطعة،  
وتعمم بنشاش دخانى عتيق. وقصد أن يخرج ولا يعلم به الحراس، فوجد قماش نوم لبعض  
المالك، فاستدعى خادما من خواصه وقال له: "أنا خارج بهذا القماش، احمله وامش قدماي،  
فإن سألك أحد فقل هذا بعض البايّة<sup>(١)</sup> معه قماش بعض الصبيان، حصل له مرض وما يقدر  
يحضر الخدمة الليلة، وهذا غلامه خارج إليه بقماشه". فخرج [السلطان] بهذه الخيلة  
ولم يظن به أحد؛ وكان قد أسر إلى الأمير شمس الدين الفارقانى أنه يغيب مدة أيام عينها.  
ولما خرج [السلطان] من الدهليز مشى إلى الجهة التي واعد آقسنقر الساقى إليها،  
و [كان قبل ذلك] قد أقام هناك أربعة رؤوس من الخيل سيرها مع الأمير بهاء الدين  
أمير آخور، [وأمره أن] يقف بها في مكان. فأخذ آقسنقر الخيل، وسير بهاء الدين أمير آخور  
إلى النيل، فوجد الأيدمرى ورفقته. فصار إليهم السلطان، واختلط بهم في السوق وهم  
لا يعرفونه، فلما طال سؤقهم قال السلطان للأيدمرى: "تعرفنى؟" فقال: "أى والله!"  
١٠

(١) البايّة جمع بابا، وهو حيا ورد في الفقهى (صبح الأعشى، ج ٥، ص ٤٧٠) "لقب عام لجميع رجال  
الطست خاناه، ممن يتعاطى الفسل والصل وغير ذلك. وهو لفظ روى معناه أبا الآباء... وكأنه لقب بذلك لأنه  
لما تعاطى ما فيه ترفه مخدومه، من تنظيف قماشه ومحمين هبته، أشبه الأب النفيق، فلقب بذلك". انظر أيضا  
(Quatremère: Op. Cit. I. 2. pp. 191-195).

(٢) عبارة المقرئى هنا مضطربة قليلا، ونصها: "ولما خرج من الدهليز مشى إلى الجهة التي واعد آقسنقر إليها،  
وقد أقام هناك أربعة رؤوس من الخيل سيرها مع الأمير بهاء الدين أمير آخور وقف بها في مكان فأخذ آقسنقر الخيل  
ثم سير إليه أمير آخور (كذا) سار به فوجد الأيدمرى ورفقته..." وقد أصلحت العبارة وأضيف ما بين الأقواس من  
التوضيح (نهاية الأرب، ج ٢٨، ص ٥٠).

(٣) في س "لا يعرفونه".



وأراد أن يتزل عن فرسه ليقبل الأرض ، فمنعه . وقال [ السلطان ] لجرمك : ” تعرفنى ؟ “ فقال : ” إيش هذا ياخوند ؟ “ ، فقال له : ” لا تشكلم “ . وكان معهم الأمير علم الدين شُفير مقدم البريدية ، فصارت جملتهم خمسة أنفس ، ومعهم أربعة جنائب من خيل السلطان الخاص .

٥ فساقوا الى القصير المعينى ووافوه نصف الليل ، فدخل السلطان الى الوالى ليأخذ فرسه ، فقام اليه بنحو خمسين رجلا ليهاوشه وقال : ” الضيمة ملك السلطان ، ما يقدر أحد يأخذ منها فرسا ، تروحوا وإلا قتلناكم “ . فتركوه وساقوا الى بيسان ، وأتوا دار الوالى وقالوا : ” نريد خيلا للبريد “ ، فأنزلهم . وقعد السلطان عند رجل الوالى وهو نائم ، ثم التفت الى الأيدمرى وقال : ” الخلائق على بابى ، وأنا على باب هذا الوالى لا يلتفت (١ ١٤٩) الى ، ولكن الدنيا نوبات “ . وطلب [ السلطان ] من الوالى كوزا ، فقال : ” ما عندنا كوز . إن كنت عطشان (١) اخرج واشرب من برأ “ ، فأحضر اليه الأيدمرى كُرْزا شرب منه . وركبوا وصبحوا جبينين ، فوجدوا بها خيلا للبريد عرجاء مَعْقَرَة (٣) ، فركب السلطان منها فرسا لم يكد يثبت عليه من رائحة عقوره . وصاروا فلما نزلوا تل العجول بقى كل منهم ماسكا فرسه ، فلما وصلوا الى العريش قام السلطان والأمير جرمك وتَنَبَّأ الشعير ، وقال السلطان لجرمك : ” أين السلطنة والأستادار وأميرجاندار ؟ وأين الخلق الوقوف فى الخدمة ؟ هكذا تخرج الملوك من ملكهم ، وما يدوم إلا الله سبحانه “ . ولم يسبق معهم من الجنائب الأربعة إلا الذى على يد السلطان يقوده ، ووصل معه الى الصالحية .

(١) فى س ” عطشانا “ .

(٢) الكَرَّاز — والكَّرَّاز أيضا — الفارورة ، أو كوز ضيق الرأس ، واجمع كرزات . (محيط المحيط) .  
ريتمل الكراز لحفظ الماء صالحا للشرب (fraiche) ، وأصل اللفظ من لهجة العراق ، وقد انتقل الى إسبانيا واللغة الإسبانية ، حيث يقال (alcarraza) . انظر (Dozy : Supp. Diet. Ar.) .

(٣) المراد بوصف خيل البريد بهذا الوصف أنها كانت مجرحة الظهر ، إذ يقال تعقر ظهر الدابة أى دبر وتقرح ، وقد ترجم (Quatremère : Op. Cit: I. 2. p. 64) لفظ مَعْقَرَة الى (converts de plaies) .



- وصعدوا الى القلعة ليلة الثلاثاء الثالث الأول من الليل ، فوقفهم الحراس حتى شاوروا  
الوالى . ونزل السلطان فى باب الإسطبل وطلب أمير آخور، وكان قد رتب مع زمام الأدر<sup>(١)</sup> أن  
لا يبيت إلا خلف باب السر، فدق السلطان باب السروذ كر للزمام العلامة التى بينه وبينه ، ففتح  
الباب ودخل السلطان ورفقته . وأقاموا يوم الثلاثاء والأربعاء ، وليلة الخميس الحادى والعشرين  
من شعبان ، ولا يعلم بالسلطان أحد إلا الزمام فقط . وصار [السلطان] يتفرج فى الأمراء  
بسوق الخيل : فلما قدم الفرس للملك السعيد يوم الخميس على العادة قدم أمير آخور للسلطان  
فرما آخر، وعند ما خرج الملك السعيد ليركب ما أحس إلا والسلطان قد خرج إليه ، فرعب  
منه وقبل له الأرض . وركب السلطان وخرج على غفلة والوقت بغلس ، فانكر الأمراء  
ذلك وأمسكوا قبضات سيوفهم ، ونظروا فى وجه السلطان حتى تحقوه ، فقبلوا له الأرض .  
وساق السلطان إلى ميدان العيد ، وعاد الى القاعة وقضى أشغال الناس . وأقام بقية يوم  
الخميس و يوم الجمعة ، ولعب بالكرة يوم السبت . وتوجه يوم الأحد الى مصر ، ورمى الرجال  
بالشوانى قدامه ، وركب فى الحراريق وعاد الى القاعة . فلما كان ليلة الاثنين خامس عشر  
شعبان ، ركب [السلطان خيل] البريد من القلعة ، وعاد إلى معسكره بخربة اللصوص .

- وأما ما جرى فى معسكر (١٤٩ب) السلطان بالحربة ، فإن الأمير شمس الدين الفارقانى  
لما أصبح ، وقد فارق السلطان الدهليز ، أظهر للأمراء أن السلطان منقطع لضعف  
حصل له ، واستدعى الأطباء وسألهم عما يصلح للتوكل الذى يشكو صداعا وخدرا وتكسلا<sup>(٢)</sup>

(١) صحة هذا الاسم المركب بالإضافة "زمام دار" ، وخطا المقرئى وغيره من الكتاب فى رسمه كما بالمتن راجع الى  
الاعتقاد بأن لفظ "دار" عربى ، ولذا كان جمعه على "ادر" (انظر ما يلى بنفس الحاشية) . أما الزمام دار  
فمخرج من الزمان دار ، وهو لقب على الذى يتحدث على باب ستارة السلطان أو الأمير من الخدام والخصيان ،  
وهو مركب من لفظين فارسيتين : أحدهما زمان ... ومعناه النساء ، والثانى دار ومعناه ممسك ... ، فيكون المعنى  
ممسك النساء بمعنى أنه الموكل بحفظ الحرم ، إلا أن السامية والخامسة قد قلبوا التوئين فيه بميمين ، فعبروا عنه بالزمام  
دار ... ظنا أن الدار على معناها العربى ، والزمام بمعنى القائد ... . (المقتضى : صبح الأعشى ، ج ٥ ،

٤٥٩ — ٤٦٠) . انظر أيضا (Quatremère : Op. Cit. I. 2. p. 63. n. 77) .

(٢) الخلد تشنج يترى المضوق فلا يطيع الحركة . (محيط المحيط) .



وعطشا ، وأوهمهم أن السلطان يشكو ذلك ، فوضعوا له ما يوافق . وأمر [ الأمير شمس الدين ] الشراب دارية فأحضروا الشراب ، ودخل إلى الدهليز بنفسه ليؤمهم العسكر صحة ذلك ، إلى أن وصل السلطان ليلة الجمعة تاسع عشره إلى قرب الدهليز .

فأمر [ السلطان ] الأبدمرى وجرمك بالتوجه إلى خيامهما ، وأخذ على يده جراب البريد وفي كفه قُوْطَة<sup>(١)</sup> ، ومشى على قدميه إلى جهة الحراس ، فسانعه حارس وأمسك طوقه ، فأنجذب منه السلطان ودخل باب الدهليز . وبات [ السلطان ] ، فلما أصبح أحضر الأمراء ، وأعلمهم أنه كان متغير المزاج ، وركب فضربت البشائر لعافية السلطان . ومشى كل ما وقع على العسكر ، ولم يعلم به سوى الأتابك والأستادار والدوادار وخوفاً الجامدارية .

وكانت في هذه المدة ترد المكاتبات وتكتب أجوبتها كما رتب السلطان ، والأحوال جميعها ماشية كأنه حاضر لم يختل شيء من الأمور ، وقصد بما فعل أن يكشف حال مملكته . ويعرف أحوال ابنه الملك السعيد في مصر ، فتم له ما أراد .

وكتب [ السلطان ] بإزالة الخمر وإبطال الفساد والمواطى من القاهرة ومصر وجميع أعمال مصر فظهرت كلها من المنكر . ونهبت الخانات التي جرت عادة أهل الفساد الإقامة بها ، وسلبت جميع أحوال المفسدات وحسن حتى يتزوجن ، ونفى كثير من المفسدين . وكتب [ السلطان ] إلى جميع البلاد بنقل ذلك ، وحط المقرر على هذه الجهة من المال ، وعوض المقطعين جهات حلالا .

وورد الخبر بحصول زلزلة في بلاد سبس غرب منها قلعة سرفند وعدة قلاع ، وذلك كثير من الناس حتى سال النهر دما ، وتلفت عدة جهات . وورد الخبر بأن الفرنج شنعوا بموت

(١) القوطة هنا مرادف البقعة ، وهي قطعة من قماش من الحرير الإسكندري ، تحمل فيها الأوراق الرسمية مرتبة إلى حضرة السلطان . (Quatremère : Op. Cit. I. 1. p. 218. N. 98) .

(٢) في س "الخانات" . انظر (Quatremère : Op. Cit. I. 2. p. 67. n. 79) .

(٣) الأحوال جمع حال ، ومعناها هنا الأموال (argent, richesses) . انظر (Dozy : Supp. Dict. Ar.) .

(٤) في س "جهانا" . (٥) بنم ضبط في س . انظر (Rec. Hist. Or. I. Index) .



السلطان، وحضر رسولهم بطاب المهادنة : وكان قد هرب من الممالك السلطانية أربعة وصاروا إلى عكا، فبعث [السلطان] بإحضارهم فامتنع الفرنج من إحضارهم إلا بعوض، فانكر السلطان ذلك وأغلظ عليهم، فسيروا الممالك وقد نصروهم . فعند ذلك قبض [السلطان] على رسل الفرنج وقيدهم ، وكتب إلى النواب بوقوع الفسخ . وأغار عليهم (١١٥٠) الأمير أقوش الشمسي وقتل وأسر منهم جماعة . وركب السلطان في العشرين من رمضان وساق إلى صور، وقتل وأسر جماعة، وعاد إلى المخيم وأمهل مدة، ثم جرد طائفة لأخذ المغل وقطع الميرة عن صور .

وفي سادس عشرية تسلم نواب السلطان بلاطنس<sup>(٢)</sup> [من عز الدين عثمان صاحب صهيون<sup>(٣)</sup>]، وهي حصن عظيم . وفيه سارت العساكر من البيرة إلى كركر فأحرقوا وغنموا ، وأخذوا قلعة كانت بينها وبين نكتا<sup>(٤)</sup>، وقتلوا رجالها وغنموا كثيرا . وأخرجوا منه الخمس للديوان .

وفيه كان خلف في مكة بين الشريف نجم الدين أبي نعي و بين عمه الشريف بهاء الدين إدريس أميرى مكة، ثم اتفقا فرتب لهما السلطان عشرين ألف درهم نفقة في كل سنة، على ألا يؤخذ بمكة من أحد مكس، ولا يمنع أحد من زيارة البيت ولا يتعرض لتاجر، وأن يخطب باسم السلطان في الحرم والمشاعر، وتضرب السكة باسمه . وكتب لهما تقليد بالإمارة، وسلمت أوقاف الحرم التي بمصر والشام لتوايهما .

(١) توجد بين الصفحتين ١٤٩ ب، ١٥٠ في ص، ورقة منفصلة بها وفيات تابعة لسنة ٦٦٦ هـ، وقد أدرجت هناك . (انظر ص ٥٧٢، حاشية ٤) .

(٢) بنير ضبط في ص، وبلاطنس حصن بساحل الشام مقابل اللاذقية . (ياقوت : معجم البلدان، ج ١، ص ٧١٠) .

(٣) أصيب ما بين القوسين من أبي الفداء . (المختصر في أخبار البشر، ص ١٥٣، في Rec. Hist. Or. I.) .

(٤) بنير ضبط في ص، ويوجد في ياقوت (معجم البلدان، ج ٤، ص ٢٦٢) عدة مواضع بهذا الاسم، وكرر المقصودة هنا حصن على الفرات بين آمد وملطية، واسمها في المراجع الفرنجية (Guerguer, Gargar) أى الحصن المنيع . انظر (Rec. Hist. Or. I. Index) .

(٥) بنير ضبط في ص، وهى قلعة قديمة على نهر نكتا صو (Khiakhta—Su)، وتقع على مسافة أربعين ميلا تقريبا من الجنوب الشرقى من ملطية . (Enc. Isl. Art. Kiakhta) .

(٦) بل هذا في ص لفظ "قلا"، وهو مشطوب .



وفيه سلم السلطان للشريف شمس الدين قاضي المدينة النبوية وخطيبها ووزيرها — وقد حضر في رسالة الأمير عز الدين جهاز أمير المدينة — الجمال التي نهبا أحمد بن حنبل لأشراف المدينة، وهي نحو الثلاثة آلاف جمل، وأمره أن يوصلها لأربابها . وفيها قدم الطوائف جمال الدين محسن الصالحى شيخ خدام الحجرة النبوية ، فأكرمه السلطان وضرب له خيمة يشق على باب الدهليز ، وناله زيادة على مائتى ألف درهم نقرة ، وسافر صحبة القاضي والجمال مع الركب الشامى ، وجهاز من الكسوة لمكة والمدينة .

وفيه قدم رسول الفرنج من بيروت بهدية وأسارى مسلمين ، فأطلقوا بباب الدهليز ، وكتبت لهم هدنة . وفيه وصل الأمير شرف الدين عيسى بن مهنا إلى الدهليز ومعه جماعة من أمراء العرب ، فأوهمه السلطان أنه يريد الحركة إلى العراق ، وأمره بالتأهب ليركب إذا دعى ، وأمره فأنصرف إلى بلاده ، وكان السلطان فى الباطن إنما يريد بحركته الحجاز .

وفيه أعطى [السلطان] ناصر الدين محمد ولد الأمير عز الدين أيدمر الحللى إمرة أربعين فارسا ، ورسم للأمير قلاون والأمير أوغان والأمير بيسرى والأمير بككاش النخري أمير سلاح أن يباشروا الحوطة على مال الحللى لورثته ، ولم يتعرض السلطان لشيء من موجوده مع كثرتة .

ودخل شوال والسلطان على عزم الحركة للحجاز ، فأفق فى العساكر جميعها ، وجرّد عدة مع الأمير (١٥٠ ب) أقوش الرومى السلاح دار ليسيروا مع السلطان . وجرّد البقية مع الأمير آفستقر الفارقانى الأستاذار إلى دمشق ، فزلوا بظاهرها وأقاموا بها . ثم توجه السلطان إلى الحج ، ومعه الأمير بدر الدين الخازندار<sup>(٣)</sup> ، وقاضى القضاة صدر الدين سليمان الحنفى ، ونفر الدين ابن لقمان ، وتاج الدين بن الأنير . ونحو ثلاثمائة مملوك وأجناد من الحلقة . وسار [السلطان] بهم إلى الكرك كأنه يتصيد . ولم يحصر أحد يتحدث بأنه متوجه إلى الحجاز . وذلك أن الأمير

(١) الشقة هنا قطعة من قماش الكتان أو شعر الماعز ، توضع واحدة منها أو أكثر حول الخيمة أو على بابها تمييزا من سائر الخيم ، وجمعها شقاق وأشقاق . (Dozy : Supp. Dict. Ar.) .

(٢) بل هذا اللفظ "كان" ، وهو مشطوب .

(٣) فى ص "الخزندار" .



جمال الدين ابن الداية الحاجب كتب إلى السلطان : "إني أشتي أتوجه صحبة السلطان إلى الحجاز"، فأمر بقطع لسانه، فما تفوه أحد بعدها بذلك .

وسار السلطان من الفوار يوم الخميس خامس عشره، ووصل إلى الكرك مستهل ذي القعدة . وكان قد دبر أموره خفية من غير أن يطلع أحد على ذلك، حتى أنه جهز البشمات والدقيق والروايا والقرب والأشربة، والعربان المتوجهين معه والمرتبين في المنازل، ولا يشعر الناس بشيء من ذلك . فلما وصل [الكرك] وجد الأمور كلها مجهزة، وأعطى المجردين معه الشعر بقدر كفايتهم . وسار الثقل في رابعه، وتبعهم [السلطان] في سادسه ومعه المجردون، فنزل الشوبك ورسم بإخفاء خبره، وتوجه في حادي عشره . وسار البريد إلى مصر، فجهزت الكتب إليه مع العربان من جهة الكرك، فكتبت أجوبتها من هناك .

ووصل [السلطان] إلى المدينة النبوية في خامس عشره، فلم يقابله جواز ولا مالك أميرا المدينة، وفزا منه . ورحل منها في سابع عشره، وأحرم فدخل مكة في خامس ذي الحجة، وأعطى خواصه جملة من المال ليفرقوها سرا، وفزق كساوى على أهل الحرمين . وصار كواحد من الناس، لا يحجبه أحد ولا يحرسه إلا الله، وهو منفرد يصلى ويطوف ويسعى . وغسل البيت، وصار في وسط الخلائق، وكل من رمى إليه إحرامه غسله وناوله إياه . وجلس على باب البيت، وأخذ بأيدي الناس ليطلعهم إلى البيت، فتعلق بعض العامة بإحرامه ليطاع فقطعه، وكاد يرمى السلطان إلى الأرض، وهو مستبشر بجميع ذلك . وعلق كسوة البيت بيده وخواصه، وتردد إلى من بالحرمين من الصالحين .

هذا وقاضى القضاة صدر الدين سليمان بن عبد الحق الحنفى مرافقه طول الطريق، يستفتيه ويتفهم منه أمر دينه . ولم يغفل [السلطان] مع ذلك تدبير الممالك، وكتاب الإنشاء تكتب عنه في المهمات، وكتب إلى صاحب اليمن [كتابا] ينكر عليه أمورا، ويقول فيه : "سطرتها من مكة المشرفة، وقد أخذت طريقها في سبع عشرة خطوة" — يعنى بالخطوة المتزلة، ويقول

(١) البشمات هو البشمات . (محيط المحيط) . (٢) في من "امرى" .



له : "الملك هو الذي يجاهد في الله حق جهاده . ويبذل نفسه في الذبّ عن حوزة (١٥١) الدين، فإن كنت ملكا فانخرج التتار".

وأحسن [السلطان] إلى أميرى مكة، [وهما الأمير نجم الدين<sup>(١)</sup> أبى نعى والأمير إدريس بن قتادة]، وإلى أمير ينبع وأمير خُلَيْص<sup>(٢)</sup> وأكابر الحجاز . وكتب منشورين للأميرى مكة، فطلبها منه نائبها تقوى به أنفسهما، فرتب الأمير شمس الدين مروان نائب أمير جندار بمكة، يرجع أمرهما إليه ويكون الحل والعقد على يديه . وزاد أميرى مكة مالا وغلالا في كل سنة بسبب تسهيل البيت للناس، [وزاد أمراء الحجاز إلا جواز ومالك أميرا المدينة، فإنهما اتزحا من بين يديه] .

وقضى السلطان ماسك الحج وسار من مكة في ثالث عشره، فوصل إلى المدينة في العشرين منه، فبات بها وسار من الغد، بخذ في السير ومعه عدة يسيرة حتى وصل إلى الكرك بكرة يوم الخميس سلخه . ولم يعلم أحد بوصوله إلا عند قبر جعفر الطيار بمؤتة، فالتقوه هناك . ودخل [السلطان] مدينة الكرك وهو لا بس عباءة، وقد ركب راحلة، فبات بها ورحل من الغد .

ومات في هذه السنة من الأعيان الأمير عز الدين أيدمر الحلّى الصالحى نائب السلطنة، عن نيف وستين سنة، بدمشق في [أول شعبان<sup>(٣)</sup>] . ومات الأمير أسد الدين سليمان بن داود ابن موسك الهذبانى، بعد ما ترك الخدمة تعففا، وله فضل ونظم جيد . وتوفى مجد الدين أبو محمد عبد المجيد بن أبى الفرج بن محمد الرُّودْرَاوَرى<sup>(٤)</sup> بدمشق . وتوفى نور الدين أبو الحسن

(١) أضيف ما بين الأقواس بهذه الفقرة كلها من النويرى (نهاية الأرب، ج ٢٨، ص ٥١ - ٥٢)، ويلاحظ أن عبارة السلوك هنا متشابهة تماما لما يقابلها في نهاية الأرب .

(٢) بغير ضبط في م، وهو حصن بين مكة والمدينة . (باقوت : معجم البلدان، ج ٢، ص ٤٦٧) .

(٣) موضع ما بين القوسين بياض في م، وقد أضيف التاريخ من ص ٥٧٤، سطر ٩ هنا . انظر أيضا النويرى (نهاية الأرب، ج ٢٨، ص ٥٤) .

(٤) في م "الرودراوروى" . انظر (ابن المأد : شذرات الذهب، ج ٥، ص ٣٢٤، باقوت : معجم البلدان، ج ٢، ص ٣٨٢) .



على بن عبد الله بن إبراهيم، الشهير بسبيويه المغربي النحوي، عن سبع وستين سنة بالقاهرة،  
وله شعر جيد. وتوفي شيخ الأطباء بدمشق شرف الدين أبو الحسن علي بن يوسف بن حيدرة  
الرحبي، وله شعر جيد.

\*\*\*

سنة ثمان وستين وستمائة. فيها صلى الملك الظاهر صلاة الجمعة غرة المحرم بالكرك،  
وركب في مائة فرس وبيد كل فارس فرس، وساق إلى دمشق. [هذا] والناس بمصر والشام  
لا يعرفون شيئاً من خبر السلطان: هل هو في الشام أو الحجاز أو غيره، ولا يستطيع من مهاجرة  
والخوف منه أحد يتكلم. فلما قارب السلطان دمشق سیر أحد خواصه على البريد بكتب إلى  
دمشق، وفيها البشارة بسلامته وقضاء الحج. فأحضر الأمير جمال الدين النجيبى نائب دمشق  
الناس لسماع كتب البشارة، فبينما هم في القراءة إذ بلغهم أن السلطان في الميدان، فساروا إليه  
فإذا هو بمفرده، وقد أعطى فرسه لبعض مناديه سوق الخيل، فقبل النائب له الأرض.  
وحضر الأمير آقسنقر الأمستادار والأمراء المصريون، فأكل [السلطان] شيئاً وقام يستريح،  
وانصرف الناس. فركب [السلطان] في نفر يسير وتوجه إلى حلب، وحضر أمراء دمشق  
للخدمة فلم يجدوا السلطان. ودخل السلطان إلى حلب والأمراء في الموكب، فساق إليهم  
وبقي ساعة ولا يعرفه أحد، حتى فطن به بعضهم فزلوا وقبلوا الأرض. ودخل [السلطان]  
دار نائب السلطنة وكشف القلعة، ونخرج من حلب ولم يعرف به أحد. فوصل دمشق  
في ثالث عشره، ولعب فيها بالكرة، وركب في الليل وسار إلى القدس، وزار الخليل وتصدق.  
وكان العسكر المصرى قد سار به الأمير آقسنقر الفارغانى من دمشق ونزل بتل العجول،  
نخرج السلطان من القدس إلى تل العجول. وكل ذلك في عشرين يوماً (١٥١ ب). ما غير  
[السلطان] فيها عباة التي حج فيها.

ثم سار [السلطان] من تل العجول بالمعسكر في حادى عشره إلى القاهرة، فخرج  
الملك السعيد إلى لقائه بالصالحية، وعاد معه إلى قلعة الجبل. فقام [السلطان] بها إلى ثانی



عشر صفر. ثم خرج منها ومعه الأمراء والمقدمون، فركب في الحراريق إلى الطرانة . ودخل [السلطان] البرية وضرب حنقة، فاحضر إلى الدوايز ثلاثمائة غزال وخمسة عشرة ناقة : أعطى عن كل غزال بنطاقاً<sup>(١)</sup> بسنجاب، وعن كل ناقة فرساً ثميناً بسرجه ولجامه .

ودخل [السلطان] إلى الإسكندرية في حادي عشرية، وكان صاحب بهاء الدين بن حنا قد سبق إليها وحصل الأموال والتماش . فخلع السلطان على الأمراء ، وحمل إليهم التعانق والشفقة ، ولعب الكرة ظاهر الإسكندرية ، وتوجه إلى الحمامات ونزل بالليونة<sup>(٢)</sup> وابتاعها من وكيل بيت المال .

فبلغه هناك حركة التار، وأنهم واعدوا فرنج الساحل، فعاد إلى قلعة الجبل . فورد الخبر بغارة التتار على الساجور<sup>(٣)</sup> بالقرب من حلب ، فحشد [السلطان] الأمير علاء الدين البندقدار في جماعة من العسكر، وأمره أن يقيم في أوائل البلاد الشامية على أهبة . وسار [السلطان] من قلعة الجبل في ليلة الاثنين حادي عشر ربيع الأول ومعه نفر يسير ، فوصل إلى غزة، ثم دخل دمشق في سابع ربيع الآخر، ولحق الناس في الطريق مشقة عظيمة من البرد، فخيم على ظاهر دمشق . ووردت الأخبار بانهزام التار عند ما بلغهم حركة السلطان ، وكان قد ألقى الله في أنفس الناس أن [السلطان] وحده يقوم مقام العساكر الكثيرة في هزيمة الأعداء، وأن اسمه يرد الأعداء من كل جانب . فورد الخبر بأن جماعة من الفرنج خرجوا من الغرب<sup>(٤)</sup> ،

(١) البلقاق — أو البلوطاق — لفظ فارسي ، وهو فباء بلا أكام — أو بأكام قصيرة جداً — بلس تحت القرجية . وكان يصنع من القطن البليكي الأبيض ، أو من السنباب (petit - gris) كالأكورينا ، أو من الحرير المانع (satin) . وكثيراً ما يزين بجواهر ندية . (Dozy : Suppl. Diet. Ar. . انظر أيضاً) المقرري : المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٩٩ ، ٦٣ (Quatremère : Op. Cit. I. 2. p. 75 n. 63) .

(٢) بنير ضبط في س ، وهي بلدة من أعمال مريوط . (ابن دلقاق : كتاب الانتصار، ج ٥ ، ص ١٢٦) .

(٣) بنير ضبط في س : وهو ثمريجيات منيج ، وتقع عليه عينتاب وتل ياشتر . (Le Strange : Palest. Under Moslems, pp. 42, 406, 415, 527) .

(٤) في س "انه" . (٥) يذكر النويري (نهاية الأرب ج ٢٨ ، ص ١٠٠) أن الفرنج الذين وصلوا من القسرب تلك السنة كانوا من عند ملك أراجونة (Aragon) . وهذا نص ما ورد به مصححاً " في هذه السنة بلغ السلطان أن الفرنج وصل إليهم صفان من جهة الريدركون أحد ملوك الغرب ، فيها جماعة من أصحابه وأقاربه وكتبه . يقول فيها : به واحد من أولادك يواجه في بلاد الإسلامية ، وإنه واصل لمواعيدته ... " .



وبعثوا إلى ألبان دولابكو بأنهم واصلون لمواعده من جهة سيس في سفن كثيرة، فبعث الله على تلك السفن ريحا أنفقت عذة منها، ولم يسمع بعدها لمن بقى في الأخرى خبر. وورد الخبر أنه قد خرج فرنج عكا وخيموا بظاهرها، وركبوا وأعجبهم أنفسهم بمن قدم إليهم من فرنج الغرب، وتوجهت طائفة منهم إلى عسكر جيزين<sup>(٢)</sup> وعسكر صفد.

- ٥ نخرج السلطان من دمشق على أنه يتصيد في مرج برغوث<sup>(٣)</sup>، وبعث من أحضر إليه العدد ومن أخرج العساكر كلها من الشام، فتكاملوا عنده بكرة يوم الثلاثاء حادي عشره بمرج برغوث. وساق بهم إلى جسر يعقوب فوصل آخر النهار، وساق بهم في الليل فأصبح في أول المرج. وكان [السلطان] قد سبر (١٥٢) إلى عساكر عين جالوت وعساكر صفد بالإشارة في ثاني عشره، فإذا خرج إليهم الفرنج انهزموا منهم، فاعتمدوا ذلك. ودخل السلطان الكمين، فعذر ما خرج [جماعة من] الفرنج لقتال عسكر صفد تقدم إليهم الأمير إيفان، ثم بعده الأمير جمال الدين الحاجي، ومعهما أمراء الشام. ثم ساق الأمير أيتمش السعدي، والأمير كند غدي أمير مجلس، ومعهما مقدمو الحلقة، فقاتل الأمراء الشاميون أحسن قتال. وتبع السلطان مقدمي الحلقة، فما أدركهم إلا والعدو قد انكسر، وصارت الخيالة بخيلها مطرحة في المرج. وأسر [السلطان] كثيرا من أكابرهم. ولم يعدم من المسلمين سوى الأمير نحر الدين الطونبا الفاتزي، فسارت البشائر إلى البلاد.

وعاد السلطان إلى صفد والرؤوس بين يديه، وتوجه منها إلى دمشق فدخلها في سادس عشره، والأسرى ورؤوس القتلى قدامه. وخلق على الأمراء، ثم سار إلى حماة وخرج منها إلى كفر طاب، ولم يعلم أحد قصده. وفترق العساكر وترك الثقل، وأخذ خيار عسكره وساق

(١) في من "توجه". (٢) في من "حين".

(٣) في من "مرج برغوث" بفسر ضبط، ومرج برغوث جهة على الطريق بين دمشق وجسر يعقوب. (انظر مايل، ص ٧، وأيضاً أبا شامة، كتاب الروضتين، ص ٢٨٤، في Rec. Hist. Or. IV).

(٤) أضيف ما بين القوسين من التويري (نهاية الأرب، ج ٢٨، ص ١٠٠)، وكان مقدم تلك الجماعة من الفرنج، حسباً في نفس المرجع والجزء والصفحة، "كندا وفير المسمى زيتون".



إلى جهة المَرْقَب<sup>(١)</sup>، فأصابته مشقة زائدة من كثرة الأمطار، فعاد إلى حماة وأقام بظاهرها تسعة عشر يوما. وتوجه على جهة المرقب، فانتهى إلى قريب بلاد الإسماعيلية، وعاقته الأمطار والثلوج فعاد.

ثم ركب [السلطان] في ثالث جمادى الآخرة بمائتي فارس من غير سلاح، وأغار على حصن الأكراد<sup>(٢)</sup>، وصعد الجبل الذى عابه حصن الأكراد ومعه قدر أربعين فارسا. فخرج عليه عدة من الفرنج ملبسين، فحمل عليهم وقتل منهم جماعة، وكسر باقيهم وتبعهم حتى وصل إلى خنادقهم، وقال وهو يستخف بهم: "خلوا الفرنج يخرجوا، فما نحن أكثر من أربعين فارسا بأقبية بيض"، وعاد إلى مخيمه، ورعى الخيول مروجها وزروعها.

[وفى أثناء ذلك حضر إلى خدمة السلطان كثير من أصحاب البلاد المجاورة]، فلم يبق أحد إلا وقدم على السلطان: مثل صاحب حماة، وصاحب صهيون، إلا نجم الدين حسن بن الشعرائى صاحب قلاع الإسماعيلية، فإنه لم يحضر بل بعث يطلب تنقيص القطيعة التى حملوها لبيت المال، بدلا مما كانوا يحملونه إلى الفرنج. وكان صارم الدين مبارك بن الرضى — صاحب العليقة<sup>(٣)</sup> — قد تغير السلطان عليه من مدة، فدخل صاحب صهيون بينه وبين السلطان

(١) بنير ضبط في س، وهو بلد — وحسن أيضا — بساحل الشام، بين وبين أنطرموس ثمانية أميال، واسمه في الخوليات العليبية (Castrum Merghatum). انظر (ياقوت: معجم البلدان، ج ٤، ص ٥٠٠؛ Le Strange: Palest. Under Moslems, p. 504 et seq.)

(٢) يقع هذا الحصن على الجبل الذى يقابل حمص من جهة الغرب، بين بعلبك وحمص. ويقال له قلعة الحصن أيضا، وهو الذى اتخذته هيئة الحرسان الإستراتيجية مركزا رئيسيا لهم بعد سقوط بيت المقدس في يد المسلمين، ومن هذا سمي (Krak de Chevaliers). انظر (ياقوت: معجم البلدان، ج ٢، ص ٢٧٦؛ Le Strange: Palest. Under Moslems, p. 414 et seq.)

(٣) أضف ما بين الأقواس بهذه الفقرة كلها والتي تليها بعد مراجعة التورى (نهاية الأرب، ج ٢٨، ص ٧٦).

(٤) في س "يحملوه". (٥) كان صارم الدين هذا صبورا للشيخ نجم الدين حسن بن الشعرائى.

(التي تسمى: نهاية الأرب، ج ٢٨، ص ٧٦). (٦) بنير ضبط في س، وهو إحدى حصون الإسماعيلية

بالشام. انظر (Le Strange: Palest. Under Moslems, pp 352, 507)، حيث توجد أسماء جميع

حصون الإسماعيلية، ومنضبط أسماء هذه الحصون فيما يل من قسم المرجع بنير تعليق.



في الصلح، وأحضره إلى الخدمة . فقلده السلطان بلاد الدعوة استقلالاً، وأعطاه طبلخاناه، وعزل نجم الدين [حسن بن الشعرائي] وولده (١٥٢ ب) من نيابة الدعوة؛ وتوجه [صارم الدين] إلى مصياف كرمي بلاد الإسماعيلية [في سابع عشرى [جمادى الآخرة]، وصحبته جماعة [لتقرير أمره] .

- ويقال بل الذي قام في حقّه الملك المنصور صاحب حماة، و [إنه] شفع فيه إلى أن عفى عنه السلطان، وحضر بهدية فأكرمه السلطان؛ وكتب له منشورا بالحصون كلها: وهي قلعة الكهف وقلعة الخواري والمينقة والعليقة والتدموس والرصافة، ليكون نائبا عن السلطان؛ وكتب له بأمره التي كانت بالشام، على أن تكون مصياف وبلادها خاصا للسلطان . وبعث [السلطان] معه نائبا بمصياف، [وهو] الأمير عز الدين العديمي [أحد مفاردة الشام؛ وجرّد معه جماعة من شيزر وغيرها]، فلما وصلوا إلى مصياف امتنع أهلها من تسليمها لصارم الدين، وقالوا: "لا نسلمها إلا لنائب السلطان"، فقال العديمي: "أنا نائب السلطان" . فلما فتحوا الباب هجم صارم الدين عليهم وقتل منهم جماعة، وتسلم الحصن في نصف رجب . فلم يجد نجم الدين وولده بدا من الدخول في الطاعة، فسألا في الحضور فأجيبا، وحضر نجم الدين حسن وعمره تسعون سنة، فرّق له السلطان وولاه النيابة شريكا لصارم الدين بن الرضى، وقدر عليه حمل مائة وعشرين ألف درهم نقرة في كل سنة؛ وتوجه [نجم الدين] وترك ابنه شمس الدين في الخدمة . وتقرر على صارم الدين بن مبارك بن الرضى في كل سنة ألفا دينار، فصارت الإسماعيلية يؤدّون المال بعد ما كانوا يحبون من ملوك الأرض القطائع .

ثم رحل السلطان من حصن الأكراد إلى دمشق، فدخلها في ثامن عشرية . وقدم الخبر بأن الفرنسيين وعدة من ملوك الفرنج قد ركبوا البحر ولا يعلم قصدهم، فاهتم [السلطان]

(١) في س "سابع عشرية" . (٢) ضميرها، ما عدا صارم الدين بن الرضى .

(٣) في س "المينقة" . (٤) في س "التي" .

(٥) المقصود بالفرنسيس ملك فرنسا لويس التاسع (Louis IX)، وكان قد أمّد لتلك السنة حملة أربد بها

أولا معاودة الكرة على الديار المصرية، ثم حوّلت وجهتها إلى تونس حيث انتهت بموته دون أن تحقق أى غرض =



بالنغور والشواني، وسار إلى مصر فدخلها في ثاني شوال . وفيه تمت عمارة الجامع الظاهري بالحسينية خارج القاهرة، فرتب السلطان أوقافه، وجعل خطيبه حنفي المذهب، ووقف عليه حكر ما بقي من الميدان . وفيه بعث [السلطان] عدة رسل بهدايا إلى بلاد الفرنج .

وفي هذه السنة قتل الشريف إدريس بن قتادة بخليص، بعد أن ولي مكة منفردا أربعين يوما، فاستبد ابن أخيه أبو نعي بأمرة مكة وحده . وفيها مات الطواشي جمال الدين محسن الصالحى النجمي، شيخ الخدام بالمسجد النبوي .

وفيها تنكر الخان منكوتمر بن طغان، ملك التتر ببلاد الشمال، على الأشكرى ملك قسطنطينية.<sup>(١)</sup> فبعث [الخان] جيشا من التتر حتى أغاروا على بلاده، وحملوا عز الدين كيقباد بن كيخسرو — وكان عبوسا كما تقدم في قلعة —، وساروا به وبأهله إلى منكوتمر، فأكرمه وزوجه وأقام معه حتى مات في سنة سبع وسبعين . فسار ابنه مسعود بن عز الدين وملك بلاد الروم، كما يأتي ذكره إن شاء الله .

وفيها انقرضت دولة بني عبد المؤمن بقتل الوائق أبي العلاء إدريس — المعروف بأبي دبوس — بن عبد الله بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي، في محرم على يد بني مرين . وبني مرين قبيلة من البربر — يقال لهم حمامة — كان مقامهم قبل تازا، فخرجوا<sup>(٢)</sup> عن طاعة الموحدين بني عبد المؤمن، وتابعوا الغارات حتى ملكوا مدينة فاس، سنة

١٥ صليبي . وقد ذكر المقرئ هذه الحملة استلذا تلوا أخبار الحملة الصليبية التي انتهت بوقعة المنصورة سنة ٦٤٨ هـ، (انظر ص ٣٦٤، سطر ١٠، وما بعده)، ثم أوردنا مرة أخرى تحت سنة ٦٦١ هـ خطأ (انظر ص ٥٠٢، سطر ٨ - ١٠)، ولم يفتن الناشر إلى هذا الخطأ فأوردنا هناك، مجازيا في ذلك ابن أبي الفاضل : كتاب النهج الجديد، ص ١٢١-١٢٢ و (Quatremère : Op. Cit. I. 1.p. 224) .

(١ و ٢) الفقرة الواردة هنا بين الرقین موجودة في ص على هامش ص ١٤٧ ب، وقد كتبها المقرئ هناك خطأ، وأدرك هو ذلك فكتب فوقها "ينقل إلى سنة ثمان وسبعين [وسماتة]"، وهذا خطأ أيضا والصحيح ثمان وستين وسماتة كما هنا . راجع (Enc. Isl. Arts. Kaika'us II, Mangū Timur.) ؛ وانظر أيضا (ص ٤٠٨،

سطر ٢٠) . (٣) في ص "المومنين" .

(٤) في ص "تازه" . (انظر ص ٣٠٠، حاشية ١) .



بضع وثلاثين وستائة : وأول من اشتهر منهم أبو بكر بن عبد الحق بن محيو بن حمادة، ومات سنة ثلاث وخمسين . فملك بعده يعقوب بن عبد الحق ، وقوى أمره وحصر مراکش وبها أبو دبوس ، وملكها وأزال ملك بني عبد المؤمن في أول سنة ثمان وستين هذه ، وملك مراکش .

ومات في هذه السنة من الأعيان قاضي القضاة بدمشق محي الدين أبو الفضل محي بن

محي الدين أبي المعالي محمد بن زكي الدين أبي الحسن علي بن المجدي أبي المعالي محمد بن زكي

الدين أبي الفضل [محي بن<sup>(٢)</sup> علي [بن عبد العزيز العثاني] المعروف بابن الزكي القرشي الأموي

الشافعي ، عن اثنين وسبعين سنة بالقماهرة . وتوفي الوزير صاحب زين الدين أبو يوسف

يعقوب بن عبد الرافع بن بكر بن مالك القرشي الزبيري ، عن اثنين وثمانين سنة بالقاهرة ،

بعد عزله ومحنته ، وله شعر جيد . وتوفي زين الدين أبو العباس أحمد بن عبد الدائم بن نعمة

المقدسي الحنبلي ، وقد انتهى إليه علو الإسناد ، عن ثلاث وتسعين سنة بدمشق . وتوفي

الولي العارف داود الأعزب بناحية تفهنا<sup>(٣)</sup> ، في ليلة الجمعة سابع عشر جمادى الآخرة ، وبها

دفن ، وقبره مشهور بتبرك الناس بزيارته ، ومناقبه كثيرة وكراماته شهيرة قد جمعت في مجلد .

وتوفي الولي العارف تقي الدين أبو المكارم عبد السلام بن سلطان بن ...<sup>(٤)</sup> ... المساجري من

هواره ، في يوم الأحد ثامن ذي الحجة ، بناحية قلب<sup>(٥)</sup> ، وله كرامات كثيرة . وأخذ الطريق

(١) كذا في س ، والمعروف أن بن مرين ملكوا مدينة فاس لأول مرة سنة ٥٦٤٦ ، (١٢٤٨ م) . انظر

Enc. Isl. Arts. Fās, Marinids ؛ القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ١٩٦ .

(٢) أضيف ما بين الأقواس من النويري (نهاية الأرب ، ج ٢٨ ، ص ٥٢) ، حيث ورد أن وفاة قاضي

القضاة هذا كانت بفسطاط مصر في رابع عشر شهر رجب من هذه السنة ، وأنه دفن بالقراة ، وأن مولده كان بدمشق في ليلة الجمعة الخامس والعشرين من شعبان سنة ست وتسعين وخمسة .

(٣) بفسر ضبط في س ، وهي قرية بمركز فزا من مديرية الغربية ، وتقع على طريق السكة الحديدية بين بنها

وزقي ، ونسى أيضا تفهنا العزب . (مبارك : الخطط التوضيحية ، ج ١٠ ، ص ٣٩ ، وما بعدها) .

(٤) بياض في س .

(٥) في س "قلب" ، وقد ترجم (Quatremère: Op. Cit. I. 2. p. 82) هذا اللفظ إلى (Kalib)

و (Kalioub) مع التشكك .



عن الشيخ أبي الفتح الواسطي عن الشيخ أحمد بن أبي الحسن الرفاعي ، وقبره يُزار بقليب  
ويتبرك به .

\*\*\*

سنة تسع وستين وثمانئة . في المحرم ورد كتاب يسو نوغاي قريب الملك بركة ملك  
التتار، وهو أكبر مقدمي جيوشه، يخبر فيه أنه دخل في دين الإسلام، فأجيب بالشكر والثناء  
عليه . وفيه (١١٥٢) ورد الخبر بمسير الفرنسيين<sup>(١)</sup> وملوك الفرنج إلى تونس ومحاربة أهلها ،  
فكتب السلطان إلى صاحب تونس بوصول العساكر إليه نجدة له على الفرنج ، وكتب إلى  
عربان برقة وبلاد الغرب بالمسير إلى نجدته ، وأمرهم حفر الآبار في الطرقات برسم العساكر ،  
وشرع في تجريد العساكر . فورد الخبر بموت الفرنسيين وابنه وجماعة من عسكره، ووصول  
نجدات العربان<sup>(٢)</sup> إلى تونس وحفر الآبار، وأن الفرنج رحلوا عن تونس في خامس صفر .

وفي سابعه توجه السلطان إلى عسقلان، لهدم ما بقي منها خوفا من مجيء الفرنج إليها،  
فقتل عليها وهدم بنفسه ما تأخر من قلعتها وأسوار المدينة حتى سوى بها الأرض ، وعاد إلى  
قلعة الجبل في ثامن ربيع الأول . وفي حادي عشره هلك الملك المجير هيتوم بن قنسطنطين<sup>(٣)</sup>  
متملك ميس .

وفي عاشر جمادى الآخرة سار السلطان من القاهرة — ومعه ابنه الملك السعيد — إلى  
الشام، فدخل دمشق في ثامن رجب ، وخرج إلى طرابلس فقتل وأسر . واتصلت الغارات  
إلى صافيتا، وتسلم [السلطان] صافيتا بن الفرنج [الديوية] وأنزلهم منها، وعدتهم سبعمائة رجل  
سوى النساء والأطفال ، وتسلم الحصون والأبراج المجاورة لحصن الأكراد [مثل تل  
خليفة وغيره] .

(١) انظر ص ٥٨٧، حاشية ٥ .

(٢) في "العرب" . (٣) في س "هيتوم" .

(٤) أضيف ما بين الأقواس بهذا الفقرة من النويري (نهاية الأرب، ج ٢٨، ص ١٠٠)، حيث توجد

في هذا العدد تفصيلات كثيرة .



وفي تاسع<sup>(١)</sup> [رجب] نازل السلطان حصن الأكراد، وقدم عليه صاحب حماة، وصاحب صهيون، وصاحب دعوة الإسماعيلية صاحب نجم الدين. وفي آخره نصب [السلطان] عدة مجانيق على الحصن، إلى أن أخذ القلعة عنوة في سادس عشر شعبان<sup>(٢)</sup>. فطلب أهلها الأمان فآمنهم [السلطان] على أن يتوجهوا إلى بلادهم، فخرج الفرنج منها في رابع عشرية. ورتب [السلطان] الأمير صارم الدين الكافري نائبا بحصن الأكراد، وأمر بعمارة<sup>(٣)</sup>.

وبعث صاحب أنطرسوس - [وهو مقدم بيت الداوية<sup>(٤)</sup>] - يطلب الصلح [من السلطان]، فصالح على أنطرسوس خاصة، خارجا عن صافيتا وبلادها. واسترجع [السلطان] منهم<sup>(٥)</sup> جميع ما أخذوه في الأيام الناصرية، وعلى أن جميع ما لهم من المناصقات والحقوق على بلاد الإسلام يتركونه، وعلى أن تكون بلاد المرقب ووجوه أمواله ماصفة بين السلطان وبين

(١) في س "تاسع"، وقد أضيف ما بين القوسين من النورى (نهاية الأرب، ج ٢٨، ص ١٠١).

(٢) في س "عشره". وفوقها إشارة إلى لفظ "شعبان" بهامش الصفحة، وهو بخط المتن، وواضح من هذا

أن المقرئى أضاف الشهر ونفى حذف الهاء. انظر النورى (نهاية الأرب، ج ٢٨، ص ١٠١).

(٣) كتب السلطان بيبرس بعد تسليم الحصن إلى رئيس فرسان الإسماعيلية، وهو صاحب حصن الأكراد، خطابا أورده العيني (عقد الجمان، ص ٢٣٧ - ٢٣٨، في Rec. Hist. Or. II. 1)، وهذا نصه "إلى إفرير (frère) أول جعله الله من لا يعترض على القدر، ولا يعاند من سخر بلبشه النصر والفقر، ولا يعتد أنه ينهى من أمر الله بالقدر، ولا يحى من (٢٣٨) محجور البناء ولا مبنى الحجر. فله بما سئل الله من فتح حصن الأكراد الذى حصنه وربته وخطبه، وكنت الموفق لو أخليه. وتكلفت في حفظه على إخوتك فاقهوك، وضيعتهم بالإقامة فيه فضيموه وضيعوك. وما كانت هذه المساكن تنزل على حصن ويين، أو يخدم سعيدا ويشق". هذا وفي الجملة الأخيرة من هذا الكتاب تورية، فإن المقصود بلفظ "سعيدا" هنا ابن السلطان بيبرس وول عهده، وهو الذى حاصر الحصن فعلا. (نفس المراجع، ص ٢٣٨). أما رئيس هيئة الفرسان الإسماعيلية تلك السنة فهو (Hugh Revel)، انظر (King: The Knights Hospitallers In The Holy Land. p. 271).

(٤) أضيف ما بين القوسين بعد مراجعة العيني (عقد الجمان، ص ٢٣٨، في Rec. Hist. Or. II. 1).

وكذلك (Stevenson: Crusaders In The East p. 343).

(٥) الضمير هنا عائد على الداوية والإسماعيلية معا. انظر (Stevenson: Op. Cit. p. 343) وكذلك

ما يلى، ص ٥٩٥، حاشية ١. هذا وعبارة المقرئى هنا مشابهة في الفاظها وترتيبها لما يقابلها في العيني (عقد

الجمان، ص ٢٣٨، في Rec. Hist. Or. II. 1).



الإسبتار، وعلى ألا تجدد عمارة في المرقب . فتم الصلح ، وأخلى الفرنج عدة حصون تسلمها السلطان .

وفي سابع عشر رمضان نازل السلطان حصن عكا<sup>(١)</sup> ونصب عليه المنجانيق ، [وجد أهله<sup>(٢)</sup> في المناضلة] [١٥٣ ب] وقتلهم [السلطان قتالا شديدا] ، فقتل الأمير ركن الدين منكورس الدواداري وهو يصلي في خيمته بحجر منجنيق أصابه . ولما كان في تاسع عشره سأل الفرنج الأمان ، ورفعت السناجق السلطانية على الأبراج ، وخرجوا منه في سلخه . وعيد السلطان بالحصن ، ورحل إلى مخيمه بالمرج ، وكتب إلى مملك طرابلس يحذره وينذره<sup>(٣)</sup> .

وفي رابع شوال ركب للسلطان بجميع عساكره جريدة من غير نقل يريد طرابلس ، وساق [إليها] . فبينما هو عازم [على ذلك] ، إذ ورد عليه الخبر بأن ملك الإنكشار<sup>(٤)</sup> وصل إلى عكا في أواخر رمضان ، بثلاثمائة فارس وثمانى بطس وشوانى ومراكب تكلمة ثلاثين مراكبا ، غير ما سبقه صحبة أستاذاره<sup>(٥)</sup> ، وأنه يقصد الحج إلى القدس . فغير [السلطان] عزمه ونزل قريبا من

(١) بنير ضبط في س ، وهو حصن مبنى على جبل يسمى بنفس الاسم ، وموقعه شمالي طرابلس . انظر (Lo Strange: Palest. Under Moslems. pp. 80, 390) . ويسمى هذا الحصن أيضا باسم حصن ابن عكار ، وقد أورد النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٨ ، ص ١٠٢ — ١٠٣) أن قيام صاحب طرابلس حديثا بعمارة كان السبب في إغارة السلطان ببرس عليه وأخذه .

(٢) أضيف ما بين الأقواس بعد مراجعة المبنى (عقد الجمان ، ص ٢٣٨ ، في ١. Rec. Hist. Or. II) .  
(٣) أورد النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٨ ، ص ١٠٣) نص كتاب التحذير والإنذار الذى أرسله السلطان ببرس إلى صاحب طرابلس بعد الاستيلاء على حصن عكار ، وهو منقول من هذا المرجع في ملحق رقم ٤ بآخر هذا الجزء من كتاب السلوك .

(٤) في س "الانكشار" ، والصيغة المثبتة هنا بالمرس أقرب إلى الاسم الأصل (Angleterre) ، وهى الإدارة في مؤلفات المؤرخين المسلمين زمن الحروب الصليبية . (انظر ص ٣٦٤ ، حاشية ٥) . هذا و"ملك الانكشار" الذى وصل عكا تلك السنة هو الأمير (Edward) الذى صار فيما بعد ملكا على إنجلترا باسم (Edward I) ، وكان هذا الأمير قد انضم للحملة الصليبية التى توجهت إلى تونس ، وقد وصل إلى شواطئ تونس بعد وفاة (Louis IX) ملك فرنسا ، وبعد إتمامه اخذته بين الصليبيين وملك تونس . ولم يعجب الأمير الإنجليزى اختتام الحملة الصليبية على السواحل التى انتهت إليه ، فانصرف إلى الشام ووصل عكا كما سبق . (King: The Knights Hospitallers. In The Holy Land. p. 268) .

(٥) كان برقة الأمير الإنجليزى أخوه (Prince Edmund) وأبنا (Count of Brittany) ، ولعل الثانى هو الذى كان يملأ الوظيفة المذكورة هنا . انظر (King : Op. Cit. p. 268) .



- طرابلس ، وبعث اليهم الأتابك والأمير الدوادار فاجتمعوا بصاحبها ، وجرت أمور آخرها  
أنهم سألوا السلطان الصالح فكتبت الهدنة لمدة عشر سنين ؛ وجهز الأمير نحر الدين ابن جليان ،  
والقاضي شمس الدين الإخنائي<sup>(١)</sup> شاهد الخزانة ، بثلاثة آلاف دينار مصرية لفكك الأسرى . وعاد  
السلطان إلى مخيمه ، وسار إلى حصن الأكراد فدير أمر عمارته ؛ ورتب أحوال تلك الجهات .
- وفي حادى عشره استولى السلطان على حصن العليقة من حصون الإسماعيلية ، واستخدم  
به الرجال . ورحل إلى دمشق فدخلها للنصف منه ، ورحل منها في رابع عشرية ، فقل  
صفد وحمل منها المجانيق إلى القرين<sup>(٢)</sup> ، وساق اليه ونأزله حتى أخذه في ثانی ذی القعدة .  
وركب منه فما أصبح إلا على أبواب عكا مطبعا ، فما تحرك أحد من الفرنج ، فعاد إلى مخيمه  
بالقرين ، وهدم القلعة في رابع عشرى ذی القعدة ؛ ورحل منه إلى قريب عكا ، ونزل الجون<sup>(٣)</sup> .
- وكان [ السلطان ] قد كتب إلى مصر بتسفير الشوانى لقصد قبرس ، فسارت في شوال<sup>(٤)</sup>  
حتى قاربت قبرس ، فانكسرت كلها . وشعر بهم أهل قبرس فأمروا جميع من كان فيها من  
الرجال ، وبعث صاحب قبرس كتابا إلى السلطان يقزعه فيه بأن شوانى مصر — وهى أحد
- (١) الضمير هنا عائد مل أهل طرابلس وصاحبها . انظر النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٨ ، ص ١٠٣) .
- (٢) فى من "الإخنائي" ، ولعل النسبة الى إخناس ، وهى حيا جاء فى باقوت (معجم البلدان ، ج ١ ، ص ١٦٦)
- مدينة قديمة قرب الإسكندرية .
- (٣) بنير ضبط فى من ، وهو حصن فى أرض مطبا قرب صفد ، (Le Strange: Palest. Under Moslems. p. 495 واسمه فى الحوليات العلية (Montfort) أو (Starkenbourg) ، وكان المركز الرئيسى لمبة  
الفرسان التيونون (Tentonic Knights) فى الشرق . انظر (King: The Knights Hospitallers In The Holy Land. p. 271) .
- (٤) بنير ضبط فى من ، ويوجد بالشام وفلسطين أكثر من بلد بهذا الاسم ، (Le Strange: Palest. Under Moslems. Index) والمتصود هنا بلد بالأردن ، بينه وبين طبرية عشرون ميلا ، ويبعد عن الرملة أربعين ميلا .
- (باقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٣٥١) .
- (٥) أصل مشروع غزو قبرس ، حيا جاء فى العيني (عقد الجمان ، ص ٢٣٩ ، وما بعدها ، فى Rec. Hist. Or. II. 1.) أنه بلغ السلطان وهو مخيم على حصن الأكراد (انظر ص ٥٩١ ، سطر ١) أن صاحب جزيرة قبرس كان  
قد ركب بجيشه الى عكا لمجدة لأهلها ، فأراد السلطان أن يفتن هذه القرعة ، فبعث جيشا كثيفا فى ستة عشر شينا  
لأخذوا جزيرة قبرس فى غية صاحبها . انظر أيضا ابن أبى الفضائل (كتاب التهجديد ، ص ١٩٧ ، وما بعدها) .



عشر شينا - خرجت إلى قبرص فكسرها الريح، وأخذتها [وأسرت من فيها] <sup>(١)</sup>. فلما قرأه السلطان قال: "الحمد لله! منذ ملكني الله تعالى الملك ما أخذت لي راية، وكنت أخاف من إصابة عين، فهذا ولا غيره" وكتب إلى القاهرة بإنشاء عشرين شينا، وإحضار خمس شواني كانت بقوص <sup>(٢)</sup>، وكتب إلى قبرص جوابا أرعد فيه وأبرق <sup>(٣)</sup>.

(١) أضيف ما بين القوسين من النويري (نهاية الأرب، ج ٢٨، ص ٥٥).

(٢) في ص "بعوص" - انظر النويري (نهاية الأرب، ج ٢٨، ص ٥٥).

(٣) يوجد في المبنى (عقد الجمان، ص ٢٤٠، وما بعدها، في Rec. Hist. Or. II. 1) رواية مفصلة لما حدث في هذا الصدد، ونصها: "فلما وصلت [الشواني] إلى مرمى القنطرة (Limassol) تحت قبرص جنتها الليل، وتقدم الشبي الأول داحلا على أنه يفقد المياه، فصادف الشاب في الظلماء وكسر، وتبعه الشواني واحدا فواحدا ولم يعلم بما أصابه، فانكسروا في دبح الليل جميعا، وأسرهم أهل قبرص. وكان ابن حصون المقدم قد أشار برأى نظير (في الأصل نظير) - اسم مه، وهو أن يعل [الشواني] بالقدرة، ويعمل عليها لعلها يشبه على الفرع بشوانيم، فترك من مؤانيم (مصبوحة هكذا)، فافتضى نظير (في الأصل نظير) شعورها ما أراد الله من انكسارها. وورد كتاب صاحب قبرص إلى السلطان، يخبر بأن شواني مصر وصلت إلى قبرص، وكسرها الريح وأخذتها (كذا) وهي أحد عشر شينا. فأمر [السلطان] بأن يكتب إليه جوابه، فكتب إليه هذه المكاتبة:

إلى حضرة الملك أولك، ذكر يبال (كذا، انظر حاشية ١ بالأصل) جعله الله من يوفى الحق لأهله، ولا يفخر بنصر إلا إذا أتى قبله أو بعده (٢٤١) بخير منه أو مثله. فقله أن الله إذا أسعد إنسانا دفع عنه الكثير من قضاءه باليسير، وأحسن له بالتدبير فيما جرت به المقادير. وقد كنت عزفت أن الهوى (كذا) كسرعة من شوانينا، وصار بذلك ينجح وبه يفرح. ونحن الآن نبشره بفتح القرين، وأمين البشارة بتملك القرين من البشارة بما كفى الله ملكة من العين. وما العجب أن يفخر بالاستيلاء على حديد، وغشب الاستيلاء على الحصون الحصينة هو العجب. وقد قال وقتنا، وعلم الله أن قولنا هو الصحيح، وانكل وانكلنا، وليس من انكل مل الله وسيفه كن انكل على الريح. وما النصر بالهواء مليح، إنما النصر بالسيف هو الملبح. ونحن نشئ في يوم واحد عدة قطايح، ولا ينشئ (كذا) لكم من حصن قلعة؛ ونجهز مائة قلع، ولا تجهز لكم في مائة عام قلعة. وكل من أعلى مقداما قذف (كذا)، وما كل من أعلى سيفا أحسن الضرب به أو غرق (كذا، ولعلها عرف). وإن عدت من بحرية المراكب آحادا فعدنا من بحرية المراكب ألوف، وأين الذين يطعنون بالمقاديف في صدر البحر من الذين يطعنون بالرماح في صدر الصفوف، وأتم خيولكم المراكب ونحن مراكبنا الخيول، وفرق بين من يجريها كالبحار ومن يقف به في الوصول، وفرق بين من يتصيد على الصفوف من الخيل العراب (كذا)، وبين من إذا (٢٤٢) افتخر قال تصيدت بفراب. فلئن كنتم أخذتم لنا قرية مكسورة، فكم أخذنا لكم من قرية معمورة؛ وإن استوليت على سكان، فكم أحلينا بلادكم من سكان؛ وكما كتبنا، فبى أينا أعظم، ولو أن في الملك سكوة كان الواجب عليه أنه سكت وما نكتم. انظر أيضا (ابن أبي نمطاش: كتاب التهج السديد، ص ١٩٩ - ٢٠٠؛ النويري: نهاية الأرب، ج ٢٨، ص ٥٥ - ٥٦).



وقد مت رسل صاحب صور<sup>(١)</sup> (١١٥٤) تطلب الصالح ، فوقع الاتفاق على أن يكون للفرنج من بلاد صور عشرة بلاد فقط ، ويكون للسلطان خمسة بلاد يختارها ، وبقية البلاد تكون مناصفة ، ووقع الحلف على ذلك .

- وسار السلطان إلى القاهرة ، ودخل قلعة الجبل في ثانی عشر ذی الحجة ، فبلغه أن الشهرزورية قد عزموا على سلطنة الملك العزيز عثمان بن صاحب الكرك الملك المغيث عمر بن العادل أبي بكر بن الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب ، وكان السلطان قد جعله أحد<sup>(٢)</sup> أمراء مصر . فقبض عليه وعلى عدة أمراء منهم الأمير بهاء الدين يعقوب<sup>(٣)</sup> ، وقبض أيضا على عدة<sup>(٤)</sup> أمراء كانوا قد اتفقوا على قتله وهو بالشقيف : منهم الأمير علم الدين سنجر الحلي ، والأمير أفوش المحمدي ، والأمير أيدغدي الحاجبي ، والأمير إغان سم الموت ، والأمير مستقر المساح ، والأمير بيدغان الركني ، والأمير طرطع الأمدی ، وبجنهم بقلعة الجبل .

- و [ فيه ] جهز [ السلطان ] الأمير آقستقر الفارقاني بعسكر إلى الشام . وفيه وردت هدية صاحب اليمن ، وفيها تحف ودب أسود وفيل . وفيه أكثر السلطان من الركوب إلى مصر لمباشرة عمل الشواني ، حتى كملت ضعفى ما انكسر . وفي سابع عشر يه أمر [ السلطان ] بإهراق الخمر ، وأبطل ضمانها وكان في كل سنة ألف دينار ، وكتب بذلك توقيعا قرئ على المنابر . وفيه خلع السلطان بالميدان ، وفترق على ألف وسبعائة شخص أنمان خيل ، وفترق ألفا وثمانائة فرس ، كل ذلك وهو جالس حتى فرغ . وفيه لازم [ السلطان ] الصناعة بمصر

(١) كان صاحب صور تلك السنة (John de Montfort) ، ولاحظ أن السلطان كان قد عقد هدنة في السنة

ثمانية مع كل من هبتى الإسماعيل والدواية . (King: The Knights Hospitallers In the Holy Land .

• p. 272)

(٢) انظر ص ٤٩٣ ، سطر ٢ .

(٣) كذا في م ، وفي التويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٨ ، ص ٥٤) .

(٤) الضمير هنا عائد على السلطان بيبرس . انظر التويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٨ ، ص ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٦) ، حيث

توجد تفصيلات وافية في صدد كل هذه الحوادث .



عدة أيام لرمي الشباب . و [ فيه ] ورد الخبر بأن الفرنج أعاروا على جهة الشاغور ، وأخذوا غلة ونهبوا وأحرقوا غلالا .

وفيها عزل شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان عن قضاء الشافعية بدمشق ، وأعيد عز الدين أبو المفاجر محمد بن عبد القادر بن عبد الباقي بن خليل بن مقلد بن جابر ، الشهير بابن الصائغ . وفيها وصل سيل عظيم إلى دمشق ، فأخذ كثيرا من الناس والدواب ، وقلع الأشجار وردم الأنهار ، ونحرب الدور وارتفع حتى نزل مراعى السور ، وذلك زمن الصيف . وفيها ولى قضاء المالكية بمصر نفيس الدين أبو البركات محمد بن المخلص ضياء الدين أبي الفخر هبة الله بن كمال الدين أبي السعادات أحمد بن شكر المالكي . ولم يحج [ أحد ] في هذا العام من مصر ، لا في البر ولا في البحر . وهجم مكة سيل عظيم في شعبان حتى دخل الكعبة .

[ ومات في هذه السنة من الأعيان الأمير علم ] الدين سنجر الصيرفي ، في سادس صفر بدمشق . وتوفي قاضى القضاة المالكي شرف الدين عمر بن عبد الله بن صالح بن عيسى بن عبد الملك بن موسى بن خالد بن علي بن عمر بن عبد الله بن إدريس بن إدريس بن الحسن ابن الحسن بن علي بن أبي طالب السبكي ، في ليلة الخامس والعشرين من ذى القعدة ، عن أربع وثمانين سنة . وولى بعده قضاء المالكية بالقاهرة نفيس الدين أبو البركات محمد بن القاضي المخلص ضياء الدين هبة الله أبو الفخر بن كمال الدين أبي السعادات أحمد بن شكر .

(١) كان فرنج عكاهم الدين قاموا ببلده الإغارة ، وقد حفزم إلى تلك الحركة وغيرها غياب السلطان بيبرس في مصر .

(Stevenson: Crusaders In The East, p. 344).

(٢) الوفيات التالية واردة على ورقة مفصلة بين الصفحتين ١٥٣ ب ، ١٥٤ أ في س . والسطر الأول منها — وهو الوارد هنا بين القوسين — محبوب بين ملحق الصفحتين ، لكنه في ب ( ١٨١ ب ) . هذا وليس تمت شك في وقوع هذه الوفيات تلك السنة ، انظر (النويرى : نهاية الأرب ، ج ٢٨ ، ص ٥٦ — ٥٧ : ابن العماد : شذرات الذهب ، ج ٥ ، ص ٣٢٨ — ٣٣١) .

(٣) المقطع الثانى من هذا اللفظ محبوب في س ، وكذلك كلمة سنة ، للسبب المذكور بالحاشية السابقة ، ولكنهما في ب ( نفس الصفحة ) . انظر أيضا النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٨ ، ص ٥٦ — ٥٧) .



- وتوفى الشريف إدريس بن علي بن قتادة بن إدريس الحسني أمير مكة ، قتيلا بظاهر مكة ؛ فانفرد بعده أبو نمي بن أبي سعد . وتوفى قاضي حمة شمس الدين أبو الظاهر إبراهيم بن المسلم ابن حبة الله بن حسان بن محمد بن منصور البارزي الجهنني الحموي الشافعي ، عن تسع وثمانين سنة بحجة . وتوفى الأديب تاج الدين أبو المكارم محمد بن عبد المنعم بن نصر الله بن جعفر ابن شقير المغربي الحنفي بدمشق ، عن ثلاث وستين سنة . وتوفى قطب الدين أبو محمد عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر بن سبعين المرسى الصوفي بمكة ، عن نحو خمسين سنة .

♦ ♦ ♦

- سنة سبعين وثمانية . أهلت والسلطان متشدد في إراقة الخمر وإزالة المنكرات ، فكان لذلك يوما مشهودا . وفيه أفرج [السلطان] عن الأمير سيف الدين بيدغان الركني ، وأعطاه إقطاعا بالشام . ثم أحضره بعد قليل ، هو وسيف الدين ملاجا الركني ، واشتراهما ورتبها سلاح دارية . ( ١٥٤ ب ) وورد الخبر باختلاف الحال بين عيسى بن مهنا وبين العربان ،

(١) توجد في ابن العاد (شذرات الذهب، ج ٥، ص ٢٢٩ — ٢٣٠) ترجمة طويلة لابن سبعين هذا، وهو الفيلسوف المعروف، وكانت بينه وبين الإمبراطور فردريك الثاني مراسلات فلسفية مشهورة . انظر (Iano-Poole : A Hist. Of Egypt. p. 226) .

(٢) أورد النويري (نهاية الأرب، ج ٢٨، ص ٥٦ — ٥٧)، ضمن وفيات هذه السنة، وفاة طليل من أبناء البيت الأيوبي اسمه الملك الأحمدي بن الدين عباس ، ونصه : " وفيها كانت وفاة الملك الأحمدي بن الدين أبي الفضائل عباس بن السلطان العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب ، وهو آخر من مات من أولاد الملك العادل . وكان محترما عند الملوك الأيوبيين ، معظما عند السلطان الملك الناصر ، لا يرتفع عليه أحد في المجلس ولا الموكب . وكان رحمه الله تعالى دمث الأخلاق ممحكا كريما عاقلا حازما ، وكانت وفاته بدمشق في يوم الجمعة ثاني عشر جمادى الآخرة (٥٧) ، ودفن بسفح قاصيون ، وليس له عقب " .

(٣) كذا في ص ، وقد ترجم (Quatremère : Op. Cit I. 2. p. 92) هذه العبارة إلى (il les acheta tous deux, et leur donna le rang de Silah-dâr) ، وهذا لا يخرج عن المدلول الحرفي المقهوم . إنما الغريب هنا أن " يشتري " السلطان أميرين من أمراء أملاك كل منهما رقبان ، إذ المعروف في تاريخ الدولة المملوكية أن أملاك كانوا يعتقون صفارا ، وأنهم كانوا لا يصلون إلى رتبة الإمارة — كأربع خمسة أو عشرة أو خمسين أو مائة — أرا أكثر — إلا بعد تحريرهم وتنقلهم في الوظائف والولايات والنبابات بمصر والشام .



وأنه يريد التوجه إلى التتار . نخشى السلطان أنه إن امتدعاهم لا يحضروا ، وإن توجه إلى الشام تسحبوا ، فكنتم أمره .

ونزل [السلطان] إلى الميدان في سابعه . وفترق في خواصه مبلغ أربعمائة ألف درهم نقرة ، واثني عشر ألف دينار عينا . ونيفا وستين حياصة . وأمر بتجهيز العساكر إلى عكا بعد الربيع ، ولأزم التزول إلى الصنعة في كل يوم حتى تنجزت الشواني . ونزل الأمير آقستقر الفارقاني بمن معه من العسكر على جينين .

فلما كان ليلة السابع عشر منه توجه السلطان بعد المغرب ، ومعه جماعة يسيرة من خواصه ، وأخفى حركته . ورسم بأن أحدا من المجردين معه لا يشتري علفا ولا ما كولا ، وقرر لهم ما يحتاجون إليه . وسار إلى الزعقة<sup>(١)</sup> ، ثم عرج منها في البرية إلى الكرك ، ودخلها من غير أن يعلم به أحد في سادس صفر ، ونزل بقلعتها . وقرر [السلطان] في نيابة الكرك علاء الدين أيديكين الفخري ، ونقل الأمير عز الدين أيدير نائب الكرك إلى نيابة الشام . ولم يظهر [السلطان] ذلك حتى تسلم أيديكين نيابة الكرك في ثامنه ، واستدعى عز الدين أيدير وأفهمه أنه طلبه لنيابة حصن الأكراد .

وسار [السلطان] إلى دمشق ، فدخلها في ثالث عشره من غير أن يعلم أحد بحضوره ، وكان قبل دخوله إلى دمشق قد كتب القاضي فتح الدين بن عبد الظاهر بين يديه ثمانين كتابا في يوم وليلة ، إلى النواب والأمراء : بتفويض نيابة الشام لعز الدين أيدير الظاهري ، عوضا عن أقوش النجبي . وسير [السلطان] تشريفا للنجبي نائب دمشق ، وأمره أن يتوجه إلى مصر ويسلم الأمر لعز الدين أيدير ، فاعتمد ذلك .

وأنفق السلطان فيمن خرج معه مالا وأفرا<sup>(٢)</sup> وخيولا ، وركب بهم في ليلة السادس عشر منه ،

(١) بنير ضبط في س ، وهي بلدة رافعة قرب الحدود بين مصر والشام ، يمزجها القاصد من مصر إلى الكرك

(G. - Demombynes : La Syrie. p. 6. n. 2).

(٢) في س "وفرا" ، والصيغة الواردة هنا من ب (١٨٥ ب) .



ونزل خارج حماة بالجوسق<sup>(١)</sup>، ونزل صاحب حماة في خيمة . ورتب السلطان أستاذاراً وأمير جاندار وحاشية السلطنة، فإنه كان [قد] خرج من مصر جريدة<sup>(٢)</sup>، وقام له صاحب حماة بالأممطة . وقدم عليه [وهو بنجاة] جماعة من أكابر العرب فأكرمهم، وكتب عنهم أمره [وما أظهر لهم شيئاً]، وكتب إلى عيسى بن مهنا يطلب منه خيولاً يعينها له ليطمئنه، وكتب إليه : "إنك بعثت وأنا بمصر تطلب الحضور، فكتبْتُ إليك لا تحضر حتى أطلبك، وقد حضرتُ إلى حماة فإن أردتَ الحضور فاحضر". فحضر [عيسى] وسأله السلطان عما نقل عنه، فقال : "نعم ! والصدق أنجى من الكذب"، فأحسن [السلطان] إليه وإلى أكابر (١١٥٥) العرب .

وفي سادس عشرية قدم شمس الدين بن نجم الدين صاحب الدعوة الإسماعيلية، فقبض عليه وعلى أصحابه وسيروا إلى مصر، واستمرت مضايقة حصونهم حتى تسلم نواب السلطان حصن الخواري وحصن العليقة .

١٠

وفي أول شهر ربيع الأول ركب السلطان من ظاهر حماة بعد عشاء الانخرة، من غير أن يعلم أحد قصده، وسار على طريق حلب . ثم عرج من شيزر وأصبح على حصص، وتوجه إلى حصن الأكراد وحصن عكار وكشف أمورهما . وسار إلى دمشق، وكتب إلى مصر كتاباً يقول فيه لأكابر الأمراء : "ولدكم"، ولبقيتهم : "أخوكم ووالدكم يسلم عليكم ويتشوق إليكم، وإيناره ألا يفارقكم . وإنما قدمنا راحتم على راحتنا، فطالما تعبوا واسترحنا . ونعلمهم بالمتجددات ليكونوا لها كالمشاهدين، وكشاركين في أكثر المجاهدين : فمنها حديث الإسماعيلية وحديث العربان، وقد ورد الخبر بحركة التتار، ولو عدنا لخفلت أهل البلاد . وأما الفرنج

١٥

(١) الجوسق معرب القبط الدرمي كوسك . ومعناه قصر، ويجمع على جواسق، وينبغي في الشعر مجموعاً على جواسق أيضاً . (محيط المحيط) .

(٢) في ص "استادار" . (٣) في ص "واقام" .

(٤) أضيف ما بين الأقواس بهذه الفقرة من النويري (نهاية الأرب، ج ٢٨، ص ٥٧ - ٥٨)، حيث توجد تفصيلات كثيرة في هذا الصدد .

(٥) الإشارة هنا إلى إغارة التتر على میناب وعمق الحارم، وكان السلطان حين ذاك مقبلاً بدمشق . (أبو الفداء المختصر في أخبار البشر، ص ١٥٤ في . Rec. Hist. Or. I) .



فعملوا سلام من حديد<sup>(١)</sup>، وعزموا على مهاجمة صفد ووردوا بيروت<sup>(٢)</sup> فلما وصلنا البلاد انعكست  
آمالهم . ومما يدل على اتهمكين تارة بالسيف وتارة بالسكين ، أن صاحب مرقية<sup>(٣)</sup> الذي أخذنا  
بلادته توجه إلى التار مستصرخا ، وسيرنا وراءه فداوية ، وقد وصل أحدهم وذكر أنهم قد قفزوا  
عليه وقتلوه . وبلغتنا حركة التار . وأنا والله لا أبيت إلا وخيلي مشدودة ، وأنا لابس قماشي  
حتى المهاز .

وورد الخبر بأن التار أغاروا على عين ناب ، وتوجهوا على العمق في نصف ربيع الأول ،  
فكُتِب إلى مصر بتجريد الأمير بيسرى بثلاثة آلاف فارس . وخرج البريد من دمشق في الثالثة  
من يوم الأحد ثامن عشره ، فدخل القاهرة الثالثة من ليلة الأربعاء حادي عشره ، فخرج بيسرى  
والعسكر بكرة يوم الأربعاء المذكور . وقدم التار إلى حارم وقتلوا جماعة ، وتأنر العسكر الحلبي  
إلى حماة ، ووصل آفسنقر بالعسكر من جينين . بخفل أهل دمشق ، وبلغ ثمن الجمل ألف درهم ،  
وأجرته إلى مصر مائتي درهم . ودخل الأمير بيسرى بالعسكر المصري إلى دمشق في رابع  
ربيع الآخر ، فخرج السلطان بالمساكر إلى حلب ، وجرّد الأمير آفسنقر ومعه عدة من العربان  
إلى مرعش ، وجرّد الحاج طبرس الوزيري والأمير عيسى بن ( ١٥٥ ب ) مهنا إلى حران  
والزها . فوصل العسكر إلى حران وقتل من بها من التار ، وهزم باقيهم .

فورد الخبر بأن الفرنج قد أغاروا على قاقون بمواعدة التار ، وقتل الأمير حسام الدين  
أستادار ، وجرح الأمير ركن الدين الجاني ، ورحل يحمكا العلائي وإلى قاقون . فخرج السلطان  
من حلب ، ومنع أحدا أن يتقدم حتى لا يعلم الفرنج خبره ، ودخل إلى دمشق وبين يديه  
عدة من التار المأسورين من حران . وسار الأمير أقوش الشمسي بعسكر عين جالوت ، فولى

(١) في س "حرير" والصيغة المثبتة بالمتن منقولة من ب (١٨٠ ب) .

(٢) في س "وردوا بيروت" ، وهي في ب (١٨٠ ب) "وردوا بيروت" ، ولم يستطع (Quatremère : Op.  
Cit. I. 2. p. 100) أن يجد لها معنى أو اسما جغرافيا معقولا ، فنقلها في ترجمته بحروفها العربية .

(٣) بغير ضبط في س ، وهي قلعة بساحل الشام قرب حمص . ( ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٥٠١ ) .

(٤) المقصود هنا عن الحارم . انظر العيني (عقد الجمان ، ص ٢٤٥ ، في Rec. Hist.Or. II. 1) .



الفرنج منهزمين من قاقون، وتبعهم العسكر فاسترجعوا منهم عدة من التركمان، وقتلوا كثيرا حتى أنه عُد ما تلف من خيل الفرنج وبغالهم فكان خمسمائة رأس.

ونخرج السلطان من دمشق في ثالث جمادى الأولى، ومعه عساكر مصر والشام للغارة على عكا. فتكاثرت الأمطار عليه في مرج برغوث، وزاد الأمر عن الوصف، فكاد الناس يهلكون لعدم ما يستظلون به. فزدد [السلطان] عسكر الشام وسار إلى مصر، فدخل قلعة الجبل في ثالث عشره.

وقدمت هدية صاحب تونس، وفي مكاتبه تفصير في المخاطبة، ففرقت هديته على الأمراء، وكتب إليه بالإلكار عليه في التظاهر بالمنكرات واستخدام الفرنج. وكونه لم يخرج إلى الفرنج<sup>(٢)</sup> لما نازلوه، وكان مستخفيا، وقيل له: "مثلك لا يصلح أن يلى أمور المسلمين"، وخوف وأندر. وقدمت رسل رجار وهو يشفع في صاحب عكا، والسلطان في الصناعة<sup>(٣)</sup> جالس بين الأخشاب والصناع. والأمراء تحمل بأنفسها آلات الشواني وهي تمذ، فراعهم ما شاهدوا.

وفي رجب خرج السلطان متصيدا بجهة الصالحية، فورد الخبر بحركة التار فعاد إلى القلعة، وخرج في ثالث شعبان إلى الشام. وأنته رسل الفرنج بعكا - وهو بالسواد<sup>(٤)</sup> - تطلب الهدنة، فسار وبعث إليهم الأمير نحر الدين أياز المقرئ، والصدر فتح الدين ابن القيسراني كاتب الدرج، في حادى عشرى رمضان. ونزل السلطان بمروج قيسارية، فعقد الهدنة مع الفرنج لمدة عشر سنين وعشرة أشهر وعشر ساعات من التاريخ المذكور. وخرج أهل عكا لمشاهدة العسكر، فركب السلطان ولعب هو وجميع العسكر بالرمح.

(١) في س "يستظلوا".

(٢) يشير المؤلف هنا إلى حوادث الحملة المليية التي تقدم ذكرها في ص ٥٩٠، سطر ٥، وما بعده.

(٣) ترجم (Quatremère ? Op. Cit. I. 2. p. 102) هذا الاسم إلى (Roger)، يشير تعليق.

(٤) في س "السواده"، والسواد المقصود هنا موضع بنواحى البقاء. (ياقوت: معجم البلدان، ج ٣،

ص ١٧٤ ؛ Le Strange : Palest. Under Moslems. p. 235).



ورحل [السلطان] إلى دمشق فدخلها ثانی شوال . وحضرت رسل التتار في طلب الصلح ،  
 بفخيز [السلطان] إليهم الأمير مبارز الدين الطوري أمير طبر . والأمير نخر الدين المقرئ الحاجب ،  
 ومعهما الرسل وهدية لأبغا بن هولاءكو وغيره . فساروا في خامس عشره ، فلما قدما على أبغا  
 أكرمهما ( ١١٥٦ ) وأخلع عليهما وأعادهما .

وفيه كثر اشتغال السلطان بعمل الثياب بيده ، فافتدى به جميع الأمراء والخواص ،  
 وكتب إلى الملك السعيد وسائر التواب بذلك ، فلم يبق أحد إلا وهو متوفر على العمل . فعمل  
 السلطان جملة ثياب بيده ، نحتها ورثتها وفصلها .

فلما ضحى [السلطان] توجه إلى حصن الأكراد ، ووصل إليه في حادى عشرى ذى الحجة ،  
 وشاهد العماره [به] ، وأمر جميع من معه من الأمراء بنقل حجارة المنجنيق إلى داخل القلعة ،  
 ونقل معهم بنفسه ، ثم نزل وعمل بيده في مرمة مكان بالحنديق ، وحفر [بنفسه] . ثم سار  
 إلى حصن عكار ، وعمل في عمارته بيده أيضا ، وأمر برمي المنجنيقات ليعرف مواضع سقوط  
 أحجارها . وعاد إلى حصن الأكراد ، وأخلع على من به من الأمراء وأرباب الوظائف ، ونخرج  
 يتصيد ، فكان الذى خلعه نسمائة تشريف على من أحضر إليه الصيد .

وفي هذه السنة امتحن قاضى القضاة شمس الدين محمد بن إبراهيم بن عبد الواحد بن على  
 ابن سرور بن رافع بن حسن بن جعفر المقدسى الحنبلى : وذلك أن القضاة الأربعة<sup>(١)</sup> الذين  
 ولاهم [السلطان] الملك الظاهر بديار مصر ، كان كل منهم يستنيب قضاة عنه في النواحي ،  
 وكان لثقى الدين شبيب الحرانى أخ ينوب عن قاضى القضاة شمس الدين الحنبلى بالمحلة<sup>(٢)</sup>

(١) في س " الاربع " .

(٢) بغير ضبط في س ، والمقصود بهذا الاسم هنا مدينة المحلة الكبرى التى كانت مقر ولاية الغربية ، وكان قد غلب  
 عليها اسم المحلة فقط حتى صار لا يفهم عند الإطلاق إلا هى . هذا وفى الفقه شدى (صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٤١٠)  
 أن هذه المدينة كانت تعرف باسم محلة الدقلا ، وقد ذكر ياقوت (معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٢٤٨) أنها كانت  
 تسمى أيضا باسم محلة شرقيون ، وأن هذه التسمية الثانية ناشئة من تكوين المدينة نفسها ، لأنها " ذات جنين ، أحدهما  
 متدقا والآخر شرقيون " .



فغزله . فغضب شبيب لذلك ، وكتب ورقة للسلطان بأن عند قاضي القضاة شمس الدين الحنبلي ودائع للتجار من أهل بغداد وحران والشام . بجملة كبيرة وقد ماتوا . فاستدعاه السلطان وسأله عن ذلك ، فانكروا وحلف وورى في يمينه . فأمر السلطان بالهجوم على داره ، فوجد فيها كثير مما ادعاه شبيب : بعضه قد مات أهله . وبعضه لقوم أحياء . فأخذ [السلطان] مما وجد الزكاة لمدة سنين ، وسلم لمن كان حياً وداعته . وغضب السلطان عليه واعتقله . وأوقع الحوطة على داره في يوم الجمعة ثاني شعبان .

وسار [السلطان] إلى الشام [وقاضي القضاة شمس الدين الحنبلي في الاعتقال بمصر] ، فسلط شبيب عليه وادعى أنه حشوي<sup>(١)</sup> ، وأنه يقدح في السلطان ، وكتب بذلك محضرا . فأمر الأمير بدر الدين ببايك نائب السلطنة بعقد مجلس ، فعقد في يوم الاثنين حادي عشره ، وحضر الشهود ، فكل بعضهم وأقام بعضهم على شهادته . فأحرق<sup>(٢)</sup> النائب بمن شهد وجرمهم<sup>(٣)</sup> ، وذلك أنه تبين له تحامل نقي الدين شبيب على القاضي ، واعتقل شبيب ووقعت الحوطة على موجوده ، وأعيد القاضي إلى (١٥٦ ب) اعتقله بقلعة الجبل ، فأقام معتقلا سنتين ، ولم يول السلطان بعده قضاء الحنابلة أحدا .

(١) أنصف ما بين الأنفاس بهذه بحفرة من النوري (نهاية الأرب ، ج ٢٨ ، ص ٥٩) . ويلاحظ أن عبارة المقرئ هنا مشابهة كثيرا لما يهاجها في النوري .

(٢) ترجم (Quatremère: Op. Cit. I. 2. p. 105. n. 123) هذا المقطع إلى (parleur inconsideré) أي شخص معدم القيمة أو المصنعة ، وقد دلل على هذا المعنى بأثلة عديدة منها "الحشوية من العوام" . على أنه يوجد في محيط المحيط ، ما يفهم منه أن الحشوي نسبة إلى مذهب معين ، ونصه : "الحشوية نسبة إلى الحشو ، ... أو الحشوية نسبة إلى الحشا ، [وهم] طائفة تمسكوا بالفنواهر ، وذهبوا إلى التجسيم وغيره" .

(٣) المعنى أن النائب عاقب الشهود بالضرب أو غيره ، وتوجد في (Quatremère: Op. Cit. I. 2. p. 105. n. 125) أمثلة عديدة لاستعمال فعل "أحرق" مقرونا بالباء بهذا المعنى ، ومنها : "كان قصد الوزير الإحراق به بالضرب" .

(٤) ترجم (Quatremère: Op. Cit. I. 2. p. 105 et n. 126) هذا الفعل إلى (le naïb . fit promener ignominieusement) وهذا مطابق لما جاء في محيط المحيط ، ونصه : "جرس بالقوم مع بهم وأشهر صوبهم وتقاصهم ، والعامة تقول جرسهم بالعناد" . هذا ويضن (Quatremère: Op. Cit.) أن استعمال هذا الفعل بمعنى التمهيد راجع إلى أن جرما كان يذق على طول الطريق أمام المحكوم عليهم .



وفيها قدم الشريفان جواز وغانم بن إدريس مكة ، وملكها أربعين يوماً ، ثم قدم أبو نمنى فملكها منهما . وفيها ولدت زرافة بقلعة الجبل في جمادى الآخرة ، فأرضعتها بقرة . و [ فيها ] ولدت امرأة بدمشق في بطن واحد سبعة بنين وأربع بنات ، وكانت مدة حملها أربعة أشهر وعشرة أيام ، فماتوا كلهم وعاشت الأم .

ومات في هذه السنة من الأعيان تاج الدين أبو القاسم عبد الرحمن بن رضى الدين .  
 أبى عبد الله محمد بن عماد الدين أبى حامد محمد بن يونس الموصلى الشافعى ، عن اثنين وسبعين سنة ببغداد . وتوفى كمال الدين أبو الفضل سلا بن الحسن بن عمر بن سعيد الإرزبلى الشافعى ، بدمشق عن سبعين سنة . وتوفى عماد الدين أبو عبد الله محمد بن سنى الدين أبى الغنائم سالم ابن الحسن بن هبة الله بن محفوظ بن صصرى التغلبى الدمشقى ، بها عن سبعين سنة . وتوفى أمين الدين أبو الحسن على بن عثمان بن على بن سليمان الإرزبلى الأديب الشاعر ، وقد ترك الجندية وتنسك ، عن ثمان وستين سنة ، بطريق الفيوم . ومات ببلد الخليل عليه السلام الشيخ على البكا ، الرجل الصالح ، في أول شهر رجب ، وله كرامات كثيرة .

\*\*\*

سنة إحدى وسبعين وثمانمائة . في خامس المحرم دخل السلطان إلى دمشق ، وقد تواترت الأخبار بحركة التتار . فركب خيل البريد من دمشق في ليلة سادسه بعد عشاء الآخرة ، ومعه الأمير بيسرى ، والأمير أقوش الرومى ، وجرمك السلاح دار ، وجرمك الناصرى ،

(١) في س " سيع " .

(٢) ليس للوفيات الآتية وجود هنا في س ، بل هى واردة في ورقة منفصلة بين الصفحتين ١٦٠ ب ١٦١ ، حيث وضعت خطأ . هذا وليس تمت شك في مناسبة هذه الوفيات هنا ، فبعضها مذكورت تحت تلك السنة في ابن العماد (شذرات الذهب ، ج ٥ ، ص ٢٢١ — ٢٢٢) ، وهى واردة كما هنا في ب (١١٨٤) . انظر أيضاً (Quatremère : Op. Cit. I. 2. p. 108. n. 129) .

(٣) في س " العام " ، والصيغة المثبتة هنا من ب (١١٨٤) .

(٤) في س " التغلبى " . انظر ابن العماد (شذرات الذهب ، ج ٥ ، ص ٢٢٢) ، حيث ورد هذا اللفظ برسم " التغلبى " .



وسنقر الأتقي السلاح دار ، وعلم الدين شقيق مقدم البريد . وساق فدخل قلعة الجبل في يوم السبت ثالث عشره على حين غفلة ، [ و ] لم يشعر الناس إلا وقد دخل باب القلعة راجعا . ثم ركب إلى الميدان ولعب بالأكرة ، وأمر بتجهيز العساكر إلى الشام . وكتب [ السلطان ] إلى الأمراء [ المقيمين <sup>(١)</sup> ] بدمشق ، [ وذكر في الكتب ] أنه سطرها من البيرة بحكم أنه توجه لتدير أمورها ، وسير علام بخطه ليكتب عليها من دمشق أجوبة البريد للأطراف ، وكان الأمير سيف الدين الدوادار قد أقام بقلعة دمشق ليجهز الكتب والبريدية .

وفي يوم الاثنين خامس عشره ركب السلطان إلى مصر ، وركب في البحر ولعبت الشواني قدامه . وفي ليلة الأربعاء سابع عشره <sup>(٢)</sup> جهز العسكر المجرد إلى الشام . وفي ليلة تاسع عشره توجه السلطان إلى الشام بمن حضر معه على البريد ، فدخل قلعة دمشق ليلا . وفي صفر قدمت رسل الملك أبغا ورسل الروم ، فلم يُعتفل بهم ، وأمرُوا أن يضربوا جوكا قدام نائب حلب وقدام صاحب حماة . وكان مجيؤهم بأن يحضر سنقر الأشقر حتى يمشی في الصلح ، ثم غيروا كلامهم وقالوا : ” يمشی السلطان أو من يكون بعده في المنزلة الى أبغا لأجل الصلح “ ، فقال السلطان للرسل : ” بل أبغا إذا قصد الصلح يمشی هو فيه أو أحد من إخوته “ . وأمر [ السلطان ] بلبس العساكر فلبسوا عُدَّ الحرب ولعبوا في الميدان خارج دمشق ، والرسل تشاهد ذلك ، ثم سُفِّروا في رابع ربيع الأول . وفيه تسلم السلطان

(١) أضف ما بين الأقواس بهذه الفقرة بعد مراجعة النويري (نهاية الأرب، ج ٢٨، ص ٤١) . انظر

أيضا (Quatremère : Op. Cit. I. 2. p. 109. n. 131) .

(٢) في ص ”عشره“ ، وكذلك في النويري (نهاية الأرب، ج ٢٨، ص ٤١) . انظر مايل بنفس السطر ،

وكذلك (Quatremère : Op. Cit. I. 2. p. 109) .

(٣) في ص ”جوك“ بغير ضبط ، وهو لفظ تترى معناه الجلوس على الركبتين كمادة المنول في حفرة ملوكهم ، ومعنى العبارة كلها أنه طلب الى الرسل المذكورين أن يؤذوا نائب حلب وصاحب حماة مثل ما يؤذون ملوكهم من شعائر الاحترام والخشوع . انظر (Quatremère : Op. Cit. I. 2. p. 109. n. 132; Dozy : Supp. Dict. Ar.)

وكذلك ص ٥١٤ ، حاشية هـ) .

(٤) في ص ”بجهم“ .



صهيون من <sup>(١)</sup> سابق الدين ونغر الدين ، ولدى سيف الدين أحمد بن مظفر الدين عثمان بن منكبرس بعد موته <sup>(٢)</sup> [ وكان هذا ] وصيته لها بذلك . فأمرهما [ السلطان ] وأحسن إليهما ، وقدم أهلها إلى دمشق .

و [ في خامس جمادى الأولى <sup>(٣)</sup> ] ورد الخبر بنزول التتار على البيرة ونصبهم <sup>(٤)</sup> المجانيق عليها ، وأنهم قد حفظوا مخاوض الفرات ونزلوا عليها ، ليعوقوا من يصل إليهم . فجهاز السلطان الأمير نغر الدين الحمصي بعثة من عسكر مصر والشام إلى جهة حارم ، وجهاز الأمير علاء الدين الحاج طبرس <sup>(٥)</sup> ( ١٥٧ ) الوزير في جماعة ، ورحل [ هو ] من ظاهر دمشق [ في ثامن عشر جمادى الأولى ] ، ومعه مراكب مفصلة بمخولة <sup>(٦)</sup> . وجذ [ السلطان ] في المسير حتى وصل إلى الفرات ، فوجد التتار على الشط ، فالتقى المراكب التي حملها معه في الفرات وأشحنها بالمقاتلة ، فتراموا هم والتتار . واقتحم الأمير قلاون <sup>(٧)</sup> [ الألفي الصالحى ] الفرات ، نخاض ومعه عدة وافرة ، وصدم التتار صدمة فزقهم بها ومزقهم . فالتفت الأطلاب أنفسهم في الفرات ، وساقوا فيها عوما الفارس إلى جانب الفارس ، وهم متماسكون بالأعنة ومجاديفهم رماحهم ، وعليهم وعلى

(١) كذا في س ، وقد توفي منكبرس هذا — واسمه منكورش أيضا — تلك السنة . ( أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر ، ص ١٥٤ ، في Rec. Hist. Or. I. ) .

(٢) ضمير الجاء عائد على منكبرس .

(٣) أضيف ما بين الأقواس بهذه الفقرة من ابن أبي الفضائل ( كتاب النهج السديد ، ص ٢١١ ، وما بعدها ) ، حيث توجد تفصيلات وافية عما حدث للسلطان بيبرس مع التتار تلك المرة .

(٤) في س " نصب " .

(٥) في س " نخاض " . انظر محيط المحيط .

(٦) يوجد بين الصفحتين ١٥٦ ب ، ١٥٧ أ في س ورقة منفصلة ، بها وفات تابعة لسنة ٦٧٤ هـ ، وقد أثبتت في موضعها المناسب تحت تلك السنة . ( انظر ص ٦٢٤ ، حاشية ٤ ) .

(٧) كانت تلك المراكب للعبادين بجيرة قدس القرية من حمص ، وقد فصلت وحملت على ظهور الجمال إلى نهر الفرات كما بالمتن . ( ابن أبي الفضائل : كتاب النهج السديد ، ص ٢١٢ ) .

(٨) كان الأمير قلاون ، حيا جاء في ابن أبي الفضائل ( كتاب النهج السديد ، ص ٢١٣ ) ، " أول من أرى قومه من الفرات ... " ثم تبعه الأمير بدر الدين يسرى الشمسى ، ثم تبعهما السلطان بنفسه مع العساكر ... " .



خيولهم الحديد . وازدحوا في الماء ، فكان لعمقمة السلاح وأمواج الماء حول مفزع .  
 وطلع السلطان في أولهم ، وصلى في منزلة العدو ركعتين شكرا لله تعالى ؛ وبث العساكر يمينا  
 وشمالا ، فقتلوا وأسروا عددا كثيرا .

وبات العسكرية الاثنين ، فورد الخبر بهزيمة التتار عن البيرة مع مقدمهم درباي<sup>(٣)</sup> ،  
 وتركهم الأتقال والأزواد ؛ وأن أهل البيرة أخذوا ذلك فنفقوا به . وأقام السلطان ينتظر من  
 يلاقه من التتار فلم يأت أحد ، فعدى بجميع عساكره في الفرات كما فعلوا أول مرة ، ونزل بهم  
 في ذلك ما لا يوصف من كثرة المشقة ، وعظم الهول حتى طلعت العساكر إلى البر . وسار  
 [السلطان] إلى البيرة ، وخلع على نائبها وأعطاه ألف دينار ، وعم بالتشريف والإنعام أهل  
 البيرة ، وفرق فيهم مائة ألف درهم فضة ، وجرّد هناك عدّة من العسكر زيادة على من كان  
 فيها ؛ وسار إلى دمشق فدخلها في ثالث جمادى الآخرة والأسرى بين يديه .

ونخرج [السلطان] إلى مصر ، فوصل قلعة الجبل في خامس عشرية ؛ وأفرج عن الأمير  
 عز الدين الديماطي ، وأنزله بدار الوزارة وأجرى عليه الرواتب . ثم استدعاه وشرب معه  
 القميز<sup>(١)</sup> ، وقد حضر أكابر الأمراء لذلك ، فلما ناوله السلطان الخناب بيده وهو مملوء قال  
 [عز الدين] : "ياخوند ! قد شبتا وشاب نبذنا" . وعم [السلطان] بالخلع الأمراء والوزراء  
 والقضاة والمقدمين ؛ وجهز رسل الملك منكوتمر ورسل الملك الأشكري ورسل الدعوة ،  
 فساروا في شعبان .

(١) كذا في م ، بتقطين تحت الياء ، وهو مترجم في (Quatremère : Op. Cit. I. 2. p. 111) إلى  
 (Derban) ، وورد في (D'Oulsson : Op. Cit. III p. 164) بصيغة (Derin) . انظر أيضا ابن أبي  
 الفضائل (كتاب التهجديد ، ص ٢١٥ ، حاشية ١) .

(٢) القميز يميز بعمل من لبن الخيل ، والمميز تفرى الأصل ، ولذلك السلطان يميز شفتا بهذا النوع من الشراب .  
 انظر (Dozy : Supp. Dict. Ar.) ، وما به من المراجع ؛ (Lane-Poole : A Hist. of Egypt. p. 273) .  
 (٣) في م "الهاب" بغير ضبط ، والهاب قدح الشراب ، ويقال به في الفرنسية (hanap) ، وفي الإيطالية  
 (anappo) ، وفي الألمانية (napf) . انظر (Dozy : Supp. Dict. Ar.) ، وما هناك من المراجع) .



وفي ثاني عشر سؤال قبض على الشيخ خضر بن أبي بكر بن موسى شيخ السلطان ،  
[وكان السلطان قد استدعاه الى القلعة ، وأحضر جماعة ليحاققوه<sup>(١)</sup> على أشياء كبيرة بدت منه  
كاللواط والزنا وغيره ، فأمر السلطان باعتقاله] ، وسجن بقلعة الجبل .

وفي ثاني عشر ذي الحجة استولى السلطان على بقية حصون الدعوة الإسماعيلية :  
وهي المنيقة<sup>(٢)</sup> والقُدُموس والكهف ؛ وأقيمت هناك الجمعة وتُرُضَّى عن الصحابة بها ، وعُقيبت  
المنكرات منها ، وأظهرت شرائع الإسلام وشعاره .

وفي هذه السنة سار والى قوص من أسوان حتى قارب دمقطة من بلاد النوبة ، وقتل  
وأمر ثم عاد . وفيها استولى (١٥٧ ب) السلطان على عامة مدن برقة وحصونها . وفيها حصل  
الاحتفال بأمر الشواني ونصب المجانيق على أسوار الإسكندرية . فكل هناك نصب مائة  
منجنيق ، وذلك لكثرة الإشاعة بحركة الفرنج لتصدد نفور ديار مصر . وفيها فتحت قلعة  
كَيَنُوك<sup>(٣)</sup> من بلاد الأرمن ، على يد الأمير حسام الدين لاجين العتابي . وفيها تجزّت عمارة  
صخرة بيت المقدس . وفيها نزل السلطان يعوم في النيل وهو لابس زردية مُسَبَّلَة<sup>(٤)</sup> وعمل بسطا  
كبيرة ، وأركب فوقها الأمير حسام الدين الدوادار ، والأمير علاء الدين أيدغرى الأستاذار ،  
وجرّها وجرّ فرسين — وهو يعوم لابس الزردية — من البرّ الى البرّ<sup>(٥)</sup> .

(١) أضيف ما بين القوسين بعد مراجعة ابن أبي الفغائل (كتاب النج السديد، ص ٢١٧) . انظر أيضا  
التويرى (نهاية الأرب، ج ٢٨، ص ٤١ — ٤٢) ، حيث توجد تفصيلات كثيرة في هذا الممدد .  
(٢) في ص "المنيقة" .

(٣) بغير ضبط في ص ، وفي (Quatremère Op. Cit. I. 2. p. 113. n. 137) ، أن هذه البلدة  
هي بلدة الحدث ، وعلى هذا يكون موقعها بين ملطية وسيمبساط ، ويقال لها اخمراء أيضا . انظر (بافوت : معجم البلدان ،  
ج ٢، ص ٢١٨) .

(٤) ترجم (Quatremère : Op. Cit. I. 2. p. 113) هذه العبارة الى "Il était revêtu d'une cuirasse flottante" ، أى أن زردية السلطان كانت واسعة مرخاة وتطفو على الماء .

(٥) قبالة هذه العبارة في هامش الصفحة في ص إشارة الى هذه الحادثة ، وهي مكتوبة بخط مخالف ونصها :  
"موم السلطان الطاهر (كذا) في البحر" .



ومات في هذه السنة من الأعيان شهاب الدين أبو صالح عبيد الله بن الكمال أبي القاسم  
عمر بن الشهيد شهاب الدين أبي صالح عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن الحسن بن العجمي  
الخلبي، بها عن اثنتين وستين سنة . وتوفي نحرالدين أبو محمد عبد القاهر بن عبد الغني بن محمد  
ابن أبي القاسم بن محمد بن تيمية الحراني الحنبلي، عن نحو ستين سنة بدمشق . وتوفي الأديب  
مخلص الدين أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن هبة الله بن قرناص الحموي . وتوفي الشريف شرف الدين  
أبو عبد الله محمد بن رضوان الحسيني، الناصح الكاتب المجود المؤرخ، عن تسع وستين سنة<sup>(٢)</sup> .

\*\*\*

سنة اثنتين وسبعين وستمائة . في المحرم نُقِضَ باب القصر المعروف بباب البحر  
تجاه المدرسة الكاملية بين القصرين، [لأجل نقل عمد منه لبعض العمار السلطانية]، فُوجِدَ  
فيه صندوق في داخله صورة من نحاس أصفر، [مُفَرَّغ] على كرسي شكل هرم ارتفاعه قدر شبر  
بأرجل نحاس، والصنم جالس عليه ويداه مرتفعتان <sup>(٣)</sup> تحملان صفيحة دورها ثلاثة أشبار  
مكتوبة [بالقبطي]، وإلى جانب الكتابة في الصفيحة شكل له قرنان يشبه شكل السنبلة،  
وإلى الجانب الآخر شكل ثانٍ وعلى رأسه صليب، وشكل ثالث في يده عكاز وعلى رأسه  
صليب . ووجد [مع هذا الصنم<sup>(٤)</sup>] في الصندوق لوح من ألواح الصبيان، قد نكشط أكثر  
ما فيه من الكتابة وبقي فيه بيبرس<sup>(٥)</sup>، فتعجب من ذلك .

(١) ليس للوفيات الآتية وجود هنا في س، بل أنها واردة في ورقة مفصلة بين الصفحتين ١٥٩ ب،  
١٦٠ أ، حيث لصقت خطأ . انظر (ابن العاد شذرات الذهب، ج ٥، ص ٢٢٢ — ٢٢٥) وكذلك  
النويري : نهاية الأرب، ج ٢٨، ص ٤٢ — ٤٣) .

(٢) في هذه السنة أيضاً، حسبما ورد في النويري (نهاية الأرب، ج ٢٨، ص ٤٢) كانت وفاة الملك المنبث  
فتح الدين عمر بن الملك الفاتر إبراهيم بن الملك السلطان العادل سيف الدين أبي بكر محمد بن أيوب، وقد توفي في معتله  
بجانب نخزة البنود بالقاهرة، ودفن بالقراءة بجوار ضريح الإمام الشافعي .

(٣) في س، "مرتفعه يحمل" .

(٤) أضيف ما بين الأقواس بهذه الفقرة بعد مراجعة المقرئ (المواعظ والاعتبار، ج ١، ص ٤٢٢ —  
٤٢٤) النويري : نهاية الأرب، ج ٢٨، ص ٤٢، حيث توجد تفصيلات وافية بصدده هذه الموجودات . انظر أيضاً  
(Quatremère : Op. Cit. I. 2. p. 114. n. 141).

(٥) في س "بيبرس" . انظر المراجع المذكورة بالهامية السابقة .



وفيه وردت الأخبار بحركة الملك أبغا، فخرج السلطان من قلعة الجبل في ليلة سادس عشرية،  
ومعه الأمير سنقر الأشقر، والأمير بيسرى، والأمير أنامش السعدى . فلما وصل [السلطان]  
عسقلان كتب الى القاهرة بخروج العساكر جميعها والعربان من ديار مصر، صحبة الأمير  
بيليك الخازندار، ورسم بأن كل من فى سائر مملكته له فرس فإنه يخرج إلى الغزاة، وأن تخرج  
كل قرية من قرى الشام رجالة يركبون الخيل على قدر حالهم، ويقوم من بالقرية بكافة من  
يتوجه . ودخل السلطان إلى دمشق في سابع عشر صفر .

نخرج من عساكر مصر فى حادى عشره عدة أربعة آلاف فارس، صحبة مقدميهم : وهم  
الأمير علاء الدين طبرس الوزيرى ، وجمال الدين أقوش الرومى ، وعلاء الدين قطليجا ،  
وعلم الدين ططح . ثم خرج فى ثامن عشره الأمير بيليك الخازندار بطائفة كبيرة، فورد مرسوم  
السلطان على الأمير بيليك بالزول قريبا من يافا . وعند ما قارب عسكر مصر دمشق ركب  
السلطان من دمشق فى نحو أربعين نفسا جرائد بغير (١١٥٨) ركدار، وقد طلب العسكر  
وقارب المنزلة . فاعترض السلطان العسكر، وكان قد تلثم هو وجماعته، فظنهم الخجاء من  
بعض التركمان، فأمروهم بالترجل فأبوا . وساق السلطان بمفرده، وجاء خلف السناجق وحمر  
لثامه عن وجهه، فعرفه السلاح دارية . ودخل [السلطان] وساق فى موكبه، فقتل الناس وقبلوا  
الأرض، وسار حتى نزل ورتب العسكر . وأصبح [السلطان] فركب فى موكبه، وقضى أشغال  
الناس إلى أن أمسى، [ثم] ركب بمن حضر معه إلى دمشق، وأصبح راكبا فى موكبه .  
وفى مدة غيبته كان الأمير سيف الدين الدوادار يرتب الأمور بدمشق، ويكتب الأجوبة على  
علام فوق أوراق بيض .

(١) كذا فى س ، واسمه "عز الدين قطليجا" فى ابن أبى الفضائل (كتاب التهجد السديد ، ص ٢١٨) ،  
وأورده النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٨ ، ص ٤٤) على أنه "شمس الدين أفسر المعروف بقطليجا" .

(٢) كذا فى س ، وهو وارد "طرطج" فى ابن أبى الفضائل (نفس المربع والصفحة) ، "وطردح" فى النويرى  
(نفس المربع والجزء والصفحة) .



وفيه قتل الأمير شمس الدين بهادر بن الملك فرج<sup>(١)</sup> [من التتار إلى السلطان بيبرس] . وكان  
[الملك] فرج [في أول أمره] أمير طشت<sup>(٢)</sup> السلطان جلال الدين خوارزم شاه ، وكان له  
سميساط ، وبعد وفاة جلال الدين ملك قلعة كيران<sup>(٣)</sup> وعدة قلاع بناحية ننجوان<sup>(٤)</sup> . ثم وصل  
[الملك فرج هذا] إلى [بلاد السلاجقة] الروم ، فأقطع بها ناحية أقصرا<sup>(٥)</sup> . وكان بهادر قد كاتب  
السلطان [بيبرس] وراسله وتغزب إليه بإعلامه بحقيقة أخبار العدو<sup>(٦)</sup> ، فعلم به التتار فمكوه  
وحملوه إلى الأرندو ، فهرب وحضر إلى البيرة ، ووصل إلى دمشق وبها الملك الظاهر ، فأكرمه  
وأعطاه بمصر امرأة عشرين فارسا .

ونخرج السلطان من دمشق إلى مصر ، فدخل قلعة الجبل في رابع عشر جمادى الآخرة .  
فتواترت الأخبار بحركة التتار ، فرسم للأمير عيسى بن مهنا أمير العرب بالغارة ، فأغار ووصل  
إلى الأنبار في ثامن عشر شعبان . فظن التتار أن السلطان [قد] قدم ، فانهزموا إلى أبا ،  
فرجع إلى بلاده .

وفي نصف شعبان أفرج عن قاضي القضاة شمس الدين الحنبلي . وفي شهر رمضان رسم  
للعسكر بالناهب للامب التقيق ورمى النشاب ، فركب من كل عشرة فارسان في أحسن زيمهم  
وقت الحرب ، وركب السلطان في مماليكه ودخلوا في الطعن بالرماح . ثم أخذ [السلطان]  
الحلقة ورمى النشاب ، وجعل لمن أصاب من الأمراء فارسا من خيله الخاص بتشاهيره ،

(١) في س "فرج" ، وقد صحح هذا الاسم ، وأضيف ما بين الأقواس بهذه الفقرة كلها ، بعد مراجعة  
النوري (نهاية الأرب ، ج ٢٨ ، ص ٤٤) ، حيث توجد تفصيلات كثيرة بعدد هذا الملك الشريد . انظر أيضا  
(Quatremère : Op. Cit. I. 2. p. 116. n. 143) .

(٢) في س "اميرطست" .

(٣) بنير ضبط في س ، وهي مدينة آذربيجان بين تبريز وبيلقان . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ،  
ص ٣٣٢) .

(٤) بنير ضبط في س ، وهي بلدة من نواحي أزان وتسمى أيضا ننجوان ، ويذكر ياقوت أيضا (نص  
المراجع والجزء ، ص ٨٠٢) أن النسبة من ننجوان "نشوى" ، وقد سأل في آذربيجان عن سبب ذلك الاشتقاق  
الغريب فلم يستطع أحد أن يخبره بعله .

(٥) في س "اقصر" . انظر (Quatremère : Op. Cit. I. 2. p. 116) .



والخفصة والبحرية بغاطق . فاستمر ذلك أياما ، تارة يكون اللعب فيها بالمرح وتارة بالنشاب وتارة بالدبابيس ، وفترق [السلطان] فيها من الخيل والبغال طيق جملة . وساق السلطان يوما على عادته في اللعب ، وساق سيفه فسلبت مائة سيوفها ، وحمل هو ومماليكه الخواص حملة رجل واحد واصطدموا ، فكان منظرا مهولا . وأطلق [السلطان] من التشاريف ما عظم به سائر من في خدمته : من ملك وأمير ووزير ، ومقدمي الحلقة والبحرية ، ومقدمي الممالك والمفرديّة ، ومقدمي البيوتات السلطانية ، وكل صاحب شغل ، وجميع الكتاب والنضاة ، وسائر أرباب الوظائف .

وفي يوم عيد الفطر خُتن الأمير نجم الدين خضر ابن السلطان وعدة من أولاد الأمراء ، وجرى السلطان على عادته في عدم تكليف الناس ، فلم يقبل من أحد هدية ( ٥٨ ب ) ولا مقدمة ، ولم يبق من لا شمله إحسانه من سائر الطوائف ، إلا المغاني وأرباب الملاهي فإنه لم تنفق لهم في طول أيامه سلعة ، ولا نالهم منه رزق البتة .

وفي ثاني عشر شهر رمضان سار الملك السعيد من قلعة الجبل في عدة من الأمراء جريدة إلى الشام ، من غير أن يعلم به أحد . فدخل دمشق في سادس عشر به على حين غفلة من النائب ، بحيث لم يشعر به العسكر إلا وهو بينهم في سوق الخيل ، فقبلوا له الأرض . ودخل [الملك السعيد] إلى القلعة وأراد لعب القبق خارج دمشق ، فمنعته كثرة الأمطار .

وفي ليلة عيد الفطر خلع [الملك السعيد] على أمراء الشام والمقدمين والمناردة والأكابر ، ونخرج يتصيد بالمرج ، وسار إلى الشقيف وصمد ، وتوجه إلى القاهرة فوصل قلعة الجبل في حادي عشر شوال .

وفي هذه السنة كان بمصر وأريافها وباء ، هلك فيه خلق كثيرا أكثرهم النساء والأطفال . وحصل في بلاد الرملة وبلاد القدس مرض وحميات ، فقدم رجل نصراني إلى الأمير غر من الدين بن شاور وإلى الرملة . وقال [له] : " هذه الآبار قد حاضت ، كما جرى في السنة التي جاء النار فيها إلى الشام . وإن الفرنج بعثوا إلى قرية عابود<sup>(١)</sup> في الجبل ، [و] أخذوا من مائها وصبوه

(١) في من "عابور" بغير ضمة أو فسط ، وعابود قرية بجلة بيواس بيت المقدس . (بافوت : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٥٨٣ ، التويري : نهاية الأرب ، ج ٢٨ ، ص ٤٥) .



في الآبار فزال الوحش<sup>(١)</sup>، وأشار بعمل ذلك . فبعث وإلى الرملة إلى القرية المذكورة ، وأخذ من مائها وصبه في الآبار التي بيافا ، وكان الماء قد كثر فيها فنقصت إلى حدّها المتعارف . وكتب إلى السلطان بذلك ، وقيل [له] : ”إن هذه الآبار إذات تجيئ ، وآبار الجبل ذكور ومنها آبار قرية عابود<sup>(٢)</sup> المذكورة“ .

وفيها ولي تقي الدين أبو عبدالله محمد بن ..... بن يحيى الرقي قضاء الشافعية بحلب ، بعد وفاة محيي الدين محمد بن الأستاذ .

ومات في هذه السنة من الأعيان الأمير فارس الدين أقطاي الصغير المستعرب الصالح النجمي ، أنابك العساكر بديار مصر ، عن سبعين سنة في تاسع جمادى الأولى . وومات الأمير حسام الدين لاجين الأيدمرى المعروف بالدر فيل ، داودار السلطان . وتوفي قاضي حلب محيي الدين أبو المكارم محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن علوان بن الأستاذ الشافعي بها ، و[قد] قدم القاهرة ودرس بالمسروورية<sup>(٣)</sup> . وتوفي قاضي قضاة دمشق كمال الدين أبو الفتح عمر بن شذاد بن عمر بن علي التفليس الشافعي ، عن سبعين سنة بالقاهرة . وتوفي مؤيد الدين أبو المعالي أسعد بن المظفر بن أسعد بن حمزة بن القلانسي التميمي ، خارج دمشق عن ثلاث وسبعين سنة ، بعد ما قدم القاهرة . وتوفي النحوي جمال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن مالك الطائفي الحلياني بدمشق ، عن بضع وسبعين سنة . وتوفي تقي الدين أبو محمد إسماعيل بن إبراهيم بن شاذلي بن أبي اليسر التنوخي المعري ، المحدث الأديب كاتب الإنشاء ، عن ثلاث وثمانين سنة بدمشق . وتوفي المسند نجيب الدين أبو الفرج عبد اللطيف

(١) في س ”عابور“ . (٢) بياض في س .

(٣) المسروورية اسم مدرسة كانت في الأصل دار الشمس الخواص مسرور ، بغطت مدرسة بعد وفاته . وكان مسرور هذا ممن اختص بالسلطان صلاح الدين الأيوبي ، فقدمه على حلقته ولم يزل مقدما إلى الأيام الكاملة ، ثم أقطع إلى الله ولزم داره حتى مات . (المقریزی : المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٣٧٨) .

(٤) في س ”الحلياني“ ، والحلياني نسبة إلى بلدة حليان التي تبعد سبعة عشر فرسخا عن قرطبة بالأندلس . (ابن العماد : شذرات الذهب ، ج ٥ ، ص ٣٣٩ ؛ ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ١٦٩ — ١٧٠) .



بن عبد المنعم بن علي بن نصر الحزاني ، مدرّس دار الحديث الكاملة ، عن خمس وثمانين سنة  
بالقاهرة . وتوفي جمال الدين أبو عيسى عبد الله بن عبد الواحد بن محمد بن عبد الواحد بن  
علاق الأنصاري ، عن ست وثمانين سنة . وتوفي أبو عبد الله محمد بن سليمان الشاطبي  
بالإسكندرية ، عن بضع وثمانين سنة . ومات ببغداد العلامة نصير الدين محمد بن محمد بن  
الحسن الطوسي الإمام المشهور ، في [ذى الحجة] . و [قد] خدم أولا صاحب الأموت ،  
ثم خدم هولاكو وحظى عنده . وعمل له رسدا بمراغة ، وصنّف كتباً عديدة ، وكان مولده  
في جمادى الأولى سنة سبع وسبعين وخمسة .

\*\*\*

سنة ثلاث وسبعين وستمائة . في المحرم قدم الملك المنصور [محمد] صاحب حماة  
إلى قلعة الجبل . ومعه [إخوه] الملك الأفضل علي ، وولده المظفر تقي الدين محمود . فانزل  
بمناظر الكباش ، وعندما حلّ بها وصل إليه الأمير آقستغر الفارقاني الأستاذار بالسباط ، فذه  
بين يديه ووقف كما يقف بين يدي السلطان . فلم يدعه الملك المنصور يقف وما زال به حتى  
جلس ، فلما فرغ السباط قُدمت الخلع والتعابي وغيرها .

وفي ثامن صفر توجه السلطان من قلعة الجبل ، وسار ( ١١٥٩ ) إلى الكرك فأقام بها  
ثلاثة عشر يوماً ، وكشف أحوال الشوبك ، وعاد إلى قلعة الجبل في ثاني عشر ربيع الأول .

(١) موضع ما بين القوسين بياض في م ، وقد أضيفت "ذى الحجة" من ابن ابن العماد (شذرات الذهب ،  
ج ٥ ، ص ٢٤٠) ، حيث توجد ترجمة أطول مما هنا لنصير الدين المذكور .

(٢) أضيف ما بين الأقواس من (Lane-Poole : Saladin. Table II, in pocket) ، والمنصور محمد  
هذا سليل الملك المظفر تقي الدين عمر ، الذي أقطعه عمه صلاح الدين الأيوبي حماة سنة ٥٧٤ هـ (١١٨٧ م) . وقد  
ظلت حماة بيد أبناء هذا الفرع الأيوبي ، وكان صاحبها أيام غارات التتر على الشام المنصور محمد المذكور ، تخضع لهولاكو  
والتر ، ثم انقلب بعد هزيمتهم إلى مصادقة سلاطين المماليك والاعتراف بسيادتهم ، كما هو واضح من المتن . وهذا الأفضل  
على هو أبو المؤيد أبي القداء ، صاحب كتاب المختصر في أخبار البشر المتداول في هذه الحواشي ، وقد ولد أبو القداء هذا  
سنة ٦٧٢ هـ (١٢٧٢ م) بدمشق ، وتولى حماة بعد عدة سنين من انتهاء ولاية المظفر تقي الدين محمود بن المنصور محمد  
عليها . (Enc. Isl. Arts. Ham-h, & Abu-l-Fida' ) .



ثم توجه الى العباسة ومعه الملك السعيد ، فصرع الملك السعيد أوزة خبيثة<sup>(١)</sup> . وقيل له : ” لمن تدعى ؟ “ فقال : ” لمن أدعو بحياته ، ومن أتقرب الى الله بدعواته ، الذى حسبي افتخارا أن أقول والدى ، ومن يمتزّن لصرع أعدائه ساعدى “ ؛ فقبله السلطان ووهبه من كل شىء .

[ وفيها تحيل السلطان على استخلاص<sup>(٢)</sup> رؤساء الشوانى الذين أسروا بقبرص على ميناء نمسون ] :

- وكان الفرنج لما كسرت الشوانى على قبرص وأسروا من فيها ، بعث السلطان الأمير نخر الدين المقرئ الحاجب إلى صور لا يتباع الأسرى ، فتغالى الفرنج في الرؤساء ، وباعوا القواد والرماة لطائفة منهم . فقادوا بهم أسرى أطلقهم السلطان ، وبقي الاحتفاظ على الرؤساء وهم ستة : منهم رئيس الإسكندرية ورئيس دمياط ؛ فحبسهم بعكا في قلعتها . فبعث السلطان إلى الأمير سيف الدين خطيبا — وهو بصفد — يأمره بالتحيل في سرقتهم ؛ فأرغب الموكلين بهم بالمال حتى وصل اليهم بمبارد ومناشير<sup>(٣)</sup> ، وسرقوا من جب قلعة عكا ، وساروا في مركب إلى خيل قد أعدت لهم ، فركبوها ووصلوا إلى القاهرة . ولم يشعر بهم الفرنج حتى قدموا على السلطان ، فكانت بعكا لأجلهم فتنة بين الفرنج .

وقدم كتاب ممتلك الحبشة وهو الخطى<sup>(٤)</sup> يعنى الخليفة ، يخاطب السلطان فيه [ بعبارة ] : ” أقل الممالك يقبل الأرض وينهى “ ؛ وسأل فيه أن يُجهّز له مطرانت<sup>(٥)</sup> من عند البطرك ،

(١) كذا في م بنير تقط على الماء ، وفي النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٨ ، ص ٤٧٤) ، أن الملك السعيد صرع ” أوزة جنية “ . انظر أيضا المعنى (عقد الجمان ، ص ٢٤٨ ، في ١. Rec. Hist. Or. II.) حيث ورد أن الملك السعيد صرع ” طيرا من الطيور الواجبة “ ، وهذه العبارة الأخيرة مترجمة بالفرنسية في نفس المرجع والصفحة إلى ” un des oiseaux fixés comme but “ ، أى أحد الطيور المعينة للرماية .

(٢) أضيف ما بين القوسين من المعنى (نفس المرجع والصفحة) .

(٣) في م ” بمبارد “ .

(٤) انظر ص ٦١٦ ، سطر ٢٨ .

(٥) يقابل هذا اللفظ في الفرنسية (métropolitain) ، ومرادفه في اللغات الأوروبية الأخرى قريب من هذا ، وفي القلقشندي (صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٤٧٣) أن المطران كان في عصره هو القاضي الذى يفصل في الخصومات بين أهل طائفته .



فأجيب . وسار السلطان إلى الإسكندرية ، وأمر ببناء ما تهدم من المنار ، وعاد إلى قلعه .  
وكتب [السلطان] بأن تخرج عساكر حلب للغارة ، فخرجت وأغارت على بلاد سيمس ، وغنموا  
وقلعوا أبواب رِبَض مرعش .

وفي ثالث شعبان توجه السلطان من قلعة الجبل إلى الشام ، فدخل دمشق في سلخه ، وخرج  
منها في سابع رمضان فدخل حماة ، ثم صار منها بالعساكر والعربان . وجرّد [السلطان] الأمير

(١) يوجد في مفضل بن أبي الفضائل (كتاب التهج السديد ، ص ٢١٩ ، وما بعدها) تفصيلات كثيرة في هذا  
الصدد ، وهي تحت سنة ٥٦٧٢ هـ ، ونصها : " وفيما ذكر [محيي الدين] بن عبد الظاهر [في كتابه السيرة الظاهرية]  
أن في هذه السنة ورد كتاب ملك الحبشة على السلطان الملك الظاهر ، على كتاب صاحب اليمن ، وهو يقول إن سلطان  
الحبشة قد قصد الملوك في إيصال كتابه إلى السلطان . وكان من كتاب ملك الحبشة يقول أن الممالك محرامات  
(كذا) يقبل الأرض وينهى بين يدي السلطان الملك الظاهر (٢٢٠) خلد الله ملكه ، إن رسولا وصل من جهة  
والى قوص بسبب الراهب الذي جاءنا ، فنحن ما جاءنا مطران مولانا السلطان ونحن عيسده . فترسم مولانا السلطان  
للطرك أن يعمل لنا مطرانا يكون رجلا جيدا عالما ، لا يحب ذهاب ولا فاقة ، ويسيره إلى مدينة عوان (كذا) ولعلها  
سوان أي أسوان ، أو لعلها عذر ، وهذا الغرض الذي منتمد على الجملة التالية هنا) . فأن المليك يسير إلى ثواب الملك  
المظفر صاحب اليمن ما يريه ، وهو يسيره إلى أبواب السلطان ، وما تحرت الرسل إلى الأبواب ، إلا أنى كنت في بكرك ،  
فإن المليك داود قد توفى وقد ملك ولده . وعدى في عسكى مائة ألف ورس من المسلمين ، وإنما (كذا) انصارى فكثير  
لا يقدروا ، كهم بملك وتحت أمرك ، والمظفر كبير بدعوتك ، وهذا الخلق كهم (٢٢١) يقولون آمين . وكل  
من يصل من المسلمين إلى بلادنا نحفظهم ونسفرهم كما يحبون ، والرسول الذي حضر إلينا من جهة والى قوص  
مريض ، وبلادنا ونحمة أي من مرض بها ما يقدر أحد يدخل إليه ، ومن يشم رائحته يمرض ويموت . قال  
ابن عبد الظاهر ، فرسم [السلطان] بكتب الجواب ، فكُتبت : ورد كتاب الملك الجليل الهام العادل في ملكه  
حتى ملك أحمرة ، أكبر ملوك الحبشة ، الحاكم على ملهم من البلدان ، نجاشى مصره وفريد ملكه في دهره ،  
صيف الملة المسيحية ، ضد دولة دين النصرانية ، صديق الملوك والسلاطين ، سلطان الاحمرة ، حرس الله نفسه ، وبني على  
الخير أسه — ، فوقفنا عليه وفهمنا ما فيه . فأما طلب (٢٢٢) المطران ، فلم يحضر من جهة الملك أحد حتى تكافى  
الغرض المطلوب ، وإنما كتاب السلطان الملك المظفر ورد مضمونه أنه وصل من جهة كتاب وقاصد ، وأنه أقام عنده  
حتى يعود إليه الجواب . وأما ما ذكره من كثرة عساكره ، وأن من جعلها مائة ألف مسلمين ، فأنه تعالى يكثر في عسكنا  
المسلمين . وأما ونتم بلاده ، فالآجال مقدرة من الله تعالى ، وما يموت أحد إلا بأجله ، ومن فرغ أجله مات .  
فل ابن عبد الله دهره . ثم ذكرنا مكانة صاحب الحبشة أردنا أن لا نكره من بلاده : أما انحرأ منه إقليم من إقليم  
الحبشة ، وهو الإقليم الأكبر وصاحبه يحكم على أكثر الحبشة ، مثل بلاد الداموت والحرق . وصاحب بلاد انحرأ  
يسمى حتى يبنى الخليفة ، وكل من يملكها يلقب بهذا اللقب ، ومن ملوك الحبشة (٢٢٣) يوسف بن اوسماية ، وهو  
صاحب بلاد حذاية وشو وتحتور وأسماعلة ونومهم ملوك المسلمين . وأما أربع وقتها فإفها منوك ، لا أنهم سبع  
قبائل ، وهم مسلمون وخطباؤهم يخطبون بأسماء مقدمهم السبعة " . انظر أيضا (التويرى : نهاية الأرب ، ج ٢٨ ،  
ص ٤٥ — ٤٦ ؛ ١٥١ ؛ ١٢٢. n. 151) . (Quatremère : Op. Cit. I. 2. p. 122. n. 151) .



عيسى بن مهنا ، والأمير حسام الدين العنتابي ، بعسكر إلى البيرة ، وجهز الأمير قلاون الأتقي ،  
والأمير بيبيك الخازندار . [بعسكر إلى بلاد سبس<sup>(١)</sup>] فساروا وهجموا المصبغة<sup>(٢)</sup> على الأرمن .  
وقتلوا من بها . وكانت المراكب قد حُملت معهم على البغال وهي مفصلة ، ليعدوا فيها من  
[نهر] جهن<sup>(٣)</sup> والنهر الأسود<sup>(٤)</sup> ، فلم يُحتج إليها .

(١) أضيف ما بين القوسين بعد مراجعة ابن أبي الفضائل (كتاب النهج الجديد ، ص ٢٢٥ ، وما بعدها) ،  
وفي قس المرجع تفسير ثولية السلطان إسماعيل هذه السنة صوب هذه الجهات ، ونصه : " (٢٢٦) وكان سبب خروج  
السلطان هذه المرة ما ذكره عز الدين ابن شداد ، في الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر ، وذلك أن معين الدين  
البرواناء كتب إلى السلطان الملك الظاهر بحرضه على الدخول إلى البلاد ويقصد (كذا) الروم . وذلك أنه لما طاق  
ذوقه من (٢٢٧) من أحمى (Atchah) من هولاء ، [وهو] أحوأب ، وعزم أجأى على قتله ، لحمله الخوف على  
مكتبة السلطان في السنة التالية . وسير [أيضا] إلى أبنا وذكر له أمورا توجب أن يستدعى أجأى إليه ، فسير أبنا  
وطلب أجأى فتوجه نحوه ، فوافق خروجه من البلاد دخول السلطان إلى الشام . فأفاق البرواناء على نفسه ، فسير يقول  
للسلطان أقصد هذه السنة سبس ، وفي السنة الآتية أملكك البلاد . فقصد السلطان سبس " حسبما في المتن . انظر أيضا  
(D'Oshson : Op. Cit. III. p. 471 et seq.) ، حيث توجد أسباب أخرى .

(٢) بنير ضبط في س ، وهي مدينة على شاطئ نهر جيحان ، وتسمى في الحوليات الصليبية (Mamistra)  
(Quatremère : Op. Cit. I. 2. p. 124) ، وهي تقارب طرسوس ، وبينها وبين أذنة تسعة أميال . (ياقوت :  
معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٥٥٧ ، وما بعدها . Le Strange: Palest. Under Moslems, pp. 505 et seq.) .  
(٣) بنير ضبط في س ، وهذه التسمية عامة ، والصحيحة نهر جيحان ، واسمه في الخرائط الأوربية (Pyramus) .  
ويخرج هذا النهر من بلاد الروم عند زبطرة (Zabutra) ، وتقع عليه المصبغة ويصب في البحر الأبيض المتوسط  
على مسافة قريبة منها . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ١٧٠ ؛ Le Strange: Palest. Under Moslems, p. 62) . انظر أيضا ابن أبي الفضائل (كتاب النهج الجديد ، ص ٢٢٩ ، وما بعدها) ، حيث يوجد  
الوصف التالي لهذا النهر ، ونصه : "وأما نهر جهاهان فهو نهر جيحان ، والأرمن يجعل الحاء هاء . وهذا النهر أجل  
الأنهار ثلاثة ، وهم (كذا) شبعان وجيخان وردان ، وهي أنهار طرسوس والمصبغة وأذنة : [وقد] ذكر ذلك هبة الله  
ابن الإكيلي في كتاب صفته لأرض ، قال ويخرج من بلاد الروم ثم يصب في البحر الملح ، وأما نهر جيحان فهو  
النهر الذي يتحد منبجرا إلى خوارزم . وأول نهر جيحان جرفا (كذا) يتحد نحو الجنوب حتى يمر بمدينة سبس من بلاد  
الروم ، ويمر بين جبلين منحرفا عن المغرب (٢٣٠) إلى أن يصير إلى مدينتين كانتا للروم يقال لهما ترسا وزبطرة ، فيمر  
فيهما بينهما ، ثم يمر بين جبلين راجعا إلى البحر الشام . وطول هذا النهر من أوله إلى مصبه سبعة وثلاثون ميلا ،  
والجبال المحيطة بسبس وبلادها هو جبل الكام ، طوله مائة ميل ، والميسل من الأرض منتهى مد البصر ، والفرج  
ثلاثة أميال .

(٤) بنير ضبط في س ، واسم هذا النهر عند الترك ، وفي الخرائط الأوربية أيضا "قراصو" (Kara Son) ،  
ومنعه في بلاد الروم ، ونحراه عرني بلاد المصبغة وطرسوس ، وهو أحد فروع الفرات الأعلى . (ياقوت : معجم البلدان ،  
ج ٤ ، ص ٨٣٤ ؛ Le Strange: Palest. Under Moslems, p. 60) .



ووصل السلطان على الأثر، بعد ما قطع بعساكره النهر الأسود وفاسوا مشقة، وملكوا  
الجبال وغنموا منها ما لا يحصى كثرة، ما بين أبقار وجواميس وأغنام. فدخل [السلطان]  
إلى سيس (١٤٩ ب) وهو مقلب في تاسع عشرية وعيد بها، وانهبها وهدم قصور التكفور  
ومناظره وبساتينه. وبعث إلى در بند الروم، فحضر إليه من سبايا التار عدة نساء وأولاده.  
وسير إلى طرسوس، فحضر إليه منها ثلاثمائة رأس من الخيل والبغال. وبعث إلى البحر  
عسكرا فآخذ مراكب، وقتل من كان فيها. وانبتت الغارات في الجبال، فقتلوا وأسروا  
وغنموا. وبعث [السلطان] إلى آياس العساكر، و [كانت] قد أخليت، فنهبوا وحرقوا<sup>(٢)</sup>  
وقتلوا جماعة، وكان قد فر من أهلها نحو الألفين — ما بين فرنج وأرمن — في مراكب،  
ففرقوا بأجمعهم في البحر. واجتمع من الغنائم ما لا يحصره قلم لكثرتهم، ووصلت العربان  
والعسكر إلى البيرة وساروا إلى عين تاب وغنموا، فانهزم التار منهم وعادوا.

فرحل السلطان من سيس إلى المصيصة<sup>(٣)</sup> من الدر بند، فلما قطعه جعل الغنائم بمرج  
أنطاكية حتى ملأته طولا وعرضا. ووقف بنفسه حتى فزقها، ولم يترك صاحب سيف  
ولا قلم حتى أعطاه، ولم يأخذ لنفسه منها شيئا. فلما فرغ من القسمة سار إلى دمشق،  
فدخلها في النصف من ذي الحجة.

وفيها ولي قضاء الحنفية بدمشق مجد الدين أبو محمد عبد الرحمن بن الصاحب كمال الدين  
عمر بن العديم، بعد وفاة شمس الدين عبد الله بن محمد بن عطاء الأذري.

(١) بنير ضبط في س، واسم هذا الموضع في المراجع الأوربية (Passus Portellae). انظر أيضا  
(Quatremère : Op. Cit. I. 2. p. 124. n. 154) ؛ ابن أبي الفضائل، كتاب التهج السديد، ص (٢٣١).  
(٢) بنير ضبط في س، وهي ثغرابرمينية الصغرى على شاطئ البحر الأبيض المتوسط : (Le Strango :  
Palest. Under Moslems. p. 405).

(٣) في س "أخلت".

(٤) يرى (Quatremère : Op. Cit. I. 2. p. 124. n. 154) أن هنا مغفوة قلبية، وأن المقرئ  
أراد أن يكتب "أنطاكية" فكتب المصيبة.



ومات<sup>(١)</sup> فيها من الأعيان قاضي القضاة الحنفى بدمشق شمس الدين أبو محمد عبد الله بن محمد ابن عطاء بن الحسن بن عطاء الأندلسي، عن ثمان وسبعين سنة . وتوفي أمين الدين أبو بكر محمد بن علي بن موسى بن عبد الرحمن الخزرجي المحلي النحوي الأديب . وتوفي الحافظ جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن أحمد بن محمود بن أحمد الأسدي الدمشقي المعروف باليغموري ، بالحلّة من أعمال القاهرة، عن نيف وسبعين سنة . وتوفي الحافظ وجيه الدين أبو المظفر منصور بن مسلم بن منصور بن فتوح بن العماد الحمّداني<sup>(٢)</sup>، الإسكندري المالكي المؤرخ، عن ست وستين سنة بالإسكندرية .

\*\*\*

سنة أربع وسبعين وستمائة . في ثامن المحرم وصل الأمير سيف الدين بلبان الدوادار إلى طرابلس في تجمل كبير، ومعه كتاب السلطان إلى ممتلكها ، فما زال حتى قُتر عليه في كل سنة عشرين ألف دينار صورية وعشرين أسيرا .

وفي رابع عشره خرج الأمير بدر الدين الحازندار من دمشق لإحضار الملك السعيد ، ومعه أولاد الأمراء ، فوصل إلى قلعة الجبل وخرج بالملك السعيد على خيل البريد في سلخه ، فوصل إلى دمشق في سادس صفر . وتلقاه السلطان ودخل به إلى قلعة دمشق .

(١) الوفيات التالية واردة على ورقة منفصلة في ص ، بين الصفحتين ١٥٩ ب ، ١٦٠ أ ، وهي من غير شك متعلّقة بهذه السنة . (انظر النويري : نهاية الأرب ، ج ٢٨ ، ص ٤٧) . هذا ويوجد أيضا بين هاتين الصفحتين في ص ورقة منفصلة أخرى ، بها وفيات تابعة لسنة ٦٧١ هـ ، وقد أوردت هناك . (انظر ص ٦٠٩) .

(٢) بغير ضبط في ص ، والنسبة إلى همدان إحدى القبائل اليمنية الكبرى . (Enc. Isl. Art. Hamdān) ابن العماد : شذرات الذهب ، ج ٥ ، ص ٢٤١) .

(٣) تقدم ذكر عقد معاهدة صلح بين السلطان بيبرس وصاحب طرابلس (Bohemond VI) ، سنة ٦٦٩ هـ (انظر ص ٥٩٣) ، وسبب هذه المعاهدة الجديدة المذكورة هنا أن صاحب طرابلس توفي سنة ٦٧٢ هـ (١٢٧٥ م) ، فاقضى ذلك تجديد الحلف مع الأمير الجديد (Bohemond VII) . (انظر Stevenson : Crusaders In The East p. 345) : النويري : نهاية الأرب ، ج ٢٨ ، ص ١٠٨) .

(٤) كان السبب في استدعاء السلطان وكده الملك السعيد إلى دمشق هو الشروع في تزويجه بغازية خاتون ابنة الأمير سيف الدين فلاون الصالح ، وقد تمّ الزواج تلك السنة . (أبو القداء : المختصر في أخبار البشر ، ص ١٥٥ ، في Rec. Hist. Or. I. : النويري : نهاية الأرب ، ج ٢٨ ، ص ٤٧ — ٤٨) . انظر أيضا مايل ، ص ٦٢٣ .



وفي صفر هذا توجه السلطان أبو يوسف بن عبد الحق ملك المغرب لجهاد الفرنج ،  
فقتل الطاغية في المعركة في نحو ستة آلاف ، ولم يقتل من المسلمين إلا نحو ثلاثين رجلا .  
وبلغت الغنائم من البقر مائة ألف وأربعة وعشرين ألفا ، وبلغ الأسرى سبعة آلاف أسير .  
وعجزت القدرة عن إحصاء الغنم ، حتى أبيعت الشاة بدرهم ، وحمل الكراع على أربعة عشر  
ألف وستمائة جمل .

وفيها نبش عمال بني مرين قبور خلفاء الموحدين ، وأخرجوا عبد المؤمن بن علي وابنه  
يعقوب المنصور من قبريهما . وقطعت رأساهما ، وضربت أعناق من كان يجبل تينمل ،  
وصلبوا بمراكش وأخذت أموالهم . وفيها بنيت فاس الجديد ، وصارت دار ملك بني مرين .  
وفي ثالث عشر جمادى الأولى أخذ السلطان القصير حصن أنطاكية ، وحمل أهله

(١) ترجم (Quatremère : Op. Cit. I. 2. p. 125) هذا اللفظ الى (le prince des chrétiens) بنير تليق ، على أنه يوجد بالقلقيشدي (صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ١٩٦) ما يساعد على التعريف بهذا "الطاغية" ،  
إذ ورد به أن السلطان أبا يوسف حارب "النصارى بالأندلس أربع مرات حتى أذن له له شانجة بن أدفونس وسأله  
في عقد السلم له ، فنقد له على شروط اشترطها عليه" .

(٢) في ص "عشرون" .

(٣) الكراع هنا ذخيرة الحرب من الأطعمة والمؤونة . (Quatremère : Op. Cit. I. 2. p. 126. n. 156) .

(٤) في ص "رأسهما" .

(٥) كذا في ص ، وهو بلد يجال مراكش في الجنوب الغربي من مدينة مراكش قديما ، واسمه  
(Timnlel, Tinamallal) في (G.-Demombynes : Masālik El Absār, Index) .

(٦) تتكون مدينة فاس المعروفة بمراكش من بلدين ، وهما فاس البالي — أي القديم ، ويسمى المدينة —  
وفاس الجديد ، وهو الذي بدأ بناءه يعقوب بن عبد الحق ، في شوال سنة ٦٧٤ هـ (١٢٧٦ م) ، كما بالتقريب . وقد أطلق  
على هذا البلد الجديد اسم المدينة البيضاء ، ثم غير إلى فاس الجديد تمييزا له من فاس البالي . (Enc. Isl. Art. Fās) .

(٧) بنير ضبط في ص ، وهي قلعة جنوبي أنطاكية ، وكانت لمدينة القرمان الداوية . (Le Strange : Palest. Under Moslems, p. 489) انظر أيضا (Stevenson : Crusaders In The East. Map) . هذا  
ويوجد في ابن واصل (قس المرجع ، ص ٤٢٦ ، وما بعدها) تفاصيل كثيرة متعلقة بتلك القلعة ، منها أنها كانت  
"البطرك من داخل البحر ، وبها قنصل من جهة البطرك اسمه سير كلنام (Sir William) ، وهو رجل جيد يحب الخير" .  
انظر أيضا النويري (نهاية الأرب ، ج ٢٨ ، ص ١٠٧ — ١٠٨) . أما البطرك المذكور فهو بطريق أنطاكية  
(The Latin Patriarch of Antioch) ، وكان قد ترك ميدان النضال يأسا من مقاومة السلطان ، فلق حنقه  
في تلك الموقعة . راجع (King : The Knights Hospitallers In The Holy Land, p. 274) .



الى الجهات التي قصدوها . وقدم الخبر بورود التار الى البيرة ، بجمع [السلطان] العساكر وأنفق<sup>(١)</sup> ، وخرج من دمشق إلى حمص ، بغاء الخبر برجوع التار فعاد إلى دمشق .

وفي هذه الأيام اختلفت أمراء الروم على البرواناه ، ففارقه جماعة من قيسارية ، وقدم منهم الى السلطان الأمير ضياء الدين محمود بن الخطير ، والأمير سنان الدين موسى بن طرنتاي ، ونظام الدين أخو مجد الدين الأتابك ، بعيالهم يريدون الانتماء (١١٦٠) اليه ، بغهزهم [السلطان] الى القاهرة . ثم إن محمود بن الخطير سمى بهم ، فاعتقلوا بقلعة الجبل مدة ثم أطلقوا .

وفي مستهل رجب توجه السلطان من دمشق إلى مصر ، فدخل قلعة الجبل في ثامن عشره . وقدمت هدية [صاحب] اليمن ، ومن حملتها كركدن وفيل وحمار وحش عتابي ، فسير [السلطان] إليه هدية مع رساله . وجهز [السلطان] هدية<sup>(٢)</sup> للملك منكوتر مع الأمير عز الدين أيبك الفخري ، وجهز رسل الملك الأشكري ، ورسل الفدش ، ورسل جنوة .

و [فيها] حضر ابن أخت ملك النوبة واسمه مشكد<sup>(٣)</sup> ، منتظما من داود ملك النوبة . بخزد السلطان معه الأمير آقسنقر الفارقاني . بعدة من العسكر وأجناد الولاية والعربان ، ومعه الزرقا<sup>(٤)</sup>قون والرماة ورجال الحراريق والزردخانة . تفرج في مستهل شعبان حتى عدى أسوان ، وقاتل [الملك داود ومن معه من] السودان . فقاتلوه على النجيب ، وهزمهم وأسر منهم كثيرا . وبعث

(١) في س "نفق" .

(٢) المقصود هنا (Alphonso of Seville) ملك أشبيلية ، وكان يته وبين السلطان بيمس معاهدة تجارية منذ ٦٦٩هـ (١٢٧٠ م) . انظر Lane-Poole : A Hist. of Egypt, p. 266 ، التويري : نهاية الأرب ، ج ٢٨ ، ص ٤٨ ، ٦٩ ، حيث توجد تفاصيل كثيرة بشأن هذه السفارة .

(٣) ضبط هذا الاسم من القلقشندي (صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٤٠٥) .

(٤) كذا في س ، واسم هذا الأمير "شكدة" في ابن أبي الفضايل (كتاب النجديد ، ص ٢٣٤) . انظر أيضا (التويري : نهاية الأرب ، ج ٢٨ ، ص ١٠٨ — ١٠٩ ، ١٥٧ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ٣١٠ ، ٣١١ ، ٣١٢ ، ٣١٣ ، ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣١٨ ، ٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ٣٢٤ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠ ، ٣٣١ ، ٣٣٢ ، ٣٣٣ ، ٣٣٤ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ٣٤١ ، ٣٤٢ ، ٣٤٣ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ٣٤٩ ، ٣٥٠ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ ، ٣٥٣ ، ٣٥٤ ، ٣٥٥ ، ٣٥٦ ، ٣٥٧ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٣٦١ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٣٦٦ ، ٣٦٧ ، ٣٦٨ ، ٣٦٩ ، ٣٧٠ ، ٣٧١ ، ٣٧٢ ، ٣٧٣ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥ ، ٣٧٦ ، ٣٧٧ ، ٣٧٨ ، ٣٧٩ ، ٣٨٠ ، ٣٨١ ، ٣٨٢ ، ٣٨٣ ، ٣٨٤ ، ٣٨٥ ، ٣٨٦ ، ٣٨٧ ، ٣٨٨ ، ٣٨٩ ، ٣٩٠ ، ٣٩١ ، ٣٩٢ ، ٣٩٣ ، ٣٩٤ ، ٣٩٥ ، ٣٩٦ ، ٣٩٧ ، ٣٩٨ ، ٣٩٩ ، ٤٠٠ ، ٤٠١ ، ٤٠٢ ، ٤٠٣ ، ٤٠٤ ، ٤٠٥ ، ٤٠٦ ، ٤٠٧ ، ٤٠٨ ، ٤٠٩ ، ٤١٠ ، ٤١١ ، ٤١٢ ، ٤١٣ ، ٤١٤ ، ٤١٥ ، ٤١٦ ، ٤١٧ ، ٤١٨ ، ٤١٩ ، ٤٢٠ ، ٤٢١ ، ٤٢٢ ، ٤٢٣ ، ٤٢٤ ، ٤٢٥ ، ٤٢٦ ، ٤٢٧ ، ٤٢٨ ، ٤٢٩ ، ٤٣٠ ، ٤٣١ ، ٤٣٢ ، ٤٣٣ ، ٤٣٤ ، ٤٣٥ ، ٤٣٦ ، ٤٣٧ ، ٤٣٨ ، ٤٣٩ ، ٤٤٠ ، ٤٤١ ، ٤٤٢ ، ٤٤٣ ، ٤٤٤ ، ٤٤٥ ، ٤٤٦ ، ٤٤٧ ، ٤٤٨ ، ٤٤٩ ، ٤٥٠ ، ٤٥١ ، ٤٥٢ ، ٤٥٣ ، ٤٥٤ ، ٤٥٥ ، ٤٥٦ ، ٤٥٧ ، ٤٥٨ ، ٤٥٩ ، ٤٦٠ ، ٤٦١ ، ٤٦٢ ، ٤٦٣ ، ٤٦٤ ، ٤٦٥ ، ٤٦٦ ، ٤٦٧ ، ٤٦٨ ، ٤٦٩ ، ٤٧٠ ، ٤٧١ ، ٤٧٢ ، ٤٧٣ ، ٤٧٤ ، ٤٧٥ ، ٤٧٦ ، ٤٧٧ ، ٤٧٨ ، ٤٧٩ ، ٤٨٠ ، ٤٨١ ، ٤٨٢ ، ٤٨٣ ، ٤٨٤ ، ٤٨٥ ، ٤٨٦ ، ٤٨٧ ، ٤٨٨ ، ٤٨٩ ، ٤٩٠ ، ٤٩١ ، ٤٩٢ ، ٤٩٣ ، ٤٩٤ ، ٤٩٥ ، ٤٩٦ ، ٤٩٧ ، ٤٩٨ ، ٤٩٩ ، ٥٠٠ ، ٥٠١ ، ٥٠٢ ، ٥٠٣ ، ٥٠٤ ، ٥٠٥ ، ٥٠٦ ، ٥٠٧ ، ٥٠٨ ، ٥٠٩ ، ٥١٠ ، ٥١١ ، ٥١٢ ، ٥١٣ ، ٥١٤ ، ٥١٥ ، ٥١٦ ، ٥١٧ ، ٥١٨ ، ٥١٩ ، ٥٢٠ ، ٥٢١ ، ٥٢٢ ، ٥٢٣ ، ٥٢٤ ، ٥٢٥ ، ٥٢٦ ، ٥٢٧ ، ٥٢٨ ، ٥٢٩ ، ٥٣٠ ، ٥٣١ ، ٥٣٢ ، ٥٣٣ ، ٥٣٤ ، ٥٣٥ ، ٥٣٦ ، ٥٣٧ ، ٥٣٨ ، ٥٣٩ ، ٥٤٠ ، ٥٤١ ، ٥٤٢ ، ٥٤٣ ، ٥٤٤ ، ٥٤٥ ، ٥٤٦ ، ٥٤٧ ، ٥٤٨ ، ٥٤٩ ، ٥٥٠ ، ٥٥١ ، ٥٥٢ ، ٥٥٣ ، ٥٥٤ ، ٥٥٥ ، ٥٥٦ ، ٥٥٧ ، ٥٥٨ ، ٥٥٩ ، ٥٦٠ ، ٥٦١ ، ٥٦٢ ، ٥٦٣ ، ٥٦٤ ، ٥٦٥ ، ٥٦٦ ، ٥٦٧ ، ٥٦٨ ، ٥٦٩ ، ٥٧٠ ، ٥٧١ ، ٥٧٢ ، ٥٧٣ ، ٥٧٤ ، ٥٧٥ ، ٥٧٦ ، ٥٧٧ ، ٥٧٨ ، ٥٧٩ ، ٥٨٠ ، ٥٨١ ، ٥٨٢ ، ٥٨٣ ، ٥٨٤ ، ٥٨٥ ، ٥٨٦ ، ٥٨٧ ، ٥٨٨ ، ٥٨٩ ، ٥٩٠ ، ٥٩١ ، ٥٩٢ ، ٥٩٣ ، ٥٩٤ ، ٥٩٥ ، ٥٩٦ ، ٥٩٧ ، ٥٩٨ ، ٥٩٩ ، ٦٠٠ ، ٦٠١ ، ٦٠٢ ، ٦٠٣ ، ٦٠٤ ، ٦٠٥ ، ٦٠٦ ، ٦٠٧ ، ٦٠٨ ، ٦٠٩ ، ٦١٠ ، ٦١١ ، ٦١٢ ، ٦١٣ ، ٦١٤ ، ٦١٥ ، ٦١٦ ، ٦١٧ ، ٦١٨ ، ٦١٩ ، ٦٢٠ ، ٦٢١ ، ٦٢٢ ، ٦٢٣ ، ٦٢٤ ، ٦٢٥ ، ٦٢٦ ، ٦٢٧ ، ٦٢٨ ، ٦٢٩ ، ٦٣٠ ، ٦٣١ ، ٦٣٢ ، ٦٣٣ ، ٦٣٤ ، ٦٣٥ ، ٦٣٦ ، ٦٣٧ ، ٦٣٨ ، ٦٣٩ ، ٦٤٠ ، ٦٤١ ، ٦٤٢ ، ٦٤٣ ، ٦٤٤ ، ٦٤٥ ، ٦٤٦ ، ٦٤٧ ، ٦٤٨ ، ٦٤٩ ، ٦٥٠ ، ٦٥١ ، ٦٥٢ ، ٦٥٣ ، ٦٥٤ ، ٦٥٥ ، ٦٥٦ ، ٦٥٧ ، ٦٥٨ ، ٦٥٩ ، ٦٦٠ ، ٦٦١ ، ٦٦٢ ، ٦٦٣ ، ٦٦٤ ، ٦٦٥ ، ٦٦٦ ، ٦٦٧ ، ٦٦٨ ، ٦٦٩ ، ٦٧٠ ، ٦٧١ ، ٦٧٢ ، ٦٧٣ ، ٦٧٤ ، ٦٧٥ ، ٦٧٦ ، ٦٧٧ ، ٦٧٨ ، ٦٧٩ ، ٦٨٠ ، ٦٨١ ، ٦٨٢ ، ٦٨٣ ، ٦٨٤ ، ٦٨٥ ، ٦٨٦ ، ٦٨٧ ، ٦٨٨ ، ٦٨٩ ، ٦٩٠ ، ٦٩١ ، ٦٩٢ ، ٦٩٣ ، ٦٩٤ ، ٦٩٥ ، ٦٩٦ ، ٦٩٧ ، ٦٩٨ ، ٦٩٩ ، ٧٠٠ ، ٧٠١ ، ٧٠٢ ، ٧٠٣ ، ٧٠٤ ، ٧٠٥ ، ٧٠٦ ، ٧٠٧ ، ٧٠٨ ، ٧٠٩ ، ٧١٠ ، ٧١١ ، ٧١٢ ، ٧١٣ ، ٧١٤ ، ٧١٥ ، ٧١٦ ، ٧١٧ ، ٧١٨ ، ٧١٩ ، ٧٢٠ ، ٧٢١ ، ٧٢٢ ، ٧٢٣ ، ٧٢٤ ، ٧٢٥ ، ٧٢٦ ، ٧٢٧ ، ٧٢٨ ، ٧٢٩ ، ٧٣٠ ، ٧٣١ ، ٧٣٢ ، ٧٣٣ ، ٧٣٤ ، ٧٣٥ ، ٧٣٦ ، ٧٣٧ ، ٧٣٨ ، ٧٣٩ ، ٧٤٠ ، ٧٤١ ، ٧٤٢ ، ٧٤٣ ، ٧٤٤ ، ٧٤٥ ، ٧٤٦ ، ٧٤٧ ، ٧٤٨ ، ٧٤٩ ، ٧٥٠ ، ٧٥١ ، ٧٥٢ ، ٧٥٣ ، ٧٥٤ ، ٧٥٥ ، ٧٥٦ ، ٧٥٧ ، ٧٥٨ ، ٧٥٩ ، ٧٦٠ ، ٧٦١ ، ٧٦٢ ، ٧٦٣ ، ٧٦٤ ، ٧٦٥ ، ٧٦٦ ، ٧٦٧ ، ٧٦٨ ، ٧٦٩ ، ٧٧٠ ، ٧٧١ ، ٧٧٢ ، ٧٧٣ ، ٧٧٤ ، ٧٧٥ ، ٧٧٦ ، ٧٧٧ ، ٧٧٨ ، ٧٧٩ ، ٧٨٠ ، ٧٨١ ، ٧٨٢ ، ٧٨٣ ، ٧٨٤ ، ٧٨٥ ، ٧٨٦ ، ٧٨٧ ، ٧٨٨ ، ٧٨٩ ، ٧٩٠ ، ٧٩١ ، ٧٩٢ ، ٧٩٣ ، ٧٩٤ ، ٧٩٥ ، ٧٩٦ ، ٧٩٧ ، ٧٩٨ ، ٧٩٩ ، ٨٠٠ ، ٨٠١ ، ٨٠٢ ، ٨٠٣ ، ٨٠٤ ، ٨٠٥ ، ٨٠٦ ، ٨٠٧ ، ٨٠٨ ، ٨٠٩ ، ٨١٠ ، ٨١١ ، ٨١٢ ، ٨١٣ ، ٨١٤ ، ٨١٥ ، ٨١٦ ، ٨١٧ ، ٨١٨ ، ٨١٩ ، ٨٢٠ ، ٨٢١ ، ٨٢٢ ، ٨٢٣ ، ٨٢٤ ، ٨٢٥ ، ٨٢٦ ، ٨٢٧ ، ٨٢٨ ، ٨٢٩ ، ٨٣٠ ، ٨٣١ ، ٨٣٢ ، ٨٣٣ ، ٨٣٤ ، ٨٣٥ ، ٨٣٦ ، ٨٣٧ ، ٨٣٨ ، ٨٣٩ ، ٨٤٠ ، ٨٤١ ، ٨٤٢ ، ٨٤٣ ، ٨٤٤ ، ٨٤٥ ، ٨٤٦ ، ٨٤٧ ، ٨٤٨ ، ٨٤٩ ، ٨٥٠ ، ٨٥١ ، ٨٥٢ ، ٨٥٣ ، ٨٥٤ ، ٨٥٥ ، ٨٥٦ ، ٨٥٧ ، ٨٥٨ ، ٨٥٩ ، ٨٦٠ ، ٨٦١ ، ٨٦٢ ، ٨٦٣ ، ٨٦٤ ، ٨٦٥ ، ٨٦٦ ، ٨٦٧ ، ٨٦٨ ، ٨٦٩ ، ٨٧٠ ، ٨٧١ ، ٨٧٢ ، ٨٧٣ ، ٨٧٤ ، ٨٧٥ ، ٨٧٦ ، ٨٧٧ ، ٨٧٨ ، ٨٧٩ ، ٨٨٠ ، ٨٨١ ، ٨٨٢ ، ٨٨٣ ، ٨٨٤ ، ٨٨٥ ، ٨٨٦ ، ٨٨٧ ، ٨٨٨ ، ٨٨٩ ، ٨٩٠ ، ٨٩١ ، ٨٩٢ ، ٨٩٣ ، ٨٩٤ ، ٨٩٥ ، ٨٩٦ ، ٨٩٧ ، ٨٩٨ ، ٨٩٩ ، ٩٠٠ ، ٩٠١ ، ٩٠٢ ، ٩٠٣ ، ٩٠٤ ، ٩٠٥ ، ٩٠٦ ، ٩٠٧ ، ٩٠٨ ، ٩٠٩ ، ٩١٠ ، ٩١١ ، ٩١٢ ، ٩١٣ ، ٩١٤ ، ٩١٥ ، ٩١٦ ، ٩١٧ ، ٩١٨ ، ٩١٩ ، ٩٢٠ ، ٩٢١ ، ٩٢٢ ، ٩٢٣ ، ٩٢٤ ، ٩٢٥ ، ٩٢٦ ، ٩٢٧ ، ٩٢٨ ، ٩٢٩ ، ٩٣٠ ، ٩٣١ ، ٩٣٢ ، ٩٣٣ ، ٩٣٤ ، ٩٣٥ ، ٩٣٦ ، ٩٣٧ ، ٩٣٨ ، ٩٣٩ ، ٩٤٠ ، ٩٤١ ، ٩٤٢ ، ٩٤٣ ، ٩٤٤ ، ٩٤٥ ، ٩٤٦ ، ٩٤٧ ، ٩٤٨ ، ٩٤٩ ، ٩٥٠ ، ٩٥١ ، ٩٥٢ ، ٩٥٣ ، ٩٥٤ ، ٩٥٥ ، ٩٥٦ ، ٩٥٧ ، ٩٥٨ ، ٩٥٩ ، ٩٦٠ ، ٩٦١ ، ٩٦٢ ، ٩٦٣ ، ٩٦٤ ، ٩٦٥ ، ٩٦٦ ، ٩٦٧ ، ٩٦٨ ، ٩٦٩ ، ٩٧٠ ، ٩٧١ ، ٩٧٢ ، ٩٧٣ ، ٩٧٤ ، ٩٧٥ ، ٩٧٦ ، ٩٧٧ ، ٩٧٨ ، ٩٧٩ ، ٩٨٠ ، ٩٨١ ، ٩٨٢ ، ٩٨٣ ، ٩٨٤ ، ٩٨٥ ، ٩٨٦ ، ٩٨٧ ، ٩٨٨ ، ٩٨٩ ، ٩٩٠ ، ٩٩١ ، ٩٩٢ ، ٩٩٣ ، ٩٩٤ ، ٩٩٥ ، ٩٩٦ ، ٩٩٧ ، ٩٩٨ ، ٩٩٩ ، ١٠٠٠ ، ١٠٠١ ، ١٠٠٢ ، ١٠٠٣ ، ١٠٠٤ ، ١٠٠٥ ، ١٠٠٦ ، ١٠٠٧ ، ١٠٠٨ ، ١٠٠٩ ، ١٠١٠ ، ١٠١١ ، ١٠١٢ ، ١٠١٣ ، ١٠١٤ ، ١٠١٥ ، ١٠١٦ ، ١٠١٧ ، ١٠١٨ ، ١٠١٩ ، ١٠٢٠ ، ١٠٢١ ، ١٠٢٢ ، ١٠٢٣ ، ١٠٢٤ ، ١٠٢٥ ، ١٠٢٦ ، ١٠٢٧ ، ١٠٢٨ ، ١٠٢٩ ، ١٠٣٠ ، ١٠٣١ ، ١٠٣٢ ، ١٠٣٣ ، ١٠٣٤ ، ١٠٣٥ ، ١٠٣٦ ، ١٠٣٧ ، ١٠٣٨ ، ١٠٣٩ ، ١٠٤٠ ، ١٠٤١ ، ١٠٤٢ ، ١٠٤٣ ، ١٠٤٤ ، ١٠٤٥ ، ١٠٤٦ ، ١٠٤٧ ، ١٠٤٨ ، ١٠٤٩ ، ١٠٥٠ ، ١٠٥١ ، ١٠٥٢ ، ١٠٥٣ ، ١٠٥٤ ، ١٠٥٥ ، ١٠٥٦ ، ١٠٥٧ ، ١٠٥٨ ، ١٠٥٩ ، ١٠٦٠ ، ١٠٦١ ، ١٠٦٢ ، ١٠٦٣ ، ١٠٦٤ ، ١٠٦٥ ، ١٠٦٦ ، ١٠٦٧ ، ١٠٦٨ ، ١٠٦٩ ، ١٠٧٠ ، ١٠٧١ ، ١٠٧٢ ، ١٠٧٣ ، ١٠٧٤ ، ١٠٧٥ ، ١٠٧٦ ، ١٠٧٧ ، ١٠٧٨ ، ١٠٧٩ ، ١٠٨٠ ، ١٠٨١ ، ١٠٨٢ ، ١٠٨٣ ، ١٠٨٤ ، ١٠٨٥ ، ١٠٨٦ ، ١٠٨٧ ، ١٠٨٨ ، ١٠٨٩ ، ١٠٩٠ ، ١٠٩١ ، ١٠٩٢ ، ١٠٩٣ ، ١٠٩٤ ، ١٠٩٥ ، ١٠٩٦ ، ١٠٩٧ ، ١٠٩٨ ، ١٠٩٩ ، ١١٠٠ ، ١١٠١ ، ١١٠٢ ، ١١٠٣ ، ١١٠٤ ، ١١٠٥ ، ١١٠٦ ، ١١٠٧ ، ١١٠٨ ، ١١٠٩ ، ١١١٠ ، ١١١١ ، ١١١٢ ، ١١١٣ ، ١١١٤ ، ١١١٥ ، ١١١٦ ، ١١١٧ ، ١١١٨ ، ١١١٩ ، ١١٢٠ ، ١١٢١ ، ١١٢٢ ، ١١٢٣ ، ١١٢٤ ، ١١٢٥ ، ١١٢٦ ، ١١٢٧ ، ١١٢٨ ، ١١٢٩ ، ١١٣٠ ، ١١٣١ ، ١١٣٢ ، ١١٣٣ ، ١١٣٤ ، ١١٣٥ ، ١١٣٦ ، ١١٣٧ ، ١١٣٨ ، ١١٣٩ ، ١١٤٠ ، ١١٤١ ، ١١٤٢ ، ١١٤٣ ، ١١٤٤ ، ١١٤٥ ، ١١٤٦ ، ١١٤٧ ، ١١٤٨ ، ١١٤٩ ، ١١٥٠ ، ١١٥١ ، ١١٥٢ ، ١١٥٣ ، ١١٥٤ ، ١١٥٥ ، ١١٥٦ ، ١١٥٧ ، ١١٥٨ ، ١١٥٩ ، ١١٦٠ ، ١١٦١ ، ١١٦٢ ، ١١٦٣ ، ١١٦٤ ، ١١٦٥ ، ١١٦٦ ، ١١٦٧ ، ١١٦٨ ، ١١٦٩ ، ١١٧٠ ، ١١٧١ ، ١١٧٢ ، ١١٧٣ ، ١١٧٤ ، ١١٧٥ ، ١١٧٦ ، ١١٧٧ ، ١١٧٨ ، ١١٧٩ ، ١١٨٠ ، ١١٨١ ، ١١٨٢ ، ١١٨٣ ، ١١٨٤ ، ١١٨٥ ، ١١٨٦ ، ١١٨٧ ، ١١٨٨ ، ١١٨٩ ، ١١٩٠ ، ١١٩١ ، ١١٩٢ ، ١١٩٣ ، ١١٩٤ ، ١١٩٥ ، ١١٩٦ ، ١١٩٧ ، ١١٩٨ ، ١١٩٩ ، ١٢٠٠ ، ١٢٠١ ، ١٢٠٢ ، ١٢٠٣ ، ١٢٠٤ ، ١٢٠٥ ، ١٢٠٦ ، ١٢٠٧ ، ١٢٠٨ ، ١٢٠٩ ، ١٢١٠ ، ١٢١١ ، ١٢١٢ ، ١٢١٣ ، ١٢١٤ ، ١٢١٥ ، ١٢١٦ ، ١٢١٧ ، ١٢١٨ ، ١٢١٩ ، ١٢٢٠ ، ١٢٢١ ، ١٢٢٢ ، ١٢٢٣ ، ١٢٢٤ ، ١٢٢٥ ، ١٢٢٦ ، ١٢٢٧ ، ١٢٢٨ ، ١٢٢٩ ، ١٢٣٠ ، ١٢٣١ ، ١٢٣٢ ، ١٢٣٣ ، ١٢٣٤ ، ١٢٣٥ ، ١٢٣٦ ، ١٢٣٧ ، ١٢٣٨ ، ١٢٣٩ ، ١٢٤٠ ، ١٢٤١ ، ١٢٤٢ ، ١٢٤٣ ، ١٢٤٤ ، ١٢٤٥ ، ١٢٤٦ ، ١٢٤٧ ، ١٢٤٨ ، ١٢٤٩ ، ١٢٥٠ ، ١٢٥١ ، ١٢٥٢ ، ١٢٥٣ ، ١٢٥٤ ، ١٢٥٥ ، ١٢٥٦ ، ١٢٥٧ ، ١٢٥٨ ، ١٢٥٩ ، ١٢٦٠ ، ١٢٦١ ، ١٢٦٢ ، ١٢٦٣ ، ١٢٦٤ ، ١٢٦٥ ، ١٢٦٦ ، ١٢٦٧ ، ١٢٦٨ ، ١٢٦٩ ، ١٢٧٠ ، ١٢٧١ ، ١٢٧٢ ، ١٢٧٣ ، ١٢٧٤ ، ١٢٧٥ ، ١٢٧٦ ، ١٢٧٧ ، ١٢٧٨ ، ١٢٧٩ ، ١٢٨٠ ، ١٢٨١ ، ١٢٨٢ ، ١٢٨٣ ، ١٢٨٤ ، ١٢٨٥ ، ١٢٨٦ ، ١٢٨٧ ، ١٢٨٨ ، ١٢٨٩ ، ١٢٩٠ ، ١٢٩١ ، ١٢٩٢ ، ١٢٩٣ ، ١٢٩٤ ، ١٢٩٥ ، ١٢٩٦ ، ١٢٩٧ ، ١٢٩٨ ، ١٢٩٩ ، ١٣٠٠ ، ١٣٠١ ، ١٣٠٢ ، ١٣٠٣ ، ١٣٠٤ ، ١٣٠٥ ، ١٣٠٦ ، ١٣٠٧ ، ١٣٠٨ ، ١٣٠٩ ، ١٣١٠ ، ١٣١١ ، ١٣١٢ ، ١٣١٣ ، ١٣١٤ ، ١٣١٥ ، ١٣١٦ ، ١٣١٧ ، ١٣١٨ ، ١٣١٩ ، ١٣٢٠ ، ١٣٢١ ، ١٣٢٢ ، ١٣٢٣ ، ١٣٢٤ ، ١٣٢٥ ، ١٣٢٦ ، ١٣٢٧ ، ١٣٢٨ ، ١٣٢٩ ، ١٣٣٠ ، ١٣٣١ ، ١٣٣٢ ، ١٣٣٣ ، ١٣٣٤ ، ١٣٣٥ ، ١٣٣٦ ، ١٣٣٧ ، ١٣٣٨ ، ١٣٣٩ ، ١٣٤٠ ، ١٣٤١ ، ١٣٤٢ ، ١٣٤٣ ، ١٣٤٤ ، ١٣٤٥ ، ١٣٤٦ ، ١٣٤٧ ، ١٣٤٨ ، ١٣٤٩ ، ١٣٥٠ ، ١٣٥١ ، ١٣٥٢ ، ١٣٥٣ ، ١٣٥٤ ، ١٣٥٥ ، ١٣٥٦ ، ١٣٥٧ ، ١٣٥٨ ، ١٣٥٩ ، ١٣٦٠ ، ١٣٦١ ، ١٣٦٢ ، ١٣٦٣ ، ١٣٦٤ ، ١٣٦٥ ، ١٣٦٦ ، ١٣٦٧ ، ١٣٦٨ ، ١٣٦٩ ، ١٣٧٠ ، ١٣٧١ ، ١٣٧٢ ، ١٣٧٣ ، ١٣٧٤ ، ١٣٧٥ ، ١٣٧٦ ، ١٣٧٧ ، ١٣٧٨ ، ١٣٧٩ ، ١٣٨٠ ، ١٣٨١ ، ١٣٨٢ ، ١٣٨٣ ، ١٣٨٤ ، ١٣٨٥ ، ١٣٨٦ ، ١٣٨٧ ، ١٣٨٨ ، ١٣٨٩ ، ١٣٩٠ ، ١٣٩١ ، ١٣٩٢ ، ١٣٩٣ ، ١٣٩٤ ، ١٣٩٥ ، ١٣٩٦ ، ١٣٩٧ ، ١٣٩٨ ، ١٣٩٩ ، ١٤٠٠ ، ١٤٠١ ، ١٤٠٢ ، ١٤٠٣ ، ١٤٠٤ ، ١٤٠٥ ، ١٤٠٦ ، ١٤٠٧ ، ١٤٠٨ ، ١٤٠٩ ، ١٤١٠ ، ١٤١١ ، ١٤١٢ ، ١٤١٣ ، ١٤١٤ ، ١٤١٥ ، ١٤١٦ ، ١٤١٧ ، ١٤١٨ ، ١٤١٩ ، ١٤٢٠ ، ١٤٢١ ، ١٤٢٢ ، ١٤٢٣ ، ١٤٢٤ ، ١٤٢٥ ، ١٤٢٦ ، ١٤٢٧ ، ١٤٢٨ ، ١٤٢٩ ، ١٤٣٠ ، ١٤٣١ ، ١٤٣٢ ، ١٤٣٣ ، ١٤٣٤ ، ١٤٣٥ ، ١٤٣٦



[الأمير آقسنقر] الأمير عز الدين الأفرم ، فأغار على قلعة المدو<sup>(١)</sup> وقتل وسبي ، ثم توجه  
[الأمير سنقر] و أثره يقتل ويأسر حتى وصل إلى جزيرة ميكايل<sup>(٢)</sup> — وهي رأس جنادل  
النوبة — فقتل وأسر . وأقر [الأمير آقسنقر] فر الدولة صاحب الجبل<sup>(٣)</sup> — وبيده نصف  
بلاد النوبة — على ما بيده ، ثم واقع الملك داود حتى أفنى معظم رجاله قتلا وأسرا . وفتر  
[داود] بنفسه في البحر وأسر أخوه شنكو<sup>(٤)</sup> ، فساق العسكر خلفه ثلاثة أيام ، والسيف يعمل  
فيمن هناك حتى دخلوا كلهم في الطاعة ، وأسرت أم الملك [داود] وأخته .

وأقيم مشكد في المملكة ، وألبس التاج وأجلس في مكان داود ، وفترت عليه القطيعة في كل  
سنة : وهي فيلة ثلاثة<sup>(٥)</sup> ، وزرافات ثلاث ، وفهود اثنتان خمس ، [و] صهب جياذ مائة ،  
[و] أبقار جياذ متخبة مائة . وفتر أن تكون البلاد مشاطرة : نصفها للسلطان ونصفها  
لعمارة البلاد وحفظها ، وأن تكون بلاد العلي<sup>(٦)</sup> وبلاد الجبل للسلطان — وهي قدر ربع بلاد النوبة —  
لقربها من أسوان ، وأن يحمل القطن والتمر مع الحقوق الجارى بها العادة من القديم . وعرض  
عليهم الإسلام أو الجزية أو القتل فاخاروا الجزية ، وأن يقوم كل منهم بدينار عينا في كل سنة .  
وعملت نسخة يمين بهذه الشروط ، وحلف عليها مشكد وأكابر النوبة ، وعملت [أيضا] نسخة  
للرعية بأنهم يطيعون نائب السلطان مادام طائعا ، ويقومون بدينار عن كل بالغ<sup>(٧)</sup> . ونحرت كنيسة

(١) ضبط هذا الاسم على منطوقه في (Quatremère : Op. Cit. I. 2. p. 128).

(٢) في س "صاحب الخيل" . انظر . (Quatremère : Op. Cit. I. 2. p. 128 n. 158) ، وكذلك

مايل سطر ١٠ . (٣) كذا في س ، واسم هذا الأمير "سكوا" في النويري (نهاية الأرب ، ج ٢٨ ، ص ١٠٨) .

(٤) في س "ثلاث" . (٥) في س "متخبة" . انظر (Quatremère : Op. Cit. I. 2 p. 128) .

(٦) ضبط هذا الاسم على منطوقه في (Quatremère : Op. Cit. I. 2. p. 128, et n. 159) . هذا

وقد أورد ابن أبي الفضايل (كتاب النهج السديد ، ص ٢٣٥) في هذا العدد ما يساعد على التعريف بهذه البلاد ، ونصه :

"وتزروا أيضا أن تكون دزوابريم ، وهما قلعتان حصيتان قريتان من أسوان بينهما سبعة أيام ، خاما للسلطان" .

(٧) في س "يطيعوا" . (٨) في س "يقوموا" .

(٩) أورد النويري (نهاية الأرب ، ج ٢٨ ، ص ١٠٩) نص هذين اليمينين ، وهما منقولان من هذا المرجع

في ملحق رقم ٥ في آخر هذا الجزء ، انظر أيضا (Quatremère ; Op. Cit. I. 2. 129. n. 160) . هذا ونص

اليمين الأول فقط موجود في ابن أبي الفضايل (كتاب النهج السديد ، ص ٢٣٦ ، وما بعدها) .



سوس<sup>(١)</sup>، [التي كان يزعم داود أنها تحدّثه بما يؤذيه]، وأخذ ما فيها من الصليبان الذهب وغيرها، بخاتم مبلغ أربعة آلاف وستمائة وأربعين ديناراً ونصف، وبلغت الأواني الفضة ثمانية آلاف وستمائة وستين ديناراً. وكان داود قد عمرها على أكثاف المسلمين الذين أسرمهم من عيذاب وأسوان. وقُتِر على أقارب (١٦٠ ب) داود حمل ما خلفه من رقيق وقماش إلى السلطان، وأطلقت الأسرى الذين كانوا بالنوبة من أهل عيذاب وأسوان، وردوا إلى أوطانهم. وغنم العسكر من الرقيق شيئاً كثيراً، حتى أبيع كل رأس بثلاثة دراهم، وفضل بعد القتل والبيع عشرة آلاف نفس. وأقام العسكر بمدينة دمقلة سبعة عشر يوماً، وعادوا إلى القاهرة في خامس ذي الحجة بالأسرى والغنائم. فرسم [السلطان] للصاحب بهاء الدين بن حنا أن يستخدم عمالاً على ما يستخرج من النوبة من الخراج والجزية بدمقلة وأعمالها، فعمل لذلك ديوان.

١٠

وفي ثاني عشره اجتمع القضاة والأمراء والأعيان بقلعة الجبل، وعُقد لذلك السعيد على غازية خاتون ابنة الأمير قلاوون الأتقي، بوكالة الأمير بدر الدين بيليك الخازندار نائب السلطنة عن الملك السعيد. فقبل العقد عن الأمير قلاوون الأمير أفسنقر الفارقاني، على صداق مبلغه خمسة آلاف دينار، المعجل منها ألفاً دينار. وكتب الصداق بخط القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر وإنشائه، ومن جملته: "هذا كتاب تحاسدت رماح الخط وأقلام الخط على تحريره، وتنافست مطالع الأنوار ومشارك الأنوار على تسطيره. وأضاء نوره بالجلالة وأشرق، وهطل نوره بالإحسان وأغدق، وتناسبت فيه أجناس تجنيس لفظ الفضل فقال الاعتراف هذا ما تصدق، وقال العرف هذا ما أصدق".

١٥

وفيه شفق السلطان الطواشي شجاع الدين عنبر المعروف بصدر الباز — وكان قد تمكن منه تمكناً عظيماً — من أجل أنه شرب الخمر، وعلقه تحت قلعة الجبل.

٢٠

(١) كذا في س، وقد أضيف ما بين القوسين من التويري (نهاية الأرب، ج ٢٨، ص ١٠٩).

(٢) في س "واحدراً". (٣) في س "غاريه". انظر ص ٦١٩، حاشية ٤.

(٤) أورد التويري (نهاية الأرب، ج ٢٨، ص ٦٩ — ٧٠) هذا النص كاملاً غير مجمل كما هنا.



وعند ما اتقضى أمر المقد، ركب السلطان من يومه على الميجن في نفر يسير، وسار إلى الكرك فدخلها في ثالث عشرية، وهو يريد القبض على الأمير سابق الدين عبية. فلما بلغه حضور السلطان قدم عليه، فرعى له ذلك وزاد إقطاعه. ونظر [السلطان] في أمر أهل الكرك، وقطع أيدي ستة منهم اتهموا بأنهم قد عزموا على إثارة فتنة، ورتب رجالا بها عوضا عن <sup>(٢)</sup> كان فيها.

وفيهما أقام حجاج مصر بمكة ثمانية عشر يوما، وبالمدينة النبوية عشرة أيام، وهذا لم يعهد مثله.

ومات في [هذه السنة] <sup>(٣)</sup> من الأعيان الأمير ركن الدين خاص ترك الكبير، أحد الأمراء الأكابر بدمشق، في ثالث عشر ربيع الأول. ومات الأمير حسام الدين قياز الكافري، نائب حصن الأكراد والسواحل والفتوحات. وتوفي سعد الدين أبو العباس الخضر بن التاج أبي محمد عبد الله بن العماد أبي الفتح عمر بن علي بن محمد بن حمويه الجويني، شيخ الشيوخ بدمشق، بها عن نيف وثمانين سنة. وتوفي تاج الدين أبو الشاء محمود بن عابد بن الحسين ابن محمد بن علي التميمي الصرخدي الحنفي، بدمشق عن ست وتسعين سنة. وتوفي زين الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن جبريل، كاتب الإنشاء بقاعة الجبل في ... .. وتوفي <sup>(٧)</sup>

(١) في س، "ع" وهو مترجم في (Quatremère: Op. Cit. I. 2. p. 131) ال (Aībah).

(٢) يل هذا اللفظ بياض في س، يسم كلتين تقريرا.

(٣) في س "فها".

(٤) الوفيات التالية واردة هنا كما في ب (١٨٩ ب — ١٩٠ أ)، وهي في س على ورقة مفصلة بين الصفحتين

١٥٦ ب، ١٥٧ أ، وقد أشير إلى ذلك في موضعه. انظر (النويري: نهاية الأرب، ج ٢٨، ص ٧١ — ٧٢؛

ابن العماد: شذرات الذهب، ج ٥، ص ٣٤٢ — ٣٤٤).

(٥) في س "الثا"، وفي ب (١٩٠ ب) "البا".

(٦) في س "عايد"، وفي هامش الورقة عبارة تصحيفية لهذا الاسم، وهي بخط مخالف، ونصها: إنما هو

عابد بالياء الموحدة والبدال المهملة. انظر ابن العماد (شذرات الذهب، ج ٥، ص ٣٤٤).

(٧) بياض في س.



كمال الدين أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الرحيم بن علي بن إسحاق بن علي بن شيث الأوموي . . . . .<sup>(١)</sup>  
وتوفي الأديب أبو الحسن علي بن أحمد بن العقيب العامري ببعلبك .<sup>(٢)</sup>

\*\*\*

سنة خمس وسبعين وستمائة . في المحرم سار السلطان من الكرك ، فدخل إلى دمشق في رابع عشره . وقدم عليه عدة من أمراء الروم مغاضبين للبرواناء ، وهو معين الدين سليمان بن علي بن محمد بن حسن . [وكان] منهم الأمير حسام الدين بيتجار الرومي ، وبهادر ولده ، وأحمد بن بهادر ، واثنا عشر من أمراء الروم بأولادهم ونسائهم ، من جعلتهم قروشي<sup>(٣)</sup> وسكائي<sup>(٤)</sup> ابنا قراجين بن جيفان نوين . فأحسن السلطان إليهم ، وبعث حريمهم إلى القاهرة ، وأجرى عليهم الأرزاق . ثم وصل الأمير سيف الدين جندر بك صاحب<sup>(٥)</sup> الأبلستين<sup>(٦)</sup> ، والأمير مبارز الدين [سوار بن الجاشنكير] ، في كثير من أمراء الروم ، فلقاهم السلطان بنفسه وأكرمهم . ثم كتب [السلطان] إلى الأمراء بمصر يستشيرهم في بعث عسكر إلى الروم ، وأن يحضر الأمير بيمري والأمير<sup>(٧)</sup> (١٦١) أقش بما يتفق الرأي عليه ، فحضرا على البريد ، ووصل [أيضا] ١٠

- (١) ياض في س ، سبع ثلاثة ألفاظ تقريبا .
- (٢) هذا الاسم مضبوط هكذا في س .
- (٣) في س "بجار" . انظر ابن أبي الفضائل (كتاب النهج الجديد ، ص ٢٣٩) .
- (٤) كذا في س ، واسمه "جادر جي" في ابن أبي الفضائل (كتاب النهج الجديد ، ص ٢٣٩) .
- (٥) في س "سكاي" ، واسمه "نيكاي" في ابن أبي الفضائل (كتاب النهج الجديد ، ص ٢٣٩ ، حاشية ٢ ، من الترجمة الفرنسية) .
- (٦) في س "جندر" . انظر ابن أبي الفضائل (كتاب النهج الجديد ، ص ٢٤٣) . هذا وفق : (D'Olsson Op. Cit. III, p. 480) أن اسم هذا الأمير (Haïdar-Bey) .
- (٧) بفرضبط في س ، وهي مدينة ييلاد الروم اسمها الحالى البستان ، وهي قرية من أفسوس (Ephesus) مدينة أهل الكهف . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٩٤) . انظر أيضا (Lo Strango : Palest. Under Moslems. p. 277) .
- (٨) أضيف ما بين القوسين من ابن أبي الفضائل (كتاب النهج الجديد ، ص ٢٤٣) .
- (٩) يوجد بين الصفحتين ١٦٠ ب ، ١٦١ أ في س ورثه بها وفيات تامة لسنة ٨٦٧ ، وقد أوردت في موضعها المناسب هناك . (انظر ص ٦٠٤ ، حاشية ٢) .



الأمير مستقر الأشقر . وتتابع وصول حريم أمراء الروم ، فأكرمهم السلطان وجهزهم الى القاهرة . وسار [ السلطان ] الى حلب ، وجرّد منها الأمير سيف الدين بلبان الزينى الصالحى فى عسكر، فوصلوا الى عين قاب .

وعاد السلطان من حلب الى مصر، فدخل قلعة الجبل فى رابع عشر ربيع الأول؛ ورسم بتجهيز مهمات العرض : فأخذ الناس فى التجهيز، وغات الخيول والأساحة . وعدم صنّاع صقل العدد من القاهرة لاشتغالهم بالعمل عند الأمراء ، وعزّ وجود صنّاع النشاب ومقوّى الرماح .

وفى خامس جمادى الأولى وقع العرض ، فركبت العساكر بكاملها فى يوم واحد وقد لبسوا أجمل العدد، وقصد السلطان بركوبهم فى يوم واحد حتى لا يستعير أحد من أحد شيئاً . وفترق السلطان على ممالكه العدد الجليّة، وركب الأمراء الروميون ومن حضر من الرسل، وعرض الجميع على السلطان . ونزلوا من الغد فى الوطقات للعب، وقد لبس الممالك السلطانية الجواشن والحدود، وعملت الأبرجة الخشب على الخيلة، ودخلوا فى الحلقة وساقوا . ثم نصب القبق بالميدان الأسود [ تحت القلعة ] ورموا النشاب ، وأنعم السلطان على كل من أصاب القبق من الأمراء بفارس من الخنازير الخاص، بسرجه وبلحاه وتشاهيره بالمرات الفضة وغيرها، وأنعم على من أصاب من الممالك والأجناد بالخلع . [ كل ذلك ] والسلطان يسمي، وقد تنوع فى لامات حربه ، وصار يأخذ بقلوب الناس ويعسن اليهم . وساق [ السلطان ] بالرح أحسن سوق حتى تعجبوا من فروسيته، الى أن انقضى النهار على هذا .

وفى اليوم الثالث ركب السلطان، ولعب الناس ورموا فى القبق، والسلطان يطاعن بالرمح . وفى الغد ترتب العسكر من جهتين، واصطدما وتطاعنت الفرسان؛ [ وكان ] السلطان يبدأ يراه الناس آخراً قد شاهدوه أولاً . [ وهو ] لا يسام من الكثر والعزّ، وشاهد الناس منه ومن الملك السعيد ما يبهّر العقول . وتواصل الطعن بغير جراح، والسلطان بين تلك الصفوف لا يخاف .

(١) أضيف ما بين القوسين من ابن أبى القضائل (كتاب النهج السديد، ص ٢٥٧) .



وفي يوم الثلاثاء أنعم [السلطان] على جميع الأمراء والمقدمين والنفوسا والمتعممين بالتشريف، ولبس السلطان تشريفا كاملا بشربوش، ثم أنعم به على الأمير سيف الدين قلاون الألفي، ولعبوا على عادتهم. وحصل الاهتمام (١٦١ ب) بأمر السباط، ونقل له من أصناف الحوائج ما لا يعد، وسبق من الأغنام الوف كثيرة. ومُدت الأسمطة، وحضر السلطان والناس في خدمته إلى أن أخذوا حاجتهم من الطعام والحلاوات، ثم نُقل جميع ذلك وأُخذ. وحضرت التقدّم، فقبل السلطان منها اليسير مثل تفصيلة أورشى لطيف، وما قام من مجلسه حتى أنعم بذلك في وقته. ودخل الملك السعيد على ابنة الأمير قلاون.

وشرع السلطان في السفر لأخذ بلاد الروم، وبعث إلى الأمراء الروميين الخيول والحيام وكل ما يصلح من أمور السفر. وتقرّر الأمير آقسنقر الفارقاني نائب الغيبة بقاعة الجبل، ومعه صاحب بهاء الدين بن حنا، ليكونا في خدمة الملك السعيد. وتعين صاحب زين الدين أحمد بن صاحب نحر الدين محمد بن صاحب بهاء الدين لوزارة الصحبة.

وخرج السلطان من قلعة الجبل يوم الخميس العشرين من رمضان، ورحل في يوم السبت ثاني عشره ومعه الأمراء والعساكر الإسلامية يريد البلاد الشامية. فدخل دمشق يوم الأربعاء سابع عشر شوال، وخرج منها إلى حلب في العشرين منه، فوصل إلى حلب مستهل ذي القعدة، وخرج منها يوم الخميس ثانيه إلى حيلان. وجرّد [السلطان] الأمير نور الدين

(١) ترجم (Quatremère : Op. Cit. I. 2. p. 138) هذا المقط إلى (robe) أي ثوب. انظر أيضا (Dozy : Suppl. Dict. Ar.).

(٢) يكون صاحب هذا المنصب وزيرا متفلا، يرافق السلطان في أسفاره وحروبه ليقوم بوظيفة الوزير ويصرف شؤونها معه، وذلك لينسى للوزير الأصل أن يقيم بالقاهرة حيث مقر عمله. ويتضح هذا الترتيب من عبارة المتن، فإن صاحب بهاء الدين بن حنا هو الوزير وقد تركه السلطان يسير بالقاهرة، وعين صاحب زين الدين ليكون وزير الصحبة. ولهذا التقسيم أشباه في كثير من الوظائف السلطانية، وقد نشأت من قس السبب الذي اقتضى وجود وزيرين، ومن هذه وظيفة ناظر الصحبة، ومنه الصحبة، ومستوفى الصحبة. (Quatremère : Op. Cit. I. 2. p. 139. n. 171)

(٣) بغير ضبط في س، وهي من قرى حلب، تخرج منها من قوارة كثيرة الماء، تسبح إلى حلب وتدخل إليها من قناة، وتنفرد إلى الجامع وإلى جميع مدينة حلب. (بافوت : معجم البلدان، ج ٢، ص ٢٨٢).



(١) على بن محلى نائب حلب ليقيم على الفرات بعسكر حلب، ويحفظ معابر الفرات لئلا يدخل أحد من التتار إلى بلاد الشام، ووصل [إلى الأمير نور الدين] (٢) الأمير شرف الدين عيسى بن مهنا . وكان السلطان منذ خرج من مصر إلى أن وصل إلى حلب، لم يميز بمملكة إلا أخذ معه عسكرها وخزائنها وأسلحتها . فترك بعض الثقل بجيلا ن ، وسار منها يوم الجمعة ثالثه إلى عين تاب، وقطع الدربند وبات في وطاة . وتوجهت العساكر جرائد على الأمر المعهود ، وخففوا كل شيء . وتقدم الأمير سقر الأشقر جاليشا في عدة من العسكر، فوقع على ثلاثة آلاف فارس من التتار [ومقدمهم يسمى كراى] (٣)، فانهزموا قدامه وأسر منهم جماعة، [وكان ذلك يوم الخميس تاسع الشهر] . وبلغ ذلك الملك [أبغا]، فجهز جماعة من عرب خفاجة لينزلوا عسكر حلب على غرة . فبلغ ذلك نائب حلب وهو على الفرات، فركب إليهم وقتلهم وهزمهم، وأخذ منهم ألفا ومائتي رجل .

وورد الخبر على السلطان بأن عسكر التتار [ومقدمهم تتاوون] ، وعسكر الروم [ومقدمهم معين الدين البرواناه]، قد اتفقوا جميعا على لقائه . فرتب عساكره وتأهب للقائه، وطلع بعساكره على جبال (١٦٢) تشرف على صحراء هوق من بلد أبلستين . وترتب المغل أحد عشر طلبا، كل طلب يزيد على ألف فارس، وعزلوا عسكر الروم عنهم وجعلوه طلبا بمفرده [لئلا يكون مخامرا عليهم] . وأقبلوا فانصبت الخيول الإسلامية عليهم من الجبل انصباب السيل،

(١) كذا في ص ٤، وفي النويري (نهاية الأرب، ج ٢٨، ص ١١١)، وهو في ب (١١٩١) "مجل" .  
 (٢) أضيف ما بين القوسين بعد مراجعة ابن أبي الفضائل (كتاب النجديد، ص ٢٥٨) .  
 (٣) المقصود بالوطاة هنا الأرض السهلة (une plaine) غير الجبلية، على أن الصحيح أن يقال "وطاة" .  
 (Quatremère : Op. Cit. I. 2. p. 110. n. 172) ؛ محيط المحيط؛ وكذلك ص ٥٧١، سطر ٣) .  
 (٤) في ص "جاليش" ، ومعناها هنا حسب ترجمة (Quatremère : Op. Cit. I. 2. p. 110) (l'avant garde) أي الطليعة .  
 (٥) أضيف ما بين الأقواس بهذه الفقرة كلها والتي تليها من ابن أبي الفضائل (كتاب النجديد، ص ٢٥٩، وما بعدها) .

(٦) في ص "صحراء هوق"، وفي النويري (نهاية الأرب، ج ٢٨، ص ١١١) "صحراء هوق"، وفي ابن أبي الفضائل (كتاب النجديد، ص ٢٥٩) "صحراء البلسين" .



ووقفوا وقفة رجل واحد . وقدم السلطان عدة من مماليكه وخواصه ، فقاتلوا قتالا شديدا ، ثم ردفهم بنفسه ، وحمل وحملت العساكر معه حملة شديدة . فترجل التار عن خيولهم ، وقاتلوا قتال من يطلب الموت حتى عظم القتل فيهم ، فولى طائفة منهم وأدركهم العسكر فأحاط بهم . ونجا معين الدين سليمان البرواناه زعيم الروم ، فانهزم أصحابه ، وصار [ هو ] إلى قيسارية [ فوصلها ] بكرة يوم الأحد ثنى عشر ذى القعدة ، [ وأشار على سلطانها غياث الدين كيكائوس بن كيكسرو وجماعة الأمراء بالخروج منها ، فإن التار المنهزمين متى دخلوا قيسارية قتلوا كل من فيها حثقا على المسلمين ] . ثم أخذ [ البرواناه ] السلطان غياث الدين كيكائوس بن كيكسرو صاحب الروم ، و [ جماعة من ] أعيان البلد ، وصار [ بهم ] إلى توقات ، [ وبينها وبين قيسارية مسيرة ثلاثة أيام ] .

وأما السلطان فإنه نزل بعد هزيمة التار في منزلتهم ، وأحضر اليه من أسر من أمراء المغل ، فعفى عنهم وأطلقهم . وقتل في المعركة الأمير ضياء الدين بن الخطير ، والأمير سيف الدين قيران العلاني أحد مقدمي الحلقة ، وسيف الدين قنجاك الجاشنكير ، وعدة من العسكر ، وجرح جماعة . وقتل [ تناوون ] مقدم التار في المعركة . وأمر السلطان بقتل من أسر من التار ، وأبقى من أسر من أمراء الروم وأعيانهم معه : وفيهم أم البرواناه ، وابنه [ مهذب الدين علي ] وابن ابنته .

وجرد [ السلطان ] الأمير سنقر الأشقر في جماعة ، لإدراك المنهزمين [ من التار ] وللتوجه إلى قيسارية [ ، وكتب معه كتابا إلى أهل قيسارية بالأمان وإخراج الأسواق والتعامل

(٢) في س "واحد" .

(٣) بنير ضبط في س ، وهي بلدة واقعة بين قونية وسبواس . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٨٩٥) .

(١) في س "قنجاك" ، وهو في ب (١٩١ ب) "قنجاك" ، وفي ابن أبي الفضايل (كتاب النهج الجديد

ص ٢٦١) "قنجاك" .

(٢) انظر أبا الفداء (المختصر في أخبار البشر ، ص ١٥٥ ، في Rec. Hist. Or. I) ، حيث ورد هذا

الاسم "تناون" .



بالدراهم الظاهرية . فتر [ الأمير مستقر ] بفرقة من التناز معهم البيوت ، فأخذ منهم جانبا ، وأدركه الليل فتفرق من بقي منهم .

ورحل السلطان في يوم السبت حادى عشره يريد قيسارية الروم<sup>(١)</sup> ، فاستولى في طريقه على عدة بلاد . وفي يوم الأربعاء خامس عشره تلقاه أهل قيسارية من العلماء والأكابر والنساء والأطفال ، واحتف به الفقراء الصوفية وتواجدوا ، إلى أن قرب من دهليز السلطان غياث الدين صاحب الروم وخيامه ، وقد نصبت في وطاة بالقرب من المناظر التي كانت لملوك الروم . فترجل وجوه العساكر المصرية والشامية على طبقاتهم<sup>(٢)</sup> ، ومشوا بين يديه إلى أن وصلها ، وارتفعت الأصوات بالتكبير والتهليل . وأقبل الروم من كل جهة ، وضربت نوبة آل سلجوق على عادتها . وحضر أصحاب الملاهي كما هي عادة الروم ، فنهوا عن الضرب بالآلات<sup>(٣)</sup> وعن الغناء [ أيضا ] ، وقيل لهم : هذه الهيئة لا تتفق عندنا ، وما هذا موضع (١٦٢) ب. الغناء ، بل موضع الشكر<sup>(٤)</sup> . وشرع السلطان في إنفاق المال ، وعين لكل جهة شخصا ، وكتب إلى أولاد قرمان أمراء التركمان ، وأكد عليهم في الحضور واستمال النازحين ، فما خرج البرواناه عن المطاولة إلى أن علم السلطان منه أنه لا يحضر .

(١) توجد قبالة هذا المفظ بهامش الصفحة في من العبارة الآتية ، ونصها . مصححا : "بصرية ويقال أقصرا ، هي وقونية مدينتا بلاد الروم ، يقال إن عدد بلادها وما يليها ستمائة ألف وست وأربعون ضبعة ، من ذلك قلاع أربعائة [و] أربع وخمسون قلعة ، ومدن كبيرة بأسوار ستة وأربعون مدينة " .

(٢) في من "صا الدين" ، وهفوة المقریزی هنا قلبية . انظر (Quatremère: Op. Cit. I. 2. p. 143) .

(٣) بل هذا التفظ في من عبارة "أهل بلاد الروم" ، وهي مشطوبة .

(٤) في من "بالات" .

(٥) تأسست دولة بنى قرمان (Karaman Oghlu) بجهات أرمناك وقسطموني بجنوبي آسيا الصغرى ، في أواسط القرن السابع الهجرى . وهي أهم الدول التركمانية التي نشأت زمن تفكك دولة الروم السلاجقة ، ومؤسسها قرمان بن نورا صوفى المتوفى سنة ٦٦٠ هـ (١٢٦١ م) ، وقد تولاها بعده ابنه محمد بن قرمان ، وهو وعمه وإخوته هم المقصودون هنا بالمتن ، (Enc. Isl. Art. Karaman Oghlu ; Lane-Poole : Muh. Dyns. pp. 181-185) . انظر أيضا (القلعشندى : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٣٦٥ ؛ ابن أبي الفضائل : كتاب النهج السديد ، ص ٢٦٦) .



وركب [السلطان] في يوم الجمعة سابع عشرية وعلى رأسه يجتر بنى ساجوق . ودخل قيسارية دار السلطنة ، وعبر القصور وجلس على تخت آل سلجوق . وأقبل الناس لاهباء وقبلوا الأرض ، وحضر القضاة والفقهاء والوعاظ والقراء والصوفية وأعيان قيسارية وذوو المراتب ، على عادة الملوك السلجوقية في أيام الجمع . ووقف أمير الممفل — وهو عندهم ذو حرمة ومكانة ، ويلبس أكبر ثوب وعمامة — ، فرتب الممفل على قدر الأقدار . وانتصب قائما بين يدي السلطان منتظرا ما يشيره . وقرأ القراء أحسن قراءة ، ورفعوا أصواتهم بالتلحين العجيب إلى أن فرغوا ، فأنشد أمير الممفل بالعربية والعجمية مدائح في السلطان . ومذ سماع الطعام فاكل من حضر ، ثم أحضرت دراهم عليها الصكة الظاهرية . وتبأ السلطان لصلاة الجمعة ، وقام السلطان إلى الجامع ، وخطب الخطيب بنعوته وصلى . وخطب له الخطباء بمجموع قيسارية وهي سبعة .

١٠

فلما قضى السلطان صلاة الجمعة ، حمل إليه ما تركته كرجى خانون امرأة البرواناه من الأموال التي لم تقدر على حملها معها ، وما خلفه سواها ممن اتروح معها . وظهر لها ولزوجها معين الدين سليمان البرواناه موجود نفيس ، فأخذ السلطان ذلك .

١٥

وبعث البرواناه يهنيء السلطان [بببرس] بحلوسه على تخت الملك ، فكتب إليه أن يفد عليه ليقتره مكانه ، فبعث يسأل النظرة إلى خمسة عشر يوما . ورجا [البرواناه] بذلك أن يصل الملك أبنا — وكان قد أرسل يستحثه على القدوم بنفسه — ليدرك الملك الظاهر وهو ببلاد الروم . فلما بلغ السلطان ذلك خرج من قيسارية في ثاني عشرية ، بعد ما أعطى الأمراء والخواص الحيول والأموال . و[لما وصل السلطان إلى خان كيتباد] بعث إلى الأرمن [بجهة الرمانه] الأمير طيبرس الوزيري ، فحرق وقتل وسبي [من بها من الأرمن] وعاد ؛ [وسبب ذلك أنهم كانوا قد أخفوا جماعة من التتر] . فسار السلطان إلى الأباستين ، ومرة على مكان المعركة ليرى رمم القتلى من التتر ، فذكر أهل للأبلسنيين أنهم عدوا من القتلى ستة آلاف وسبعمائة

٢٠

(١) ضبط هذا الاسم على منطوقه في ترجمة (Quatremère : Op. Cit. I. 2. p. 144) .

(٢) أضيف ما بين الأقواس بهذه الفقرة من ابن أبي الفضايل (كتاب النجديد ، ص ٢٦٧ ، وما بعدها) .



وستين، وضاع الحساب بعد ذلك . فأمر السلطان بجمع من قُتل من عساكره وُدُفِنُوا ،  
وَتَرَكَ مِنْهُمْ قَبِيلاً بغير دفن ، وقصد بذلك نكايَةَ التَّارِ في إظهار كثرة من قُتل منهم وقلة من قُتل  
من عسكره ، ثم رَحَلَ <sup>(١)</sup> .

(١) توجد بين الصفحتين ١٦١ ب ، ١٦٢ أ في م ورقة منفصلة ، بها ملخص لما وقع السلطان بيبرس من يوم  
أن ترك حلب إلى أن دخل قيسارية بآسيا الصغرى ، وهو مكتوب على وجهي الورقة بخط صعب القراءة مع مشابهته لخط  
المتن ، وقد كتب فوقه على أحد الوجهين بقلم ثلث مخين العبارة الآتية : " يغنى من الوصايا المجردة والاشارات " ،  
وفيما يلي نص الملخص المذكور مصححاً ، ما عدا ما تعذرت قراءته فقد أُشير إلى موضعه :

"رحل الملك الظاهر من حلب يريد بلاد الروم حتى خرج من الدرنيد ، وبات في وطاة . فتقدم سفير الأشقر  
في الجاليس ، فوقع في ثلاثة آلاف فارس من التار مقدمهم كراي ، فانهزموا من بين يديه فأمر وقتل منهم جماعة ،  
وبات ليلته على تعبته . وما كان يوم الجمعة عاشر ذي القعدة سنة [ خمس وسبعين ] شبيع الصخر (؟) بقر بهم ، فعبا السلطان  
عساكره وطلع بهم من جبال مشرق على أبلستين . وكان التار يلتمس تلك البائتين على نهر زيان ، وهو أصل نهر جهان  
وأصل اسمه جيجان . فترتب المفل أحد عشر طلباً كل طلب يزيد على ألف فارس ، وعزلوا عسكر الروم خيفة منهم ،  
وجعلوا عسكر الكرخ طلب بمفرده . فوفعت الحرب ، فقتل كثير من التار وفر الباقون ، فأخذ أكبرهم (؟) ، وغنمت منهم  
غزة عندهم وأسر كثيراً (كذا) . ووصل لبروانه مدينة قيصريّة صحر يوم الأحد ثاني عشره ، وأخذ زوجته وأنها والسلطان  
غياث الدين صاحب الروم إلى أينا بن هلاون وتوجهوا إلى توقات ، وهو حصن [ بعيد ] عن قيصريّة أربعة أيام ، وتبعه  
أمراء الروم إلا قليلاً منهم . ورحل السلطان الملك الظاهر ، وكتب إلى أصحاب حصن سمند وإلى قلعة درندة وإلى  
قلعة دلوا . فكلهم أجمع . وما كان يوم الأربعاء عساكره ، وقد خرج أهل قيصريّة للقاء السلطان فأكرمهم .  
وكان شعار السلطان غياث الدين صاحب الروم وحزاه (؟) وشعار سلطته قد بنى جيمه في وطاة ، فرحل الناس بأجمعهم  
في ركاب السلطان ، ونزل ملك (موضع هذا ألفاظ ممحوة محو تاماً) سلجوق على باب دعليزه ، وحضر أصحاب الملاحى  
فلم يتمكنوا ومنعوا . وحكم السلطان وقد أشغال سلطته ، ثم ركب يوم الجمعة سابع عشره ، ونصب جتري سلجوق على  
رأسه ، ودخل قيصريّة بكرة النهار وقد فرشت دار السطة لدوله (؟) وهي تحت بني سلجوق بجلوسه (؟) . فجلس السلطان  
في مرتبة الملك ، وأتاه الناس يمشون ، وأقبل القضاة والفقهاء والصوفية ، وذوو المراتب من أصحاب العاظم على عادة  
بني سلجوق في كل جمعة . ووقف أمير المحفل وهو كبير عندهم ، فرتب المحفل على قدر الأقدار ، ووقف ينتظر ما يرمم  
[ السلطان ] له به . وشرع القراء في قراءة القرآن حتى فرغوا ، فصرح أمير المحفل علواً (؟) ثم أُنشد بالفارسية طويلاً .  
ثم مد الساط وأكل الناس وقام السلطان إلى موضع راحته ، فأقام قليلاً وخرج إلى منجيه ، وتوجه للصلاة الجمعة بقيصريّة ،  
حتى انقضت الصلاة . فدعى السلطان (موضع ألفاظ تعذرت قراءتها) باسمه ، وأحضرت إليه الدراهم في هذا اليوم . واستولى  
[ السلطان ] على موجود (؟) معين الدين سليمان وزوجته كرجي خاتون ، ثم رحل يوم الاثنين عشره ، بعد ما أعطى  
الأمراء والخواص كلها جهازاً إليه . واستصحب [ السلطان ] معه أكابر الروميين حتى نزل أبلستين ، وعبر على مكان المدركة ،  
وأخبره وجل أنه عد من قتل المفل ستة آلاف وسبعمائة وسبعين وضاع الحساب . ثم رحل [ السلطان ] بعد يومين " .



ودخل السلطان إلى الدربند في رابع ذى الحجة، وأصاب الناس فيه مشقة (١١٦٣) عظيمة، ونزل بخارم في سادسه وعيد هناك. فورد كتاب الأمير شمس الدين محمد بن فرمان أمير التركان، يتضمن أنه جمع التركان وحضر في عشرين ألف فارس وثلاثين ألف راجل متركشة للخدمة، فوجد السلطان قد عاد، وحضر أيضا أمراء بني كلاب، ووفود التركان. [ثم رحل السلطان طالبا دمشق].

وقدم الملك أبغا بن هولاء بالنتار لمحاربة السلطان. فوافاه البرواناه [في الطريق]. و[كان] السلطان قد رحل فتبعه [أبغا]، وسار إلى الأبلستين حتى عاين القتلى بالمعركة، وليس فيهم من الروم ولا من عساكر السلطان إلا القليل، مع كثرة رمم التار التي هالك، فشق عليه ذلك. وكان قد وثنى إليه بالبرواناه أنه هو الذي كاتب الملك الظاهر حتى أقدمه إلى بلاد الروم، فحق لقلعة عدد قتلى الروم. وعاد [أبغا] إلى قيسارية، فنهبا وقتل من ببلاد الروم من المسلمين. وأغار التار مسيرة سبعة أيام، فيقال إنه قتل من الفقهاء والقضاة والرعايا ما يزيد على مائتي ألف نفس، ولم يقتل أحد من النصاري. وشمل القتل من أرزن الروم إلى قيسارية، فيقال إن عدة القتلى كانت خمسمائة ألف. ثم سار أبغا ومعه السلطان غياث الدين صاحب الروم، ووكل بالبرواناه من يحفظه. وسار السلطان [بيبرس] من حارم إلى أنطاكية، ونزل بمروجها.

ومات في [هذه السنة] من الأعيان الأمير عز الدين إيفان المعروف بسم الموت، أحد أمراء مصر، وهو بقلعة الجبل مسجوناً. فدفن خارج باب النصر. وفيهاجج الصاحب تاج الدين

(١) الجنود المتركشة هي التي تكون حاملة تركاشها، والتركاش جعبة الشباب، ويقابله في الفرنسية لفظ (carquois)، ويجمع على تراكيش، وهو عرب من كلمة تركش الفارسية. (Dozy : Supp. Dict. Ar.)

(٢) أضيف ما بين قوسين، وما يليه من الإضافات المقررة التالية، من ابن أبي الفضائل (كتاب النهج السديد، ص ٢٦٩، وما بعدها). (٣) في من "وقد رحل السلطان فتبعه وسار إلى الأبلستين ...".

(٤) عبارة من كلاً في: "وسار إلى الأبلستين حتى عاين القتلى بالمعركة وليس فيهم من الروم ولا من عساكر السلطان إلا القليل فشق ذلك عليه مع كثرة رمم التار التي هناك ...".

(٥) فوق هذا اللفظ إشارة إلى سقطة أراد الخريزي. ثباتها بهامش الصفحة في من، ثم أعيد ذلك أو نحوه.

(٦) في من "فيها".



ابن حنا، وكان بمكة غلاء عظيم . وتوفي شمس الدين أبو عبد الله محمد بن [عبد الوهاب بن] منصور الحزاني الحنفي بدمشق ، بعد ما أقام بالقاهرة حيناً ، و [كان قد] ولى قضاء بعض الأعمال . وتوفي بدر الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد ابن الفؤيرة ، الحنفي الفقيه الأديب ، عن نحو أربعين سنة بدمشق . وتوفي نحر الدين أبو الوليد محمد بن سعيد بن محمد بن هشام بن عبد الحق الكافى الشاطبي ، الحنفي النحوي الأديب ، عن ستين سنة بدمشق . وتوفي قطب الدين أبو المعالي أحمد بن عبد السلام بن المطهر بن أبي سعد عبد الله بن محمد بن هبة الله بن علي بن المطهر بن أبي عصرون التميمي الموصل الشافعي ، عن ثلاث وثمانين سنة بحلب . وتوفي الأديب شهاب الدين أبو المكارم محمد بن يوسف بن مسعود بن بركة الشيباني التلعفري ، عن اثنين وثمانين سنة بحماة . ومات الشيخ أبو العباس خضر بن أبي بكر بن موسى المهراني العدوي الكردي ، في محبسه بقلعة الجبل ، في يوم الخميس السادس المحرم عن نيف وخمسين سنة ، ودفن بزاوية خارج باب الفتوح . ومات مملك تونس أبو عبد الله محمد المستنصر بن السعيد أبي زكريا يحيى بن عبد الواحد بن

(١) الوفيات التالية واردة في س على ورقة منفصلة بين الصفحتين ١٦٢ ب ، ١٦٣ أ ، وهي واردة في ب (١٩٢ ب) كما هنا ، ولا شك في مناسبتها لهذه السنة . (انظر ابن الهاد : شذرات الذهب ، ج ٥ ، ص ٣٤٥ — ٣٤٩ ، التويري : نهاية الأرب ، ج ٢٨ ، ص ٧٣) .

(٢) موضع ما بين القوسين ألفاظ محوثة في س ، وقد أضيفت من ابن الهاد (شذرات الذهب ، ج ٥ ، ص ٣٤٨) .

(٣) مضبوط هكذا في س .

(٤) مضبوط هكذا في س .

(٥) في س "اللمفري" ، والنسبة الى تل يعرف المعروف أيضا باسم تل أعفر ، وهو اسم قلعة ورويض بين سنجار والموصل . وتل أعفر أيضا بلدة بين حصن مسلمة بن عبد الملك والركة ، من نواحي الجزيرة . (بافوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٨٦٣ — ٨٦٤ ، ٨٧٣) .

(٦) مضبوط هكذا في س ، ويوجد في ابن أبي الفضائل (كتاب النجديد ، ص ٢٩١ ، وما بعدها) تحت سنة ٦٧٦ هـ ، ترجمة طويلة لهذا الشيخ . انظر أيضا التويري (نهاية الأرب ، ج ٢٨ ، ص ١١٩ — ١٢١) ، حيث ذكرت هذه الوفاة تحت سنة ٦٧٦ هـ أيضا .



أبي حفص، في عاشر ذي الحجة، فكانت مدته ثمانيا وعشرين سنة وخمسة أشهر وعشرة أيام؛  
وبويع بعده ابنه أبو زكريا يحيى الوائلي<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

سنة ست وسبعين وثمانئة . في خامس المحرم دخل السلطان من أنطاكية إلى  
دمشق بعساكره، ونزل بالقصر الأبلق . فكثرت الأخبار بقدوم أبنا إلى الأبلستين وأنه يريد  
بلاد الشام، فضرب الدهليز على القصر ليخرج السلطان إلى لقائه، فورد الخبر برجوع أبنا إلى  
بلادهم فرد الدهليز إلى دمشق .

ولما كان في يوم الخميس رابع عشره جلس السلطان لشرب التمر، وقد عظم سروره  
وفرحه وتناهى سمد، فأكثر من الشرب . وانقضى المجلس فتوالت بدنه، وأصبح يشكو  
فتقيا، وركب بعد الصلاة إلى الميدان، ثم عاد إلى القصر الأبلق آخر النهار وبات فيه . فلما  
أصبح وهو يشكو حرارة في باطنه، استعمل دواء [لم يكن عن رأى طبيب]، فلم ينفع وتزايد<sup>(٢)</sup>  
ألمه . فاستدعى الأطباء، فأنكروا استعماله الدواء، وانفقوا على أخذ مسهل وسقوه فلم يقد،  
فحزكه بدواء آخر فأفرط به الإسهال، وتضاعفت الحمى ورمى دما يقال إنه كبده، فعوج  
بجواهر ومات .

وقال الشيخ قطب الدين (١٦٣ ب) اليوناني في تاريخه : إن الظاهر كان مولعا بعلم  
النجوم، فقيل له إنه يموت بدمشق في سنة ست وسبعين هذه ملك بالسم، فاهتم من ذلك .  
ويقال إنه كان فيه حسد، فلما دخل معه إلى بلاد الروم الملك الفاهر بهاء الدين عبد الملك<sup>(٣)</sup>  
ابن الملك المعظم عيسى بن العادل أبي بكر بن أبوب، أبل في المصاف بلاء عظيما أنكى به العدو،

(١) أورد ابن الهاد (شذرات الذهب، ج ٥، ص ٣٤٥ - ٣٤٦) تحت هذه وفاة الشيخ السيد أحمد  
البدوي المشهور، صاحب المزار الكبير بمدينة طنطا الحالية .

(٢) أخيف ما بين القوسين من ابن أبي الفضايل (كتاب النهج السديد، ص ٢٧٧) .

(٣) دال هذا التفظ محجوبة بورقة ملصقة فوقها في م، وهو كامل في ب (١١٩٣) .

(٤) في م "انكى" .



وتعجب الناس لعظم شجاعته ، فأثر ذلك عند السلطان . واتفق أن السلطان كان منه ذلك اليوم فتور ، وظهر عليه الخوف والندم على ما فعله من توريط نفسه وعساكره ببلاد الروم ، فأنكر عليه الملك القاهر وقبح فعله ، فأسر له [السلطان] ذلك إلى أن قدم دمشق . فسمع [السلطان] الناس تلهج بما فعله الملك القاهر في وقت المصاف ، فاشتد حنقه وأخذ يتعمّل في سبه ، ليصح فيه ما دلت عليه النجوم من موت ملك بالشام ، فإنه يطابق عليه اسم ملك . فعمل دعوة لشرب القمّر حضرها الملك القاهر ، وقد أعد السلطان ستماً من غير أن يشعر به أحد . وكان له ثلاث هتّابات تختص به مع ثلاثة سقاة لا يشرب فيها غيره ، أو من يكرمه فيناوله أحدها بيده . فلما قام الملك القاهر لقضاء حاجته ، جعل السلطان السم الذي أعدّه في هتّاب وأمسكه بيده ، فلما عاد الملك القاهر ناوله إياه ، فقبل الأرض وشرب جميع ما فيه . وقام السلطان لقضاء الحاجة ، فأخذ الساقى الهتّاب من يد الملك القاهر ، وملاه على العادة من غير أن يشعر بما عمله السلطان من السم فيه ، وأمسكه بيده ووقف مع السقاة . فلما عاد السلطان من الخلاء تناول ذلك الهتّاب بعينه ، وشرب ما فيه وهو لا يعلم أنه الهتّاب المسموم . فعندما شربه أحس بالتغير ، وعلم أنه قد شرب بقايا السم الذي كان في الهتّاب ، فتقيأ فلم يفد ، وما زال به حتى مات .

وذكر [ركن الدين] ببيرس [المنصوري المؤرخ] <sup>(١)</sup> إن القمّر خسف جميع جرمه ، ودلّ على موت رجل جليل القدر . فلما بلغ الملك الظاهر هذا خاف ، وقصد صرّف ذلك إلى غيره ، فسمّ الملك القاهر في كأس قمّر . وأحسّ [الملك القاهر] بالشرفقام ، وظط الساقى فملاّ الكأس وسقاه السلطان ، فأحسّ بالنيران وأقام أياماً يشكو ولا يعلم الأطباء ، حتى تمكن منه ومات .

وكانت وفاته يوم الخميس سابع عشر المحرم بعد الزوال . فكانت مدة مرضه ثلاثة عشر يوماً ، وقد تجاوز الخمسين سنة ، ومدة ملكه سبع عشرة سنة وشهران واثنا عشر يوماً .

(١) أضيف ما بين الأقواس من (Enc. Isl. Art. Baibars al-Mansūri) ، وبيرس هذا مؤلف كتاب زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة ، وكتاب النحلة الملكية أيضاً . (٢) في ص "شهرين واثني" .



وكان قفجاقى الأصل ، طويل القامة أسمر اللون ، في عينيه زرقة وبإحدى عينيه نقطة صغيرة ، صوته جهوريا ، وكان شجاعا عسوقا عجولا . [وكان قد] حضر من البلاد مع تاجر إلى حماة ومعه مملوك آخر ، فلما عرضا على الملك المنصور محمد صاحب حماة لم يعجبه . وأبيع بدمشق بثمانمائة درهم ، فرده مشترى لبياض في إحدى عينيه ، فاشتراه الأمير علاء الدين (١٦٤) أيدكين البندقدار مملوك الملك الصالح نجم الدين أيوب ، وهو بحماة معتقل بها ، وأقام في خدمته مدة . ثم أخذه منه الملك الصالح ، فترقى في الخدم ، وتنقلت به الأحوال إلى ملك مصر والشام .

وكانت الأمراء تخافه مخافة شديدة ، حتى إنه لما مرض لم يدخل أحد منهم عليه إلا بإذن . وكان مقداما خفيف الركاب طول أيامه ، يسير على المهجن وخيول البريد لكشف القلاع والنظر في الممالك ، فركب للعب الكرة في الأسبوع يومين بمصر ويوما بدمشق ، وفى ذلك يقول سيف الدولة المهتمندار من أبيات يمدحه بها :

(١) انظر ص ٥٧٤ ، سطر ٧ ، وحاشية ١ .

(٢) أورد ابن واصل (مفرج الكروب ، ص ٤٠٤ ب) في هذا الموضع طريقة عن سبب رفض الملك المنصور شراء بيرس ، وقد تلاها بما حدث لبيرس بعد ذلك بتفصيل ، ونصها مصححا : "وكان السلطان الملك المنصور إذ ذاك في سن العبا ، وكان [من] عادته أنه متى أراد شراء رفيق أحضر وزراء (كذا) صاحبة والدته ، ومن أشارت بإتيانه أخذ . وكان الملك المنصور لما بلغه وصول الملك القاهر وهو مع التاجر تقدم بإحضاره ، فأحضر ومعه خشداش له . وعرضا على صاحبة فرأتهما من داخل السارة ، فلما استأذنها السلطان ولدها في شرائهما قالت له خذ المملوك الأبيض ، والأسمر لا يكون بينك وبينه مدة مئة - يعني المائتين - ظاهرا - وبإحدى عينيه فيهما الشر لا يخفى : فردهما جميعا على التاجر ، فشرتهما ذلك . وبلغ الأمير علاء الدين البندقدار حضور قهذين المملوكين اللذين جلبا ، فطلبهما إلى عنده ، فلما رآهما صلحا له ، واشتراهما وهو في الاعتقال إلى أن فرج الملك الصالح نجم الدين أيوب أسأذه عنه ، ونوجه بهما إلى مصر وأخذهما الملك الصالح منه ..."

(٣) مخرج الخلفى (صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٥٩) هذه الوظيفة فقال ، إن صاحبها "هو الذى يتصدى تلقى الرسل والعربان الواردين على السلطان ، ويذهب دار ضيقة ويشتت في القيام بأمرهم . وهو مركب من لفظين قوسيين ، أحدهما مهمن بفتح الميم ومعناه الضيف ، والثاني دار ومعناه ممسك ... ، ويكون معناه ممسك الضيف ، والمراد المتصدى لأمره ."



يوما بمصر ويوما بالمجاز وبالشام يوما في قرى حلب<sup>(١)</sup>

وكانت عدة عسكره اثني عشر ألفا . ثلثها بمصر وثلثها بدمشق وثلثها بحلب . و [ كان ] هؤلاء خاصته ، فإذا غزا خرج معه أربعة آلاف يقال لهم جيش الزحف ، فإن احتاج استدعى أربعة أخرى ، فإن اشتد به الأمر استدعى الأربعة آلاف الثالثة . وافتتح من البلاد قيسارية وأرسوف وخدمها ، وفتح صفد وعمرها ، وفتح طبرية وبافا والشقيف وأنطاكية ونحرها . و [ استولى على ] بغراس والتقصير وحصن الأكراد والقرين وحصن عكار وصافينا ومريقية وحلبا ، وناصف الفرنج على المرقب وبانياس وأنطرسوس ، وأخذ من مملك سبيس دربساك ودركوش وتلميش وكفر دين وربعان ومرزبان . وملك دمشق وعجلون وبصري ، وصرخد والصلت وحمص ، وتدمر والرحبة وتل باشر ، وصهيون وبلاطنس ، وقلعة الكهف والقدموس والمينقة والعليقة والحوابي والرصافة ومصيايف ، والكرك والشوبك ، وبلاد حلب وشيزر والبيرة ، وبلاد النوبة وبرقة ، وسائر إقليم مصر والشام . وملك قيسارية من بلاد الروم . وقد قال فيه بعض الأدباء :

تدبر الملك من مصر إلى يمن • إلى العراق وأرض الروم والنوبي

وله عدة أوقاف بمصر : منها وقف الطرحاء لتفسييل فقراء المسامين وتكفينهم ودفنهم ، وهو من أكثر الأوقاف نفعا . ومنها تربة الظاهر بالترافة ، والمدرسة الظاهرية بخط بين القصرين من القاهرة ، والجامع الظاهري خارج باب الفتوح من القاهرة . وعمر [ السلطان بيبرس ] الجسر الذي يسلك عليه إلى دمياط ، وأنشأ عليه ست عشرة قنطرة ، وعمر قنطرة ببحر

(١) هذا البيت وارد في س كآلآق ، بدون فاصلة : "يوما بمصر ويوما بالمجاز ويوما بالشام ويوما في قرى حلب" .

(٢) كذا في س .

(٣) الجسر هنا الطريق المني على حافة النهر أو التربة ، لحفظ المياه وضبطها لأغراض الري ، ولوقاية البلاد المجاورة من الفيضان ، وفي (Quatremère : Op Cit. I. 2. p. 142. n. 187) أمثلة كثيرة للدلالة على هذا المعنى ، ومنها : "الجسور المنطة التي يصرف عليها إذا عمات كما ينبغي ريع الخراج ، ليحفظ عند ذلك ماء النيل حتى يتسنى رى كل مكان إلى الحمة المحتاج إليه ... " . وكانت الجسور في مصر زمن المماليك على نوعين ، سلطانية وبلدية : فالجسور السلطانية هي الجسور العامة الجامعة للبلاد الكثيرة ، وكانت تعمر في كل سنة من الديوان السلطاني .



أبى المنجا، وهى أجل قناطر أرض مصر . وعمل قناطر السباع بين القاهرة ومصر على الخليج الكبير، وحفر خليج الإسكندرية وبحر طناح وبحر الصاصم بالقلوبية، وحفر خليج سردوس، وأصلح بحر دمياط وردم فيه بالصخور .

- ومن غريب (١٦٤ ب) أمره أنه أول ما فتح من البلاد قيسارية من بلاد الساحل ، وآخر ما فتح مدينة قيسارية من بلاد الروم . وأول جلوسه على مرتبة الملك يوم الجمعة سابع عشر ذى القعدة ، وآخر جلوسه على تخت الملك بسلطنة آل سلجوق فى قيسارية الروم يوم الجمعة سابع عشر ذى القعدة . وأول من بنى مدينة أنطاكية اسمه بالعربية الملك الظاهر ، والذي أحربها الملك الظاهر . وأول من قام بدولة الترك السلجوقية ركن الدين طغرل بك ، والملك الظاهر ركن الدين بيبرس هو القائم فى الحقيقة بدولة الترك من يوم وقعة المنصورة . وركن الدين طغرل بك هو الذى رد الخلافة على بنى العباس فى نوبة البساسيري ، وركن الدين بيبرس هو الذى رد الخلافة على بنى العباس فى نوبة هولاءكو . والخطبة بديار مصر كانت بعد الخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمى للظاهر لإعزاز دين الله ، وكذا وقع [له ، فقد] كانت الخطبة بعد الخليفة الحاكم بأمر الله العباسى للملك الظاهر بيبرس .

- وكان راتب مخاينه وعاليقه ، لخاصة نفسه وماليكه ، فى كل سنة مائة ألف وعشرين ألف أردب . وكان يطعم فى كل ليلة من ليالى شهر رمضان خمسة آلاف نفس ، ويكسو فى كل = بالوجهين القبل والبحرى . وكان للجسور السلطانية فى كل عمل من أعمال مصر كاشف يرسل لمارتها كل سنة ، ويمبر عنه بكاشف الجسور ، وفى خدمته نخوة ومهندسون لذلك الغرض . أما الجسور البلدية فهى الخاصة ببلد دون بلد ، ويتولى عمارتها المقنعون بالبلاد من الأمراء والأجناد وغيرهم . من أموال البلاد الجارية فى إقطاعهم . راجع (الفتوشى : صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٤٤٨ — ٤٥٠ ، المقرئى : المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ١٦٥ — ١٧٢) . (١) بغير ضبط فى س ، وهو أحد فروع النسل ، ونخرجه من سردوس بين باسوس وقلوب ، وكان يروى كثيرا من أراضى الشربة . (P. Omar Toussoun : Ano. Branches Du Nil. pp. 72-76, et Pl. III.) . انظر أيضا (المقرئى : المواعظ والاعتبار ، ج ١ ، ص ٧) .

(٢) العبارة التالية الى حاشية رقم ٢ بالصفحة التالية واردة بها مش الصفحة فى س ، وهى ليست فى ب (١١٩٤) أو فى (Quatremère : Op. Cit. I. 2. p. 153) . (٣) فى س "يسكو" .



سنة ستمائة كسوة خارجا عما يطلقه من يده من الكساوى ، وكان له من الخبز ألفا فنطار ونحسمائة في كل [ يوم ]<sup>(٢)</sup> . إلا أنه كان كثير المصائدات للدواوين ، كثير الجباية للأموال من الرعية . وأحدث وزيره ابن حنا في أيامه حوادث جليلة ، وقاس أملاك الناس بمصر والقاهرة ، وصادر أرباب الأموال حتى هلك كثير منهم تحت العقوبة ، وأخذ جوالى الذمة مضاعفة ، وأمر بإحراقهم كلهم ، وجمع لهم الأحطاب وحفر لهم حفرة عظيمة فقام دار النيابة بقلعة الجبل ، ثم غفى عنهم وقزر عليهم أموالا أخذت منهم بالمقارع ، ومات أكثرهم في العقوبة . ولما توجه [ السلطان بيبرس ] إلى بلاد الروم كلف أهل دمشق جباية مال لإقامة الخيل ، وفرض عليهم ألف ألف درهم نقرة تجبى من المدينة ومن الضياع .

ولم يل الوزارة له سوى صاحب بهاء الدين على بن محمد بن حنا<sup>(٣)</sup> ، وقضاته بمصر قاضى القضاة تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الأعز الى أن أحدث القضاة الأربعة ، واستمر ذلك من بعده . ورؤى [ السلطان بيبرس ] بعد موته في النوم ، فقيل له : " ما فعل الله بك ؟ " فقال : " ما رأيت شيئا أشد على من ولاية قضاة أربعة<sup>(٤)</sup> ، وقيل لى فزقت الكلمة " . و [ كان ] كل من ولاه [ بيبرس ] في مملكة أو عمل أبقاه ، ولم يغير عليه ولا عزله . وتزوج [ بيبرس ] من النساء — وهو ببلاد غزة ، قبل أن يل الملك — امرأة من طائفة الشهرزورية ، ثم طلقها بالقاهرة . وتزوج ابنة حسام الدين بركة خان بن دولة خان التترى<sup>(٥)</sup> ، وابنة الأمير سيف الدين نوكلى التترى ، وابنة الأمير سيف الدين كراى بن تماجى التترى ، وابنة الأمير

(١) فى ص " بطله " .

(٢) انظر حاشية ٢ بالصفحة السابقة .

(٣) عبارة النويرى ( نهاية الأرب ، ج ٢٨ ، ص ١١٦ ) فى هذا الصدد كالاتى : ووزاؤه صاحب زين الدين ابن الزبير مدة يسيرة ، ثم استوزر بعده صاحب بهاء الدين على بن محمد المعروف بابن حنا ... " .

(٤) فى ص " اربع " .

(٥) سيلاحظ القارئ أن المقرئ سى هذا الأمير فيما يل بالصفحة التالية ( سطر ٣ ) الخوارزمى بدل التترى ، وهذه التسمية باسم الخوارزمى واردة أيضا فى ابن أبى الفضائل ( كتاب النهج السديد ، ص ٢٩١ ) والنويرى : نهاية الأرب ، ج ٢٨ ، ص ١١٦ .



(١) سيف الدين ... التتري . وولد [ له ] من الأولاد (١١٦٥) عشرة : المذكور منهم ثلاثة - وهم الملك السعيد ناصر الدين محمد برکه قان ، وولد في صفر سنة ثمان وخمسين وستمائة بمنزلة<sup>(٢)</sup> العُش ، من بنت حسام الدين برکه خان الخوارزمي ، والملك العادل بدر الدين سلامش ، والملك المسعود نجم الدين خضر - ، والإناث سبع .

- ٥ ولما مات [ السلطان بيبرس ] كتم الأمير بدر الدين بيبيك الخازندار نائب السلطنة موته عن العساكر ، وحمله في محفة من القصر الأبلق خارج دمشق إلى القلعة<sup>(٣)</sup> في الليل ، وجعله في تابوت وعلقه في بيت ، وأشاع أنه مريض ورتب الأطباء على العادة . ثم أخذ العساكر والخزائن ، ومعه محفة محمولة وأوهم أن السلطان فيها مريض ، وخرج من دمشق يريد مصر ، فلم يحسر أحد أن يتفوه بموت السلطان . واستمر الحال على ذلك حتى وصات العساكر إلى القاهرة ، وصعدت الخزائن والمحفة إلى قلعة الجبل ، فأشيع حينئذ موته . وبالجملة فنقد<sup>(٤)</sup> كان من خير ملوك الإسلام .
- ١٠

### السلطان الملك السعيد ناصر الدين

محمد برکه قان بن الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري الصالحى النجمي . لما مات الملك الظاهر بدمشق ، كتب الأمير بدر الدين بيبيك الخازندار إلى الملك السعيد وهو (١) بياض في سن ، واسم هذا الأمير في النويري (نفس المرجع والجزء والصفحة) " الأمير سيف الدين مجاشي (كنا) التتري " .

(٢) بنير ضبط في سن ، ومنزلة العش من ضواحي القاهرة . (ابن أبي القضايل : كتاب التهجد السديد ، ص ٢٩١) .

(٣) انظر ص ٦٤٠ ، سطر ١٥ ، وحاشية ٥ .

(٤) المقصود هنا قلعة دمشق . انظر النويري (نهاية الأرب ، ج ٢٨ ، ص ١١٦) .

(٥) يوجد في ابن واصل (مفرج الكروب ، ص ١٤٤٠) جزء من وصية أرسلها السلطان بيبرس إلى ابنه الملك السعيد ، ونصها : " ولما أحس [ الملك الظاهر ] بالموت رحمه الله كتب تذكرة إلى ولده الملك السعيد وهو بمصر ، ومن جعلها : إنك صبي ، وهؤلاء الأمراء الأكابر يرونك بعين الصبي . فن بلغك عنه ما يشوش عليك ملكك ، وتحقق ذلك عنه ، فأضرب عنقه في وقت ولا تعقله ، ولا تستشر (في الأصل تستشير) أحدا في هذا ، وأفضل ما أمرتك به وإلا ضاعت مملكتك .



بقلعة الجبل كتابا بموت أبيه . فأظهر [الملك السعيد] عند ورود الكتاب فرحا كبيرا ، وأخلع على من أحضره ، وأشاع أن الكتاب يتضمن البشارة بعود الملك الظاهر إلى ديار مصر . وأصبح فركب الأمراء على العادة تحت القلعة ، من غير أن يظهر عليهم شيء من الحزن .

وسار الأمير بيليك بالمحففة والأطلاب ، حتى قدم إلى القاهرة يوم الخميس سادس عشرى صفر وهو تحت السناجق الظاهرية ، وصعد قلعة الجبل . وجلس الملك السعيد بالإيوان ، وسلم إليه الأمير بيليك الخزان والمساكر ووقف بين يديه ، فصاح الخجاب حينئذ : "يا أمراء ! ترحموا على السلطان الملك الظاهر" . فارتفع الضجيج والمويل ، ووقع الأمراء إلى الأرض يقبلونها للملك السعيد . بغدوت الأيمان ، وحلف له سائر العسكر والقضاة والمدرسين والأعيان ، وتولى تخليفهم الأمير [بدر الدين] بيليك [الخازندار] بحضرة القضاة . فأقر الملك السعيد الأمير بدر الدين بيليك على نيابة السلطنة ، وأقر الصاحب بهاء الدين بن حنا على وزارته ، وخلع عليهما وعلى الأمراء والمقدمين والقضاة وأرباب الوظائف .

(١) يوجد في التلخشيدي (صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ١٦ ، وما بعدها) في باب الوظائف السلطانية الكبرى ، وصف لاخصاص نيابة السلطنة ، ونصه : "ويعبر عن صاحبها بالنائب الكامل ، وكامل الميثاق الإسلامية ... وهو يحكم في كل ما يحكم فيه السلطان ، ويعلم في العقائد والتواقيع والماشير ، وغير ذلك مما هو من هذا النوع على كل ما يعلم عليه السلطان ... (١٧) وجميع نواب النمايك تكتبه فيما تكتب فيه السلطان ، ويراجعونه فيه كما يراجع السلطان . و [لنائب السلطنة] أن يستعمل الجند من غير مشاورة السلطان ، ويعين أرباب الوظائف بخليعة كالأوزار وكثبة السرا ، وفق الألباب فيما يعينه . وهو سلطان مختصر بل هو السلطان الثاني ، وعادته أن يركب بالعسكر في أيام المراكب ، وينزل الجميع في خدمته . فإذا مثل في حاضرة السلطان وقف في دكن الإيوان ، فإذا انقضت الخدمة خرج إلى دار النيابة بالقلعة والأمراء معه ويجلس جلوسا عاما للناس ، ويحضره أرباب الوظائف ، ويقف قدامه الخدات ، وتقرأ عليه القصص ، ثم يمد السرا للأمراء كما يمد لهم السلطان . فإذا كونه يصرفون . وإذا كانت النيابة قائمة على هذه الصورة ، لم يكن السلطان يتعدى لقراءة القصص وسماع الشكاوى بنفسه ، وإنما يرى من كتابة مثال ونحوه ، وإما لا يستبد بما يكتب من الأبواب السلطانية بنفسه ، بل يكتب بإشارته ويكتب على ذلك ، وتشمله العلامة الشريفة بعد ذلك . أما ديوان الجيش فإنه لا يكون له خدمة ولا غنم ولا اجتماع ، ولا يجمع لهم بالسلطان في أمر من الأمور . وإما ما كان من الأمور المعصلة التي لا بد من إحاطة علم السلطان بها فإنه يعطى بها نارة بنفسه ونارة بمن يرسله إليه . وير أن هذا نائب نارة بنصب ، ونارة يعطى جيد الملكة منه ... وإذا كان متصبا اخص بهخراج بعض الإقطاعات دون بعض ، ويكون صاحب ديوان الجيش هو الملازم له ، ودر الجيش ملازم للسلطان" . انظر أيضا (مصر المراجعة ، ج ٥ ، ص ٤٥٣ — ٤٥٤ ؛ G. - Demombynes : La Syrie. Introd. p. LV et seq .)



وفي يوم الجمعة سابع عشر به (١٦٥ ب) دعا الخطباء على منابر الجوامع بمصر والقاهرة للملك السعيد، وصلى بها على الملك الظاهر صلاة الغائب . وخرج البريد إلى دمشق بموت الملك الظاهر، وتحليف العساكر للملك السعيد خلفوا .

وفي يوم الأربعاء سادس عشر ربيع الأول ركب الملك السعيد بالعصائب على عادة أبيه، ومعه الأمراء والأعيان وعليهم الخلع، وسير إلى تحت الجبل الأحمر، وعاد إلى القلعة من غير أن يشق القاهرة، وكان يوما مشهودا .

وفي سادس ربيع الآخر مات الأمير بدر الدين بيلىك السائب، وأتهم أن الملك السعيد ستمه — وذلك أنه اختص بجماعة من المماليك الأحداث، فأوهموه من الأمير بيلىك، وكانت جنازته حفلة، ومن بعده اضطربت أمور الملك السعيد . وأقام [الملك السعيد] بعده في نيابة السلطنة الأمير شمس الدين آقسنقر الغارقاني، وكان حازما، فضم إليه جماعة : منهم شمس الدين أفوش، وقطليجا الرومي، وسيف الدين قلع البغدادى، وسيف الدين بجو<sup>(٣)</sup> .

(١) وضع هذا اللفظ بمحمل معنيين، وكلاهما في (Dozy : Supp. Dict. Ar.)، أحدهما حديثو العمر أو العهد بالخدمة (jeunes gens)، والآخر الأراذل والسدة (la canaille)، والمعنى الأول هو المقصود . انظر ابن أبي الفضائل (كتاب النهج السديد، ص ٢٩٩)، حيث يقول إن الأمور كانت مفسدة في عهد الملك السعيد "بمحكم الصبيان الجهلة من الخاسكية (كذا)" .

(٢) يوجد في ابن أبي الفضائل (كتاب النهج السديد، ص ٢٨٩ — ٢٩٠) تفصيلات كثيرة عن وفاة الأمير بدر الدين، ونصها : "دخل [الأمير بدر الدين] إلى السارة عند والدة الملك السعيد، على أنه يعزها بالسلطان ويهنيها بالملك السعيد، فشكرت له فعله ودعت له، وأخرجت له هاتبا مملوا سكرًا وليمونا وحلقت عليه أن يشرب بمدها، وأوممت أنها شربت منه . فشرب جرعتين لاغير، وفي الثالثة من كثرة ما بلعوا عليه نجبل ودفعه من يده، وكانت القاضية فيه . فتوجه إلى داره، فتوكل وحصل له تقطع المعاء (كذا)، وادعى أنه قولنج . وكان طيبه عماد الدين ابن التابلي، فسيروا إليه ثلاثة آلاف دينار، وقالوا له خذ هذه وساعدنا في هلاكه، ولا تمزقه أنه مبق . فأخذ الذهب (٢٩٠) وتناقل عنه، ووصف له ما يقوى مقيت فأت " : انظر أيضا النويري (نهاية الأرب، ج ٢٨، ص ١١٧ — ١١٨) حيث ذكرت هذه القصة، ينلونها ترجمة قصيرة لهذا الأمير .

(٣) في ص "عجوا" وهو مترجم إلى (Nadgou) في (Quatremère: Op. Cit. I. 2. p. 158) .



البغدادى ، وعز الدين ميغان<sup>(١)</sup> أمير شكار<sup>(٢)</sup> ، وسيف الدين بكتمر السلاح دار<sup>(٣)</sup> . فقتل  
[ الأمير آفستقر ] على خاصكية السلطان ، وحدثوا السلطان في أمره ، واستعانوا بالأمير  
سيف الدين كوندك الساقى - وكان الملك السعيد قد قدمه وعظمه ، لأنه ربي معه  
في المكتب . فقبض على آفستقر وهو جالس في باب القلعة<sup>(٤)</sup> ، وسجن وأهين وتفتحت لحيته  
وضرب ، ثم أخرج بعد أيام يسيرة وهو ميت . فاستقر بعده في النيابة الأمير شمس الدين سنقر  
الأفنى المظفرى ، فكرهه الخاصكية وقالوا : " هذا ما هو من الظاهرية " ، وخيلوا الملك  
السعيد منه أنه يريد أن يشور بخشداشيته مماليك الملك المظفر قطز ، فعزله سريعا . وولى

(١) كذا في م ، وهو مترجم في (Quatremère : Op. Cit. I. 2. p. 158) إلى (Igan) .

(٢) يتحدث صاحب هذه الوظيفة على الجوارح السلطانية من الطيور وغيرها ، وعلى سائر أمور الصيد ، وشكار  
نخلة فارسي . معاه الصيد ، فيكون المراد أمير الصيد . وهناك وظيفة أخرى متعلقة بالصيد وهي حراسة الطير ، وموضوعها  
أن يكون صاحبها متحدثا على حراسة الطيور في الأماكن والمزارع التي ينزل بها سلطان الصيد . (الفتشندى : ص ٤٦١) .  
الأعشى ، ج ٤ ، ص ٢٢ ، ج ٥ ، ص ٤٦١) .

(٣) في م " فقل " .

(٤) الخاصكية قسم من المماليك السلطانية ، يعتزم سلطان من الأجلاب الذين دخلوا خدمته صفارا ، ويجمعهم  
حرسه الخاص (G.- Demombynes : La Syrie. Introd. pp. XXXIII, L, XCIX) . هذا وقد  
أورد (Quatremère : Op. Cit. I. 2. p. 158. n. 3) تعريفين لخاصكية . وقد نقل أولهما من (ابن شاهين :  
زبدة كشف الممالك ، ص ١١٥ ، وما بعدها) ، ونصه : " الخاصكية هم الذين يلازمون السلطان في خلواته ، ويسوقون  
المحمل الشريف ، ويتقبلون بكوامل الكمال . ويجهزون في المهمات الشريفة . وإياهم المتعينون للإمرة (١١٦)  
والمتفربون في الملكة ... ، ومنهم من هو صاحب وظيفة ، ومنهم من ليس له وظيفة ... " . أما النص الثاني فقد  
نقله (Quatremère) من كتاب المقصد الرفيع المنشأ الهادى إلى صناعة الانشاء للهادى ، ونصه : " وقد جعل ذلك  
[ الاسم ] علما عليهم ، لأنهم يحضرون على الملك في أوقات خلواته وفراجه ، ويأكلون من ذلك ما لا يأكله أكابر المتقدمين ،  
ويحضرون طرقي كل نهار في خدمة القصر والإسفل ، ويركبون لركوب الملك ليلا ونهارا ، ولا يخلعون في قرب ولا بعد .  
ويتميزون من غيرهم في الخدمة بمحملهم مسيوقهم ، ولباسهم الطرز الزركشى . ويدخلون على الملك في خلوته بغير إذن ،  
ويتوجهون في المهمات الشريفة ، ويتأقنون في مركوبهم وملبوسهم " .

(٥) ضبط هذا الاسم من ابن أبي الفصائل (كتاب النهج السديد ، ص ٢٩٩ ، حاشية ٢ ، من الترجمة الفرنسية) .

(٦) كان هذا الباب أحد أبواب الدور السلطانية بالقلعة . وعرف بهذا الاسم " من أجل أنه كان هناك قبة (٩)  
بناها الملك الظاهر بيبرس " . (المقريزى : المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٢١٢) .



الأمير سيف الدين كوندك الساقى نيابة السلطنة — وهو شاب ، فعضده الأمير سيف الدين قلاون الألفى ومال إليه .

وكان من جملة الممالك السلطانية الخاصكية شخص يعرف بلاجين الزينى ، وقد غلب على الملك السعيد فى سائر أحواله ، وضم إليه عدة من الخاصكية . وأخذ [لاجين] لهم الإقطاعات والأموال الجزيلة ، وصار كلما انحلت خبز أخذته لمن يختار . وتنافر الناس [والمذكور] ، فتوغرت بينهما الصدور ، ودبت بينهما عقارب الشرور ، وأعمل كل منهما مكروء فى أذية الآخر . وضم النائب إليه جماعة من الأمراء الكبار ، وصار العسكر حزين ، قال الأمر إلى ما آل إليه من الفساد .

- وتغير السلطان على الأمراء ، وقبض فى سابع عشره على الأمير جودى القيمرى الكردى ، فنشرت منه قلوب الأمراء لا سيما الصالحية : مثل الأمير سيف الدين قلاون ، والأمير شمس الدين مستقر الأشقر ، والأمير علم الدين سنجر الحلبي ، والأمير بدر الدين بيسرى ، وأقرانهم . فإنهم كانوا بأنفون من تملك الملك الظاهر عليهم ، ويرون أنهم أحق منه بالملك ، فصار ابنه الملك (١١٦٦) السعيد يضع من أقدارهم ، ويقدم عليهم ممالك الأصاغر ، ويغلوهم<sup>(٣)</sup> وكانوا صباح الوجوه ، ويعطيهم مع ذلك الأموال الكثيرة ، ويسمع من رأيهم ويبعد الأمراء الكبار .
- [واستمر الحال على هذا] إلى أن كان يوم الجمعة خامس عشره ، [وفيه] قبض [السلطان] ١٥ على الأمير شمس الدين مستقر الأشقر ، والأمير بدر الدين بيسرى ، وسجنهما بالقلعة ثلاثة وعشرين يوما . فزادت الوحشة بينه وبين الأمراء ، ودخل خاله الأمير بدر الدين محمد بن بركة خان إلى أخته أم السلطان ، وقال لها : "قد أساء ابنك التدبير بقبضه على مثل هؤلاء الأمراء الأكابر ، والمصلحة أن ترديه إلى الصواب ، لئلا يفسد نظامه وتقصير أيامه" . فلما بلغ الملك

(١) تقدم شرح المعنى الاصطلاحى لهذا اللفظ فى ص ٦٥ ، حاشية ١ .

(٢) ليس لهذا اللفظ وجود فى م ، ولكنه فى ب (١٩٥ ب) .

(٣) فى م "مخلوا" .



السعيد ذلك قبض عليه واعتقله . فلم تزل به أمه تعنفه وتلطّف به ، حتى أطلقهم وخام عليهم وأعادهم إلى ما كانوا عليه ؛ وقد تمكنت عداوته من قلوبهم .

وتوهم منه بقية الأمراء ، وخشوا أن يعاملهم كما عامل الأمير بيليك الخازندار ، مع حفظه له الملك وتسليم الخزان والعساكر إليه . فلم يكفنه إلا بأن قتله بالسّم . فاجتمع الأمراء وهموا أن يخرجوا عنه إلى بلاد الشام ، ثم اتفقوا وصعدوا كلهم إلى قلعة الجبل ، ومعهم ممالئكمهم وأزلامهم وأجنادهم وأتباعهم ، ومن انضم إليهم من العساكر ، فامتلا منهم الإيوان ورحبة القصر . وبعثوا إلى الملك السعيد : ” بأنك قد أفسدت الخواطر ، وتعزّضت إلى أكابر الأمراء ، فإما أن ترجع عما أنت عليه ، وإلا كان لنا ولك شأن “ . فلاتفهم في الجواب ، وتنصل مما كان منه . وبعث إليهم التّشريف فلم يلبسوها . وتردّدت الأجوبة بينهم وبينه إلى أن تقرّر الصلح ، وحلف لهم أنه لا يريد بهم سوءا ، وتولى تخليفه الأمير بدر الدين الأيدمرى ، فرضوا وانصرفوا .

وكتب [السلطان الملك السعيد] إلى دمشق أن يدفن الملك الظاهر داخل المدينة ، فاشترى الأمير عز الدين أيدمرى نائب الشام دار العتيق داخل باب الفرج تجاه المدرسة العادلية بستين ألف درهم ، وجعلها مدرسة وبني بها قبة ، وابتدأ بالعمارة في يوم الأربعاء خامس جمادى الأولى ، وفرغ منها في آخر جمادى الآخرة . وخرج من القاهرة الأمير علم الدين سنجر المعروف بابي خرص ، والطوائف صفى الدين جوهر الهندى ، وسارا إلى دمشق فدخلها [ها] في ثالث رجب . فلما كان في ليلة الجمعة خامسة ، حمل الملك الظاهر من قلعة دمشق ليلا على أعناق الرجال ، ووضع في جامع بنى أمية وصلى عليه ، (١٦٦ ب) وحمل حتى دفن بالقبة من المدرسة التي بنيت له ، بحضور نائب الشام . وألحده قاضي القضاة عز الدين محمد بن عبد القادر ابن عبد الحائق بن خليل بن مقلد أبو المناخر المعروف بابن الصائغ ، وترتب القراء من ثلثي يوم .

(١) كذا في س ، وفي ابن العاد (شذرات الذهب ، ج ٥ ، ص ٣٥٠) ، وهو وارد برسم ”العقبى“

في النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٨ ، ص ١١٦) .



ثم وقف عز الدين بن شداد وكيل الملك السعيد هذه المدرسة ، ووقف عليها قرية من شعرا<sup>(١)</sup> بانياس ، وغير ذلك .

وفي ثامن عشر ذى القعدة صرف قاضي القضاة محيي الدين عبد الله بن عين الدولة عن قضاء مصر والوجه القبلي ، وأضيف إلى قاضي القضاة تقي الدين محمد بن الحسين بن رزين ؛ فكل له قضاء القضاة بديار مصر . وأعيد قاضي القضاة شمس الدين أحمد بن خلكان إلى قضاء دمشق في سابع عشر ذى الحجة ، فكانت مدة عزله سبع سنين .

وفيها ولي شهاب الدين أبو عبد الله محمد بن شمس الدين أبي المعالي أحمد بن الخليل بن سعادة الخو<sup>(٢)</sup> قضاء القضاة الشافعية بحلب ، بعد وفاة تقي الدين محمد بن حياة الرقي .

وفي هذه السنة عم ماء النيل أرض مصر كلها ، ورخص سعر الغلة حتى أبيع الأردب التمتع بخمسة دراهم ، والأردب الشعير بثلاثة دراهم ، والأردب من بقية الحبوب بدرهمين . وفيها قتل الملك أبقا البرواناه في صفر ، واسمه معين الدين سليمان بن علي بن محمد بن حسن ، ومعنى البرواناه الحاجب ؛ وكان شجاعا حازما كريما عارفا ، فيه دهاء ومكر<sup>(٣)</sup> .

(١) كذا في م . (٢) بغير ضبط في م ، وانقوى اسم لعدة أماكن ، ومنها بلد من أعمال آذربيجان ينسب إليه الثياب الخوية . (بافوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٥٠٠ — ٥٠٣) .

(٣) يوجد بين الصفتين ١٦٦ ب ، ١٦٧ أ في م ، ورقة عليها ترجمة لبرواناه ، وقد جاء في سياقها سبب قتل الملك أبقا له ، ونصها : " سليمان بن علي بن محمد صاحب معين الدين برواناه بن مهذب الدين . قدم أبوه من بلاد المجر إلى الروم ، وعلم أولاد منقوى الروم القرآن . ثم رآه واستقر مكانه في أيام السلطان علاء الدين ، فظهرت كفايته فاستوزره . ثم وزر من بعده لابنه عيات الدين حتى سنة اثنين وأربعين [ وستة ] ، فوثب من بعده ابنه سليمان هذا في وزارته ، وعظم شأنه إلى أن استول على ممالك الروم ، وصانع التار . فعمرت البلاد على يده ، وكاتب السلطان الملك الظاهر بيبرس البندقداري ؛ فلما دخل السلطان [ بيبرس ] بلاد الروم ، وواقع القناروساد ، قدم الملك أبقا فنسب البرواناه إلى أنه هو الذي حصر السلطان على ذلك . وبكت خوانين أبقا وشقت ثيابين بين يديه ، وقتل البرواناه هو الذي قتل رجالا ولا بد من قتله . فقتله أبقا أشنع قتل ، فنه قطع يديه ورجليه وهو حي ، وألقاه في قدر وصلقه ( كذا ) ، وأكل المغل لحمه غيظا وحشا ؛ وقتلوا معه من الروم عدة خلاقي ، وذلك في سنة ست وسبعين وستة . وكان من دهنة لعام وشجعتهم ، له إقدام على الأهوال وحيرة بجمع الأموال " . انظر ( بن أبي الفاضل : كتاب التيج السديد ، ص ٢٧٣ ، وما بعدها ؛ Enc. Isl. Art. Mu'in al-din Sulaiman Parwana ) .



وفيهما عزل نفسه قاضي القضاة صدر الدين سليمان بن أبي العز الحنفى من القضاة  
في سلخ المحرم، فشر منصب قضاء الحنفية بعده .

ومات في هذه السنة من الأعيان الأمير بدر الدين بيليك الخازندار نائب السلطنة ،  
في سادس شهر ربيع الآخر ؛ وكان جوادا عارفا بالتاريخ جيد الكتابة . وتوفي قاضي القضاة  
شمس الدين أبو بكر محمد بن عماد الدين أبي إسحاق إبراهيم بن عبد الواحد بن علي بن سرور  
المقدسى الحنبلى وهو مصروف ، في يوم السبت ثانى عشرى المحرم ؛ ودفن بالقرافة ، وله من  
العمر ثلاث وسبعون سنة . وتوفي قاضي القضاة بحلب تقي الدين أبو عبد الله محمد بن حياة  
ابن يحيى بن محمد الرقى الشافعى بقبوك<sup>(١)</sup> ، وهو عائد من الحج . وتوفي الشيخ محيى الدين أبو زكريا  
يحيى بن شرف بن مري بن الحسن بن الحسين بن جمعة بن حرام النووى الشافعى ، عن نيف  
وأربعين سنة ، بقرية نوى . وتوفي الواعظ نجم الدين أبو الحسن علي بن علي بن أسفنديار  
البغدادى بدمشق ، عن متين سنة . وتوفي الشريف شهاب الدين أحمد بن أبي محمد الحسينى  
الواسطى العراقى ، بالإسكندرية . وتوفي الشيخ نظام الدين أبو عمرو عثمان بن أبي القاسم  
عبد الرحمن بن رشيق المالكى . وتوفي أبو الحسن علي بن عدلان بن حماد بن علي الربعى  
الموصلى النحوى المترجم ، بالقاهرة .

\*\*\*

سنة سبع وسبعين وستمائة . في سابع عشرى المحرم عمل عزاء الملك الظاهر ، عند  
تمام سنة من وفاته . بالأندلس<sup>(٢)</sup> من قرافة مصر . ومدت هناك الأسمطة في الخيام للقراء والفقهاء ،  
وفزقت الأطعمة على أهل الزوايا ؛ وكان من الأوقات العظيمة . لكثرة من اجتمع فيه من

(١) في س "مرا" . انظر ابن العماد (شذرات الذهب ، ج ٥ ، ص ٣٥٤) .

(٢) بفرضبط في س ، والنسبة الى نوى المذكورة بالمرآتى . ونوى اسم لبلدين ، أحدهما من أعمال  
حوران وبينها وبين دمشق مئذنان ؛ والأخرى قرية من قرى صمرقند على بعد ثلاثة فراسخ منها . ( ياقوت : معجم  
البلدان ، ج ٤ ، ص ٨١٥ ) .

(٣) كذا في س .



الناس على اختلاف طبقاتهم . وعمل مجمع آخر بجامع ابن طولون ، وفي الجامع الظاهري ،  
والمدرسة الظاهرية ، والمدرسة الصالحية ، ودار الحديث الكاملية ، والخانقاه الصلاحية سعيد  
السعداء ، والجامع الحاكمي . وعمل لتكايرة<sup>(١)</sup> والفقراء خوان حضره كثير من أهل الخير .

وفي عاشر جمادى الأولى ولي قاضي القضاة صدر الدين سليمان بن أبي العز بن وهيب الحنفى  
قضاء الحنفية بدمشق ، عوضا عن مجد الدين عبد الرحمن بن عمر بن العديم بحكم وقاته . فلما مات  
[صدر الدين] بعد أربعة أشهر ، ولي عوضا عنه في تاسع عشر رمضان حسام الدين حسن  
ابن أحمد بن حسن الرازي ، قاضي الروم الواصل من قيسارية .

وفي ...<sup>(٢)</sup> شوال خرج الملك السعيد من قلعة الجبل يريد التفرج في دمشق ، ومعه  
أخوه نجم الدين خضر ، وأمه وأمرأؤه وعساكره ، فدخل إلى دمشق في خامس ذي الحجة .

وفي سلخ ذي القعدة مات صاحب بهاء الدين علي بن محمد بن سليم بن حنا ، فكتب  
من دمشق بالحوطة على موجوده . وقبض الملك السعيد على صاحب زين الدين أحمد بن  
الصاحب نحر الدين محمد بن صاحب بهاء الدين ، وأخذ خطه بمائة ألف دينار ، (١٦٧)  
وسيره على البريد إلى مصر ، ليستخرج منه ومن أخيه تاج الدين محمد وابن عمه عز الدين  
محمد بن أحمد بن علي نكمة ثلاثمائة ألف دينار . واستقر في الوزارة — عوضا [عن] صاحب  
بهاء الدين بن حنا — قاضي القضاة برهان الدين الخضر بن الحسن السنجاري ، وكان بينه  
وبين ابن حنا عداوة ظاهرة وحقوق كامنة ، فبلغ من التمكن في أولاده وأمواله ما كان  
يؤمله . وساعده على ذلك عدة من الأمراء : منهم عز الدين الأفرم ، وبدر الدين بيسرى ،  
لما في نفوسهم من بهاء الدين بن حنا . وولى وزارة الصحبة نحر الدين بن لقمان ، عوضا عن  
تاج الدين محمد بن حنا .

(١) تكايرة أقل بلاد تكرور ، وهي أحد الأقاليم الإمبريقية الواقعة في الجهة الجنوبية الغربية من مصر ،  
وقد عرفت مدية تكرور ، وأهلها شبه الساس بالروج . (تلفيشدى : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٢٨٦ — ٢٨٧ ؛  
بافوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٨٦١) .

(٢) بياض في س ، يسع ثلاث كلمات تقريبا .



وفي سادس عشرى ذى الحجة جلس الملك السعيد بدار العدل في دمشق ، وأسقط عن أهل الشام ما كان قد قزره الملك الظاهر عند سفره إلى بلاد الروم على البساتين في كل سنة . وفيه أشار خاصكية السلطان عليه بإبعاد الأمراء الأكارع عنه ، بجهز الأمير قلاون الألفى بعسكر ، وجهز الأمير يسرى بعسكر ، وأنفق فيهم الأموال . فساروا إلى جهة سبس ، وفي نفوسهم من ذلك إحسن .

وفيها ولى الأمير علاء الدين أيدغدى الكبكي نيابة حلب ، عوضا عن الأمير نور الدين على بن مجلى الحكارى . وفيها كثر الرخاء بمصر حتى أبيع ثلاثمائة أردب فولاً بمبلغ تسعمائة درهم ، انصرف منها حمولة ومكوس . بحيث لم يتأخر منها غير خمسة وثمانين درهما . وفيها مات عز الدين كيكائوس ملك الروم ، بعد ما جرت له خطوب . فملك أبغا بن هولاءكو من بعده ابنه مسعود بن كيكائوس سيواس وأرزن الروم وأرزنكان . وفيها حصلت زحمة عظيمة بباب العمرة من المسجد الحرام بين الحجاج عند خروجهم إلى العمرة بعد صلاة الصبح ، فمات منهم ستة وثلاثون إنسانا ، وذلك في ثالث عشر ذى الحجة .

ومات في هذه السنة من الأعيان الأمير جمال الدين أفوش النجيبى الصالحى نائب الشام ، في خامس ربيع الأول بالقاهرة ، عن نحو سبعين سنة . ومات الأمير شمس الدين آقسنقر الفارقانى الصالحى نائب السلطنة ، عن نحو خمسين سنة . ومات الأمير علاء الدين أيدكين الشهابى نائب حلب ، وهو مصروف ، عن نحو خمسين سنة بدمشق . وتوفى قاضى القضاة

(١) كذا في م ، وهو مترجم ال (Kelbi) في (Quatremère : Op. Cit. I. 2. p. 161) .

(٢) كذا في م .

(٣) بل هذا في م عبارة ذهب معظم كتابها ، وأولها لفظ " ولى " وهو مشطوب ، وكان المقرئ يصد إزالة العبارة كلها .

(٤) بغير ضبط في م ، واسم هذا البلد أرزنجان بالجيم ، وأهلها يقولون أرزنكان بالكاف كما هنا ، وهي بلدة من أرمينية ، قرية من أرزن الروم . ( ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٢٠٥ ) .

(٥) تل هذه الكلمة وفاة مشطوبة ، ونصها : " ومات الأمير بدر الدين محمد بن بركة خان بن دولة خان الطبرى الخوارزمى ، خال السلطان الملك السعيد " .



- الحنفية بدمشق مجد الدين أبو محمد عبد الرحمن بن صاحب كمال الدين عمر بن أحمد بن هبة الله بن محمد بن هبة الله بن أحمد بن يحيى بن العديم، عن أربع وستين سنة . ومات قاضي القضاة الحنفية بدمشق صدر الدين أبو الفضل سليمان بن أبي العز بن وهيب الأذرعى، بعد ثلاثة أشهر من ولايته، عن ثلاث وثمانين سنة . ومات الوزير صاحب بهاء الدين أبو الحسن علي بن محمد بن سليم بن حنا . سلخ ذى القعدة . وتوفى مجد الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عمر بن أبي شاكر بن الظهير الإرزبلى الحنفى، عن خمس وسبعين سنة بدمشق . وتوفى نجم الدين أبو المعالى محمد بن سوار بن إسرائيل بن الحضرم بن إسرائيل الشيبانى المدمشق الصوفى الأديب، عن أربع وسبعين سنة بدمشق . وتوفى الأديب جمال الدين طه بن إبراهيم ابن أبي بكر الهذبانى الإرزبلى، بالقاهرة . وتوفى الأديب موفق الدين أبو محمد عبد الله بن عمر ابن نصر الله الأنصارى البعلبكي، بالقاهرة .<sup>(١)</sup>

+

- سنة ثمان وسبعين وستمائة . فى المحرم قُتِر الخاصكية مع الملك السعيد القبض على الأمراء عند عودهم من سيس، وعينوا إقطاعاتهم لأناس منهم . وكان الأمير كوندك النائب مطلع على ذلك . واستغرق السلطان فى لذاته، وبسط يده بعطاء الأموال الكثيرة لخاصكيته، وخرج عن طريقة أبيه . وفى أثناء ذلك حدث بين الأمير كوندك النائب وبين الخاصكية منافرة، بسبب أن السلطان أطلق لبعض مماليكه ألف دينار فتوقف النائب

(١) فى هذه السنة كان مولد النورى مؤلف كتاب نهاية الأرب المندول فى هذه الخواشي، وهو شباب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم بن منحا (كذا) بن على بن طراد بن خطاب بن نصر بن إسماعيل ابن إبراهيم بن جعفر بن هلال بن الحسين بن ليث بن طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق، وكان مولده بأخميم من صعيد مصر . انظر النورى (نهاية الأرب، ج ٢٨، ص ١٢٣) .

(٢) تقدمت الإشارة الى مكانة الأمير كوندك هذا عند السلطان الملك السعيد، بسبب صداقتهما منذ الصغر (انظر ص ٦٤٤ سطر ٣) ، وقد حفظ السلطان الملك السعيد للأمير كوندك هذه الصداقة أيام سلطته، فسمع له "أن يجلس بين يديه" ولا يوقع لأحد بلائمة عليه، ومكة تمكينا . بكر لأحد قبله : وكان [ كوندك ] ذكيا فظا . (ابن أبي الفاضل : كتاب التهج السديد، ص ٣٠٠) .



في إطلاعها . فاجتمع الخاصكية عند النائب وفأوضود في أمر المبالغ ، وأستمعوه ما يكره وقاموا على حرد ، وتكلموا مع السلطان في عزله عن النيابة فامتنع . وأخذ الخاصكية في الإلحاح عليه بعزل كوندك ، وعجز عن تلافى أمرهم معه .

وأما الأمراء فإنهم غزوا سيس وقتلوا وسبوا ، وصار الأمير يسرى إلى قلعة الروم ، وعاد هو والأمراء إلى دمشق ونزلوا بالمرج . فخرج الأمير كوندك إلى لقائهم على العادة ، وأخبرهم بما وقع من الخاصكية في حقهم وحقه ، فحزك قوله ما عندهم من كوامن الغضب . وتحالفوا على الاتفاق والتعاون ، وبعثوا من المرج إلى السلطان يعلمونه أنهم مقيمون بالمرج ، وأن الأمير كوندك شكى إليهم من لاجين (١٦٧ ب) الزينى شكوى كثيرة ، "ولابد لنا من الكشف عنها " ، وسألوا [السلطان] أن يحضر إليهم حتى يسمعوا كلامه وكلام كوندك .

فلما بلغ ذلك السلطان لم يعبا بقولهم ، وكتب إلى من معهم من الأمراء الظاهرية بأمرهم بمفارقة الصالحية ودخول دمشق . فوقع القاصد الذي معه الكتب في يد أصحاب كوندك ، فأحضر إلى الأمراء ووقفوا على الكتب التي معه ، فرحلوا من فورهم ونزلوا على الجسورة من جهة داريا . وأظهروا الخلاف ، ورموا الملك السعيد بأنه قد أسرف ، وأفرط في سوء الرأي وأفسد التدبير .

نخاف [السلطان] عند ذلك سوء العاقبة ، وبعث إليهم الأمير سنقر الأشقر ، والأمير سنقر التكريتي الأستاذار ، ليلطفا بهم ويعملا الحيلة في إحضارهم ، فلم يوافقوا على ذلك . وعادا إلى السلطان فزاد قلقه ، وترددت الرسل بينه وبين الأمراء ، فاقترحوا عليه إبعاد الخاصكية ، فلم يوافق . وبعث [السلطان] بوالدته مع الأمير سنقر الأشقر لتسترضيهم ، فخذتهم وخضعت لهم فما أفاد فيهم ذلك شيئا ، وعادت بالخيبة .

فرحل الأمراء بمن معهم من العساكر إلى مصر ، وتبعهم الملك السعيد ليلحقهم ويتلافى أمرهم فلم يدركهم ، فعاد إلى دمشق وبات بها . وأصبح [الملك السعيد] بجهازه ونحرائه



إلى الكرك، وجمع من يقي من عساكر مصر والشام، واستدعى العربان وأنفق فيهم، وسار من دمشق بالعساكر يريد مصر، فقتل بليس في نصف ربيع الأول . و [كان] قد سبقه الأمير قلاوون بمن معه إلى القاهرة، ونزلوا تحت الجبل الأحمر .

فبلغ ذلك الأمراء الذين بقلعة الجبل، وهم الأمير عز الدين أيبك الأفرم أمير جاندار، والأمير أقطوان الساقى، والأمير بلبان الزريقى<sup>(١)</sup>، فامتنعوا بها وحصنوها، وتقدموا إلى متولى القاهرة فسد أبوابها . فراسلهم قلاوون والأمراء في فتح أبواب القاهرة، ليدخل العسكر إلى بيوتهم ويبيصروا أولادهم، فإن عهدهم بعد بهم . ونزل الأمير لاجين البرنكاي وأيبك الأفرم وأقطوان إلى الأمراء لمعرفة الخبر، فقبضوا عليهم وبعثوا إلى القاهرة ففتحت أبوابها، ودخل كل أحد إلى داره . وسجن الثلاثة الأمراء في دار الأمير قلاوون بالقاهرة، وزحفوا إلى القلعة وحاصروها، وقد امتنع بها بلبان الزريقى<sup>(٢)</sup> .

وأما السلطان فإنه لما نزل بليس وبلغه خبر الأمراء، حاصر عليه من كان معه من عسكر الشام وتركوه في بليس، وعادوا إلى دمشق وبها الأمير عز الدين أيدمر نائب الشام، فصاروا إليه . ولم يبق مع السلطان إلا مماليكه، ومنهم الأمير لاجين الزينى، ومغلطاي دمشق، ومغلطاي الجاكي، وسنقر التكريتى، وأيدغدى الحرانى، والبكى الساقى، وبكتوت الحمصى . وصالح الدين يوسف بن بركة خان، ومن يجزى مجراهم، ولم يبق معه من الأمراء الكبار إلا الأمير سنقر الأشقر فقط . فسار [السلطان] من بليس، فنارقه سنقر الأشقر من المطرية<sup>(٣)</sup>، وأقام بموضعه .

(١) في س "الزريق" ، ولعل النسبة إلى قبيلة زريق إحدى قبائل الأنصار . انظر ياقوت (معجم البلدان، ج ٢، ص ٩٢٩) .

(٢) في س "البرنكاي" ، وقد أثبت الرسم الواردة من (Quatremère : Op. Cit. I. 2. p. 169) ، حيث هذا الاسم مترجم إلى (Berkekhui) . (٣) في س "الزريق" .

(٤) بنير ضبط في س، وهي قرية بقرب عين شمس القديمة بالشمال الشرق من القاهرة، وكانت مشهورة في عالم القرون الوسطى بالشرق وغرب شجر البلسان، الذي يستخرج منه الدهن المعروف بذلك الاسم . انظر ياقوت (معجم البلدان، ج ٤، ص ٥٦٤ - ٥٦٥) .



وبلغ الأمراء أن السلطان جاء من خلف الجبل الأحمر، فركبوا ليحولوا بينه وبين القلعة، وكان الضباب كثيرا فنجا منهم، واستتر عن رؤيتهم وطلع إلى القلعة. فلما انكشف الضباب بلغ الأمراء أن السلطان بالقلعة، فعادوا إلى حصارها. وعند ما استقر السلطان بالقلعة تشاجر لاجين الزينى مع الزريقى<sup>(١)</sup>، فقتل [الزريقى] إلى الأمراء وصار معهم، وتبعه المالِك شيئا بعد شيء. وصار السلطان يشرف من برج الرفرف<sup>(٢)</sup> المطل على الإسطبل، وبصبح بهم: "يا أمراء! أرجع إلى رأيكم، ولا تعمل إلا ما تقولونه"<sup>(٣)</sup>، فلم يجبه أحد منهم. وأظهروا كتباً عنه يطلب فيها جماعة من الفداوية لقتلهم، وأحاطوا بالقلعة وحصلوه. وكان الأمير سنجر الحلبي معتقلاً بالقلعة، فأخرج السلطان وصار معه، فاستمر الحصار مدة أسبوع. وكان الذى قام في خلع<sup>(٤)</sup> [السلطان جماعة كثيرة من الأمراء، وهم] الأمير بيسرى، والأمير قلاون، والأمير أيتش السعدى، والأمير أيدكين البندقدار، والأمير بكاش الفخرى أمير سلاح، والأمير بيليك الأيدمرى، والأمير سنقر البكتوتى، والأمير سنجر طردج، والأمير بلبان الحيشى، والأمير بكاش (١١٦٨) النجمى، والأمير كشتغدى الشمسى، والأمير بلبان الهارونى، والأمير بجكا العلائى، والأمير بيبرس الرشيدى، والأمير كندغدى الوزيرى، والأمير يعقوبا الشهرزورى، والأمير أيتش بن أطلس خان، والأمير بيدغان الركى، والأمير بكتوت بن أنابك، والأمير كندغدى أمير مجلس، والأمير بكتوت جرمك، والأمير بيبرس طقصو، والأمير كوندك النيب، والأمير أيبك الحموى، والأمير سنقر الألفى، والأمير سنقر جاه

(١) فى س "الزريقى".

(٢) أورد المقرئى (المواعظ والاعتبار، ج ٢، ص ٢١٢ - ٢١٣) تاريخاً لهذا البرج من عهد السلطان الملك الأشرف خليل (٦٨٩ - ٦٩٠، ٥٦٠٣ - ١٢٩٠ م)، ونصه "عمره الملك الأشرف خليل بن قلاون (٢١٣) وجعله عالياً يشرف على الجيزة كلها، ويبيضه وصور فيه أمراء الدولة وغواصها، وعقد عليه قبة على عمد وزخرفها. وكان مجلساً يجلس فيه السلطان، واستمر جلوس الملوك به حتى هدمه الملك الناصر محمد بن قلاون فى سنة انتقى عشرة وسبعمائة، وعمل بجواره برجاً بجوار الإسطبل، [و] نقل إليه المالِك".

(٣) فى س "ما تقولوه". (٤) فى س "خلعه".

(٥) أضيف ما بين الأقواس بهذه الفقرة واتى تليها من النويرى (نهاية الأرب، ج ٢٨، ص ١٢٦).



الظاهرى ، والأمير قلنجق الظاهرى ، والأمير ساطلمس<sup>(١)</sup> ، والأمير بقنار الحموى ، ومن انضاف اليهم من الأمراء الصغار ومقدمى الحلقة ، وأعيان المفاردة والبحرية<sup>(٢)</sup> .

ولما طال الحصار بعث [السلطان] الخليفة الحاكم بأمر الله أحمد ، يقول : "يا أمراء ! إيش غرضكم ؟" فقالوا : "يخلع الملك السعيد نفسه من الملك ، ونعطيه الكرك"<sup>(٣)</sup> . فأذن السعيد لذلك ، وحلف له الأمراء ، وحضر الخليفة والقضاة الأعيان ، وأنزل بالملك السعيد ، وأشهد عليه أنه لا يصلح للملك . وخلع [السعيد] نفسه ، وحلف أنه لا يتطرق الى غير الكرك ، ولا يكتب أحدا من النواب ، ولا يستميل أحدا من الجند . وسفر من وقته الى الكرك مع الأمير بيدغان الركنى ، وذلك فى سابع شهر ربيع الآخر ، فكانت مدة ملكه من حين وفاة أبيه الى يوم خلعه ستين شهرا وثمانية أيام . فوصل الى الكرك وتسلمها فى خامس عشر جمادى الآخرة ، واحتوى على ما فيها من الأموال وكانت شيئا كثيرا .

ولم يمتل فى هذه الحركة سوى سيف الدين بكتوت الحمصى ، فإنه كان بينه وبين مستقرجاه الظاهرى مشاجرة ، فلما طلع الملك السعيد الى قلعة الجبل يوم وصوله من بليس صادفه مستقرجاه — وهو من حزب الأمير قلاون ومن معه — . فطعنه فى حلقه لحمل الى قبة القلندرية<sup>(٤)</sup> ، فمات من يومه ودفن بها . وكانت أيامه رخية الأسعار .

(١) كذا فى س .

(٢) البحرية هنا طائفة من الأجناد السلطانية ، وكان عملهم الميث بالقلعة وحول دهايز السلطان فى السفر كالحرص . انظر القلندرى (صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ١٦) ، حيث ورد أيضا أن أزل من رتب هذه الطائفة وصماها بهذا الأسم هو السلطان الملك الصالح نجم الدين أبوب .

(٣) أورد النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٨ ، ص ١٢٦) فى هذا الصدد أن السلطان الملك السعيد أرسل الى الأمراء أثناء الحصار : "وسأتم أن يكون اسم بكتو لهم ، فأبوا ذلك . لا أن يخلع نفسه من الميث . ولمس من سيف الدين قلاون والأمير بدر الدين بيسرى أن يظفروا قلعة الكرك فأجاباه الى ذلك ، ونزل من القلعة ... " .

(٤) يوجد بالمقرىزى (المواضع والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٤٣٢ — ٤٣٣) مكان اسمه زاوية القلندرية ، والزاج أنه انقصود بها : وموضع هذه الزاوية خارج باب النصر من الجهة التى فيها القرب والمقابر بالقاهرة ، وقد أسماها الشيخ حسن القلندرى الجوانقى ، أحد فقهاء معجم القلندرية . أما لفظ القلندرية فنسبة الى مؤسس هذه الطريقة الصوفية ،



## (١) السلطان الملك العادل بدر الدين سَلامَش

[وهو] ابن الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري الصالح النجمي . لما تمّ خلع الملك السعيد وصافر إلى الكرك ، عرض الأمراء السلطنة على الأمير سيف الدين قلاون الألفي ، فامتنع وقال : "أنا ما خلعتُ الملك السعيد طمعا في السلطنة ، والأولى ألا يخرج الأمر عن ذرية الملك الظاهر" . فاستحسن ذلك منه لأن الفتنة سكنت ، فإن الظاهرية كانوا معظم العسكر ، وكانت الفسّاح بيد نواب الملك السعيد ، وقصد قلاون بهذا القول أن يتحكم حتى يغير النواب ويتمكن مما يريد . فقال الجميع إلى قوله وصوبوا رأيه ، واستدعوا سلامش ، وأنفقوا أن يكون الأمير قلاون أتابكته ، [وأن يكون] إليه أمر العساكر وتدير الممالك . فحضر سلامش وله من العمر سبع سنين وأشهر ، وحلف العسكر جميعه على إقامته سلطانا ،

== وهو قلندر يوسف العربي الأصل الإسباني الموطن ، (انظر Enc. Isl. Arts. Kalandar, Kalandari) وقد وصف القريري (المواعظ والاعتبار، ج ٢، ص ٤٣٢ - ٤٣٣) هذه الطائفة وصفا وائبا، ونصه : "قلندرية طائفة تنسب إلى تصوفية ، وتارة تسمى نفسها ملائكة . وحقيقة القلندرية أنهم قوم طرحوا التقيد بآداب المجوسات والمخاطبات ، وقتل أعزهم من الصوم والحسنة إلا التواضع ، ولم يبالوا بتداول منى من اللذات (٤٣٣) المباحة ، واقتصروا على رعاية الرخصة ، ولم يطلبوا حقائق الحزمية ، ولزموا ألا يدخروا شيئا ، وتركوا الجمع والاستنكار من الدين ، ولم يتقشفوا ولا زهدوا ولا تعبدوا ، وزعموا أنهم قد فتعوا بطيب قلوبهم مع الله تعالى ، واقتصروا على ذلك . وليس عندهم تطلع إلى طلب مزيد ، سوى ما هم بطلبه من طيب قلوب . وخرق بين الملامتي والقلندري أن الملامتي يعمل في كثرة العبادات ، والقلندري يعمل في تخريب العادات . واللامتي يترك بكل أبواب البر والخير ، ويرى الفضل فيه إلا أنه يخفي أحواله وأعماله ، ويوقف نفسه موقف العوام في هيئة ولبوسه تستر الحال حتى لا يفتن له ، وهو مع ذلك متطلع إلى المزيد من العبادات . والقلندري لا يتقيد بهيئة ، ولا يبال بما يعرف من حاله وما لا يعرف ، ولا ينعتف إلا على طيب القلوب ، وهو رأس ماله" .

- (١) ضبط اسم هذا السلطان على منطوقه في الترجمة الفرنسية لابن أبي الفصائل (كتاب تلخيص السديد ، ص ٣٠٧) .
- (٢) لم يقصد الأمير قلاون بأمناعه وتفضيله المبدأ الوراثي أنه كان يحترم هذا المبدأ ، وقد وضع غرضه من هذه العبارة الداهية قيا بعدد ، (انظر ما يلي ، ص ٦) . والواقع أن مبدأ الوراثية لم يكن مقبولا أو معقولا لدى أمراء المماليك ، وقد حثت عليهم نشأتهم أن تكون المؤهلات للسلطة عندهم الأقدمية والمهارة الحربية والقدرة على الدس من وراء ستار ، وغير ذلك مما ليس له علاقة بالبنية بالمبدأ الوراثي ، وتطبيق هذه الضوابط فقط واضح في تاريخ دولتي المماليك بمصر كله .



وإقامة الأمير قلاوون (١٦٨ ب) أتابك العساكر . ولقبوه الملك العادل بدر الدين ، فاستقر الأمر على ذلك . وأقيم الأمير عز الدين أيبك الأفرم في نيابة السلطنة ، واستقر قاضي القضاة برهان الدين خضر بن الحسن السنجاري في الوزارة .

- وأما عسكر الشام فإنه لما سار من بليس ودخل إلى دمشق ، كان بحلب الأمير عز الدين أيدمر العلاني ، والأمير قراستقر المعزى ، والأمير أقوش الشمسي ، والأمير برغوا ، في نحو ألفي فارس . فساروا إلى دمشق ولقوا العسكر القادم من بليس ، فاتفقوا [مع الأمراء الذين بدمشق] على إقامة الأمير أقوش الشمسي [مقدما على الجيوش] ، والقبض على الأمير عز الدين أيدمر نائب دمشق ، [لأنه ترك ابن أستاذه وخامر عليه ورجع من بليس] . فأخذ الأمير أقوش إلى داره ، بغاء الأمير أيدمر العلاني وركن الدين الجالقي إلى دار أقوش ، وأخذ الأمير أيدمر وصعدا به إلى قلعة دمشق ، وسلماه إلى الأمير علم الدين سنجر الدواداري نائب القلعة .
- فلما تقرر الحال على إقامة الملك العادل سلامش والأمير قلاوون كتب إلى الشام بذلك ، وصار الأمير جمال الدين أقوش الباخلي وشمس الدين سنقرجاه الكنجي بنسخة الأيمان ، خلف الناس بدمشق كما وقع الحلف بمصر .

- وفي النصف من جمادى الأولى ، استقر قاضي القضاة صدر الدين عمر ابن قاضي القضاة تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الأعز ، في قضاء القضاة بديار مصر ، عوضا عن قاضي القضاة نقي الدين محمد بن رزين بحكم عزله . وصُرف أيضا قاضي القضاة معز الدين النعمان بن الحسن ابن يوسف الخطيبي الحنفي ، وقاضي القضاة نفيس الدين أبو البركات محمد بن مخلص الدين هبة الله بن كمال الدين أبي السعادات أحمد بن شكر المالكي ، ثم أعيدا . وولى عز الدين عمر بن عبد الله بن عمر بن عوض المقدس الحنبلي ، قاضي القضاة الحنابلة . واستقر الأمير شمس الدين سنقر الأشقر في نيابة السلطنة بدمشق ، فدخلها في ثامن جمادى الآخرة ومعه

(١) كذا في م .

(٢) أضيف ما بين الأقواس بهذه العبارة من ابن أبي الفاضل (كتاب نهج السديد ، ص ٣٠٧ ، وما بعدها) .



جماعة من الأمراء والعسكرة، فعامله الناس معاملة الملوك . وأنزل الأمير سنجر الدواداري من القلعة لمباشرة الشدة، وقرئ تقليد النيابة يوم الجمعة بمقصورة الخطابة، ولم يحضر النائب قراءته . وفي تاسع رجب قبض على فتح الدين عبدالله بن محمد بن القيسراني، وزير دمشق . وفيه استقر الأمير جمال الدين أقوش الشمسي في نيابة السلطنة بحلب، عوضا عن أيديغدي الكبكي . وشرع الأمير قلاون في القبض على الأمراء الظاهرية، فقبض على أعيانهم وبعثهم إلى الثغور فسجنوا بها، وأمسك [أيضا] كثيرا من الظاهرية وملا الجبوس بهم . وأعطى [قلاون] ومنع وقطع، ووصل واستخدم وعزل، فكان صورة أتابك وتصرفه تصرف الملوك . واشتغل الأمير بيسرى باللهو والشرب، فانفرد الأتابك قلاون بالملكة وأخذ في تدبير أحواله . وفترق [قلاون] الأموال على الممالك واستمالهم، وقرب الصالحية وأعطاهم الإقطاعات (١١٦٩)، وكبر منهم جماعة كانوا قد نُسوا وأهملوا، وسير عدة منهم إلى البلاد الشامية واستنابهم في القلاع، وتتبع ذراريهم وأخذ كثيرا منهم كانوا قد تعلقوا بالصنائع والحرف، فرتب طائفة منهم في البحرية، وفزر لجماعة منهم جامكية . فعادت لهم السعادة، وقوى بهم جانبه وتمكنت أسبابه . ثم جمع [قلاون] الأمراء في العشرين من رجب، وتحدث معهم في صغر سن الملك العادل، وقال لهم : "قد علمتم أن المملكة لا تقوم إلا برجل كامل"، إلى أن اتفقوا على خلع سلامش فخلعوه، وبعثوا به إلى الكرك . وكانت مدة ملكه مائة يوم، ولم يكن يحظه من الملك سوى الاسم فقط، وجميع الأمور إلى الأتابك قلاون .

(١) لعل المقصود بهذه العبارة أن السلطان قلاون أدمج أفراد تلك الطائفة، وهم ذراري الممالك البحرية الصالحية، ضمن فئة البحرية التي جددتها في أوائل سلطته، ويوضح ذلك ما جاء في المقريري (المواعظ والاعتبار، ج ٢، ص ٢١٧) في هذا الصدد، ونصه : "واستجد السلطان الملك المنصور قلاون طائفة سماها البحرية، وهي أن البحرية الصالحية لما تشتتوا عند قتل الفارس أقطاي في أيام المعز أيك، بقيت أولادهم بمصر في حالة رذيلة، فعند ما أفضت السلطة إلى قلاون جمعهم ورتب لهم الجوامك والعليق واللحم والكسوة، ورسم أن يكونوا جالسين على باب القلعة ومماهم البحرية، وإلى اليوم طائفة من الأجناد تعرف البحرية". غير أنه قد تقدمت الإشارة إلى استعمال لفظ البحرية للدلالة على طائفة الأجناد المكلفين بالمبيت بالقلعة وحول دهايز السلطان (انظر ص ٦٥٥)، فلهذا المقصود هنا أن السلطان قلاون رتب ذراري الصالحية المذكورين في تلك الطائفة .





كَمَلَّ طبع القسم الثاني من الجزء الأول من مخاب  
" السلوك للقرنيزى " بمطبعة دار الكتب المصرية  
في يوم الثلاثاء ١٤ جمادى الثانية سنة ١٣٥٥ (أول سبتمبر  
سنة ١٩٣٦) م

محمد نديم  
ملاحظ المطبعة بدار الكتب  
المصرية



(مطبعة دار الكتب المصرية ٢٠/١٩٣٥/١٥٠٠)



*LADJNAT AL-TA'LĪF W'AL-TARDJAMA W'AL-NASHR, CAIRO, 1914.*

---

Chronicle of Aḥmad ibn 'Alī al-Makrīzī,

*Entitled,*

**KITĀB AL-SULŪK LI-MA'RIFAT  
DUWAL AL-MULŪK**

---

Edited by

**M. MUSTAFA ZIADA, (Ph. D.),**

Lecturer in History,  
Faculty of Arts, Egyptian University.

---

Vol. I. Part 2.

Pref., etc. pp. I-VII; Text pp. 265-658.

CAIRO,  
EGYPTIAN LIBRARY PRESS.  
1936.